

مكتبة دار الفکر

تتمتع في الثالثة

والأولى

التي هي الأولى

والثانية هي الثانية

من مجموع

مجموع

مجموع

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101 012793392

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

*This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.*

--	--

H. Hāshimī al-Khūṣī

مِنْهَاجُ الْبِرِّ الرَّابِعُ

في شرح هنج البلاغة

لمؤلفه

العَلَّامَةُ الْمُحَقِّقُ الْحَاجُّ مِيرزا حَبِيبُ اللهِ الْهَاشِمِيُّ الْخَوْيِّ قَدِ سَرِنَا

عني بتصحيحه وتهذيبه العالم الفاضل: السيد ابراهيم الميانجي

الطبعة الرابعة

مرکز فروش



مَشُورَاتِ كَلِمَةِ الْمُجَبَّرَةِ

ایران - قشم

الجزء الخامس

النَّاشِرُ:

مکتبہ المصطفوی



مؤسسه مهدی طهرانی تهران - ۱۳۶۰
تهران، کما فی مجله شماره ۵۳۲۵۹۹

طبع فی المطبعة الاسلامیة بطهران

2264
. 1067
. 754
1985
Juz 5

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومن خطبة له عليه السلام وهي الرابعة والستون من
المختار في باب الخطب

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ تَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالًا فَيَكُونُ أَوْلَا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ
آخِرًا، وَيَكُونُ ظَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا، كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرَهُ قَلِيلٌ
وَ كُلُّ عَزِيزٍ غَيْرَهُ ذَلِيلٌ، وَ كُلُّ قَوِيٍّ غَيْرَهُ ضَعِيفٌ، وَ كُلُّ مَالِكٍ غَيْرَهُ
مَمْلُوكٌ، وَ كُلُّ عَالِمٍ غَيْرَهُ مُتَعَلِّمٌ، وَ كُلُّ قَادِرٍ غَيْرَهُ يَقْدِرُ وَ يَعْجِزُ،
وَ كُلُّ سَمِيعٍ غَيْرَهُ يَصْمُ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ، وَ يُصَمُّ كَبِيرُهَا،
وَ يَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعْدَ مِنْهَا، وَ كُلُّ بَصِيرٍ غَيْرَهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الْأَلْوَانِ
وَ لَطِيفِ الْأَجْسَامِ، وَ كُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرَهُ غَيْرُ بَاطِنٍ، وَ كُلُّ بَاطِنٍ غَيْرَهُ
غَيْرُ ظَاهِرٍ، لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلَا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ

زَمَانٍ ، وَ لَا اسْتِعَانَةَ عَلَى نِدِّ مُثَاوِرٍ ، وَ لَا شَرِيكَ مُكَاتِرٍ ، وَ لَا ضِدَّ مُنَافِرٍ ، وَ لَكِنَّ خَلَائِقَ مُرَبُّوْنَ ، وَ عِبَادَ دَاخِرُونَ ، لَمْ يَخَالُ فِي الْأَشْيَاءِ فَيُقَالُ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ ، وَ لَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالُ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ ، لَمْ يُؤْذِهِ خَلْقُ مَا ابْتَدَأَ ، وَ لَا تَذْيِيرُ مَا ذَرَأَ ، وَ لَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ ، وَ لَا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شَبَهَةٌ فِيهَا قِضَا وَ قَدَّرَ ، بَلْ قَضَاءُ مُتَقَنَّ ، وَ عِلْمٌ مُحْكَمٌ ، وَ أَمْرٌ مُبْرَمٌ ، أَلْمَأْمُولُ مَعَ التَّقْمِ ، أَلْمَرْهُوبُ مَعَ النِّعَمِ .

اللفظة

(صمت) الاذن صمما من باب تعب بطل سمعها ويسند الفعل إلى الشخص
أيضاً فيقال صم يصم صمماً ويتعدى بالهمزة فيقال أصممه الله ولا يستعمل التثاني
متعدياً و (النّد) المثل و (المثاور) من الثوران وهو الوئب والهيجان يقال ثاوره
مثاورة و ثاورا و انبه و (المكاتر) في أكثر النسخ بالشاء المثلثة وفي نسخة الشارح
المعتزلي بالموحنة ومعناها قريب ، يقال كاتروهم فكثروهم غالبوهم في الكثرة فغلبوهم
ويقال كابرته مكابرة غالبته مغالبة و عانده و (الذّخر) الذليل و (اده) الامر يؤده
انقله و (ذره) خلق و (المبرم) كالمحكم لفظاً ومعناً

الاعراب

لفظة غير في الموارد الثمانية إما بالرفع كما في أكثر النسخ على أنها صفة
لكل ، وإما بالنصب كما في بعض النسخ على الاستثناء أو على أنها حال مما اضيف
إليه كل ، و العامل معنى الاضافة كما هو مذهب البعض في غير المغضوب حيث قال
بكونه حالاً من الذين وأنه عمل فيه معنى الاضافة ، ولكن خلائق اه بتخفيف لكن
والغائه عن العمل و رفع ما بعدها على كونه خبراً لمبتداه محذوف ، قالوا : و حق
لكن أن تقع بين كلامين متغايرين معنى بالنفي و الاثبات ، ولا يلزم التغاير اللفظي

إذ يقال جاء زيد ولكن عمرو لم يجيء، وقد يقال زيد حاضر ولكن عمرو غائب، ولا يلزم أيضاً أن يكون بينهما تضاد حقيقي بل التنافي بوجه ما قال تعالى:

«إِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ»

فإن عدم الشكر لا يناسب الأفضال، بل اللائق به أن يشكر، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام من هذا القليل، قوله فيقال: في الموضوعين بنصب المضارع وانتصابه بعد فاء السببية مع تقدم النفي قاعدة كلية، وقضاء متقن خبير لمبتداه وهكذا ما بعده، وقوله المأمول مع النقم أيضاً خبر أي هو المأمول والمرهوب.

المعنى

اعلم أن هذه الخطبة الشريفة مشتملة على نكات لطيفة من العلوم الإلهية متضمنة لجملات من الصفات الكمالية

الأولى ما أشار إليه بقوله (الحمد لله الذي نم يسبق له حال حالاً فيكون أو لا قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً) والمستفاد منه شيان الأول أنه سبحانه متصف بالأولية والآخرة: الظاهرية والباطنية الثاني أن اتصافه تعالى بها ليس على نحو السبق واللحق والقبلية والبعديّة

أما الأول فقد أشير إليه في سورة الحديد قال سبحانه

«هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»

واختلف في معنى هذه الصفات فقال الصدوق في التوحيد: هو الأول بغير ابتداء، والآخر بغير انتهاء، والظاهر بآياته التي أظهرها من شواهد قدرته و آثار حكمته و بينات حجته التي عجز الخلق جميعاً عن إبداع أصغرها وإنشاء أسرها وأحقرها عندهم كما قال عز وجل:

«إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ»

فليس شيء من خلقه إلا وهو شاهد له على وحدانيته من جميع جهاته وأعرض تبارك وتعالى عن وصف ذاته وهو ظاهر بآياته محتجب بذاته

و معنى ثان أنه ظاهر غالب قادر على ما يشاء ومنه قوله عز وجل : فأصبحوا
ظاهرين ، أي غاليين لهم

و الباطن معناه أنه قد بطن عن الأوهام وهو باطن لا يحيط به محيط لأنه قدم
أي تقدم الفكر فجنس عنه ، وسبق العلوم فلم يحيط به ، وفات الأوهام فلم يكتبه ، وحارت
عنه الأبصار فلم تدركه ، فهو باطن كل باطن ، ومحتجب كل محتجب ، بطن بالذات
وظهر بالآيات ، فهو الباطن بلا حجاب والظاهر بلا اقتراب .

ومعنى ثان أنه باطن كل شيء أي خير بصير بما يسرون وما يعلنون ولكل
ما ذره ، وبطانة الرجل وليجته من القوم الذين يداخلهم ويدخلونه في دخلة أمره ،
والمعنى أنه عالم بسر ابرهم لا أنه عز وجل يبطن في شيء يواريه

وفي مجمع البيان : هو الأول أي أول الموجودات ، وتحقيقه أنه سابق لجميع
الموجودات بما لا يتناهي من تقدير الأوقات ، لأنه قديم وماعده محدث والقديم
يسبق المحدث بما لا يتناهي من الاوقات ، والآخر بعد فناء كل شيء لأنه يفنى الأجسام
كلها وما فيها من الأعراض ويبقى وحده

وقيل الأول قبل كل شيء بلا ابتداء ، والآخر بعد كل شيء بلا انتهاء ، والظاهر
هو العالی الغالب على كل شيء ، فكل شيء دونه ، والباطن العالم بما بطن فلا أحد
أعلم منه عن ابن عباس

وقيل : الظاهر بالأدلة والشواهد ، والباطن الخبير بكل شيء وقيل : معنى
الظاهر والباطن إنه العالم بما ظهر ، والعالم بما بطن وقيل : الظاهر بأدلته والباطن
من احساس خلقه وقيل الأول بلا ابتداء ، والآخر بلا انتهاء ، والظاهر بلا اقتراب ،
والباطن بلا احتجاب وقيل الأول ببره إذ هداك ، والآخر بعمه إذ قبل توبتك ، والظاهر
باحسانه وتوفيقه إذا أعطته ، والباطن بستره إذا عصيته عن السدى

وقيل الأول بالخلق ، والآخر بالرزق ، والظاهر بالاحياء ، والباطن بالامانة
عن ابن عمر وقيل : هو الذي أول الأول وآخر الآخر وأظهر الظاهر وأبطن الباطن
عن الضحك وقيل الأول بالأزلية ، والآخر بالأبدية ، والظاهر بالأحدية ،

والباطن بالصمدية عن أبي بكر الوراق وقيل إن الواو مفتحة والمعنى هو الأول
والآخر والظاهر والباطن ، لأن من كان منّا أولاً لا يكون آخراً ، ومن كان ظاهراً
لا يكون باطناً ، عن عبدالعزيز بن يحيى وقيل هو الأول القديم ، والآخر الرحيم
والظاهر الحكيم ، والباطن العليم عن يمان

وأما الثاني فتحقيقه ما ذكره الشارح البحراني وهو أنه لما ثبت أن السبق
والمقارنة والقبلية والبعديّة امور تلحق الزمان لذاته وتلحق الزمانيات به وثبت أنه
تعالى منزّه عن الزمان إذ كان من لواحق الحركة المتأخّرة عن وجود الجسم المتأخّر
عن وجود الله سبحانه كما علم ذلك في موضعه ، لاجرم لم تلحق ذاته المقدّسة ومالها
من صفات الكمال ونعوت الجلال شيء من لواحق الزمان ، فلم يجوز إذن أن يقال
مثلاً كونه عالماً قبل كونه قادراً أو كونه قادراً قبل كونه مريداً أو كونه حياً قبل
كونه عالماً ولا كونه أولاً للعالم قبل كونه آخراً له قبلية وسبقاً زمانياً

بقي أن يقال إن القبليّة والبعديّة قد يطلق بمعان آخر كالقبليّة بالشرف
و الذات و الفضيلة والعلية ، وقد بينّا أن كلّ ما يلحق ذاته المقدّسة من الصفات
فاعتبارات ذهنيّة تحدّثها العقول عند مقياسته إلى مخلوقاته وشيء من تلك الاعتبارات
لا تفاوت أيضاً بالقبليّة والبعديّة بأحد المعاني المذكورة بالنظر إلى ذاته المقدّسة
فلا يقال مثلاً : هو المستحق لهذا الاعتبار قبل هذا الاعتبار أو بعده وإلا لكان كمال
ذاته قابلاً للزيادة والنقصان ، بل استحقاقه بالنظر إلى ذاته لما يصح أن يعتبر لها
استحقاق وجه بالنظر إلى جميعها دائماً

فلا حال يفرض إلا وهو يستحق فيه أن يعتبر له الأوليّة والأخريّة معاً استحقاقاً
أو ليساً ذاتياً ، لا على وجه الترتيب وإن تفاوتت الاعتبارات بالنظر إلى اعتبارنا ،
وهذا بخلاف غيره من الأمور الزمانية ، فإن الجوهر مثلاً يصدق عليه كونه أولاً من
العرض ولا يصدق عليه مع ذلك أنه آخر له حتّى لو فرضنا عدم جميع الاعراض
وبقاء الجوهر بعدها لم يكن استحقاقه للاعتبارين معاً بل استحقاقه لاعتبار الأوليّة

وقال الصدر الشيرازي في شرح الكافي : هو الأول والآخِر لأنه مبدء كل شيء ، وغايته ، والظاهر والباطن لأن غاية ظهوره منشأ بطونه بل حيثية ظهوره بعينها حيثية بطونه ، فهو الظاهر من حيث هو الباطن ، والباطن من حيث هو الظاهر و الثانية أن (كل مسمى بالوحدة غيره قليل) والمراد بذلك أنه سبحانه مع اتصافه بالوحدة لا يتصف بالقلّة كما يتصف بها غيره من المتصفين بالوحدة بيان ذلك أن الوحدة قد يطلق ويراد بها الوحدة التي هي مبدء الكثرة وهي العاد والمكيال لها سواء كانت في المتصل كالذراع الواحد و الفرسخ الواحد بعدان بوحديتهما الأذرع والفراسخ الكثيرة ، أو في المنفصل كالعشرة الواحدة والمائة الواحدة بعدان العشرات الكثيرة و المآت الكثيرة ، وهي أشهر أقسام الوحدة ، وقد يطلق ويراد بها الوحدة النوعية والوحدة الجنسية ، وهي الوحدة المبهمة التي يوصف بها الأنواع والأجناس و الإبهام في الجنس أشد وهي غير الوحدة بالتنوع و الوحدة بالجنس لأن معروض هاتين الكثير من الأشخاص والأنواع ومعروض الوحدة الجنسية والنوعية المعنى الواحد المبهم

إذا عرفت ذلك فنقول : إن الوحدة بالمعاني المذكورة لا يجوز اتصافه تعالى بها أما الأول فلأن الوحدة بالمعنى المذكور قليل بالنسبة إلى الكثرة التي هي عاد لها والقلّة والكثرة من أوصاف الممكن و أما الاخران فلأن الواجب سبحانه لا يكون نوعاً ولا جنساً ولا يندرج تحت نوع ولا جنس ، لأن ذلك كله من خصائص الامكان ، و لما كان أكثر الناس لا يتصور من الوحدة إلا المعنى الأول بل لا يفهمون من كونه تعالى واحداً إلا هذا المعنى لاجرم جعل نفيها عنه مخصوصاً بالذكر دفعا لما يتوهمون و إبطالا لما يزعمون.

روى الصدوق في التوحيد باسناده عن شريح بن هاني ، عن أبيه قال : إن أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين أتقول إن الله واحد ؟ فحمل الناس عليه و قالوا : يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسيم القلب فقال أمير المؤمنين عليه السلام : دعوه فإن الذي يريد الأعرابي هو الذي يريد من

القوم ؛ ثم قال : يا أعرابي إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام : فوجهان منها لا يجوزان على الله عز وجل و وجهان يثبتان فيه .

فأمّا اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصده باب الأعداد ، فهذا ما لا يجوز لأنّ مالانائي له لا يدخل في باب الأعداد ، أما ترى أنّه كفر من قال ثالث ثلاثة ، وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز عليه لأنّه تشبيه وجل ربنا عن ذلك و تعالى .

و أما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل : هو واحد ليس له في الأشياء شبه كذلك ربنا ، وقول القائل إنّه أحدي المعنى يعني به أنّه لا يتقسم في وجود ولا عقل ولا وهم و كذلك ربنا عز وجل .

(و) الثالثة أنّ (كل عزيز غيره ذليل) قد يفسّر العزيز الذي هو من أسمائه سبحانه بأنّه الذي لا يعاد له شيء أو الغالب غير المغلوب .

وقال في التوحيد العزيز معناه أنّه لا يعجزه شيء ولا يمتنع عليه شيء ، فهو قاهر الأشياء غالب غير مغلوب ، وقد يقال في المثل من عزّبز أي من غلب سلب ، وقوله عز وجل حكاية عن الخصمين و عزني في الخطاب ، أي غلبني ، ومعنى ثان أنّه الملك و يقال للملك عزيز كما قال اخوة يوسف ليوسف : يا أيها العزيز ، والمراد يا أيها الملك .

أقول: والظاهر أنّ المعنى الثاني أيضاً مأخوذ من الأوّل ، وعليه فالعزيب في اللغة هو مطلق الغالب ، فإذا استعمل في الله سبحانه و وصفناه به يراد به الغالب المطلق أعني الغالب غير المغلوب ، و إذا وصف به أحد من الخلق فالمراد به الغالب بالنسبة إلى من دونه و إن كان مغلوباً بالنسبة إلى من فوقه و ذليلاً بالقياس إليه و يوضح ذلك أنّ السحرة قالوا :

« بَيْرَةٌ فَرَعُونَ إِيَّانَا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ »

فوصفوا فرعون بالعرّة و قد صار مغلوباً لموسى و ذليلاً عند إله موسى مقهوراً تحت قدرته .

(د) الرابعة أن (كل قوي غيره ضعيف) القوة هي مبدء الأفعال الشاقفة وإذا وصف الله بها فتعود إلى تمام القدرة و إذا نسبت إلى غيره فالمراد بها القوة الجسمانية كقوة البطش المعروف من المخلوقات ولا يصح نسبتها بهذا المعنى إليه سبحانه إذ البرهان قائم على أن كل قوة جسمانية متناهية محتملة للزيادة والنقصان فيحتاج إلى محدود يحددها فيقوي عليها و يقهرها على الحد الذي لها ، و تلك القوة الأخرى أيضاً إن كانت متناهية كان حكمها كذلك إلى أن ينتهى إلى قوة غير جسمانية ولا متناهية دفعا للتسلسل أو الدور ، و أيضاً ما يحتمل الزيادة كالأعداد والأجسام والمقادير والحركات والأزمنة و ما يتعلق بها كالقوى والكيفيات فمضى ناقصة أبداً غير تامة ، و كل ناقص محتاج إلى إكمال و مكمل فلا يكون قديماً واجبا لذاته.

وإلى ذلك أشار أبو جعفر الثاني عليه السلام في رواية الكافي بقوله : و كذا سمينا ربنا قويا لا بقوة البطش المعروف من المخلوق ، و لو كانت قوته قوة البطش المعروف من المخلوق لوقع التشبيه و لا يحتمل الزيادة ، و ما يحتمل الزيادة لا يحتمل النقصان ، و ما كان ناقصا كان غير قديم ، و ما كان غير قديم كان عاجزا.

(د) الخامسة أن (كل مالك غيره مملوك) إذ كل ما سواه مستند إلى وجوده و في تصريف قدرته و مشيئته نافذ فيه أمره ، جار فيه حكمه ، فهو المالك للكل بالاستحقاق و على الاطلاق والكل مملوك له و إن صدق عليه في العرف أنه مالك بالقياس إلى من دونه و ما في يده.

(و) السادسة أن (كل عالم غيره متعلم) إذ علمه عين ذاته و علم غيره محتاج إلى التعلم من الغير والاستفادة منه ، ثم الغير من الغير إلى أن ينتهى إلى علمه سبحانه.

(د) السابعة أن (كل قادر غيره يقدر و يعجز) لأن قدرته عين ذاته فيستحيل عليه العجز و أما قدرة غيره وهي القوة الجسمانية المنبثقة في الأعضاء المعركة لها نحو الأفاعيل الاختيارية المقابلة للعجز تقابل الدم والملكة فهي خارجة عن ذات

القادر قابلة للوجود والعدم ، فاذا القادر المطلق هو مستند كل مخترع اخترع اعاينفرد به و يستغنى فيه عن معاونة الغير وليس هو إلا الله سبحانه، و أما غيره من المتصفين بالقدرة فهو و إن كان في الجملة صاحب قدرة إلا أن قدرتها ناقصة لتنا و لها بعض الممكنات و قصورها عن البعض الآخر، لأنه بالذات مستحق بالعجز وعدم القدرة و إنما استحقاقه لها من وجوده تعالى فهو الفاعل المطلق الذي لا يعجزه شيء عن شيء ولا يستعصى على قدرته شيء.

فان قلت : فهل يقدر أن يدخل الدنيا كلها في بيضة لانصغر الدنيا ولا

يكبر البيضة؟

قلت : لا، ولا يلزم منه نقص على عموم القدرة ، بيان ذلك على ما حقه بعض علمائنا المحققين أن معنى كونه قادراً على كل شيء أن كلما له مهية إمكانية أو شئبية تصورية فيصح تعلق القدرة به ، و أما الممتنع فلا مهية لها ولا شئبية حتى يصح كونها مقدورة له تعالى ، و ليس في نفى مقدوريته نقص على عموم القدرة بل القدرة عامة والفيض شامل والممتنع لذات له و إنما يخترع العقل في وهمه مفهوما يجعله عنواناً لأمر باطل الذات كشرىك الباري واللا شيء واجتماع النقيضين أو يركب بين معاني ممكنة آحادها تر كيباممتنعاً، فان كلاً من المتناقضين كالحركة والسكون أمر ممكن خارجاً و عقلاً، و كذا معنى التركيب والاجتماع أمر ممكن عينا و ذهنياً و أما اجتماع المتناقضين فلا ذات له لا في الخارج ولا في العقل، لكن العقل يتصور مفهوم اجتماع النقيضين على وجه التلفيق و يجعله عنواناً ليحكم على افراده المقدرة بامتناع الوجود و كون الكبير مع كبره في الصغير من هذا القبيل.

إذا عرفت ذلك ظهر لك أن إدخال الدنيا على كبرها في البيضة مع بقاء

البيضة على صغرها أمر محال ، والمحال غير مقدور إذ لا ذات له ولا شئبية.

و إلى ذلك وقعت الإشارة فيما رواه الصدوق في كتاب التوحيد باسناده عن

أبي عبد الله عليه السلام قال : قيل لأئمة المؤمنين عليهم السلام : هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في

بيضة من غير أن يصغر الدنيا أو تكبر البيضة؟ فقال عليه السلام: إن الله تبارك و تعالی لا ينسب إلى العجز والذي ذكرت لا يكون .

فإن مقصوده عليه السلام إن ما سأله الرجل أمر ممتنع بالذات محال والمحال غير مقدور عليه و أن الله على كل شيء قدير .

ومثله ما رواه أيضاً مسنداً عن أبي عبدالله عليه السلام أنه جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أيقدر الله أن يدخل الأرض في بيضة ولا يصغر الأرض ولا يكبر البيضة؟ فقال : وبلك إن الله لا يوصف بالعجز و من أقدر ممن يल्पف الأرض و يعظم البيضة .

فإن هذه الرواية هالة على أن إدخال الكبير في الصغير غير ممكن إلا بأن يصغر الكبير بنحو التكانف والتخلل ونحوهما، أو يعظم الصغير ، و أن تصغير الأرض إلى حد تدخل في بيضة أو تعظيم البيضة إلى حد يدخل فيه الأرض غاية القدرة . (و) الثامنة أن (كل سميع غيره بصم عن لطيف الأصوات و بصمه كبيرها و يذهب عنه ما بعد منها) يبان ذلك أن السمع عبارة عن قوة مودعة في العصبتين المفروشتين على سطح باطن الصماخين كجلد الطبل النافذتين من الدماغ إليهما بهما يدرك الأصوات ، والصوت عبارة عن هيئة في الهواء حاصلة من تموج الناشي من حركة شديدة مسببة عن قرع أحد الجسمين في الآخر الذي هو أساس عنيف ، و عن قلع أحدهما عن الآخر الذي هو تفريق عنيف بشرط مقاومة المقروع للمقارع والمقلوع للقالع .

ففي الأول ينفلت الهواء من بين الجسمين بشدة ، و في الثاني يلج بينهما بشدة و يحصل من انفلاته و ولوجه تموج و حركة على هيئة مستديرة نحو ما يتصور عند وقوع الحجر في الماء فإذا انتهى ذلك التموج إلى الهواء الذي في الأذن يحرك ذلك الهواء الراكد حركة مخصوصة بهيئة مخصوصة ، فتنفعل العصبية المفروشة على الصماخ عن هذه الحركة و تدركها القوة السامعة و يسمى هذا الإدراك سمعاً .

إذا عرفت ذلك فنقول : إن إدراك هذه القوة للأصوات مشروط بأن يكون الصوت قريباً لا بعيداً جداً ، و أن يكون مع قربه على حد الاعتدال أي لا يكون قويا كثيراً ولا ضعيفاً كذلك ، لأنه إذا كان ضعيفاً لا يحصل بسببه تموج الهواء كما أنه لو كان بعيداً لا يصل الهواء المتموج إلى الصمّاح ، و عند قربه و قوته ربما يحدث الصمّ لشدة قرعه للصمّاح و تفرّق اتصال الروح الحامل لقوة السمع عنه بحيث يبطل استعدادها لتأدية القوة إلى الصمّاح .

وإلى الأول أشار عليه السلام بقوله : يصم عن لطيف الأصوات ، تشبيهاً للعجز السامعة عن إدراك الصوت بخفائها و ضعفه بالصمّ والى الثاني بقوله : و يذهب عنه ما بعد منها و إلى الثالث بقوله و يصمّه كبيرها .

و لما كان الله سبحانه و جلّت عظمته منزهاً عن الجسميّة و آلات الجسم و كان سمعه عبارة عن علمه بالمسموعات على ما حَقَّقناه في شرح الفصل السادس من فصول الخطبة الأولى لاجرم اختص الأوصاف المذكورة أعني العجز عن إدراك الضعيف و الصمّ بسماع القوى و عدم التمكن من إدراك البعيد بمن كان له هذه الآلات و استحالت في حقه سبحانه إذ العلم لا يتفاوت بالنسبة إلى القريب و البعيد و الضعيف و الشديد :

« له ما في السموات و ما في الأرض و ما بينهما و ما تحت الترى و إن تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ و أخفى . »

(و) التاسعة أن (كلّ بصير غيره يعمي عن خفي الألوان و لطيف الأجسام) و الظاهر أن المراد بالألوان الخفية الألوان الغير المدركة بالابصار لانتفاء شرط الإدراك و هو الضوء ، و يقابلها الألوان الظاهرة و هي التي يدركها الباصرة ، و على هذا فيكون كلامه عليه السلام دليلاً على بطلان القول بعدم وجود اللون في الظلم .

توضيح ذلك أن الشيخ الرئيس و أتباعه ذهبوا إلى أن الألوان غير موجودة

بالفعل في حال كونها مظلمة معللاً بأننا لانراها في الظلمة فهو إما لعدمها أو لوجود عائق عن الابصار والثاني باطل لأن الظلمة عدمية والهواء نفسه غير مانع من الرؤية كما إذا كنت في غارة مظلم وفيه هواء كله على تلك الصفة فاذا صار المرئي مستنيراً رأيتَه ولا يمنعك الهواء الواقف بينه وبينك.

ورده المتأخرون بأنه لا شك أن اللون له مهية في نفسه و أنه يصح كونه مرئياً فاعلم الموقر ف على وجود الضوء هو هذا الحكم ، وبالجملة للجسم مراتب ثلاث استعداد أن يكون له لون معين ، و وجود ذلك اللون بالفعل ، و كونه بحيث يصح أن يرى فلم لا يجوز أن يكون الموقوف على وجود الضوء هذا الحكم الثالث لا أصل للون .

إذا عرفت ذلك فنقول : إن معنى قوله : هو أن كل بصير غيره تعالى لا يمكن له إدراك الألوان الخفية أي الألوان في حال كونها مظلمة لانتفاء شرط الإدراك الذي هو الضوء كما أن الأعمى لا يمكن له إدراكها لانتفاء قوة الابصار له ، فكنتي عن عدم إدراك البصير لها بالعمى لشبهه بالأعمى في مشاركتها في عدم التمكن من الإدراك ، وإن كان عدم التمكن في حق الأول من جهة انتفاء الشرط وفي الثاني من جهة انتفاء الآلة أعني البصر هذا.

و لعل المراد من لطيف الأجسام الأجسام الرقيقة القوام كالبعوضة و الذرة و نحوهما ، ولما كان بصيرته سبحانه عبارة عن علمه بالمبصرات حسبما حققنا أيضاً في شرح الفصل السادس من فصول الخطبة الأولى ، اختص العجز عن إدراك الألوان الخفية والأجسام اللطيفة بغيره سبحانه وأما هو سبحانه فلا تفاوت في علمه بين الخفي والجلي واللطيف والكثيف.

« وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ » . هذا و يشهد بما ذكرته في تفسير معنى السميع والبصير والجسم اللطيف مارواه

في الكافي عن محمد بن أبي عبد الله ، رفعه إلى أبي هاشم الجعفري ، قال : كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال : أخبرني عن الرب تبارك و تعالی له أسماء وصفات في كتابه إلى أن قال : فقال الرجل : فكيف سمينا ربنا سميعا ؟ فقال : لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالاسماع ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس ، وكذلك سمينا بصيراً لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالابصار من لون أو شخص أو غير ذلك و لم نصفه بصر لحظة العين ، و كذلك سمينا لطيفاً لعلمه بالشيء ، اللطيف مثل البعوضة و أخفى من ذلك و موضع النشو منها والعقل والشهوة للسفاد والجذب على نسلها و اقام بعضها على بعض و نقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار .

قال بعض شارحي الحديث يعني أنه يعلم أعضاء البعوضة كالجناح والرجل والعين ، و قواها كالسمع والبصر ، و أحوالها كالادراك والارادة والشهوة والمحببة والشفقة والالفة والغضب والنفرة والعداوة ، و أفعالها كالحركة والسكون والسفاد و نقل الطعام والشراب إلى الأولاد و غير ذلك من أمورها كموتها و حياتها ونفعها و ضررها و آجالها و مقادير أعمارها و أرزاقها و غيرها من لطايف صنعه و دقائق خلقه ، فهو تعالی لطيف لعلمه بلطايف الامور .

(و) العاشرة أن (كل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر) يعني أن

من الممكنات ما هو ظاهر جلي لا يتصف بالبطون والخفاء كالشمس والقمر ونحوهما و منها ما هو باطن خفي لا يتصف بالظهور والجلاء كالهولي والعدم و ما تحت الثرى ، و أمّا الله الحي القيوم العظيم الشأن فهو متصف بالظهور والبطون معاً ، فهو في كمال ظهوره باطن و في غاية بطونه ظاهر ، بل هو أجلى الأشياء وأظهرها ، و منتهى ظهوره صار سبباً لخفائه .

و تحقيق ذلك على ما حققه صدر المتألهين و أوضحه بالمثال تقريباً للأفهام و تشبيهاً للأذهان هو : إننا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخيط كان كونه حياً عالماً قادراً مريداً عندنا من أظهر الأشياء ، و هذه الصفات أجلى عندنا من ساير صفاته

الظاهرة والباطنة إذ لانعرف بعضها كشهوته و غضبه و خلقه و صحته و مرضه، و نشك في بعضها كمقدار طوله و عرضه و لون بشرته و غير ذلك، و أمّا حيايته و علمه و قدرته و إرادته فإنه جلّي عندنا من غير أن يتعلّق الحسّ الظاهر بها لأنّها غير محسوسة بشيء من الحواس الظاهرة و ليس عليها مع هذا الوضوح و الجلاء، إلاّ دليل واحد وهو الكتابة أو الخياطة.

و أمّا وجرّد الله تبارك و تعالی و قدرته و علمه و إرادته و حيايته فيشهد له جميع ما في الكون ، و كلّما نشاهده أو ندرکه بالحواس الظاهرة و الباطنة من حجر و مدر و نبات و شجر و حيوان و أرض و سماء و كوكب و بحر و برّ و نار و هواء بل أول شاهد عليه أنفسنا و أوصافنا و تقلب أحوالنا من الصّغر و الكبّر و القوّة و الضعف و الصّحة و السّقم و الرضا و الغضب و الفرح و الحزن و الحبّ و البغض و الشّهوة و الكراهة و الاناة و الارادة و الرّغبة و الرّهبّة و الرّجاء و اليأس إلى غير هذه .

و أظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ، ثمّ أحوالنا و محسوساتنا باحدى الحواسّ ثمّ مدر كانتنا بالعقل و البصيرة ، و كلّ واحد من هذه المدرّكات له دليل واحد و شاهد واحد ، و جميع ما في العالم شواهد ناطقة و أدلّة شاهدة بوجود خالقها ومدّ برها و دالّة على علمه و قدرته و لطفه و حكمته، فإنه كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا و ليس لها شاهد إلاّ حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا يتصور شيء داخل نفوسنا و خارجها إلاّ و هو شاهد عليه، و ما من ذرّة إلاّ تتنادى بلسان حالها أنه ليس وجودها ولا حرّكتها بذاتها و أنّها تحتاج إلى موجد و محرّك.

فاذا علمت هذا فنقول : لما لم يبق في الوجود مدرّك ولا محسوس ولا معقول ولا حاضر ولا غائب إلاّ وهو شاهد على وجوده معروف لعظم ظهوره فانبهرت العقول و دهشت عن إدراكه فإنّ ما يعجز عنه فهم عقولنا له علتان احدهما خفاءه في نفسه كاليولي و العدم و الزمان و الحركة و العدد و النسبة و غيرها و الثانية غاية جلالاته و وضوحه و قصور القوّة الادراكية كمثال نور الشّمس و بصر الخفاش، فإنّ بصره

ضعيف يبهره نور الشمس في النهار إذا أشرقت ولهذا إذا امتزج الضوء بالظلام و ضعف ظهوره أبصر بالليل .

فكذلك عقول البشر ضعيفة و جمال الحضرة الانهية في غاية الاشرارق ونهاية الشمول والاستغراق حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من السماوات والأرض ، فصار ظهوره سبب خفائه فسبحان من احتجب بشدة ظهوره و اختفى عن البصائر بأشراق نوره .

و أيضاً الأشياء قد يستبان بأضدادها و ما عم وجوده و شموله حتى لا ضده كأصل الوجود عسر إدراكه ، فلولا غروب لنور الشمس ولا احتجاب له عن بعض مواضع الارض لكننا ظننا أن لاهية في الاجسام إلا سطوحها و ألوانها ، ولكن لما غابت الشمس و اظلمت بعض المواضع أدركنا تفرقة بين الحالين و عرفنا وجود النور بعده عند الغروب ، و لولا عدمه ما كنا نطلع عليه إلا بعسر شديد هذا . مع أن النور أظهر المحسوسات والله سبحانه أظهر الأشياء وبه ظهرت الانوار كلها ، ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدمت الأرض و السماء و لانهدمت الأشياء كلها و بطل الملك و الملكوت ، و لادركت به الفرق بين الحاليتين ، ولو كان بعض الأشياء موجوداً به و بعضها موجوداً بغيره لادركت التفرقة في الدلالة ، ولكن وجوده دائم في الأحوال و دلالة عامة على نسق واحد في الأشياء ، فلا جرم أورت شدة الظهور خفائه .

(و) الحادية عشر انه تعالى (لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ولا تخوف من عواقب زمان ولا استعانة) منه (على ند) و نظير (مثار) أى موانب (ولا شريك) و مثل (مكائر) أي متعرض للقلبية (ولا ضد منافر) أى مسارع إليه بالمعادات ، والمراد بذلك كله بيان أن الله سبحانه ليس لفعله داع و غرض غير ذاته ، و أشار إليه بنفى أقسام الدواعي والأغراض و ما يلحقها من العوارض والحالات .

والبرهان على ذلك أنه تعالى لو فعل لغرض لا يخلو إما أن يكون وجود ذلك الغرض و عدمه بالنسبة إليه على سواء أو لا يكون كذلك ، والأول باطل وإلا لكان

حصول الغرض له دون عدمه ترجيحاً من غير مرجح ، والثاني أيضاً باطل لأنهما إذا لم يستويا في حقه تعالى كان حصول الغرض أولى به من لاحصوله فحيثذا يكون ذاته يستفيد من فعله غرضاً معتبراً في كماله و/يكون بدونه فاقد كمال و عارم مقصد فيكون ناقصاً في ذاته تعالى عن النقصان علواً كبيراً.

كيف و كل كمال للمعلول فاتمما حصل له من جهة علّة الموجبة فلا يمكن أن يرجع المعطى للكمال إلى أن يستفيد من مستفیده شيئاً من الكمال الذي أفاده له ؛ فقد علم علماً كلياً أن العلة الفاعلة ليس لها غرض ولا مقصود صحيح في مفعوله ، بل ان كان غرض و مقصد للعالي فلا بد أن يكون ذلك له فيما هو أعلى و أجل منه ، فلا التفات للعالي إلى السافل بل إلى ما هو أعلى منه و إذ ليس للأول تعالى ما هو أعلى منه لأنه أعلى العوالم و مبدء المبادي فليس لفعله غاية غير ذاته ، ولاله محبة و ابتهاج بالقصد الأول إلا لذاته الذي هو منبع كل خير و كمال، و بتوسط ابتهاجه يحب و يريد ما يصدر عن ذاته بالقصد الثاني لأن كل ما يصدر عن المحبوب محبوب بالتبع. فان قيل: ليست أولوية الغرض بالنسبة إلى ذاته تعالى ، بل بالنسبة إلى مخلوقاته و عباده ، فيكون غرضه تعالى في فعله الاحسان إلى الغير و إيصال المنفعة إليه.

قيل : حصول الاحسان إلى الغير أو المنفعة أو أي شيء كان ولا حصوله إن كانا بالنسبة إلى ذاته على سواء عاد حديث الر جحان بلا مرجح ، و إن كان أحدهما أولى به عاد حديث الاستكمال بغيره والنقصان في ذاته ولكن فيه تأمل تعرف وجهه في شرح الخطبة المائة والخامسة والثمانين في التنبية الذي في ذيله، وتمام التحقيق في كون أفعاله تعالى معللة بالاعراض يأتي إن شاء الله هناك هذا .

و إذا عرفت أنه سبحانه لا يفعل لغرض ظهر لك أن خلقه الخلق لم يكن لتشديد سلطان ، ولا خوف من عواقب زمان ، ولا غير ذلك مما ذكره عليه السلام و ما لم يذكره ، إذ كل ذلك اغراض زائدة على ذاته مضافاً إلى قيام الدليل القاطع على نفى هذه الأغراض المخصوصة المذكورة و راه الدليل العام الذي ذكرنا و هو :

أن تشديد السلطان إنما يحتاج إليه ذو النقصان في ملكه و الضعف في

سلطنته، و لما كان تعالى شأنه هو الغني المطلق في كل شيء عن كل شيء، وكان كل ما عداه مقهوراً تحت قدرته نافذاً فيه حكمه بالايجاد والابقاء والافناء، لم يحتاج في سلطانه إلى أحد من خلقه.

و أما التخوف من عواقب الزمان فلأن الضرر والانتفاع و ما يلحقهما من الخوف والرجاء و غيرهما إنما هي مر، لواحق الممكنات القابلة للنقصان والكمال و ما هو في معرض التغيير والزوال في الذات والصفة والفعل، و واجب الوجود بحسب جميع الجهات وجوب بلا إمكان و وجود بلا عدم و تمام بلا نقص، فلا يمكن أن يكون غرضه من الایجاد دفع ذلك الخوف عن نفسه.

و أما الاستعانة على الضد والند والشريك فلأن الاستعانة هو طلب العون من الغير و هو من لوازم الضعف والعجز وهما من تنامي القوة والقدرة، وإذ لا ضعف ولا عجز لكماله سبحانه قوة و قدرة فلا يتصور في حقه الاستعانة: و أيضاً لا ضد له ولا ند ولا شريك حتى يحتاج في دفعهم إلى الاستعانة، لأن كل شيء هو مخلوق له، و المخلوق لا يكون ضداً لخالقه ولا ندّاً ولا شريكاً، بل المخلوقات يكون بعضها بالنسبة إلى بعض على هذه الصفات والله سبحانه منزّه عن صفات المخلوقين و خواصّ المحدثين .

و إليه أشار بقوله (ولكن خلائق مربوبون و عباد داخرون) يعني ولكنهم خلائق مربوبون لهم رب قاهر و عباد داخرون لهم معبود غالب فهم مقهورون مملوكون محتاجون إلى ربهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً .

والثانية عشر أنه تعالى (لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن، ولم ينعانها فيقال هو منها باين) يعني أنه سبحانه أقرب إلى الأشياء من كل قريب ولكن لا يحلول فيها، و أبعد منها من كل بعيد ولكن لا بمباينة عنها، وذلك لأنه تعالى جعل لكل شيء حداً محدوداً و ليس له حد و نهاية فلا يكون حالاً في موضع أو محل و إلا لكان وجوده فيه واختصاصه به كاختصاص الحال بالمحل والتمكّن بالمكان، وذلك

محال في حقه إذ هو خالق المحل والمكان فيلزم افتقاره إلى ما يقتقر إليه وهو محال .
 وأما أنه ليس بناءً عن الأشياء أي بعيد فلا أنه لو كان بعيداً لزم أن يكون
 مبانياً منها زايلاً عنها ، وذلك أيضاً ممتنع . لأن قوام الأشياء بوجوده سبحانه وما
 يتقوم به وجود الشيء لا يكون بعيداً عنه ، وقد مضى تحقيق الكلام على ذلك ممّا
 لا مزيد عليه في شرح الفصل الخامس و السادس من فصول الخطبة الأولى عند بيان
 معنى قوله : ومن قال فيم فقد ضمنه ، وقوله : مع كل شيء لا بمقارنة وغير كل شيء
 لا بمزايلة ، فتذكر

والثالثة عشر أنه (لم يؤده) أي لم يتقله ولم يعيه (خلق ما ابتدئه) واخترع
 (ولا) يكله (تدير ماذره) وبره (ولا وقف به عجز عما خلق) حتى اكتفى بما
 خلق ولم يخلق أزيد من ذلك (ولا ولجت) أي دخلت (عليه شبهة فيما قضا وقد ربل)
 ايجاده ما أوجد باقتضاء تام و حكمة بالغه و قضاؤه (قضاء متقن) خال عن التزلزل
 والاضطراب (وعلم محكم) برىء من فساد الشك وعروض الشبهة والغلط (وامر مبرم)
 موثق لا يحتمل الزيادة والنقصان والمقصود بذلك كله تنزيهه تعالى عن صفات المخلوقين
 وتوضيح ذلك محتاج إلى تحقيق الكلام في معنى الجملات الثلاث
 أمّا الأولى فالمقصود بها أنه تعالى لا يلحقه في خلقه نقل وإعياء و تعب
 وكل كما قال تعالى :

« أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ بِخَلْقِنَا

بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُعْجِبَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

وقال : « وَلا يُؤَدُّهُ حِفْظُهَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ » .

وإنما لم يلحقه الأمور المذكورة لأن خلقه سبحانه وإيجاده وتديره ليس بتوسط
 آلة جسمانية ولا استعمال روية نفسانية حتى يطرحه التعب والانفعال والشغل
 والكلال ، بل فعله الافاضة وصنعه الابداع الناشئ عن محض علمه وإرادته ، ونحن
 لو كنّا بحيث لو وجد من نفس علمنا وإرادتنا شيء لم يالحقنا من وجوده تعب وانفعال

لكننا نحتاج في أفعالنا إلى حركة و استعمال آلة ، على أن علمنا وإرادتنا زائدة على ذواتنا ، فالله تعالى أولى بأن لا يلحقه تغيير من صنعه وإنما قال : خلق ما ابتدء ليكون سلب الاعياء عنه أبلغ إذ ما ابتدء من الأفعال يكون المشقة فيها أنهم إذ الأفعال ربما يكون بسبب اعتياد الفاعل أقل اتعابا وإعياها ، و تدبيره تعالى لمازده يعود إلى تصرفه لجميع الذوات و الأفعال و الصفات تصريفاً كلياً و جزئياً على وفق حكمته وعنايته من غير مباشرة

وأما الثانية فالمراد بها أن وقوفه عما خلق واكتفائه بما أوجد ليس بعجزه عن الزيادة وفتوره بسبب ما خلق من خلق ما سواه ، لأن العجز والفتور من جهة تنامي القوة الجسمانية وانفعالها وتأثرها مما يمانعها في التأثير وهو منزّه عن جميع ذلك وأما الثالثة فإشارة إلى كمال علمه و امتناع طريان التشبه عليه في مقصباته ومقدراته ، وذلك لأن التشبه إنما تعرض العقل في الامور المعقولة الصرفة الغير الضرورية بصحبة الوهم ، لأن الوهم لا يصدق حكم العقل إلا في المحسوسات لا في المعقولات فيعارضه و يدخل التشبه عليه في المعقولات المحضة و لا يصدقه ، فالعقل حال استنصاله وجه الحق فيها يكون معارضا بالأحكام الوهمية ، فإذا كان المطلوب غامضا فربما كان في الاحكام الوهمية ما يشبه بعض أسباب المطلوب فيتصور النفس بصورته ويعتقد لما ليس بمبدء مبدء ، فينتج الباطل في صورة المطلوب وليس به .

ولما كان البارئ جل شأنه منزهاً عن صحبة القوى المتعلقة بالأبدان التي رئيسها الوهم و كان علمه لذاته لم يعجز أن يعرض لقضائه و لا لقدره وصمة شبيهة أو يدخل عليه شك وريب ، لكونها من سراض العقل المقترنة بها ، ولهذا قال : قضاء متقن ، وعلم محكم ، وأمر مبرم ، اى ليس في قضائه تزلزل وتلعثم ، و لا في علمه إمكان شبيهة وتردد ، وليس لأمره راد ومانع

الرابعة عشر انه تعالى هو (المأمول مع النقم المرهوب مع النعم) يعنى أن العبد لما كان حال نزول البلية وحلول النعمة يستغفره سبحانه ويدعوه ويأمله ويفزع

إليه لدفع البليّة ورفع الرّزية ، كان هو المأمول له مع النّعم كما أنّه حال إفاضة النّعمة و العطيّة يستعدّ بالفقلة للاعراض عن شكرها ، فيكون عند ذلك أهلاً لان ينزل عليه بوارد النّعمة من الله سبحانه كان هو المرهوب منه مع النّعم فهو المأمول والمرهوب معا ، وما عداه فحلول نعمته غير مجامع لامل رحمة ، وقيام نعمته معاند لشمول رهبته ، فلا مأمول ولا مرهوب في كلا الحالين سواء ، ولا ملجأ ولا منجأ إلاّ هو ، وإلى هذا المعنى ينظر شعر الشارح المعتزلي :

و حقّ فضلك ما استيأست من نعم تسرى إليّ و إن حلّت بي النّعم
و لا أمنت نكالا منك أربهه و إن ترادفت الآلاء و النعم

الترجمة

از جمله خطب آن حضرت است در بیان صفات کمال و نعوت جلال الهی میفرماید که : حمد و ثنا خداوند معبود بحقی را سزاست که پیشی نگرفته است مر او را حالی برحالی تا اینکه باشد اول پیش از آنکه باشد آخر و باشد ظاهر پیش از آنکه باشد باطن ، هر نامیده شده بوحدت که غیر اوست متّصف است بصفّت قلت ، و هر عزیز که غیر اوست موصوفست بصفّت ذلت ، و هر صاحب قوتی که غیر اوست ضعیف است و حقیر ، و هر مالکی که غیر اوست مملوکست و عبد ، و هر عالمی که غیر اوست متعلمست و آموزنده ، و هر قادری که غیر اوست گاهی قادر میشود و گاهی عاجز ، و هر صاحب سمعی که غیر اوست عاجز است از ادراک آوازه‌های آهسته و کرفینکند او را آوازه‌های بزرگ ، و میرود از او آوازه‌های دور ، و هر صاحب بصری که غیر اوست کور است از رنگهای خفی و پنهان و از جسمهای لطیف و رقیق القوام ، و هر ظاهری که غیر اوست غیر باطن است ، و هر باطنی که غیر اوست غیر ظاهر است ، بلکه اوست ظاهر و باطن و آشکار و پنهان

از همه گان بی نیاز و بر همه مشفق از همه عالم پنهان و بر همه پیدا
نیافرید آنچه که آفرید آنرا بجهت تقویت سلطنت و نه از برای خوف از عاقبت زمانه
و نه بواسطه یاری خواستن بردفع همتای برجهنده و نه بردفع شریک غلبه کننده و نه

بر دفع ضد مفاخرت نماینده ، ولکن آنچه که خلق شده اند خلقانی هستند پرورش یافتگان ، و بندگانی هستند خوارشدگان ، حلول نکرده است خدا در چیزها تا گفته شود که جاصل است در آنها ، و دور نشده است از اشیا تا گفته شود که از آنهاست جدا ، عاجز و سنگین نگردانید او را آفریدن آنچه که ابتدا کرده او را در ایجاد و نه تدبیر و اصلاح حال آنچه که آفریده او را ، و باز نداشت او را عجز و ناتوانی از آنچه که خلق فرمود ، و داخل نشد بر او شبهه در آنچه که حکم کرده و تقدیر نمود

بلکه حکم او حکمی است محکم و استوار ، و علم او علمی است بغایت پایدار و امر او امریست مستحکم و باقراز ، امید گرفته شده است او در حال نعمت و بلیه ، و ترسیده شده است از او در حال نعمه و رفاهیت

و من کلام له علیه السلام و هو الخامس والستون

من المختار فی باب الخطب

كان يقول لأصحابه في بعض أيام صيفين وهو اليوم الذي كانت عشيته ليلة الهرير على ما نسبته الشارح المعتزلي إلى كثير من الروايات أو اليوم السابع من الحرب ، وكان يوم الخميس سابع شهر صفر على ما استطلع عليه في رواية نصر بن مزاحم بسنده الآتي عن أبي عمر قال : إنه خطب هذا اليوم فقال :

مَعَاشِرَ النَّاسِ اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ ، وَتَجَلَّبَبُوا السَّكِينَةَ ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِدِ ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِّلْسِيُوفِ عَنِ الْهَامِ ، وَأَكْمَلُوا اللَّامَةَ ، وَقَلَقُوا السِّيُوفَ فِي أَعْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا ، وَالْحَطُّوا الْخَزَرَ ، وَأَطْفَنُوا الشَّرَرَ ، وَنَافِحُوا بِالطَّبِّبِ ، وَصَلُّوا السِّيُوفَ بِالْخَطَا ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللَّهِ وَمَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَعَاوِدُوا الْكُرَّ ، وَاسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ ، فَإِنَّهُ عَارٍ فِي الْأَعْقَابِ ،

وَنَارَ يَوْمِ الْحِسَابِ ، وَطَيْبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا ، وَأَمْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا
 سُجَّجًا ، وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ ، وَالرَّوَاقِ الْمَطْنَبِ ، فَأَضْرِبُوا
 نَبْجَهُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ ، قَدْ قَدَّمَ لِلْوَيْبَةِ يَدًا ، وَأَخْرَجَ
 لِلنَّكُوصِ رِجْلًا ، فَصَمَدًا صَمَدًا حَتَّى يَتَجَلَّى لَكُمْ عَمُودَ الْحَقِّ وَأَنْتُمْ
 الْأَعْلَوْنَ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَوَلَنْ يَتَرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ .

اللغة

(المعشر) الجماعة و (الشعار) من اللباس ما يلي شعر الجسد و (تجلببوا)
 مثل تدحرجوا مأخوذ من الجلباب بالكسر وهو التميميص أو ثوب واسع للمرأة دون
 المخلاة أو المخلقة (١) أو الخمار أو ثوب كالمقنعة تغطي به المرأة رأسها وظهرها
 وصدرها ، وفي المصباح انه ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء ، وقال ابن فارس ما
 يغطي به من ثوب وغيره والجمع الجلابيب

و (السكينة) الوقار في الحركة و التأني في السير و (عضضت) اللقمة
 و بها و عليها أمسكتها بالاسنان و (التواجذ) جمع ناجذ وهي أواخر الأضراس
 تنبت بعد البلوغ والعلم وكمال العقل ، وقيل الأضراس كلها نواجذ ، وقيل هي الضواحك
 التي تبدي وعند الضحك ، وعن البارز النواجذ للانسان والحافر وهي من ذوات الخف
 الانياب و (نبا) السيف عن الضربية بتقديم النون على الباء نبوا من باب قتل رجع
 من غير قطع فهو ناب و نبا السهم عن الهدف لم يصبه و (الهام) جمع هامة وهي
 رأس كلشيء .

و (اللامة) باللام والهزمة الساكنة على وزن تمرة الدرع وقيل جمع آلات
 الحرب و (القلقة) التحريك و (الغمد) بالكسر جفن السيف و (سل) السيف
 اخراجه من الغمد و (لحظته) بالعين ولحظت إليه لحظاً من باب نفع راقبته ، ويقال

نظرت إليه بمؤخر العين عن يمين و يسار وهو أشد التفاتاً من الشزر و (الخزر)
بفتح الخاء والزاء المعجمتين مصدر خزرت العين خزر من باب تعب صفرت وضاعت ، والموجود
في النسخ الخزر بسكون الزاء ولعله لملاحظة السبعة الثانية و (اطعنوا) بضم العين
من باب قتل وبالفتح من باب نفع

و (الشزر) بالفتح فالسكون الطعن عن اليمين و اليسار ولا يستعمل الطعن
تجاه الانسان شزراً قيل أكثر ما يستعمل في الطعن عن اليمين خاصة و (المنافعة) المضاربة
والمدافعة و (الطبا) جمع طبة بالتخفيف و بضم الظاء فيهما حدّ السيف و (صلوا) أمر
من وصل الشيء بالشيء جعله متصلاً به و (الخطا) جمع خطوة بالضم فيهما و (الكر)
الرّجوع و (الاعقاب) إمّا جمع عقب بالضم و بضمّتين أى العاقبة أو جمع عقب ككتف
أو عقب بالفتح أى الولد و ولد الولد و (السحج) بضمّتين السهل و (سواد)
الناس عامتهم .

و (الرواق) ككتاب الفسطاط والفتة وقيل هو ما بين يدي البيت و (المطنب)
المشدود بالأطنا ب و (نبج) الشيء بالتحريك وسطه و (كمن) من باب نصر وسمع
استخفى و (كسر) الخباء بالكسر الشقة السفلى ترفع أحياناً وترخي أخرى و (الوثبة)
الطفرة و (النكوص) الرجوع و (الصمد) القصد و (انجلى) الشيء و تجلّى أى
انكشف وظهر و (وترت) زيد أحقه و اتراه من باب وعد نقصته

الاعراب

معاشر الناس منصوب على النداء ، والخزر والشزر صفتان لمصدرين محذوفين
أى المحظوظ الحظا خزر ادا طعنوا طعنا شزراً ، واللام للعهد و طيبوا عن أنفسكم نفسا يقال
طاب نفسى بالشيء و طبت به نفساً إذا لم يكرهك عليه أحد و تعديته بعن لتضمين
معنى التجافي و التجاوز ، و نفساً منصوب على التمييز و لذلك وحده لأن حقّ
التمييز أن يكون مفرداً مع الأمن من اللبس ، قال البحراني : والمراد بالنفس الاولى
الزائلة بالقتل و بالثانية النفس المدبرة لهذا البدن ، و صمداً صمداً منصوب بان على
المصدرية و العامل محذوف و التكرار للتأكيد و التحريص ، و الواو في قوله :

وأنتم الأعلون للحال

المعنى

اعلم أن المراد بهذه الخطبة تعليم رسوم الحرب وآدابها والارشاد إلى كيفية المعاربة والقتال ، إذ في مراعاتها والملازمة عليها رجاء الفتح والظفر من الله المتعال فقولته (معاشر الناس استشعروا الخشية) أى اجعلوا الخوف والخشية من الله سبحانه شعاراً لكم لازماً على أنفسكم لزوم الشعار على الجسد (و تجلبوا السكينة) أى اتخذوا الوقار والطمأنينة في السير والحركة غطاء لكم محيطاً بكم إحاطة الجلباب بالبدن .

(و عضوا على النواجذ) وهذا الأمر إما محمول على الحقيقة لأن العض يورث تصلب الأعضاء والعضلات فتكون على مقاومة السيف أقدر ويكون تأثيره فيه أقل ، ويشهد به ظاهر التعليل بقوله (فانه) أى العض (أنبا للسيوف عن الهام) وإما كناية عن شدة الاهتمام بأمر الحرب أو الصبر وتسكين القلب وترك الاضطراب فانه أشد أبعاداً لسيف العدو عن الرأثن وأقرب إلى النصر (وأكملوا اللأمة) والمراد باكمالها على التفسير الأول . أعنى كونها بمعنى الدرع هو أن يراد عليها البيضة والسواعد ونحوهما ، وعلى التفسير الثاني اتخاذها كاملة شاملة للجسد

(و قفلوا السيوف في اغمارها قبل سلها) ليسهل السل وقت الحاجة ، فإن طول مكثها في الاغمار ربما يوجب الصدهاء فيصعب السل وقت الاحتياج (و الحظوا الخزر) لأن النظر بمؤخر العين أمادة الغضب كما أن النظر بتمام العين إلى العدو علامة الفشل (و اطعنوا الشزر) لأن الطعن عن اليمين و الشمال يوسع المجال على الطاعن وأكثر المناوشة للمخيم في الحرب يكون عن يمينه و شماله ، ويمكن أن تكون الفائدة أن احتراز العدو عن الطعن حذاء الوجه أسهل والغفلة عنه أقل (و نافحوا بالظبا) قيل : المعنى قاتلوا بالسيوف وأصله أن يقرب أحداً المتقابلين

إلى الآخر بحيث يصل نفع كل منهما أى ريحه و نفسه إلى صاحبه ، و قيل : أى ضاربوا بأطراف السيوف و فائدته أن مخالطة العدو و القرب الكثير منه يشغل عن

التمسك من حربه ، و أيضاً لا يؤثر الضرب مع القرب المفرط كما ينبغي (و صلوا السيوف بالخطا) يعنى إذا قصرت السيوف عن الضربة فتقدموا تلحقوا ولا تصبروا حتى يلحقكم العدو ، وهذا التقدم يورث الرعب في قلب العدو ، وإلى ذلك ينظر قول حميد بن نور الهاللي :

ووصل الخطا بالسيوف والسيوف بالخطا إذا ظن أن المرء ذا السيوف قاصر
وقال آخر :

نصل السيوف إذا قصرن بخطونا يوماً و نلحقها إذا لم تلحق
وقال آخر :

وإذا السيوف قصرن طولها لنا حتى تناول ما نريد خطانا (١)
وقال رابع :

إذا قصرت أسيفنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فتضارب

و روى عنه عليه السلام أنه قيل له في بعض الغزوات : ما أقصر سيفك؟ قال عليه السلام :
أطول به بخطوة (واعلموا أنكم بعين الله) يراكم ويسمع كلامكم ويعلم أعمالكم ويشهد أفعالكم ، وهذا تمهيد للنهي عن الفرار وتنبه على أن الله سبحانه ينصرهم ويحفظهم (و) أنه يجب عليهم التثبت والتثبت (مع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله) الذي طاعته كطاعته وحر به كحربه (فعاودوا الكفر) أى الحملة والرّجوع عند التحرف للقتال أو التحيز إلى فئة أو عند الفرار جنبنا لو اتفق

و المراد لا تقصروا على حملة واحدة لليأس عن حصول الغرض بل عاودوا واحملوا كربة بعد أخرى (واستحيوا من الفرّ فانه) أى الفرار قبيح من جهتين :

إحداهما أنه (عار في الأعقاب) يعنى أنه عار في عاقبة الأمر ويتحدث الناس به في مستقبل الزمان ، هذا على كون الاعقاب جمع عقب بالضم ، و أمّا على كونها

جمع عقب بفتح العين فالمعنى أنه عار في أولادكم يعيرون به بعدكم ومن هناروي أن لمعرايياً رأى رجلاً من أولاد أبي موسى الأشعري يمشي ويتبختر في مشيه ، قال :

ماله كان أباه غلب عمرو بن العاص في التحكيم

(و) الجهة الثانية أنه (نار يوم الحساب) أى يوجب استحقاق التلر لكونه من المعاصي الكبيرة كما يشير إليه قوله سبحانه : « ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله وماويه جهنم وبئس المصير »
(وطيبوا عن أنفسكم نفساً) أى طيبوا أنفسكم متجاوزين عن نفوسكم الزائلة ووطنوا قلوبكم على بذلها في سبيل الله وارضوا به للحياة الباقية واللذات الدائمة (وامشوا إلى الموت مشياً سحجاً) سهلاً بدون تكلف

(و عليكم بهذا السواد الأعظم) أى معظم القوم المجتمعين على معاوية (والراق المطنب) اراد به مضرب معاوية وكان في قبة عالية بأطنا ب عظيمة ، وحوله من أهل الشام وصناديدهم مائة ألف كانوا تعاهدوا أن لا ينفرجوا عنه أو يقتلوا (فاضربوا تبعه) أى وسطه (فان الشيطان كامن في كسره) المراد بالشيطان إنما معاوية أو عمرو بن العاص ، و إطلاق الشيطان عليهما لشباهتهما بالشيطان في الاضلال عن سبيل الله سبحانه ، والاطهر أن المراد به معناه الحقيقي لأن المعاوية كان بارزاً في الصدر لا كامن في الكسر إلا أن يكون ذلك لبيان جنبه ولا ينافي إرادة الحقيقة قوله (قد قدم للوثبة يداً وأخر للنكوص رجلاً) لأن إبليس كان من رفقاء معاوية وأصحابه كان يشب لوثوبهم ويرجع برجوعهم ، ويمكن أن يراد بوثبته طمعه في غلبة أصحاب معاوية وتحريضه لهم على القتال ، وبالنكوص ما يقابله (فصدأ صدأ حتى ينجلي لكم عمود الحق) أى اقصدوهم قصدأ واصبروا على الجهاد إلى أن يظهر لكم نور الحق .

قال المجلسي : عمود الحق لعله للتشبيه بالفجر الأول ، وفيه اشعار بعدم الظهور لأكثر القوم كما ينبغي (و أنتم الأعلون) أى الغالبون على الأعداء بالظفر أو بأنكم على الحق (والله معكم) لأنكم أنصاره (و لن يترك أعمالكم) أى لا ينقصكم الله جزاء أعمالكم وهذه اللفظة اقتباس من الآية الشريفة في سورة محمد وهو قوله سبحانه :

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارَةٌ

فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ
مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرِكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ .»

تكملة

هذه الخطبة مروية في البحار من كتاب بشارة المصطفى عن إبراهيم بن الحسين البصري ، عن محمد بن الحسين بن عتبة ، عن محمد بن أحمد بن مخلد ، عن أبي المفضل الشيباني ، عن محمد بن محمد بن معقل ، عن محمد بن أبي الصهباني ، عن البرزني ، عن أبان بن عثمان ، عن أبان بن تغلب ، عن عكرمة مولى عبدالله بن العباس رضي الله عنه قال : عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ما كشفت النساء ذبولهن عن مثله ، لا والله ما رأيت فارساً محدثاً يوزن به لرأيته يوماً ونحن معه بصفين وعلى رأسه عمامة سوداء وكان عينيه سراجاً سليط يتوقدان من تحتها يقف على شذمة يخصمهم حتى انتهى إلى نفر أنا فيهم وطلعت خيل لمعاوية تدعى بالكتيبة الشهباء عشرة آلاف دارع على عشرة آلاف أشهب ، فاقشعرت الناس لها لما رأوها وانحاز بعضهم إلى بعض فقال أمير المؤمنين عليه السلام :

فيم النخع والنخع يا أهل العراق هل هي إلا أشخاص مائلة فيها قلوب طائرة لومسها قلوب أهل الحق لرئيموها كجراد بقية سفته الريح في يوم عاصف ، الأفاستشعروا الخشية فتجلببوا بالسكينة وادرعوا الصبر وخضوا الأصوات وقلقلوا الأسياف في الانغماد قبل السلّة وانظروا الشزر واطعنوا الوجر وكافعوا بالظبا وصلوا السيوف بالخطأ ، والنبال بالرماح ، وعاودوا الكر واستحيوا من الفرّ فانه عار في الأعقاب ، و نار يوم الحساب ، و طيبوا عن أنفسكم . نفساً ، و امشوا إلى الموت مشية سحجا ، فانكم بعين الله عز وجل ومع أخى رسول الله

وعليكم بهذا السرادق الأول ، والرواق المظلم ، فاضربوا ثبجه فان الشيطان راقد في كسره نافس حضنيه مفترش ذراعيه ، قد قدم للوثية يداً وأخر للنكوص رجلاً ، فصمداً صمداً حتى ينجلي لكم عمود الحق و أنتم الأعلون والله معكم و لن

بتركهم أعمالكم ، ها أنا شاد فشدوا بسم الله حم لا ينصرون
 ثم حمل عليهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى ذريته حملة وتبعه خويلة
 لم تبلغ المائة فارس فأجالهم فيها جولان الرحى المسرححة بنقالها ، فارتفعت عجاجة
 منعني النظر ، ثم انجلت فأثبت النظر فلم نر إلا رأساً نادراً وبدأ طايحة ، فما كان
 بأسرع أن ولوا مدبرين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة ، فإذا أمير المؤمنين عليه السلام
 قد أقبل وسيفه ينطف ووجهه كشقة القمر وهو يقول :

« قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ . »

ورداها في البحار أيضاً من تفسير فرات بن إبراهيم بسنده عن ابن عباس نحوه ، ولا
 بأس بتفسير بعض ألفاظها الغربية

فأقول « السليط » الزيت « والنخع والخنخع » الذل والخضوع « والمائلة » القائمة
 أو المتمثلة بالمشبهة بالإنسان وفي بعض النسخ مائلة من الميل أي عادلة عن الحق
 فيها « قلوب طايحة » أي من الخوف و « سفت » الريح التراب بالتخفيف ذرته و « القيعة »
 الأرض المستوية و « الوجر » بالجيم و الرأء المهملة قال في القاموس أو جره الرمح
 طعنه به في فيه و « المكافحة » المضاربة والمدافعة لتقاء الوجه و « النبال بالرمح »
 أي ارموهم بالنبال فإذا قربتم فاستعملوا الرماح والعكس أظهر أي إذا لم تصلوا الرماح
 فاستعملوا النبال كأنكم و صلتموها بها فيكون النسب بالفقرة السابقة و « الاولم »
 الأسود صورة أو معنا كالمظلم

« نافس » حضيئه في بعض النسخ نافج وهو الأظهر لأن الأول غير مناسب
 للمقام يقال نفجت الشيء رفعت وكنى به عن التعظيم والتكبير و « شد » في الحرب يشد
 بالكسر حمل على العدو و « حم لا ينصرون » عن ابن الأثير في النهاية في حديث
 الجهاد إذ أبيتهم فقولوا حم لا ينصرون ، قيل معناه اللهم لا ينصرون ويريد به الخبر لا
 الدعاء وإلقال لا ينصروا مجزوماً ، فكأنه قال والله لا ينصرون ، وقيل إن السور التي
 أولها حم سور لها شأن فنبه أن ذكرها لشرف شأنها مما يستظهر به علي استتزال

النصر من الله ، وقوله لا ينصرون كلام مستأنف كأنه حين قال قولوا حم قيل ماذا يكون إذا قلناها قال لا ينصرون

و « الخويلة » إهاتصغير الخيل على غير قياس أو تصغير الخول بمعنى الخدم والحشم و « الثفال » جلده تبسط تحت رحي اليدليقع عليها الدقيق ويسمى الحجر الأسفل ثقالابها و « المعجاجة » الغبار و « ندر » الرأس سقط و « طاح » يطوح ويطيح هلك و أشرف على الهلاك و ذهب و سقط و « القسورة » الاسد و « سيفه ينطف » أي يقطر دماً و « الشقّة » بالكسر القطعة المشقوقة و نصف الشيء إذا شقّ .

تذييل

قدمضى طرف من وقايح صفين في شرح بعض الخطب السابقة ، فذكرنا في شرح الفصل الثالث من فصول الخطبة السادسة والعشرين كيفية ارسال أمير المؤمنين جرير ابن عبدالله البجلي إلى معاوية بالرّسالة و كيفية بيعة عمرو بن العاص لمعاوية ، و في شرح كلامه الثالث والأربعين تفصيل قصّة جرير و مكالماته مع معاوية و بأسمه من بيعته حتّى رجع إلى العراق و انجرّ الأمر إلى حرب صفين ، و في شرح الخطبة الثامنة والأربعين كيفية خروج أمير المؤمنين عليه السلام من كوفة متوجّها إلى صفين ، و في شرح الخطبة الاحدى والخمسين نزوله عليه السلام بصفين و غلبة أصحاب معاوية على الشريعة و فتح الفرات ، و في شرح الخطبة الخامسة والثلاثين قصّة ليلة الهرير و كيفية التحكيم إلى آخر الحرب .

فأحببت أن أورد هنا بقية تلك الواقعة وهي من فتح الشريعة إلى ليلة الهرير لاقتضاء المقام ذلك و ليكون شرحنا ذلك مشتملا على تمام تلك الواقعة ولو اجمالا و يستغنى الناظر به عن الرجوع الى غيره ولا يشذ عنه جمل تلك الواقعة .

فأقول : روى المحدث العلامة المجلسي في البحار والشارح المعتزلي جميعاً من كتاب صفين لنصر بن مزاحم أنه وصل أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفين لثمان بقين من المحرم من سنة سبع و ثلاثين .

قال نصر : و لما ملك أمير المؤمنين الماء بصفين ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة

فيه والمساهمة رجاء أن يعطفوا إليه واستمالة لقلوبهم وإظهاراً للمعدلة وحسن السيرة فيهم ، مكث أياماً لا يرسل إلى معاوية ولا يأتيه من عنده معاوية أحد واستتبأ أهل العراق إذنه لهم في القتال وقالوا : يا أمير المؤمنين خُفِّفْنَا ذُرَارِينَا وَنَسَانِنَا بِالْكُوفَةِ وَجِئْنَا إِلَى أَطْرَافِ الشَّامِ لِنَتَّخِذَهَا وَطْنَا ، ائْذَنْ لَنَا فِي الْقِتَالِ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ قَالُوا قَالَ ﷺ مَا قَالُوا؟ فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنَّ النَّاسَ يَظُنُّونَ أَنَّكَ تَكْرَهُ الْحَرْبَ كِرَاهِيَةً لِلْمَوْتِ وَأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّكَ فِي شَكٍّ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ .

أقول : فأجابهم بجواب مر ذكره فيما سبق وهو الكلام الرابع والخمسون . قال نصر : فقال ﷺ ومتى كنت كارها للحرب قط إن من العجب حبي لها غلاما و يفا وكراحتى لها شيخا بعد فنادى العمر و قرب الوقت وأما شكى في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة فوالله لقد ضربت هذا الأمر ظهراً و بطناً فما وجدت أن يسعني إلا القتال أو أن أعصى الله ورسوله ولكنى استأنى (١) بالقوم عسى أن يهتدوا أو يهتدى فيهم طائفة فان رسول الله ﷺ قال لي يوم خيبر : لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس .

قال نصر : فبعث عليّ إلى معاوية بشرين عمرو و سعيد بن قيس وشيث بن ربيع فقال اتوا هذا الرجل فادعوه إلى الطاعة والجماعة وإلى اتباع أمر الله سبحانه ، فقال شيث يا أمير المؤمنين الأنظمة في سلطان توليه إياه و منزلة يكون له بها اثر عندك إن هو بايعك ؟ قال : اتوه الآن والقوه و احتجوا عليه و انظروا ما رأيه في هذا ، فدخلوا عليه فابتدء بشر بن عمرو بن محسن فحمد الله و أننى عليه و قال :

أما بعد يا معاوية فان الدنيا عنك زائلة و انك راجع إلى الآخرة و أن الله مجازيك لعملك و محاسبك بما قدمت يدك ، و إننى انشدك الله أن تفرق جماعة هذه الامة و أن تسفك دماؤها بينها .

فقطع معاوية عليه الكلام فقال : فهلاً أوصيت صاحبك ؟ فقال : سبحانه الله إن صاحبى ليس مثلك صاحبى أحق الناس بهذا الأمر في الفضل والدين و السابغة في

الاسلام والقرابة من الرسول ، قال معاوية فتقول ماذا ! قال : أدعوك إلى تقوى ربك
وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك في دينك وخير لك
في عاقبة أمرك قال و بطل دم عثمان لا والرحمن لا أفعل ذلك ابداً .
فذهب سعيد بن قيس ليتكلم فبدره شيبث بن ربيع فحمد الله و أنتى عليه
ثم قال :

يا معاوية قد فهمت ما ردودت على ابن محصن أنه لا يخفى علينا ما تطلب إنك
لا تجد شيئاً تستغوي به الناس ولا شيئاً تستميل به أهوائهم إلا أن قلت لهم قتل اهاكم
مظلوما فهلّموا تطلب بدمه فاستجاب لك سفلة طغام رذال ، وقد علمنا أنك بطأت
عنه بالنصر و أحببت له القتل لهذه المنزلة التي تطلب ، و رب متبغ أمراً و طالب له
بحول الله دونه و ربما أوتى المتمنى أمنيته و ربما لم يؤتها ، و والله مالك في واحدة منهما
خير ، والله إن أخطاك ما ترجو أنك لشر العرب حالا و لئن أصبت ما تتمناه لا تصيبه
حتى تستحق صلى النار ، فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولا تنازع
الأمر أهله .

فحمد معاوية الله و أنتى عليه و قال : أما بعد ، فإن أول ما عرفت به سفهك
و خفة علمك قطعك على هذا الحسين الشريف سيد قومه منطلقه ثم عتبت بعد فيما
لاعلم لك به ، ولقد كذبت و لؤمت أيها الأعرابي الجلف الجافي في كل ما وصفت ،
انصرفوا من عندي فإنه ليس بيني و بينكم إلا السيف و غضب .
فخرج القوم و شيبث يقول : أعلينا تهوّل بالسيف أما والله لنعجلنه إليك ،
قال نصر : خرج قرأه أهل العراق و قرأه أهل الشام فعسكر و افي ناحية صغين
في ثلاثين ألفا .

قال : و عسكر علي عليه السلام على الماء و عسكر معاوية فوقه على الماء ، و مشت
القراء بين علي و معاوية ، منهم عبيدة السلماني ، و علقمة بن قيس النخعي ،
و عبدالله بن عتبة ، و عمار بن عبد القيس فدخلوا على معاوية فقالوا : يا معاوية ما
<ج٢>

الذي تطلب ؛ قال : اطلب بدم عثمان ، قالوا : ممن تطلب بدم عثمان ؟ قال : أطلبه من عليّ ، قالوا أو عليّ قتلته ؛ قال : نعم هو قتله وأوى قتلته ، فانصرفوا من عنده فدخلوا على عليّ وقالوا : إن معاوية زعم أنك قتلت عثمان ، قال : اللهم لكذب عليّ لم أقتله .

فرجعوا إلى معاوية فأخبروه فقال : إن لم يكن قتله فقد أمر ومالاً ، فرجعوا إليه وقالوا : يزعم أنك إن لم تكن قتلت بيدك فقد أمرت و ما لكت علي قتل عثمان فقال : اللهم لكذب فيما قال ، فرجعوا إلى معاوية فقالوا : إن علياً يزعم أنه لم يفعل ، فقال معاوية : إن كان صادراً فليقدنا من قتلة عثمان فانتم في عسكره وجنده وأصحابه وعضده فرجعوا إلى عليّ فقالوا : إن معاوية يقول لك إن كنت صادراً فادفع إلينا قتلة عثمان أو مكناً منهم ، فقال لهم : إن القوم تأولوا عليه القرآن و وقعت الفرقة و قتلوه في سلطانه و ليس على ضربهم قود فخصم علي معاوية .

فقال لهم معاوية : إن كان الأمر كما تزعمون فلم ابتز الأمر دوننا علي غير مشورة منّا و ممن ههنا معنا ، فقال : عليّ ^{عليه السلام} إن الناس تبع المهاجرين والأ نصار وهم شهود للمسلمين في البلاد على ولانهم و امراء دينهم ، فرضوا بي و بايعوني و لست استحل أن أدع ضرب معاوية يحكم على هذه الامة و يزكيهم و يشق عصاهم ، فرجعوا إلى معاوية فأخبروه بذلك فقال : ليس كما يقول فما بال من هو منّا من المهاجرين والأ نصار لم يدخلوا في هذا الأمر ، فانصرفوا إليه ^{عليه السلام} فأخبروه بقوله ، فقال : ويحكم هذا للبدريين دون الصحابة و ليس في الأرض بدري إلا وقد بايعني و هو معي او قد أقام و رضى فلا يغرّم من أنفسكم و دينكم

قال نصر : فراسلوا بذلك ثلاثة أشهر ربيع الآخر و جماديين و هم مع ذلك يفرغون الفرغة فيما بينهما و يرجف بعضهم إلى بعض و يحجز القراء بينهم . قال : فرغوا في ثلاثة أشهر خمسا وثمانين فرغة كل فرغة يرجف بعضهم الى بعض و يحجز القراء بينهم لا يكون بينهم قتال .

قال نصر : خرج أبو امامة الباهلي و أبو الدرداء فدخلوا علي معاوية فقالا : يا

معاوية على، تقاتل هذا الرجل فوالله لو أقدم منك سلماً وأحقّ منك بهذا الأمر وأقرب من رسول الله فعلى، تقاتله؛ فقال: اقاتله على دم عثمان وأنه آوى قتلته فقولوا له فليقدنا من قتلته وأنا أول من يبايعه من أهل الشام.

فانطلقوا إلى علي فأخبروه بقول معاوية فقال عليّ: إنما يطلب الذين ترون فخرج عشرون ألفاً وأكثر متسربلين الحديد لا يرى منهم إلا الحدق فقالوا: كلنا قتله فان شاوروا فليروموا ذلك منا، فرجع أبو امامة وأبو الدرداء فلم يشهدا شيئاً في القتال حتى إذا كان رجب وخشى معاوية أن يتابع القراء علياً أخذ في المكر وأخذ يحتال للقراء.

قال: فكتب في سهم من عبدالله الناصح أنني أخبركم أن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيفرقكم فخذوا حذركم، ثم رمى بالسهم في عسكر علي فوق السهم في يد رجل فقرمه ثم أقرمه صاحبه فلما قرأه قرمه الناس وقرمه من أقبل وأدبر قالوا: هذا أخ لنا ناصح كتب إليكم يخبركم بما أراد معاوية فلم يزل السهم يقرء ويرتفع حتى رفع إلى علي عليّ.

وقد بعث معاوية مأتي رجل من العملة إلى عاقول من النهر بأيديهم المزور والزميل يحفرون فيها بحيال عسكر علي، فقال علي: ويحكم إن الذي يعالج معاوية لا يستقيم له ولا عليه إنما يريد أن يزيلكم عن مكانكم فانتهوا عن ذلك ودعوه، فقالوا له والله يحفرون والله لنرتحلن وإن شئت فأقم، فارتحلوا وصعدوا بعسكرهم ملياً وارتحل علي في أخريات الناس وهو يقول:

فلو أنني أطعت عصمت (١) قومي إلى ركن اليمامة (٢) أو شام

ولكنني متى أبرمت امرأ منيت بخلف آراء الطغام (٣)

قال فارتحل معاوية و نزل بمعسكر علي الذي كان فيه، فدعا علي عليّ الأشر

١- وروى عصبت بدله منه.

٢- اليمامة ناحية من الحجاز واليمن والشام على فصال الشامي كاليمن، بحار.

٣- الطغام بالنين المعجمة - أوغاد الناس.

فقال: ألم تغلبني على رأيي أنت والأشعث برأيكما ، فقال الأشعث أنا أكفيك يا أمير المؤمنين سأداوى ما أفسدت اليوم من ذلك ، فجمع كندة فقال لهم : يا معشر كنده لانفضحوني اليوم ولانخزوني فانما أنا قارع بكم أهل الشام ، فخرجوا معه رجالة يمشون وبيده رمح له يلقيه على الأرض ويقول ، امشوا قيس رمحي هذا ، فيمشون فلم يزل يقيس لهم الأرض برمحه و يمشون معه حتى أتى معاوية و سط بني سليم واقفا على الماء ، وقد جاءه أداني عسكره .

فاقتلوا قتالا شديداً على الماء ساعة و انتهى أوائل أهل العراق فنزلوا ، وأقبل الأشر في جنده من أهل العراق فحمل إلى معاوية والأشعث يحارب في ناحية أخرى فانحاز معاوية في بني سليم فردوا وجوه إبلة قدر ثلاث فراسخ ، ثم نزل و وضع أهل الشام أنقالهم والأشعث يهدر و يقول ارضيتك يا أمير المؤمنين و قال الأشر يا أمير المؤمنين قد غلب الله لك على الماء .

قال نصر : و كان كل واحد من عليّ و معاوية يخرج الرجل الشريف في جماعة و يقاتل مثله و كانوا يكرهون أن يزاحفوا بجميع الفيلق مخافة الاستيصال و الهلاك ، فاقتتل الناس ذا الحججة كلّه فلما انقضى تداعوا إلى أن يكف بعضهم عن بعض إلى أن ينقضى المحرم لعل الله أن يجري صلحا او اجتماعا ، فكف الناس في المحرم بعضهم عن بعض .

قال نصر : حدثنا عمر بن سعد عن أبي المجاهد عن المحل بن خليفة ، قال : لما توادعوا في المحرم اختلفت الرسل فيما بين الرجلين رجاء الصلح ، فأرسل عليّ إلى معاوية عدي بن حاتم ، وشيث بن ربعي ، و يزيد بن قيس ، و زياد بن حفصة فلما دخلوا عليه حمد الله تعالى عدي بن حاتم وأثنى عليه و قال أما بعد :

فقد أتيناك لندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا و أمّتنا و يحقن دماء المسلمين ندعوك إلى أفضل الناس سابقة و أحسنهم في الاسلام آثارا ، وقد اجتمع له الناس وقد أرشدهم الله بالذي رأوا و أدتوا فلم يبق أحد غيرك و غير من معك ، فانتبه يا معاوية من قبل أن يصيبك الله و أصحابك بمثل يوم الجمل

فقال له معاوية: كأنك إنما جئت متهدداً ولم تأت مصالحاً هيّبات يا عديّ
 أنتي لابن حرب ما يقع (١) لي بالشنثان ، أما والله إنك من المجليين على عثمان
 وإنك لمن قتلته وإنني لأرجو أن تكون ممن يقتله الله
 فقال له شيب بن ربعي وزباد بن حفصة وتنازعا كلاهما واحداً: أتيناك فيما يصلحنا
 وإيّاك فأقبلت تضرب لنا الأمثال ، دع ما لا ينفع من القول والفعل وأجبننا فيما يعمنّا
 وإيّاك نفعه .

وتكلم يزيد بن قيس فقال: إنما لم نأتك إلا لنبلغك الذي بعثنا به إليك ولنؤدّي
 عنك ما سمعناه منك ولم ندع أن ننصح لك وأن نذكر ما ظننّا أن لنا فيه عليك حجة
 أو أنه راجع بك إلى الالفة والجماعة ، إن صاحبنا من قد عرفت وعرف المسلمون
 فضله ولا أظنه يخفي عليك أن أهل الدين والفضل لا يعدلونك بعلي ولا يساوون
 بينك وبينه ، فاتق الله يا معاوية ولا تخالف علياً فانّا والله ما رأينا رجلاً قط أعلم
 بالتقوى ولا أزهّد في الدنيا ولا أجمع لخصال الخير كلّها منه

فحمد الله معاوية وأثنى عليه وقال: أما بعد فإنكم دعوتم إلى الجماعة والطاعة
 فأما التي دعوتم إليها فنعماهي وأما الطاعة لصاحبكم فانّا لا نرضى به إن صاحبكم
 قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وأوى نارنا وقتلتنا ، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله فنحن
 لا نرد ذلك عليه أرايتم قتلة صاحبنا أستم تعلمون أنهم أصحاب صاحبكم فليدفعهم
 إلينا فلنقتلهم به ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة

فقال له شيب: يسرك بالله يا معاوية إن أمكنت من عمّار بن ياسر فقتلته؟ قال:
 وما يمنعني من ذلك، والله لو أمكنتني صاحبكم من ابن سمية ما أقتله بعثمان، ولكن
 كنت أقتله بنائلة مولى عثمان ،

فقال شيب: وإله السماء ما عدلت معدلا ولا والذي لا إله إلا هو لا يصل
 إليك قتل ابن ياسر حتى يندبر الهام عن كواهل الرجال ، و تضيق الأرض الفضاء

١- القمعة تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت مثل السلاح وغيره والشنان جمع الشن

وهي القرية اليابسة وهم يحركونها إذا أرادوا حت الابل على السير لتفرغ فتسرع، بحار

عليك بما رحبت .

فقال معاوية : إذا كان ذلك كانت عليك أضيقت ثم رجع القوم عن معاوية فبعث معاوية إلى زياد بن حفصة من بينهم فأدخله عليه فحمد معاوية الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد يا أخا ربيعة فإن علياً قطع أرحامنا وقتل إمامنا وآوى قتلته وإنني أسألك النصره عليه باسمرتك وعشيرتك ، و لك على عهد الله وميثاقه إذا ظهرت أن أولسيك أي المصريين أحببت .

قال زياد : فلما قضى معاوية كلامه حمدت الله وأثنت عليه ثم قلت : أما بعد فإني لعلى بيئته من ربي وبما أنعم الله علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين ، ثم قلت فقال معاوية لعمر بن العاص وكان إلى جانبته : ما لهم غضبهم الله ما في قلوبهم ما قلبهم إلا قلب رجل واحد

قال نصر : وبعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري إلى علي وشرجيل بن السمط ومعن بن يزيد فدخلوا عليه ، فتكلم حبيب وحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فإن عثمان بن عفان كان خليفة مهدياً يعمل بكتاب الله وينيب إلى أمر الله فاستقتلتم حياته واستبطأتم وفاته ، فعدوتم عليه فقتلتموه ، فادفع إلينا قتلة عثمان لنقتلهم به ، فإن قلت إنك لم تقتله فاعتزل أمر الناس فيكون أمرهم هذا شورى بينهم يول الناس أمرهم من أجمع رأيهم عليه .

فقال له علي عليه السلام : و من أنت لأم لك والولاية والعزل والدخول في هذا الأمر اسكت فإنك لست هناك ولا بأهل لذلك ، فقام حبيب بن مسلمة وقال والله لتراني حيث تكره ، فقال علي وما أنت ولو أجلبت بخيلك ورجلك اذهب فصوب وصعد ما بدالك فلا أبقى الله لك إن أبقيت ، فقال شرجيل بن السمط إن كلامك فلعمري ما كلامي لك إلا نحو كلام صاحبي فهل عندك جواب غير الذي أجبتة ؟ قال : نعم ، قال فقله ، فحمد علي الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد

فإن الله سبحانه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم فأنقذ به من الضلالة ونعش به من الهلكة وجمع به بعد الفرقة ، ثم قبضه الله إليه وقد أدى ما عليه فاستخلف الناس أبابكر ثم

استخلف أبو بكر عمر ، فأحسننا السيرة و عدلا في الامّة وقد وجدنا عليهما أن توليا الأمر دوننا ونحن آل الرسول وأحقّ بالأمر فغفرنا ذلك لهما ، ثمّ ولي أمر الناس عثمان فعمل بأشياء عابها الناس عليه فساء إليه ناس فقتلوه

ثمّ أنا نى الناس وأنا معتزل أمرهم فقالوا لي : بايع فأبيت عليهم ، فقالوا لي : بايع فإنّ الامّة لا ترضى إلاّ بك وإنّا نخاف إن لم تفعل تفرّق الناس ، فبايعتهم فلم ير عنى إلاّ شقاق رجلين (١) قدبايعا وخلاف معاوية إيسى الذي لم يجعل الله له سابقة فى الدين ولا سلف صدق فى الاسلام ، طليق بن طليق ، و حزب من الأحزاب ، لم يزل لله و لرسوله عدواً هو وأبوه حتى دخلا فى الاسلام كارهين مكرهين

فيا عجب الكرم ولا نقيادكم تدعون إلى 'اهل' بيت نبيكم الذين لا ينبغي شقاقهم ولا خلافهم ولا أن تعدلوا به أحداً من الناس إنى أدعوكم إلى كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيكم وإماتة الباطل وإحياء معالم الدين ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لنا ولكلّ مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة .

فقال له شرجيل ومعن بن يزيد : أشهد أن عثمان قتل مظلوماً فقال : لا أقول ذلك ، قالا : فمن لا يشهد أن عثمان قتل مظلوماً فنحن منه براء ، ثمّ قاما فانصرفا فقال عليّ :

« إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ
وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ » .

ثمّ أقبل على أصحابه فقال : لا يكن هؤلاء فى ضلالتهم بأولى بالجدّ منكم فى حقكم وطاعة إمامكم ثمّ مكث الناس إلى انسلخ المحرم فلما انسلخ واستقبل الناس صفراً من سنة سبع وثلاثين بعث عليّ نفرأ من أصحابه حتى إذا كانوا فى عسكر معاوية بحيث يسمعونهم الصوت قام مرثد بن الحرث (يزيد بن العارث خ) الخثمي

فنادى عند غروب الشمس : يا أهل الشام إن أمير المؤمنين علياً وأصحاب رسول الله يقولون لكم : إننا والله لم نكف عنكم شكافي أمركم ولا إبقاء عليكم وإنما كففنا عنكم لخروج المحرم ، وقد انسلخ ، وإننا قد نبذنا إليكم على سواء فإن الله لا يحب كيد الخائنين ، قال فسار الناس إلى رؤسائهم وامرائهم .

قال نصر : و أما رواية عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي الزبير أن نداه ابن مرثد الخشمي كانت صورته : يا أهل الشام ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم . إنني قد استأنيت لكم لتراجعوا إلى الحق وتنبؤوا إليه احتججت عليكم بكتاب الله ودعوتكم إليه ، فلم تتناهوا عن طغيان ، ولم تجيبوا إلى حق ، فأنني قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين

قال : فسار الناس إلى رؤسائهم وخرج معاوية وعمرو بن العاص يكتبان الكتاب ويعبئان العسكر ، وأدقدوا النيران و جاؤوا بالشموع وبات علي ليلته تلك كلها يعي الناس ويكتب الكتاب ويدور في الناس ويحرضهم

قال نصر : فخرجوا أول يوم من صفر سنة سبع و ثلاثين و هو يوم الأربعاء فاقتلوا ، وعلى من خرج يومئذ من أهل الكوفة الاشر ، وعلى أهل الشام حبيب بن مسلمة فاقتلوا قتالاً شديداً جل النهار ، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض ثم خرج في اليوم الثاني هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسن عددها وعدتها ، فخرج إليه من أهل الشام أبو الأغر السلمي ، فاقتلوا يومهم ذلك ، تحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال ثم انصرفوا وقد صبر القوم بعضهم لبعض

وخرج في اليوم الثالث عمار بن ياسر وخرج إليه عمرو بن العاص فاقتل الناس كأشد قتال كان ، و جعل عمار يقول : يا أهل الاسلام أتريدون أن تنظروا إلى من عاد الله ورسوله وجاهدهما و بغى على المسلمين و ظاهر المشركين فأمّا أراد الله أن يظهر دينه وينصر رسوله أنى إلى النبي فأسلم وهو والله فيما يرى ذاهب غير راغب ، ثم قبض الله رسوله ، و إننا والله لنعرفه بعداوة المسلم و مودة المعجم ، ألا وإنه معاوية فقاتلوه والعنوه ، فإنه ممن يطفى نور الله ويظاهر أعداء الله

قال : وكان مع عمار زياد بن النضر على الخيل فأمره أن يحمل في الخيل فحمل فصبروا له ، وشد عمار في الرجالة فأزال عمرو بن العاص عن موقفه ورجع الناس يومهم ذلك .

قال نصر : وحدثني أبو عبد الرحمن المسعودي ، عن يونس الأرقم ، عن عمّ بن حدّته من شيوخ بكر بن وائل ، قال : كنّا مع عليّ بصفين فرفع عمرو بن العاص شقة خميصة سوداء في رأس رمح فقال ناس : هذا لواء عقده له رسول الله ، فلم يزالوا يتحدّثون حتّى وصل ذلك إلى عليّ فقال : أتدرون ما هذا اللواء إن عمراً أخرج له رسول الله هذه الشقة فقال : من يأخذها بما فيها ، فقال عمرو ما فيها يا رسول الله ؟ فقال : لا تقاتل بها مسلماً ولا تقرب بها من كافر ، فأخذها فقد والله قربها من المشركين وقاتل بها اليوم المسلمين ، والذي فلق الحبة وبرء النسمة ما أسلموا ولكنهم استسلموا وأسروا الكفر ، فلما وجدوا أعواناً أظهروه

قال نصر : فأما اليوم الرابع فانّ محمد بن الحنفية خرج في جمع من أهل العراق فأخرج إليه معاوية عبيد الله بن عمر بن الخطاب في جمع من أهل الشام ، فاقتلوا ، ثم إن عبيد الله بن عمر أرسل إلى محمد بن الحنفية أن اخرج إليّ أبارزك ، فقال : نعم ثم خرج إليه فبصر به ما عليّ عليه السلام فقال : من هذان المتبارزان ؟ قيل : محمد بن الحنفية وعبيد الله بن عمر فحرك دابته ثم دعا محمداً إليه فجاءه فقال أمسك وابي فأمسكها فمشى راجلاً بيده سيفه نحو عبيد الله وقال له : ابارزك فهلم إليّ قال : لا ابارزك ، ثم رجع إلى صفه فرجع عليّ عليه السلام فقال ابن الحنفية : يا أبت لم تمنعني من مبارزته فوالله لو تركتني لرجوت أن أقتله ، قال : يا بني لو بارزته أنا لقتلته ولو بارزته أنت لرجوت لك أن تقتله وما كنت آمن أن يقتلك ، فقال : يا أبت أتبرز بنفسك إلى هذا الفاسق اللئيم عدو الله ، والله لو أبوه يسألك المبارزة لرغبت بك عنه

قال نصر : وأما اليوم الخامس فانه خرج فيه عبيد الله بن العباس فخرج إليه الوليد بن عقبة فأكثر من سب بني عبد المطلب وقال : يا بن عباس قطعتم أرحامكم وقتلتم إمامكم فكيف رأيتم صنع الله بكم لم تعطوا ما طلبتم ولم تدر كوا ما أهلتكم ، فأرسل

إليه ابن عباس ابرز إلى فآبى أن يفعل ، وقاتل ابن عباس ذلك اليوم قتالا شديدا ثم
انصرفوا وكل غير غالب

و خرج ذلك اليوم سمرة بن أبرهة بن الصباح الحميرى فلقق بعلي عليه السلام في
ناس من قراء أهل الشام ففتت (١) ذلك في عضد معاوية وعمرو بن العاص
وقال عمرو : يا معاوية إنك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجاله من محمد عليه السلام
قراة قريبة ورحم ماسة و قدم في الاسلام ليس لأحد مثله و قد سار إليك بأصحاب
محمد المعد ودين و فرسانهم و قرائمهم و أشرافهم و قدمائهم في الاسلام ، ولهم في النفوس
مهابة و مهمما نسيت فلا تنس فانك على الباطل و إن عليا على الحق فبادر الأمر قبل
اضطرابه عليك ، فقام معاوية في أهل الشام خطيبا و حثهم على القتال فخطب
علي عليه السلام أصحابه .

قال نصر : قال أبو (ابن خ) سنان الأسلمي كأنى أنظر إليه متكئا على قوسه و قد جمع
أصحاب رسول الله عليه السلام و هم يلونه كأنه أحب أن يعلم الناس أن الصحابة متوافرون
معه فقال بعد حمد الله و الثناء عليه أما بعد :

فإن الخيلاء من التجبر و إن النخوة من التكبر و إن الشيطان عدو حاضر
يعدكم الباطل ، إلا إن المسلم أخ المسلم فلا تنابنوا ولا تجادلوا إلا إن شرايع الدين
واحدة و سبله قاصدة ، من أخذ بها لحق و من فارقه محق و من تركها مرق ، ليس
المسلم بالخائن إذا أومن ، و لا بالمخلف إذا وعد ، و لا الكاذب إذا نطق ، نحن أهل
بيت الرحمة ، و قولنا الصدق ، و فعلنا القصد ، و منا خاتم النبيين ، و فينا قادة
الاسلام ، و فينا حملة الكتاب ، أدعوكم إلى الله و إلى رسوله و إلى جهاد عدو
والشدة في أمره و ابتغاء مرضاته و إقام الصلاة ، و ايتاء الزكاة ، و حج البيت و صيام
شهر رمضان ، و توفير النية على أهله

ألا وإن من أعجب العجايب ان معاوية بن أبي سفيان الاموي و عمرو بن العاص السهمي أصبحا بحرّضان على طلب الدين بزعمهما ، ولقد علمتم أنّي لم أخالف رسول الله ﷺ قط ، ولم أعصه في أمر قط ، أقيه بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال ، و ترعد منها الفرائص بنجدة أكرمني الله سبحانه بها وله الحمد.

ولقد قبض رسول الله ﷺ وإن رأسه لفي حجري ، ولقد وليت غسله بيدي وحدي يقبله الملائكة المقرّبون معي ، و أيم الله ما اختلف أمة بعد نبيّها إلاّ ظهر أهل باطلها على أهل حقّها إلاّ ما شاء الله.

قال أبو سنان . فاشهد لقد سمعت عمّار بن ياسر يقول : أما أمير المؤمنين فقد أعلمكم إنّ الأمة لم تستقم عليه أو لا ، ولن تستقيم عليه آخرا.

قال نصر : قال زيد بن وهب : إنّ عليّاً عليه السلام قال في هذه الليلة : حتى متى لانهاض القوم بأجمعنا ، فقام في الناس عشية الثلاثاء بعد العصر فقال :

الحمد لله الذي لا يبرم ما نقض ، ولا ينقض ما أبرم ، ولو شاء ما اختلف اثنان من هذه الأمة ، ولا من خلقه ، ولا تنازع البشر في شيء من أمره ، ولا جحد المفضول ذالفضل فضله ، ولقد ساقنا و هولاء القوم الأقدار حتى لفت بيننا في هذا الموضوع ونحن من ربنا بعربي ومسمع ، ولو شاء لعجل النعمة ولكان منه التغير حتى يكذب الله الظالم و يعلم الحق أين مصيره ، ولكنّه جعل الدنيا دار الأعمال ، و جعل الآخرة دار الجزاء و القرار ، ليجزي الذين أساؤا بما عملوا و يجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

ألا إنّكم لاقوا العدوّ غدّاً إن شاء الله فأطيلوا الليلة القيام ، و أكثروا تلاوة القرآن ، و اسألوا الله الصبر والنصر ، و القوهم بالجدّ و الحزم ، و كونوا صادقين .

قال : فوثب الناس إلى رماحهم و سيوفهم و نبأهم يصلحونها ، و خرج عليه السلام فعبى الناس ليلته تلك كلها حتى أصبح ، و عقد الألوية وأمر الامراء و بعث إلى أهل الشام مناديا ينادي اغدوا على مصافكم ، فضج أهل الشام في معسكرهم واجتمعوا إلى معاوية فعبى خيله و عقد ألويته و أمر أمراءه و كتب كتابه ، و كان أهل الشام

أكثر من أهل العراق بالضعف ، و نصب لمعاوية منبر فقعده عليه في قبة ضربها ألقى عليها الثياب والارائك وأحاط به أهل اليمن ، و قال لانتقربن هذا المنبر أحد لا تعرفونه إلا قتلتموه كائنا من كان.

ثم تناهض القوم سادس صفروا قتلوا إلى آخر نهارهم وانصرفوا عند المساء و كل غير غالب ، فأما اليوم السابع فكان القتال فيه شديداً والخطب عظيماً ، و كان عبدالله بن بديل الخزاعي على ميمنة العراق ، فزحف نحو حبيب بن مسلمة وهو على مسيرة أهل الشام حتى اضطهرهم إلى قبة معاوية وقت الظهر.

قال نصر : و حدثنا عمر بن سعد عن عبدالرحمن بن أبي عمر و عن أبيه أن علياً خطب هذا اليوم فقال : معاشر الناس استشعروا الخشية وتجليبوا السكينة إلى آخر ما مر في المتن.

و روى نصر باسناده المذكور أيضاً أنه خطب ذالليوم و قال: أيها الناس إن الله تعالى ذكره قد دلکم على تجارة تنجيکم من العذاب ، و تشفی بکم على الخير ، ايمان بالله و رسوله و جهاد في سبيله ، و جعل ثوابه مغفرة الذنوب و مساكن طيبة في جنات و رضوان من الله أكبر و أخبرکم بالذي يحب فقال : إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص فسووا صفوفکم كالبنیان المرصوص و قدموا الدراع و أخروا الحاسر (١) و عضوا على الأضراس فإنه أنبال للسيوف عن الهام ، و أربط للجاش و أسكن للقلوب و أميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل و اولى بالوقار و التوا في أطراف الرماح فإنه أمور للاستنة و رايتمكم فلانمیلوها و لاتزیدوها و لاتجعلوها إلا بأیدی شجعانکم المانعی الذمار (٢) و الصبر عند نزول الحقايق أهل الحفاظ الذين يحفون برايتمكم و يكتنفونها ، يضربون خلفها و أمامها و لا تضيّعوها .

و هلا أجزاء كل أمره مسلم منكم قرنه و واسا أخاه بنفسه ، ولم يكل قرنه إلى

١- الحاسر من لا مغفر له ولا درع له ولا جنة له، ق

٢- الذمار بالكسر ما يلزمك حفظه و حمايته، ق

أخيه فيجمع عليه قرنه و قرن أخيه فكسب بذلك اللاتمة و يأتي به دنائة أنى هذا
وكيف يكون هكذا ، هذا يقابل اثنين ، و هذا ممسك يده قد دخلى قرنه إلى أخيه هاربا
منه أو قائما ينظر إليه ، من يفعل هذا مقتته الله فلا تعرضوا لمقت الله فانما مردكم إلى
الله قال الله تعالى لقوم عابهم :

« لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفَرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ

إِلَّا قَلِيلًا » .

وأيم الله إن فررتم من سيف «الله خلع» العاجلة لانسلمون من سيف الآخرة فاستعينوا
بالصدق والصبر فأنه بعد الصبر ينزل النصر .

قال نصر : ثم قام قيس بن سعد و خطب خطبة بليغة حث الناس فيها على
الجهاد ، ثم قام الاشر رضي الله عنه بمثل ذلك ، و كذا يزيد بن قيس الأرحبي
وغيرهم .

و روى عن عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام ، و زيد بن الحسن قالا
طلب معاوية إلى عمرو بن العاص أن يسوي صفوف أهل الشام ، فقال : يا معشر أهل
الشام سووا صفوفكم قص الشارب ، و أعيرونا جماجمكم ساعة ، فانه قد بلغ الحق
مقطعه فلم يبق إلا ظالم أو مظلوم .

قال نصر : و أقبل أبو الهيثم بن التيهان و كان من أصحاب محمد عليه السلام بدر يا
عقيبا يسوي صفوف أهل العراق و هو يقول : يا معشر أهل العراق إنه ليس بينكم
و بين الفتح العاجل إلا ساعة من النهار ، فارسوا أقدامكم و سووا صفوفكم و أعيروا
رؤسكم جماجمكم و استعينوا بالله ربكم ، و اصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء
من عباده و العاقبة للمتقين .

قال نصر : و حدثنا عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن الشعبي أن أول فارسين
التقيافي هذا اليوم و هو اليوم السابع و كان من الأيام العظيمة ذا أهوال شديدة حجر بن
عدي من أصحاب علي عليه السلام و ابن عم حجر المسمى به حجر أيضا من أصحاب معاوية كليهما

من كندة، فأطعنا برمحهما، و خرج خزيمة الأَسدي من عسكر معاوية فضرب حجر ابن عدي ضربة برمح فحمل أصحاب علي عليه السلام فقتلوا خزيمة و نجى ابن عم حجر هاربا فالتحق بصف معاوية ، ثم برز ثانية فبرز إليه الحكم بن أزر من أهل العراق فقتله .

ثم إن علياً دعا أصحابه إلى أن يذهب واحد منهم بمصحف كان في يده إلى أهل الشام ، فقال عليه السلام : من يذهب إليهم فيدعوهم إلى ما في هذا المصحف فسكت الناس و أقبل فتى اسمد سعيد فقال : أنا صاحبه ، و قال ثانيا : فلم يجبه إلا الفتى ، فسلمه إليه ، ثم أتاهم و ناشدهم و دعاهم إلى ما فيه فقتلوه .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام لعبدالله بن بديل : احمل عليهم الآن فحمل عليهم بمن معه من أهل الميمنة وعليه يومئذ سيفان و درعان ، فجعل يضرب قدما و يرتجز فلم يزل يحمل حتى انتهى إلى معاوية و الذين بايعوه على الموت فأمرهم أن يصمد و العبدالله بن بديل ، و بعث إلى حبيب بن مسلمة الفهري و هو في الميسرة أن يحمل عليه بجميع أصحابه و اختلط الناس و اصطدم (١) ، الصفان ميمنة أهل العراق و ميسرة أهل الشام .

و أقبل ابن بديل يضرب الناس بسيفه حتى أزال معاوية عن موقفه ، و جعل ينادي يا نارات عثمان و إنما يعني أخا له قتل و ظن معاوية و أصحابه أنه يعني عثمان بن عفان و تراجع معاوية عن مكانه القهقري كثيراً و أشفق على نفسه و أرسل إلى حبيب بن مسلمة ثانية و ثالثة يستنجده و يستصرخه و يحمل حبيب حملة شديدة بميسرة معاوية على ميمنة عراق ، فكشفها حتى لم يبق مع ابن بديل إلا نحو مائة انسان من القراء فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم .

و لجج ابن بديل في الناس و صمم على قتل معاوية و جعل يطلب موقفه حتى انتهى إليه فنادى معاوية في الناس و يلکم الصخرة و الحجارة إذا عجزتم عن السلاح ، فرضخه الناس بالحجارة حتى أنخنوه ، فسقط فأقبلوا عليه بسيوفهم فقتلوه

فجاء معاوية و عبد الله بن عامر حتى وقفا عليه فالقى عبد الله عماته على وجهه وترحم عليه و كان له أخا و صديقا من قبل ، فقال معاوية : اكشف عن وجهه فقال : لا والله لا يمثل به وفي روح ، فقال معاوية : قد وهبناه لك فكشف عن وجهه فقال معاوية : هذا كبش القويم و رب الكعبة اللهم أظفرني بالاشتر النخعي والأشعث الكندي .

قال نصر فاستعلا أهل الشام عند قتل ابن بديل على أهل العراق يومئذ و انكشف أهل العراق من قبل الميمنة و اجفلوا اجفالا (١) شديدا فأمر علي عليه السلام سهل بن حنيف فاستقدم ممن كان معه ليرفد الميمنة و يعضدها ، فاستقبلهم جموع أهل الشام في خيل عظيمة فحملت عليهم فالحقتهم بالميمنة ، و كانت ميمنة أهل العراق متصلة بموقف علي في القلب في أهل اليمن ، فلما انكشفوا انتهت المهزومة إلى علي فانصرف يمشي نحو الميسرة .

روى نصر عن زيد بن وهب قال : لقد مر علي عليه السلام يومئذ و معه بنوه و إنني لأرى النبل يمر بين عاتقه و منكبه و ما من بنيه إلا من يقيه بنفسه فيكره علي ذلك فيتقدم عليه و يحول بينه و بين أهل الشام و يأخذ بيده إذا فعل ذلك فيلقيه من ورائه ، و بصر به أحمر مولى بني أمية و كان شجاعا ، فقال علي لعلي بن أبي طالب الكعبة قتلتني الله إن لم اقتلك ، فاقبل نحوه فخرج إليه كيسان مولى علي فاختلفا ضربتين فقتله أحمر و خالط عليا ليضربه بالسيف فمديده علي إلى جيب درعه فجذبته عن فرسه ، و حمله علي عاتقه و الله لكأنني أنظر إلى رجلي أحمر يختلفان على عنق علي عليه السلام ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه و عضديه و شد أبنا علي حسين و محمد ، فضربه بأسيافهما حتى بره فكأنني أنظر إلى علي قائما و شبلاه يضر بان الرجل حتى إذا أتيا عليه أقبلوا على أبيهما و الحسن قائم معه فقال له علي : يا بني ما منعك أن تفعل كما فعل أخوك فقال كفياني بأمر المؤمنين .

قال ثم إن أهل الشام دنوامنه يريدونه والله ما يزيد قربهم منه و دنوهم سرعة في مشيه ، فقال له الحسن : ما أضرك لو أسرعت حتى تنتهي إلى الذين صبروا

لعدوك من أصحابك ، قال يعنى ربيعة الميسرة فقال عليّ : يا بني إنّ لأبيك يوماً لا يبطن به عنه السعى ولا يقربه إليه الوقوف إنّ أباك لا يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه.

قال نصر: وروى عمرو بن شمر عن جابر عن أبي إسحاق قال : خرج عليّ يوماً من أيام صفين وفي يده عنزة ، فمرّ على سعيد بن قيس الهمداني فقال له سعيد : أما تخشى يا أمير المؤمنين أن يفتلك أحد و أنت قريب عدوك ، فقال عليّ عليه السلام إنه ليس من أحد إلاّ و عليه حفظة من الله يحفظونه من أن يتردى في قلب أو يخرب عليه حايط أو تصيبه آفة ، فإذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه.

قال : وحدثنا عمرو ، عن فضيل بن خديج ، قال لما انهزمت هيمنة العراق يومئذ أقبل عليّ نحو الميسرة يركض ليستلب الناس ويسوقهم ويأمرهم بالرجوع نحو الفرغ ، فمرّ بالأشتر فقال : يا مالك قال : لييك يا أمير المؤمنين ، قال : انت هؤلاء القوم قتل لهم أين فراركم عن الموت الذي لن تعجزوه إلى الحياة التي لا تبقى لكم ، فمضى الأشتر فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم : الكلمات ، فناداهم أيها الناس أنا مالك بن الحرث ، فلم يلتفت أحد منهم إليه فقال : أيها الناس أنا الأشتر ، فأقبلت إليه طائفة و ذهبت عنه طائفة فقال : عضضتم بهن أيكم ، ما أقبح ما قاتلتم اليوم .

أيها الناس غضوا الأبصار و عضوا على النواجذ ، فاستقبلوا الناس بهامكم و شددوا عليهم شدة قوم موتورين بآبائهم و أبناءهم و إخوانهم حنفاء على عدوهم ، قد وطنوا على الموت أنفسهم كيلا يسبقوا بشار إنّ هؤلاء القوم والله لن يقاتلوكم إلاّ عن دينكم ليطفؤوا السنّة و يحيوا البدعة و يدخلوكم في أمركم قد أخرجكم الله منه بحسن البصيرة ، فطيبوا عباد الله نفسا بدمائكم دون دينكم ، فإنّ الفرار فيه سلب العزّ والغلبة على الفيء ، و ذلّ المحيا والممات و عار الدنيا والآخرة و سخط الله و أليم عقابه ثمّ قال :

أيها الناس اخلصوا إلى مذحجا فاجتمعت إليه مذحج فقال عضتكم بصم (١)
الجنبدل والله ما أرضيتم اليوم ربكم ولا نصحتكم له في عدوه و كيف و أنتم أبناء الحرب
و أصحاب الغارات و فرسان الطراد و حتوف الأقران ، و مذحج الطعان الذين لم
يكونوا سبقوا بشارهم ، ولم تطل دماؤهم ولم يعرفوا في موطن من المواطن لحين وأنتم
سادة مصركم و اعرجى في قومكم ، و ما تفعلوا في هذا اليوم فهو ماثور بعد اليوم
فابقوا ماثور الحديث في غد ، و اصدقوا عدوكم اللقاء فان الله مع الصابرين .
والذي نفسي بيده ما من هؤلاء و أشار بيده إلى أهل الشام رجل في مثل
جناح البعوضة من دين الله أنتم ما أحسنتم اليوم القراع أجلاوا سواد وجهي يرجع في
وجهي ذمي ، احبسوا سواد وجهي رجع فيه دمي خل ، عليكم بهذا السواد الأعظم
فان الله لو قد فضه تبعه من بجانبيه كما يتبع السيل مقدمه ، فقالوا : خذ بنا حيث
احببت فصمد بهم نحو عظيمهم و استقبله سنام من همدان وهم نحو ثمانمأة مقاتل قد
انهزموا آخر الناس و كانوا قد صبروا في ميمنة علي حتى قتل مائة و ثمانون رجلا
و اصاب منهم أحد عشر رئيسا كلما قتل منهم رئيس أخذ الرأية آخرهم بنو شريح
الهمدانيون و غيرهم من رؤساء العشيرة .
فقال لهم الأشر إنني احالفكم و اعاقدكم على أن لا نرجع أبدا حتى نظفر
أو نهلك ، فوقفوا معه على هذه النية والعزيمة و زحف نحو الميمنة و ناب إليه اناس
تراجعوا من أهل الصبر والوفاء والحياء فأخذ لا يصمد لكثيية إلا كشفها ، ولا بجمع
الأجازة وردّه .

قال نصر و حدثنا عمرو ، عن الحرث بن الصباح ، قال : كان بيد الأشر
يومئذ صحيفة له يمانية إذا طأطأها خلت فيها ما ينصب ، و إذا رفعها يكاد يغشى
البصر شعاعها ، و هو يضرب بها الناس قد ما يقول : الغمرات ثم ينجلينا .

قال : فبصر به الحرث بن جمهان الجعفي والأشر مقتنع في الحديد فلم يعرفه

١ - حجر اصم و صخرة صماء صلب والجنبدل معروفة

فدنا منه ، و قال له : جزاك الله منذ اليوم عن أمير المؤمنين و جماعة المسلمين خيراً ،
 فعرفه الأشر فقال : يا بن جمهان أمثلك يتخلف اليوم عن مثل موطني هذا ؛ فتأمله
 ابن جمهان فعرفه و كان الأشر من أطول الرجال و أعظمهم إلا أن في لحمه خفة
 قليلة ، فقال له جعلت فداك ، والله ما علمت مكانك حتى الساعة لا افارقك
 حتى أموت .

قال نصر : و حدثنا عمر عن فضيل بن خديج ، قال : لما اجتمع إلى الأشر
 معظم من كان انهزم من الميمنة حمل على صفوف أهل الشام حتى كشفهم فالحقهم بمضارب
 معاوية ، و ذلك بين العصر والمغرب .

و عن زيد بن وهب أن علياً لما رأى ميمنته قد عادت إلى موقفها ومصافها وكشف
 من بازائها حتى ضاربوهم في مواقعهم و مراكزهم ، أقبل حتى انتهى اليهم فقال إنسى
 قد رأيت جولتكم و انحيازكم من صفوفكم يحوزكم الجفأة الطغاة « الطعام خ ل »
 و اعراب أهل الشام و أنتم لهاميم العرب و السننم الأعظم و اعمار الليل بتلاوة
 القرآن و أهل دعوة الحق إذضل الخاطئون فلولا إقبالكم بعد إدباركم و كركم
 بعد انحيازكم و جب عليكم ما و جب على المولى يوم الزحف دبره و كنتم فيما أرى
 من الهالكين .

و لقد هون عليّ بعض وجدي و شفا بعض و جمع نفسى أنى رأيتكم باخره حزتموه
 كما حازوكم و أزلتموه عن مصافهم كما أزالوكم تحسونهم (١) بالسيف يركب
 أوهم و آخرهم كالابل المطردة الهيم فالآن فاصبروا نزلت عليكم السكينة
 و ثبتكم الله باليقين و ليعلم المنهزم أنه يسخط ربه و يوبق نفسه و في الفرار موجودة
 الله عليه و الذل اللازم له و فساد العيش ، و أن الفار لا يزيد الفرار في عمره ولا يرضى
 ربه ، فموت الرجل محققاً قبل اتيان هذه الخصال خير من الرضا بالتلبس بها
 و الاصرار عليها .

قال نصر : فحمل أبو الكعب الخثعمي رأس خثعم العراق على خثعم الشام

و اقتتلوا قتالا شديداً ، فجعل أبو كعب يقول لأصحابه يا معشر خثعم خذمو أي اضرَبوا موضع الخدمة وهي الخلخال ، يعنى اضرَبوهم في سوقهم فناده عبدالله بن حنش رأس خثعم الشام يا با كعب الكل قومك فانصف ، قال أي والله و أعظم واشتد قتالهم فحمل شمر «شمس خل» بن عبدالله الخثعمي على أبي كعب فطعنه فقتله .

ثم انصرف يبيكى و يقول : يرحمك الله أبا كعب لقد قتلتك في طاعة قوم أنت أمس بي رحما منهم و أحب إلي منهم نفسا ولكني والله ما أدري ما أقول ولا أرى الشيطان إلا قد فتنتنا ، ولا أرى قريشا إلا وقد لعبت بنا ، فوثب كعب بن ابي كعب إلى راية أبيه فأخذها ففقت عينه و صرع ، ثم أخذها شريح بن مالك الخثعمي فقاتل القوم تحتها حتى صرع منهم حول رايتهم ثمانون رجلا و اصاب من خثعم الشام مثلهم ثم ردها شريح بن مالك إلى كعب بن أبي كعب .

قال نصر : إن راية بحيلة في صفين مع أهل العراق كانت في أخمس مع ابي شداد قيس بن المكسوخ ، قالت البحيلة لأبي شداد : خذ رايتنا ، فقال : غيري خير لكم مني قالوا : لا نريد غيرك ، قال : فوالله لئن اعطيتمونيها لانتهى بكم دون صاحب الترس المذهب .

قالوا : وكان على رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستره من الشمس فقالوا اصنع ما شئت فأخذها ثم زحف بها وهم حوله يضربون الناس بأسياف حتى انتهى إلى صاحب الترس المذهب و هو في خيل عظيمة من أصحاب معاوية ، و كان عبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، فاقتتل الناس هناك قتالا شديداً و شد أبو شداد بسيفه نحو صاحب الترس فعرض له رومي من دونه لمعاوية فضرب قدم أبي شداد فقطعها ، و ضرب أبو شداد ذلك الرومي فقتله ، و أسرع إليه الأسنة ، فقتل ، فأخذ الراية عبدالله بن قلع الأحمس و قاتل حتى قتل ، فأخذها بعده أخوه عبد الرحمن بن قلع فقاتل حتى قتل ، ثم أخذها عفيف بن أياس الأحمس ، فلم تزل بيده حتى تعاجز الناس .

قال نصر : و قال رجل من أصحاب علي أما والله لأحملن علي معاوية حتى

أقتله . فركب فرسا ثم ضربه حتى قام على سنا بركه ، ثم دفعه فلم ينهضه شيء عن الوقوف حتى وقف على رأس معاوية ، فهرب معاوية و دخل خبائه فنزل الرجل عن فرسه و دخل عليه فخرج معاوية من جانب الخباء الآخر فخرج الرجل في اثره فاستصرخ معاوية بالناس فأحاطوا به و حالوا بينهما فقال معاوية و يحكم ان السيوف لم يؤذن لها في هذا و لولا ذلك لم تصل إليكم فعليكم بالحجارة فرضخوه بالحجارة حتى همد (١) ثم عاد معاوية إلى مجلسه .

قال : و حمل رجل من أصحاب علي عليه السلام يدعى أبا أيوب ، و ليس بأبي أيوب الأنصاري على صف أهل الشام ، ثم رجع فوافق رجلا من أهل الشام صادراً قد حمل على أهل العراق ، ثم رجع فاختلفا ضربتين فنفضه أبو أيوب بالسيف فأبان عنقه فثبت رأسه على جسده كما هو ، و كذب الناس أن يكون هو ضربه فارى بهم ذلك حتى إذا أدخلته فرسه في صف أهل الشام بدر رأسه فوق ميته .

فقال علي عليه السلام والله لا نامن نبات رأس الرجل أشد تعجبا من الضربة وان كان إليها ينتهي وصف الواصفين ، و جاء أبو أيوب فوقف بين يدي علي عليه السلام فقال له أنت والله كما قال الشاعر :

و علمنا الضرب آباءنا و نحن نعلم أيضاً بنينا

قال نصر : فلما انقضى هذا اليوم بما فيه أصبحوا في اليوم الثامن من صفر والفيلقان متقابلان ، فخرج رجل من أهل الشام فسأل المبارزة فخرج اليه رجل من أهل العراق فاقتتلا بين الصفين قتالا شديداً ، ثم إن العراقي اعتنقه فوقعا جميعا وغار الفرسان ثم إن العراقي قهره فجلس صدره و كشف المغفر عنه يريد ذبحه فاذا هو أخوه لاييه و امه ، فصاح به أصحاب علي و يحك اجهز عليه ، قال انه أخى ، قالوا : فانركه ، قال : لا والله حتى يأذن أمير المؤمنين ، فاخبر علي بذلك فأرسل إليه أن دعه فتركه فقام فعاد إلى صف معاوية .

قال نصر : و حدثنا محمد بن عبيد الله عن الجرجاني قال : كان فارس معاوية الذي

بعده لكل مبارز و لكل عظيم حريث مولاه ، و كان يلبس سلاح معاوية متشبهاً به
 فاذا قاتل قال الناس ذلك معاوية و إن معاوية دعاه فقال له : يا حريث اتق علياً
 وضع رمحك حيث شئت ، فاتاه عمرو بن العاص فقال : يا حريث والله لو كنت قرشياً
 لأحبب لك معاوية أن تقتل علياً ، ولكن كره أن يكون لك حظها فان رأيت فرصة
 فاقتحم و خرج علي في هذا اليوم أمام الخيل فحمل عليه حريث .

قال نصر : فحدثني عمرو بن شمر عن جابر قال : بل برز حريث هذا اليوم وكان
 شديداً ابداً ذابأس لا يرام فصاح يا علي هل لك في المبارزة فاقدم أباحسن ان شئت ،
 فأقبل علي عليه السلام وهو يقول :

أنا عليّ و ابن عبدالمطلب نحن لعمر الله اولى بالكتب
 منّا النبي المصطفى غير كذب اهل اللواه والمقام والحجب

نحن نصرناه على كلّ العرب

ثم خالطه فمأمله أن ضربه ضربة فقطعه نصفين فجزع معاوية عليه جزعا شديداً وعاتب
 عمرا في إغرائه إياه بعليّ وقال في ذلك شعراً :

حريث ألم تعلم و جهلك ضاير بأنّ علياً للفوارس قاهر
 و ان علياً لم يبارزه فارس من الناس الا أقصدته الأظافر
 أمرتك أمراً حازماً فعصيتني فحدثك اذ لم تقبل النصيح حائر
 وولاك عمرو والحوادث جمّة غروراً وما جرّت عليك المقادر
 وظنّ حريث أنّ عمراً نصيحه وقد يهلك الانسان من لا يحاذر

قال نصر فلما قتل حريث برز عمرو بن الحصين السكسكي فنادى يا أباحسن هلمّ
 إلى المبارزة فأوماً عليّ إلى سعيد بن قيس الهمداني فبارزه فضربه بالسيف فقتله .
 قال نصر : و كان لهمدان بلاه عظيم في نصرة علي عليه السلام في صفين و من الشعر
 الذي لا يشكّ انه قاله لكثرة الرواة له :

دعوت فلبسني من القوم عصبه فوارس من همدان غير لثام
 فوارس من همدان ليسوا بمعزل غداة الوغا من يشكر و شمام

بكل رويني (١) وعضب تغاله
 لهمدان اخلاق كرام تزينهم
 وجدّ وصدق في العروب ونجدة
 متى تاتهم في دارهم تستضيفهم
 جزى الله همدان الجنان فانها
 ولو كنت بواباً على باب جنّة

اذا اختلف الاقوام شعل ضرام
 وباس اذا الاقوا و حدّخضام (٢)
 وقول اذا قالوا بغير ائام
 تبت ناعماً في خدمة و طعام
 سهام العدى في كل يوم زحام
 لقلت لهمدان ادخلوا بسلام (٣)

١- الرويني الرمح النسوب الى رويته اسم امرئة والعضب الضرب والطمع.

٢- السيف القاطع

٣- الاشعار في الديوان هكذا

و لما رايت الخيل تفرع بالقنا
 واقبل رهج في السماء كانه
 و نادى ابن هند ذا الكلاع ويحصبها
 تيمت (٧) همدان الذين همهم
 و ناديت فيهم دعوة فاجابني
 فوارس من همدان ليسوا بعزل (٨)
 و من ارحب الشم المطاعين بالقنا
 و من كل حي قد اتنى فوارس
 بكل رويني و عضب تغالسه
 يقوذهم حامى الحقيقة منهم
 فحاضوا لظاها واصطلوا بشارها

فوارسها حمر الميون دوامى (٤)
 غمامة و جن ملبس بقتام (٥)
 و كندة فى لخم و حى جذام (٦)
 اذا ناب امر جتتى و سهامى
 فوارس من همدان غير لثام
 غداة الوغا من يشكر و شبام (٩)
 و رهم و احياء السبيع و بام
 ذوونجدات فى اللقا، كرام
 اذا اختلف الاقوام شعل ضرام
 سعيدبن قيس والكريم معامى
 و كانوا لدى الهيجا كشرب مدام

٤- الدوامى الملتخ بالدم .

٥- الفبار الاسود .

٦- يحصب و لخم و جذام قبائل .

٧- اى قصدت .

٨- العزل جميع الاعزل الذى لاسلاح معه

٩- يشكر بضم الكاف و شبام بالكسر

قال نصر : فحدثني عمرو بن شمر قال : ثم قام عليّ بين الصّفين ونادى يا معاوية يكرّرها، فقال معاوية اسألوه ماشأنه، قال: أحبّ أن يظهر لي فأكلّمه كلمة واحدة، فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص فلمّا قاربا لم يلتفت إلى عمرو وقال لمعاوية : ويحك عليّم تقتل الناس بيني وبينك ويضرب بعضهم بعضاً ابرز إلىّ فأيتنا قتل صاحبه فالأمر له فالتفت معاوية إلى عمرو فقال : ماترى يا أبا عبد الله ؟ قال : قد أنصفك الرّجل واعلم أنّك إن نكلت عنه لم نزل مسبته عليك وعلى عقبك ما بقى على ظهر الأرض عربيّ فقال معاوية : يا بن العاص ليس مثلي يخدع عن نفسه والله ما بارز ابن أبيطالب شجاع قط إلاّ وسقى الأرض من دمه ، ثمّ أنصرف معاوية راجعاً حتى انتهى إلى آخر الصّفوف وعمرو معه ، فلمّا رأى عليّ ذلك ضحك وأعاد إلى موقفه

قال نصر : و في حديث الجرجانيّ انّ معاوية قال لعمرو : ويحك ما أحمقك تدعوني إلى مبارزته و دوني عكّ و خدام و الأشعرون ، قال : وحقّدها معاوية على عمرو باطنا وقال له ظاهراً ما أظنك يا أبا عبد الله قلت ماقلت إلاّ مازحاً ، فلمّا جلس معاوية عليه اللعنة و العذاب مجلسه أقبل عمرو يمشي حتّى جلس إلى جانبه ، فقال معاوية :

و الهزل يحمله مقال الهسازي

ولقد ظننتك قلت مزحة مازح

قتلي جزيت بما نويت الجازي

ما ذا الذي منتك نفسك خالياً

فقال : عمرو : ايها أيتها الرّجل أتجبين عن خصمك وتتهم نصيحتك وقال مجيباً له:

ولا أنا في الذي حدثت خازي

معاوي ما اجترمت عليك ذنباً

و كبش القوم يدعى للبراز

وما ذنبي بأن نادى عليّ

سهام العدى في كلّ يوم خصام
ولين اذا لاقوا و حسن كلام
تبت عندهم في غبطة و طعام
سراع الى الهيجا، غير كهام
لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

جزى الله همدان الجنان فانهم
لهمدان اخلاق و دين يزينهم
متى تاتهم في دارهم لضيافة
اناس يحبون النبيّ و رهطه
اذا كنت بوأبا على باب جنة

ولو بارزته بارزت ليثا
 و تزعم أنني أضمرت غشياً
 حديد النّاب يخطب كلّ باز
 جزاني بالذي أضمرت جازي
 وفي البحار من تفسير العياشي عن أبي الأعزّ التميمي قال : بينا أنا واقف بصفيّين
 إذ مرّ بي العباس بن ربيعة بن الحرث بن عبدالمطلب شك في السّلاح على رأسه
 مغفر ويده صحيفة يمانية يلقبها وهو على فرس له أدهم وكان عينه عينا أفعي ، فيينا
 هو يروض فرسه و يلين عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشّام يقال له عرار بن
 أدهم : يا عباس هلمّ إلى البراز ، قال : فالتزول اذن فأنه أياس من الغفول ، قال
 فنزل الشّامي ووجد وهو يقول :

إن تركبوا فركوب الخيل عادتنا
 قال وثني عباس رجله وهو يقول :

ويصدّ عنك مخيلة (١) الرّجل
 بحسام سيفك أو لسانك
 العريض موضحة عن العظم
 والكلم الاصيل كارعب الكلم
 ثمّ عصب (٢) فضلات درعه في حجزته و دفع فرسه إلى غلام له اسلم كأنّي
 انظر إلى قلاقل (٣) شعره و دلف (٤) كلّ واحد منهما إلى صاحبه قال فذكرت
 قول أبي ذؤيب :

فتنازلا و توافقا خيلاهما
 قال ثمّ تكافحا (٥) بسيفهما ملياً (٦) من نهارهما لا يصل واحد منهما إلى صاحبه لكمال لامته

١- المخيلة الظن و الكبر و العريض كسكيت من يتعرض للناس بالشراى يمنع عنك ظنّ
 المتعرض للشراى وكبره و خيلاه ضربة او شجة موضحة عن العظم او كلام بلسانك فان الكلام الاصيل في
 التأثير كارعب الكلم اي الجرح، بعار

٢- العصب الطي الشديدي

٣- القلاقل بالضم السريع التحرك

٤- الدلف المشى بتناقل

٥- التكافح هو الاستقبال في الحرب بالوجه ليس دونه ترس

٦- اي ساعة طويلة

إلى أن لحظ العباس و هنا في دزغ الشامي فأهوى إليه بالسيف فانتظم في درع الشامي فاهوى إليه بيده فهتكه إلى ثنودته (١) ثم عاد لمجادلته و قد اصحله (٢) مفتق الدرع فضربه العباس ضربة انتظم به جوانح صدره وخر الشامي صريعاً بخده وسمى العباس في الناس وكبر الناس تكبيرة ارتجت لها الأرض فسمعت قائلاً يقول من ورائي .

« قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيَذْهَبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ »

فالتفت فإذا هو أمير المؤمنين عليّ فقال : يا أبا الأعزّ من المبارز لعدوّنا ؟ قلت : هذا ابن (شيخكم خ ل) العباس بن ربيعة فقال و إنّه لهو يا عباس ، قال : لبّيك قال : ألم انهك وحسنا وحسيناً و عبدالله بن جعفر أن تخلوا بمرکز أو تباشروا حدثاً ؟ قال : إن ذلك لكذلك قال : فماعدنا ممّا بدا ، قال : أفادعى إلى البراز يا أمير المؤمنين فلا أجيب جعلت فداك ؟ قال : نعم طاعة إمامك أولى من اجابة عدوك ، ورمعاوية أنّه ما بقى من بني هاشم نافع ضرمة (٣) إلاّ طعن في نيّطته (٤) إطفاء لنور الله

« وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَوَكْرَهُ الْمُرِّ كُونَ » .

أما الله لهم لكنّهم منار رجال و رجال يسومونهم الخسف (٥) حتى يكفّفوا (٦) بأيديهم

١- التندوة كسنبلة لعن الندى

٢- اى اتسع

٣- الضرمة بالتحريك النار وهذا يقال عند البالغة فى الهلاك لان النار ينفخها الصغير والكبير

والذكر والانشى اى ما بقى احد منهم

٤ - النيطة نياط القلب وهو العرق الذى بالقلب متعلق به ، بهار

٥ - الخسف اى الذل منه

٦- استكف وتكفف بمعنى وهوان يمدكفه يسأل الناس

ويحفر والآبار إن عادوا المك فعدلى، قال: ونمى الخبر إلى معاوية فقال: اللهم عرار الأرجل يطلب بدم العرار؟ قال: فانتدب له رجالان من لخم فقالا نحن له قال: اذهبا فأيكما قتل العباس براز أفله كذا وكذا، فأنياه فدعواه إلى البراز فقال: إن لي سيّداً أو امره قال: فاني أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره فقال: ناقلني سلاحك بسلاحي، فناقله قال: وركب أمير المؤمنين عليه السلام على فرس العباس، ودفع فرسه إلى العباس وبرز إلى الشاميين فلم يشكوا أنه العباس، فقالوا له: أذن لك سيّدك فتخرج أن يقول نعم فقال: «أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْهُمْ ظَلَمُوا وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ».

قال: فبرز إليه أحدهما فكانت ما اختطفه، ثم برز إليه الثاني فألحقه بالأول وانصرف وهو يقول:

«أَلْشَّهْرُ الْحَرَامِ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ».

ثم قال: يا عباس خذ سلاحك وهات سلاحي قال: ونمى الخبر إلى معاوية فقال: قبّح الله اللجاج إنّه لعمود ما ركبته قط إلا أخذت، فقال عمرو بن العاص: المخذول والله اللخميان لا أنت، قال: اسكت أيها الشيخ فليس هذه من ساعاتك قال: فان لم يكن فرحم الله اللخميّين وما أراه يفعل قال: ذلك (١) والله أضيّق لحجرك وأخسر لصفقتك قال: أجل و لولا مصر لقد كانت المنجاة منها، فقال: هي والله أعمتك لولاها لا ألفت نصيراً.

ورداه في شرح المعتزلي من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة بأدني تغيير قال نصر: ثم التقى الناس فاقتتلوا قتالا شديداً وحاربت طي مع أمير المؤمنين حرباً عظيماً وتداعت وارتجزت فقتل منها أبطال كثيرون، وقاتلت النخع معه أيضاً ذلك اليوم قتالا شديداً وقطعت رجل علقمة بن قيس النخعي وقتل أخوه ابي بن قيس فكان علقمة يقول بعد ما احب ان رجلي أصح ما كانت لما أرجوبها من حسن الشواب

وكان يقول أحب أن ابصر أخي في نومي فرأيتُه فقلت له : يا أخي ما الذي قدمتم عليه ؟
فقال : التقينا وأهل الشام بين يدي الله سبحانه فاحتججنا عنده فحججناهم ، فمأسرت
بشيء منذ عقلت سرودي بتلك الرؤيا

وزوى نصر عن الحصين بن المنذر الرقاشي قال : لما تصاف الناس في هذا
اليوم وحمل بعضهم على بعض تضععت ميمنة أهل العراق فجائنا عليّ و معه بنوه
حتّى انتهى إلينا ، فنأدى بصوت عال جهير لمن هذه الرّايات ؟ فقلنا : رايات ربيعة ،
وقال : بل هي رايات الله عصم الله أهلها وصبرهم وثبت أقدامهم ، ثمّ قال لي وأنا حامل
راية ربيعة يومئذ : يا فتى ألا تدني رايتك هذه ذراعاً ، فقلت بلى : والله و عشرة أذرع
فأدنيتها فقال لي : حسبك مكانك

قال نصر : و حدثنا عمرو بن شمر قال : لما أقبل الحصين بن المنذر يومئذ وهو غلام

يزحف براية ربيعة وكانت حمراء فأعجب علياً زحفه و ثباته فقال :

لمن راية حمراء يخفق ظلّها	إذا قيل قدّمها حصين تقدّمها
ويدنوبها في الصّف حتّى يديرها	جمام المنايا تقطر الموت و الدّما
تراها إذا ما كان يوم عظيمة	أبى فيه إلاّ عزّة و تكريم
جزى الله قوماً صابروا في لقائهم	لدى النّاس خيراً ما أعزّ و أكرما
و أحزم صبراً يوم يدعى إلى الوغا	إذا كان أصوات الكمّاة تغمغما
ربيعة أعني أنسهم أهل نجدة	و بأس إذا لا قوا خميساً غرمرما
و قد صبرت عكّ و لخم و حمير	لمذحج حتّى لم يفارق دم دماً
و نادى جذام يا لمذحج و يحكم	جزى الله شراً أيّنا كان أظلمنا
أما تتقون الله في حرّماتكم	و ما قرب الرّحمن منها و عظماً
أذقنا ابن حرب طعننا و ضرابنا	بأسيا فنا حتّى تولّى و أحجما
و فرّ ينادى زبرقان بن أظلم	و نادى كالأعأ و الكريث و الغما
و عمراً و سفياناً و جهماً و مالكا	و حوشب و الغازى شريحاً و اظلمنا

و كرز بن تيهان و عمرو بن جحدد و صباحا القيني يدعو وأسلما (١)
 قال نصر : و أقبل ذوالكلاع في حمير و من لف لفها و معهم عبيدالله بن عمر بن
 الخطاب في أربعة آلاف من قرأء أهل الشام ذوالكلاع في حمير في الميمنة ، و عبيدالله
 في القرأء في الميسرة ، فحملوا على ربيعة و هم في ميسرة أهل العراق و فيهم عبدالله
 ابن العباس حملة شديدة فتضععت رايات ربيعة ثم إن أهل الشام انصرفوا فلم
 يمكنوا إلا قليلا حتى كروا ثانية و عبيدالله بن عمر في أوائلهم يقول : يا أهل الشام
 هذا الحى من العراق قتلة عثمان و أنصار علي فان هزتم هذه القبيلة أدركتم ناركم
 في عثمان فشدوا على الناس شدة عظيمة فثبتت لهم ربيعة و صبرت صبر أحسنا إلا
 قليلا من الضعفاء و اشتد القتال بين ربيعة و حمير و عبيدالله بن عمر و كثرت القتلى
 ثم خرج خمسمائة فارس أو أكثر من أصحاب علي على رؤسهم البيض ، و هم

(١) الايات في الديوان هكذا

لنا الراية السوداء يغفق ظلها	إذا قيل قدمها حصين تقد ما
فيوردها في الصف حتى يزررها	حياض المنايا تقطر الموت و الدما
تريه إذا ما كان يوم كربية	الى فيه الا عزة و تكرما
واجمل صبراً حين يدعى الى الوغا	إذا كان اصوات الرجال تنمغأ
و قد صبرت عك و لخم و حمير	لمنحج حتى أوردوها التندما
و نادت جذام بالمنحج و يحكم	جزى الله شراً اينا كان اظلما
اما تتقون الله في حرماننا	و ما قرّب الرحمن منا و عظما
جزى الله قوما قاتلوا في لقائهم	لدى الموت قدما ما اعزوا كرما
ربيعة اعنى انهم أهل نجدة	و بأس اذا لاقوا خبيسا عرمرما
اذقتنا ابن هند طعننا و ضرابنا	باسيافنا حتى تولّى و احجما
و ولّى ينادى زبرقان بن ظالم	و ذا كلع يدعو كريباً و انما
و عمراً و نعماناً و بسرا و مالكا	و حوشب و الداعي معاد و اظلما
و كرز بن تيهان و ابني محرق	و حرنا و قينيا عبدا و ظلما

غائصون في الحديد لا يرى منهم إلا الحدق ، و خرج اليهم من أهل الشام نحوهم في
العدة فاقتلوا بين الصفيين و الناس و قوف تحت راياتهم ، فلم يرجع من هؤلاء مخبر
لا عراقي ولا شامي قتلوا جميعاً بين الصفيين ، وكان بصفيين تلّ يلقي عليه الجماجم
من الرجال يدعى تلّ الجماجم

قال نصر : ثم ذهب هذا اليوم بما فيه فأصبحوا من اليوم التاسع من صفر ، وقد
خطب معاوية أهل الشام و حذر ضمهم فقال : إنه قد نزل من الأمر ما ترون و حضركم
ما حضركم فإذا نهذتم اليهم انشاء الله فقدموا الدارع و أخبروا الحاسر و صفقوا الخيل
و أجنبوها و كونوا كقص الشارب و أعيرونا جماجمكم ساعة فأنما هو ظالم أو مظلوم
و قد بلغ الحق مقطاه

قال : و كانت التسعة في هذا اليوم كالسبعية في الذي قبله ، فحمل عبيدالله بن
عمر في قرأه أهل الشام و معه ذوالكلاع في حمير على ربيعة وهي ميسرة علي عليه السلام
فقاتلوا قتالاً شديداً فأتى زياد بن حفصة الى عبد القيس فقال لهم : لا يكونن وائل
بعد اليوم ان ذوالكلاع و عبيدالله أباد ربيعة فانهبوا لهم و الأهلكوا ، فركبت
عبد القيس و جانت كأنها غمامة سوداء فشدت ازار الميسرة فعظم القتال فقتل ذوالكلاع
الحميري قتله رجل من بكر بن وائل اسمه خندف ، و تضععت أركان حمير و ثبتت
بعد قتل ذي الكلاع تحارب مع عبيدالله بن عمر

و أرسل عبيدالله إلى الحسن بن علي عليه السلام أن لي إليك حاجة فألقني فلقاه
الحسن عليه السلام فقال عبيدالله : إن أباك قد وتر قريشا أولاً و آخرأ وقد شنئه الناس
فهل لك في خلعه و ان تتولى أنت هذا الأمر : فقال : كلا والله لا يكون ذلك ، ثم
قال : يا بن الخطاب والله لكأني أنظر إليك مقتولاً في يومك أو عندك أما إن الشيطان
قد زين لك و خدعك حتى أخرجك مخلقاً بالخلق ترى نساء أهل الشام موقفك
و سيصرعك الله و يبطلحك لوجهك قتيلاً .

قال نصر : فوالله ما كان إلا بياض ذلك اليوم حتى قتل عبيدالله هو في كتيبة

رقطاء (١) و كانت تدعى الخضرية وكانوا أربعة الف عليهم ثياب خضر ، فمرّ الحسن فاذا رجل متوسد رجل قتيل قد ركز رمحه في عينه وربط فرسه برجله فقال الحسن لمن معه : انظروا من هذا فاذا رجل من همدان و إذا القتيل عبيدالله بن عمر قد قتله الهمداني في أول الليل و بات عليه حتى أصبح .

قال نصر : وقت اختلفت الرواة في قاتل عبيدالله فقالت الهمدان : نحن قتلناه قتله هاني بن الخطاب الهمداني ، و قالت حضرموت : نحن قتلناه قتله محرز بن الصحاح ، و روي أن قتله حريث بن جابر الحنفي و كان رئيس بني حنيفة يوم صفين .

قال نصر : فأتى ذا الكلاع فقد ذكرنا مقتله و أن قتله خندف البكري ، و روى عمرو بن شمر عن جابر قال حمل ذا الكلاع ذلك اليوم بالفيلق العظيم من حمير على صفوف العراق ، ناداهم أبو شجاع الحميري و كان من ذوي البصائر مع علي عليه السلام فقال : يا معشر حمير تبّت أيديكم أنرون معاوية خيراً من علي أضلّ الله سعيكم ، ثم أنت يا ذا الكلاع قد كنّا نرى لأنّ لك نيسة في الدين فقال ذا الكلاع ايها يا باشجاع والله إنني لأعلم ما معاوية بأفضل من علي ، و لكنني اقاتل على دم عثمان ، قال فاصيب ذوالكلاع حينئذ قتله خندف في المعركة . قال معاوية لما قتل ذوالكلاع : لانا أشدّ فرحاً بقتل ذي الكلاع مني بفتح مصر لو فتحها ، لأنّ ذوالكلاع كان يحجز علي معاوية في أشياء كان يأمر بها .

قال نصر : فلما قتل ذوالكلاع اشتدّت الحرب وشدّ عكّ ولخم وخدام و جذام و الأشعريون من أهل الشام على مذحج من أهل العراق جعلهم معاوية بازائهم فنادى منادى مذحج بالمذحج خدموا أي اضرّبوا مواضع الخدمة (٢) وهي السوق فاعترضت مذحج سوق القوم فكان فيه بوار عامتهم .

قال نصر : حدّثني عمرو بن الزبير قال : سمعت الحصين المنذر يقول أعطاني عليّ ذلك اليوم راية ربيعة و قال : بسم الله سرّيا حصين واعلم أنّك لانخفق عليّ رأسك

١- الرقطة سواد يشوبه بياض او بالعكس .

٢- أي الخلل .

راية مثلها أبدا ، هذه راية رسول الله فجاء أبو عرفا. جبلة بن عطية الذهلي إلى الحصين و قال : هل لك أن تعطيني الراية أحملها لك ذكرها ولي أجرها ؟ فقال الحصين : وما غنيا ياعم مع ذكرها عن أجرها قال : إنه لا غنى بك عن ذلك ولكن أعرها ساعة فما أسرع ما ترجع إليك ، قال الحصين : فقلت إنه قد استقبل وإنه يريد أن يموت مجاهداً فقلت له : خذها فأخذها ثم قال لأصحابه :

إن عمل الجنة كره كله ونقيض ، وإن عمل النار خوف كله وخيبث إن الجنة لا يدخلها إلا الصابرون الذين صبروا أنفسهم على فرائض الله وأوامره وليس شيء مما فرض الله على العباد أشد من الجهاد هو أفضل الأعمال ثوابا عند الله ، فإذا رأيتهم قد شددت فشدوا ويحكمهم أمانتاقون إلى الجنة أمانتاقون أن يغفر الله لكم فشدوا معه وقاتلوا قتالا شديداً فقتل أبو عرفاء وشدت ربيعة بعده شدة عظيمة على صفوف أهل الشام فنقضها .

قال نصر : فاضطرب الناس يومئذ بالسيوف حتى تقطعت و تكسرت وصارت كالمناجل و تطاعنوا بالرمح حتى تقصفت و تناثرت أنيابها ، ثم جشوا على الركب فتحاثوا بالتراب يحشو بعضهم التراب في وجه بعض ثم تعانقوا و تكاوموا بالأفواه ثم تراموا بالصخر والحجارة ثم تحاجزوا فكان الرجل من أهل العراق يمر على أهل الشام فيقول كيف اجزى إلى رايات بني فلان فيقولون ههنا لا ههنا والله و يمر الرجل من أهل الشام على أهل العراق فيقول كيف أمضى إلى رايات بني فلان فيقولون ههنا لا ههنا والله ولا عافاك .

قال نصر : وقال معاوية لعمر بن العاص أما ترى يا أبا عبد الله إلى ما قد وقعنا كيف ترى أهل الشام غداً صانعين إننا لبعرض خطر عظيم فقال له إن أصبحت غدا ربيعة وهم متعطفون حول علي تعطف الأبل حول فحلها لقيت منهم جارا صادقا وباساً شديداً و كانت التي لاسوى لها فقال معاوية أيجوز إنك تخوفنا يا أبا عبد الله ، قال : إنك سألتني فأجبتك فلمّا أصبحوا في اليوم العاشر أصبحوا و ربيعة محدقة بعلي إحداق بياض العين بسوارها .

قال نصر : حدثني عمرو بن شمر قال لما أصبح عليّ هذا اليوم جاء فوقف بين رايات ربيعة فقال عتاب بن لقيط البكري من بني قيس بن ثعلبة: يا معشر ربيعة حاموا من عليّ منذ اليوم فان اصيب فيكم افتضحتم ألاترونه قائما تحت راياتكم و قال لهم شقيق بن ثور : يا معشر ربيعة ليس لكم عذر عند العرب إن وصل إلى عليّ و فيكم رجل حيّ ، فامنعوه اليوم و اصدقوا عدوكم اللقاء فإنه حمد الحياة تكسبونته فتعاهدت ربيعة وتحالفت بالايمان العظيمة وتبايع منهم سبعة آلاف على أن لا ينظر رجل خلفه حتى يردوا سرادق معاوية ، فقاتلوا ذلك اليوم قتالا شديدا لم يكن قبله مثله و أقبلوا نحو سرادق معاوية فلمّا نظر إليهم قد أقبلوا قال :

إذا قلت قد ولت ربيعة أقبلت كتائب منها كالجبال تجال

ثم قال لعمرو : يا عمرو ما ترى؟ قال : أرى أن لا تحنث اخو الى اليوم ، فقام معاوية و خالاهم سرادقه و رحله و خرج فاراً عنه لا نذاً ببعض مضارب العسكر في اخريات الناس ، و انتهت ربيعة سرادقه و رحله و بعث إلى خالد بن المعمر أنك قد ظفرت و لك أمانة خراسان إن لم تتم ، فقطع خالد القتال ، ولم يتمه ، و قال لربيعة : قد برت أيمانكم فحسبكم؛ فلما كان عام الجماعة و بايع الناس معاوية أمره معاوية على خراسان و بعثه اليها فمات قبل أن يبلغها .

قال نصر في حديث عمر بن سعد : إن عليّاً صلى بهم يومئذ صلاة الغداة ثم زحف بهم ، فلمّا بصروه قد خرج استقبلوه بزحوفهم فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم إن خيل أهل الشام حملت على خيل أهل العراق فاقتطعوا من أصحاب عليّ ألف رجل أو أكثر ، فأحاطوا بهم و حالوا بينهم و بين أصحابهم فلم يروهم ، فنادى عليّ الأرجل يشري نفسه لله ويبيع دنيا بآخرته فأناه رجل من جعف يقال له عبد العزيز بن الحرث على فرس أدهم كأنه غراب مقنّع في الحديد لا يرى منه إلا عيناه فقال: يا أمير المؤمنين مرني بأمرك فوالله لا تأمرني بشيء إلا صنعته فقال عليّ عليه السلام :

سمحت بأمر لا يطاق حفيظة
جزاك إله الناس خيراً فإنه

و صدقا و اخوان الوفاء قليل
لعمرك فضل ما هناك جزيل

أبا الحرث شد الله ركنك حمل على أهل الشام حتى تاتي أصحابك فتقول لهم إن أمير المؤمنين يقرء عليكم السلام و يقول لكم هلكوا و كبروا من ناحيتكم ، و نهلك و تكبر من ههنا و احملا من جانبكم و نحمل من جانبنا على أهل الشام ف ضرب الجعفي فرسه حتى اذا أقامه على أطراف سنا بكة حمل على أهل الشام المحيطين بأصحاب علي عليه السلام فطاعنهم ساعة و قاتلهم فافرجوا له حتى خلس إلى أصحابه . فلما رأوه استبشروا به و فرحوا و قالوا : ما فعل أمير المؤمنين عليه السلام قال صالح يقرئكم السلام و يقول لكم : هلكوا و كبروا و احملا حملة رجل واحد من جانبكم و نهلك نحن من جانبنا ففعلوا ما أمرهم به و هلكوا و كبروا و هلك علي و كبر هو و أصحابه و حمل على أهل الشام و حملوهم من وسط أهل الشام فانفرج عنهم و خرجوا و ما أصيب منهم رجل واحد ، و لقد قتل من فرسان الشام يومئذ زهاء سبعمائة إنسان و قال علي عليه السلام من أعظم الناس اليوم عناء؟ فقالوا : أنت يا أمير المؤمنين فقال : كلا و لكنه الجعفي .

قال نصر : و كان علي عليه السلام لا يعدل بريعة أحداً من الناس ، فشق ذلك على مضر و أظهر والهم «له خل» القبيح و أبد و اذات أنفسهم ، فقام أبو الطفيل عامر بن وائلة الكناني و عمير بن عطارد التميمي و قبيصة بن جابر الأسدي و عبدالله بن الطفيل العامري في وجوه قبائلهم ، فاتوا علياً فتكلم أبو الطفيل فقال : يا أمير المؤمنين انوالله ما نحسدقو ما خصهم الله منك بخير و إن هذا الحي من ربيعة قد ظنوا أنهم أولى بك منك فاعفهم عن القتال أياماً و اجعل لكل امرء منا يوماً نقاتل فيه فانا إذا اجتمعنا اشتبه عليك بلاؤنا ، فقال علي عليه السلام : نعم اعطيكم ما طلبتم ، و أمر ربيعة أن تكف عن القتال و كانت بازاء اليمن من صفوف أهل الشام .

فعدا أبو الطفيل عامر بن وائلة في قومه من كنانة و هم جماعة عظيمة فتقدم أمام الخيل و اقتتلوا قتالاً شديداً ثم انصرف إلى علي عليه السلام فأتى عليه خيراً . ثم غدا في اليوم الثاني عمير بن عطارد بجماعة من بني تميم و هو يومئذ سيد

مضرا الكوفة فقال: يا قوم إنني اتبع آثار أبي الطفيل فاتبعوا آثار كنانة وقاتل أصحابه قتالا شديدا حتى امسوا وانصرف عمير إلى علي عليه السلام و عليه سلاحه.
 ثم غدا في اليوم الثالث قبيصة بن جابر الأسدي في بني أسد وقال لأصحابه:
 يا بني أسد اما أنا فلا أقصر دون صاحبي و أما أنتم فذاك اليكم ، ثم تقدم فقاتل
 القوم إلي أن دخل الليل.
 ثم غدا في اليوم الرابع عبدالله بن الطفيل العامري في جماعة هوازن فحارب
 بهم حتى الليل ثم انصرفوا .

قال نصر : كتب عقبة بن مسعود عامل علي عليه السلام علي الكوفة إلى سليمان بن
 سرد الخزاعي و هو مع علي : أما بعد فإنهم إن يظهروا عليكم بوجهوكم أو يعيدوكم
 في ملتهم و لن تفلحوا إذا بدأ ، فعليك بالجهاد و الصبر مع أمير المؤمنين و السلام .
 قال و حدثنا عمر بن سعد و عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال:
 قام علي عليه السلام فخطب الناس بصفين فقال:

الحمد لله علي نعمه الفاضلة علي جميع من خلق من البر و الفاجر ، و علي
 حججه البالغة علي خلقه من أطاعه فيهم و من عصاه ، إن يرحم بفضله و منه ، و إن
 عذب فيما كسبت أيديهم و أن الله ليس بظالم للعبيد ، أحمدده علي حسن البلاء
 و تظاهر النعماء ، و أستعينه علي ما بنا من أمر الدنيا و الآخرة ، و أتوكل عليه
 و كفي بالله و كيلا.

ثم إنني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمداً عبده و رسوله
 ارسله بالهدى و دين الحق و ارتضاه لذلك ، و كان أهله و اصطفاه لتبليغ رسالته
 و جعله رحمة منه علي خلقه ، فكان لعلمه منه «كعلمه فيه خل» رؤفاً رحيماً و أفضلهم
 علماً و أثقلهم حلماً و أوفاهم بعهد و آمنهم علي عقد ، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر
 بمظلمة قط ، بل كان يظلم فيغفر و يقدر فيصفح حتى مضى مطيعاً لله صابراً علي
 ما اصابه مجاهداً في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، فكان ذهابه أعظم المصيبة

قال: أكثر ما قد سمعت منك هذه المقالة ولا حاجة لنا فيها، أقدم إذا شئت من يشتري سيفي وهذا أثره فقال علي عليه السلام لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم مشى إليه فلم يممه أن ضربه ضربة خرد منها قتيلًا يشحط في دمه

ثم نادى من يبرز فبرز إليه الحرث بن وداعة (الحرث بن وداعة خ ل الحميري فقتله، ثم نادى من يبرز فبرز إليه المطاع بن المطلب القيني فقتل مطاعاً، ثم نادى من يبرز فلم يبرز إليه أحد فنادى «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم و اتقوا الله و اعلموا أن الله مع المتقين»

يا معاوية هلم إلى فبارزني ولا يقتلن الناس فيما بيننا، فقال عمرو بن العاص اغتنمه متهمًا قد قتل ثلاثة أبطال العرب وإنني أطمع أن يظفرك الله به، فقال معاوية والله إن تريد إلا أن اقتل فتصيب الخلافة بعدي اذهب إليه فليس مثلي يخدع قال نصر: وخطب عبدالله بن العباس يومئذ فقال:

الحمد لله رب العالمين الذي دهي تحتنا سبعا وسمك فوقنا سبعا وخلق فيما بينهن خلقاً و أنزل لنا منهن رزقا، جعل كل شيء يبلى ويفنى غير وجهه الحي القيوم الذي يحيى ويبقى، إن الله تعالى بعث أنبياء ورسلاً فجعلهم حججاً على عباده عذراً و نذراً لا يطاع إلا بعلمه واذنه بالطاعة على من يشاء من عباده، ثم يشب عليها و يعصى فيعفو و يغفر بحلمه لا يقدر قدره و لا يبلغ شيء مكانه، أحصى كل شيء عدداً و أحاط بكل شيء علماً.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله امام الهدى والنبي المصطفى، و قد ساقنا قدر الله إلى ما ترون حتى كان مما اضطرب من جعل هذه الامة وانتشر من امرها ان معاوية بن أيسفيا بن وجد من طعام الناس أعواناً على ابن عم رسول الله وصهره وأول ذكر صلى معه بدرى، قد شهد مع رسول الله كل مشاهده التي فيها الفضل ومعاوية مشرك يعبد الاصنام

والذي ملك الملك وحده وبان به لقد قاتل علي بن أبي طالب عليه السلام مع رسول الله

و هو يقول : صدق الله ورسوله ومعاوية يقول كذب الله ورسوله ، فعليكم بتقوى الله والجد والحزم والصبر والله إنكم لعلى حق ، وإن القوم لعلى باطل ، فلا يكونن أولى بالجد على باطلهم منكم في حقكم ، و إنما لنعلم أن الله سيعذبهم بأيديكم أو بأيدي غيركم ، اللهم أعنا ولا تخذلنا وانصرنا على عدونا ولا تحل عنا ، و افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين

قال نصر : و حدثنا عمرو عن عبدالرحمن بن جندب عن جندب بن عبدالله قال : قام عمار يوم صفين فقال :

انهضوا معي عباد الله إلى قوم يزعمون أنهم يطلبون بدم الظالم لنفسه الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الآمرون بالعدل و الاحسان ، فقالوا هؤلاء الذين لا يباليون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين : لم تقتلتموه ؟ قلنا : لاحدائه ، فقالوا : إنه لم يحدث شيئا وذلك لأنه مكنهم من الدنيا فهم يأكلونها ويرعونها ولا يباليون لو انهدمت الجبال ، والله ما أظنهم يطلبون بدم إنهم ليعلمون أنه لظالم ولكن القوم وافوا للدنيا فاستحبوها واستمروها وعلموا أن صاحب الحق لو ولاهم لجال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون منها

إن القوم لم تكن لهم سابقة في الاسلام يستحقون بها الطاعة والولاية فخدعوا أتباعهم بأن قالوا : قتل امامنا مظلوماً ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً ، تلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون ، و لولاها ما بايعهم من الناس رجل اللهم ان تنصرنا فطال ما نصرت وان تجعل لهم الأمر فادخلهم بما أحدثوا لعبارك العذاب الاليم ثم مضى ومضى معه أصحابه ، فدنا من عمرو بن العاص فقال : يا عمرو بعث دينك بمصر فنبأ لك فطال ما بقيت للإسلام عوجا ، ثم نادى عبيد الله بن عمرو وذلك قبل مقتله وقال : يا بن عمر صرعتك الله بعث دينك بالدنيا من عدو الله و عدو الاسلام ، قال : كلا ولكنني اطلب بدم عثمان الشهيد المظلوم ، قال : كلا اشهد على علمي فيك أنك أصبحت لا تطلب في شيء من فعلك وجه الله ، وأنتك ان لم تقتل اليوم فستموت فانظر اذا أعطى الله على نياتهم ما نيتك ثم قال :

اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك في ان اذف بنفسي هذا البحر لفعلت
 اللهم إنك تعلم أنني لو أعلم أن رضاك أن أضع ظبية سيفي في بطني ثم أنحني عليه حتى
 يخرج من ظهري لفعلت ، اللهم إنني أعلم مما علمتني أنني لا أعمل عملاً اليوم هذا هو
 أرضي من جهاد هؤلاء الفاسقين ، ولو أعلم اليوم عملاً هو أرضي لك منه لفعلت
 وفي البحار روى نصر عن عمر بن سعد عن مالك بن أعين عن زيد الجهنني ان
 عمّار بن ياسر نادى يومئذ أين من يبغى رضوان ربه ولا يؤب إلى مال ولا ولد؟ قال :
 فأتته عصابة من الناس فقال : يا أيها الناس اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون
 دم عثمان ويزعمون أنه قتل مظلوماً ، والله إن كان إلا ظالماً لنفسه الحاكم بغير ما
 أنزل الله .

فدفع علي عليه السلام الرأية إلى هاشم بن عتبة وكان عليه درعان فقال له علي كهيئة
 المازح : أبا هاشم أما تخشى على نفسك أن تكون أعورا جبانا؟ قال : ستعلم يا
 أمير المؤمنين والله لا لئن بين جماجم القوم لف رجل ينوي الآخرة ، فأخذ محافزه
 فانكسر ، ثم أخذ آخر فوجده جاسياً فألقاه ، ثم دعا برمح ليس فشد به لوائه
 ولما دفع علي عليه السلام الرأية إلى هاشم قال له رجل من بكر بن وائل من أصحاب
 هاشم : اقدم مالك يا هاشم قد انتفخ سحرك عورا وجبنا ، قال : من هذا؟ قالوا : فلان
 قال : أهلها وخير منها إذ أرايتني صرعت فيخذاها ثم قال لأصحابه شدوا شسوع نعالكم
 وشدوا أزركم فاذا رأيتموني قد هزرت الرأية ثلاثاً فاعلموا أن أحداً منكم لا يسبقني
 إلى الحملة .

ثم نظر هاشم إلى عسكر معاوية فرأى جمعاً عظيماً ، فقال : من أولئك؟ قالوا
 أصحاب ذى الكلاع ثم نظر فرأى جنداً آخر فقال : من أولئك؟ قالوا : جند أهل
 المدينة قريش ، قال : قومي لاحاجة لي في قتالهم ، قال من عند هذه القبّة البيضاء ؟
 قيل معاوية وجنده ، فحمل حينئذ يرقل ارقالا (١)

١- ارقل اسرع والمفازة قطعها وناقة مرقال ومرقل كحسن ومحسنة مسرعة والمرقال هاشم

ابن عتبة لأن علي عليه السلام اعطاه الرأية يوم صفين فكان يرقل بها ، ق

وعن عبدالعزيز بن سباح عن حبيب بن أبي ثابت قال : لما كان قتال صفين والراية مع هاشم بن عتبة جعل عمّار بن ياسر يتناوله بالرّمح ويقول : اقدم يا أعور لا خير في أعور لا يأتي الفزع قال : فجعل يستحيي من عمّار و كان عالما بالحرب فيتقدم فيركز الراية فاذا سامت إليه الصفوف قال عمّار : اقدم يا أعور لا خير في أعور لا يأتي الفزع فجعل عمرو بن العاص يقول : انني لأرى لصاحب الراية السوداء عملا لئن دام ليفين العرب اليوم ، فاقتتلوا قتالا شديدا و جعل عمّار يقول صبراً عباد الله ، الجنة في ظلال البيض

قال : وكانت علامة أهل العراق بصفين الصفوف الأبيض قد جعلوه في رؤوسهم وعلى اكتافهم ، و شعارهم يا الله يا أحديا صمد يا رحيم ، و كانت علامة أهل الشام خرقا بيضا قد جعلوه على رؤوسهم و اكتافهم ، و كان شعارهم نحن عباد الله حقما بالثارات عثمان .

قال : فاجتلدوا بالسيف و عمد الحديد ، فما تحاجزنا حتى حجز بيننا سواد الليل و لا يرى رجل منا و لا منهم مولياً ، فلما أصبحوا و ذلك يوم الثلاثاء خرج الناس إلى مصافهم

فقال أبو نوح ، فكنت في خيل علي عليه السلام فاذا أنا برجل من أهل الشام يقول من بدلني على الحميري إلى نوح ، قال : قلت فقد وجدته فمن أنت ؟ قال : أنا ذوالكلاع سرالي ، فقال أبو نوح : معاذ الله أن أسير إليك إلا في كتيبة ، قال ذوالكلاع سرفلك ذمة الله و ذمة رسوله و ذمة ذى الكلاع حتى ترجع إلى خيلك فانما اريد أن اسألك عن أمر فيكم تمارينا فيه

فسارحتني التقيا ، فقال ذوالكلاع إنما دعوتك أحدثك حديثاً حدثنا عمرو بن العاص في أمانة عمر بن الخطاب قال أبو نوح : وما هو ؟ قال : حدثنا عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : يلتقي أهل الشام و أهل العراق و في إحدى الكتيبتين الحق و امام الهدى و معه عمّار بن ياسر ، قال أبو نوح : لعمر الله إنه لفينا ، قال : أجاد هو على قتالنا ؛ قال أبو نوح : نعم ورب الكعبة فهو أشد على قتالكم مني

فقال ذوالكلاع : هل تستطيع أن تأتي معي صف أهل الشّام فأنا لك جار منهم حتى تلقى عمرو بن العاص فتخبره عن عمّار وعن جدّه في قتالنا لعلّه يكون صلحاً بين هذين الجندين ، فقال له أبو نوح إنك رجل غادر وأنت في قوم غدر وإن لم تكن تريد الغدر أغدروك و إنني إن أموت أحبّ إليّ أن أدخل مع معاوية و أدخل في دينه و أمره .

فقال ذوالكلاع : أنا جار لك من ذلك أن لا تقتل ولا تسلب ولا تكره على بيعة و لا تحبس عن جندك ، و إنّما هي كلمة تبلغها عمراً لعلّ الله يصلح بين هذين الجندين و يضع عنهم الحرب و السلاح ، فسار معه حتى أتى عمرو بن العاص وهو عند معاوية و حوله النّاس و عبيد الله بن عمر يحرض النّاس

فلما وقفا على القوم قال ذوالكلاع لعمرو : يا باعبدالله هل لك في رجل ناصح لبيب شفيق يخبرك عن عمّار بن ياسر و لا يكذبك ؟ قال عمرو : و من هذا معك ؟ قال هذا ابن عمّي وهو من أهل الكوفة ، فقال له عمرو : إنني لأرى عليك سيما أبي تراب قال : سيما عجل عجل و أصحابه ، و عليك سيما أبي جهل وهو سيما فرعون .

فقام أبو العور فسل سيفه ثمّ قال : أرى هذا الكذاب يشاتمنا بين أظهرنا و عليه سيما أبي تراب فقال ذوالكلاع أقسم بالله لئن بسطت يدك إليه لأحطمن أنفك بالسيف ابن عمي و جاري عقدت له ذمتي و جئت به إليكم ليخبركم بما تماريتم فيه .

فقال له عمرو : اذكرك بالله يا بانوح إلا ما صدقت أفيكم عمّار بن ياسر ؟ فقال له أبو نوح : ما أنا بمخبرك عنه حتى تخبرني لم تسأل عنه فإنّ معنا من أصحاب رسول الله غيره و كلّهم جادّ على قتالكم .

قال عمرو : سمعت رسول الله يقول : إن عمّاراً تقتله الفئة الباغية ، و إنّه ليس ينبغي لعمّار أن يفارق الحقّ و لن تأكل النّار منه شيئاً ، فقال أبو نوح : لا إله إلاّ الله والله أكبر إنّه لفينا جادّ على قتالكم .

فقال عمرو : والله إنه لجارٍ على قتالنا ؟ قال : نعم والله الذي لا إله إلا هو
لقد حدثني يوم الجمل إننا سنظهر عليهم ولقد حدثني أمس أن لو ضربونا حتى يبلغوا
بنامه هجر (١) لعلمنا أننا على الحق وأنهم على باطل ، و لكنت قتالنا في الجنة
وقتلهم في النار فقال له عمرو : هل تستطيع أن تجمع بيني وبينه؟ قال : نعم .

فلما أراد أن يبلغه أصحابه ركب عمرو بن العاص و ابنه و عتبة بن أبي سفيان
و ذوالكلاع و أبوالأعور الأسلمي و حوشب و الوليد بن أبي معيط فانطلقوا حتى أتوا
خيولهم و سار أبو نوح و معه شرحبيل بن ذي الكلاع حتى انتهى إلى أصحابه فذهب أبو
نوح إلى عمار فوجده قاعداً مع أصحابه مع ابني بديل و الهاشم و الأشر و جارية بن
المنثري و خالد بن المعتمر و عبدالله بن حجل و عبدالله بن العباس .

فقال أبو نوح : إنه دعاني ذوالكلاع و هو ذورحم فذكر ماجرى بينه و بينهم
و قال : أخبرني عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : عمار تقتله الفئة
الباغية ، فقال عمار صدق و ليضرب به ما سمع و لا ينفعه ، فقال أبو نوح : إنه يريد أن
يلتاقك فقال عمار لأصحابه : اركبوا .

قال و نحن اثنا عشر رجلاً بعمار فسرنا حتى لقيناهم ثم بعثنا إليهم فارساً من
عبد القيس يسمى عوف بن بشر ، فذهب حتى كان قريباً من القوم ، ثم نادى أين
عمرو بن العاص ؟ قالوا : ههنا فأخبرهم بمكان عمار و خيله ، فقال عمرو فليسر إلينا :
فقال له عوف : إنني أخاف غدر انك ، ثم جرى بينهما كلمات تركتها إلى
أن قال :

أقبل عمار مع أصحابه و عمرو مع أصحابه فتوافقا فقال عمرو : يا أبا اليقظان
اذكرك الله إلا كفت سلاح أهل هذا العسكر و حققت دمائهم فعلى م تقاتلنا؟ أو لسننا
نعبد إلهاً واحداً و نصلي قبلكم و ندعوتكم و نقره كتابكم و نؤمن برسولكم؟
فقال عمار : الحمد لله الذي أخرجها من فيك ، إنها لي و لأصحابي القبلة
و الدين و عبادة الرحمن و النبي و الكتاب من دونك و دون أصحابك و جعلك

ضالاً مضلاً ولا نعلم هاد أنت أم ضالّ، وجعلك أعمى وسأخبرك على ما قاتلتك عليه أنت و أصحابك أمرني رسول الله ﷺ أن أقاتل النّساكين ففعلت، وأمرني أن أقاتل القاسطين فأنتم هم و أما المارقون فما أرى ادر كمهم أم لا.

أيها الابتر (١) تعلم أن رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و أنا مولاه و رسوله و عليّ بعده وليس لك مولى.

فقال له عمرو : فماترى في قتل عثمان؟ قال : فتح لكم باب سوء ، قال عمرو فعليّ قتله؟ قال عمار : بل الله ربّ عليّ قتله و عليّ معه ، قال عمرو : أكنت فيمن قتله؟ قال : أنا مع من قتله و أنا اليوم أقاتل معه ، قال : فلم قتلتموه؟ قال : أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه ، قال عمرو : ألا تسمعون قد اعترف بقتل إمامكم قال عمار : و قد قالها فرعون قبلك : ألا تسمعون.

فقام أهل الشّام و لهم زجل فركبوا خيولهم و رجعوا فبلغ معاوية ما كان بينهم فقال له : هلكت العرب إن أخذتهم خفة العبد الأسود يعنى عماراً ، و خرج إلى القتال و صفت الخيول بعضها لبعض و زحف النّاس ، و على عمار درع و هو يقول أيها النّاس الرّاح إلى الجنّة، فاقتتل النّاس قتالاً شديداً لم يسمع النّاس بمثله، و كثرت القتلى حتّى أن كان الرّجل ليشدّ طنّب فسقاطه بيد الرّجل أو برجله.

فقال الأشعث : لقد رأيت أخبية صفين و أروفتهم و ما منها خباء ولا رواق ولا بناء ولا فسقاط إلاّ مربوطاً بيد رجل أو رجله وجعل أبو سماك الأسدى يأخذ أداة من ماء و شفرة حديد فيطوف في القتلى فإذا رأى رجلاً جريحاً و به رمق قام و سأل أمير المؤمنين عليه السلام فإن قال: عليّ غسل عنه الدّم و سقاه من الماء و إن سكّت وجاء بسكين حتّى يموت، قال : فكان يسمّى المخضخض (٢)

و عن عمرو بن شمر عن جابر عن الشّعبي عن الأحنف بن قيس قال : و الله

١- ماخوذ من قوله تعالى إن شئت لك هو الابتر منه.

٢- ماخوذ من الخضخضة وهو تحريك الماء والسويق و نحوهما منه .

إني إلى جانب عمّار فتقدّمتنا حتّى إذا دنونا من هاشم بن عتبة قال له عمّار: احمل فذاك أبي و أمّي و نظر عمّار إلى رقة في الميمنة فقال له هاشم ، رحمك الله يا عمّار إنك رجل تأخذك خفة في الحرب و إنني إنمّا أزحف باللواء زحفا و أرجو أن أنال بذلك حاجتي، و إنني إن خفت لم آمن الهلكة.

وقد قال معاوية لعمر و يحك يا عمرو إن اللواء مع هاشم كأنه يرقل به إرقالا و إنّه إن زحف به زحفا إنّه ليوم أطول لأهل الشّام ، فلم يزل به عمّار حتّى حمل فبصر به معاوية فوجه إليه جملة أصحابه و من برز بالنّاس منهم في ناحية و كان في ذلك الجمع عبد الله بن عمرو و معه سيفان قد تقلد بواحد و هو يضرب بالأخر و أطاقت به خيل عليّ عليه السلام فقال عمرو : يا الله يا رحمن ابني ابني ، و كان يقول معاوية : اصبر اصبر فإنّه لأبأس عليه قال عمرو لو كان يزيد إذا لصبرت.

ولم يزل حماة أهل الشّام يذبّون عنه حتّى نجا هاربا على فرسه و أصيب هاشم في المعركة ، قال و قال عمّار حين نظر إلى راية عمر و بن العاص : إن هذه الرّاية قد قاتلتها ثلاث عركات (١) و ما هي بأرشد هنّ نمّ حمل و هو يقول:

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله و يذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحقّ إلى سبيله يا ربّ انّي مؤمن بقبيله (٢)

نمّ استسقى و اشتدّ ظماؤه ، فأنته امرئة طويلة اليدين ما ادري اعسّ (٣) معها أم اداة فيها ضياح (٤) من لبن و قال الجنّة تحت الاسنة اليوم ألقى الأحبة عهداً عليه السلام و حزه ، والله لو ان لبونا حتّى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أنّنا على الحقّ وأنهم

١- أي مرات

٢- بمعنى القول .

٣- العسّ بضم العين القدر العظيم الجمع عسّ ككتاب قاموس .

٤- هو بالفتح كالضبح اللبن المزوج بالماء ، ق .

على الباطل .

وحمل عليه ابن جوين السكسكي و ابو العادية الفزاري، فأما أبو العادية فقطعنه
وأما ابن جوين فاجتز رأسه عليهما لعنة الله.

فقال ذوالكلاع لعمره : و يحك ما هذا ؟ قال عمرو : إنه سيرجع إلينا وذلك
قبل أن يصاب عمار ، فاصيب عمار مع علي و اصيب ذوالكلاع مع معاوية فقال
عمرو : والله يا معاوية ما أدري بقتل أيهما أننا أشد فرحاً ، والله لوبقى ذوالكلاع
حتى يقتل عمار لمال بعامة قومه ولا فسد علينا جندنا .

قال : فكان لا يزال رجل يجيء فيقول : أنا قتلت عماراً فيقول عمرو فما سمعتموه
يقول فيخلطون حتى أقبل ابن جوين فقال : أنا قتلت عماراً فقال له عمرو : فما كان آخر
منطقه ؟ قال : سمعته يقول اليوم ألقى الأحبة محمداً و حزبه ، قال عمرو : صدقت أنت
أما والله ما ظفرت بذلك ولكن اسخطت ربك .

و في الاحتجاج روى عن الصادق عليه السلام أنه لما قتل عمار ارتعدت فرايص خلق
كثير و قالوا : قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله عمار تقتله الفئة الباغية ، فدخل عمرو بن العاص
على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين قد هاج الناس واضطربوا ، قال : لماذا ؟ قال : قتل
عمار ، قال : فماذا ؟ قال : أليس قال رسول الله صلى الله عليه وآله تقتله الفئة الباغية ؟ فقال له معاوية
رحضت في قولك أنحن قتلناه إنما قتله علي بن أبي طالب لما ألقاه بين رماحنا ،
فاتصل ذلك بعلي بن أبي طالب ، فقال : فاذن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي قتل حمزة وألقاه
بين رماح المشركين .

و في البحار من كتاب الكشي باسناده عن اسماعيل بن أبي خالد قال :
سمعت قيس بن أبي حازم قال : قال عمار بن ياسر : ادفنوني في ثيابي
فأنسى مخاصم .

و من كشف الغمة قال : و نقلت من مناقب الخوارزمي قال : شهد خزيمة بن
ثابت الأنصاري الجمل و هو لا يسل سيفاً و شهد صفين و قال : لا أصلي أبداً خلف
إمام حتى يقتل عمار فأنظر من يقتله فأنسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : يقتله

الفئة الباغية ، فلمّا قتل عمار قال خزيمة : قدحانت لي الصلاة ثمّ اقترب و قاتل حتى قتل .

و كان الذي قتل عمار أبو عادية المرّي طعنه برمح فسقط و كان يومئذ يقاتل و هو ابن أربع و تسعين سنة ، فلمّا وقع أكبّ عليه رجل فاجتزأ رأسه فأقبلا يختصمان كلاهما يقول أنا قتلته .

فقال عمرو بن العاص : والله ان يختصمان إلاّ في النار ، فسمعه معاوية فقال لعمرو ، ما رأيت مثل ما صنعت قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما : إنكما تختصمان في النار ، فقال عمرو : هو و الله ذلك و أنك لتعلمه و لوددت أنّي متّ قبل هذا بعشرين سنة .

و بالاسناد عن أبي سعيد الخدري قال : كنّا نعمّر مسجد رسول الله ﷺ و كنّا نحمل لبنة لبنة و عمار لبنتين لبنتين ، فرآه النبي ﷺ فجعل ينفذ التراب عن رأس عمار و يقول : يا عمار ألا تحمل كما يحمل أصحابك ؟ قال : إني أريد الأجر من الله تعالى ، قال : فجعل ينفذ التراب عنه و يقول : ويحك تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنة و يدعونك إلى النار ، قال عمار : أعوذ بالرحمن أظنه قال من الفتن .

و من كتاب الكفاية عن أبي المفضل الشيباني في حديث طويل مسنداً عن النبي ﷺ قال : يا عمار ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فاتسبع علياً و حزبه فانه مع الحقّ و الحقّ معه ، يا عمار إنك ستقاتل بعدي مع عليّ صنفين : النساكين و القاسطين ، ثمّ يقتلك الفئة الباغية ، قلت : يا رسول الله أليس ذلك على رضا الله و رضاك ؟ قال : نعم ، على رضا الله و رضاى ويكون آخر ذلك « زادك » شربة من لبن تشربه .

فلما كان يوم صفين خرج عمار بن ياسر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : يا أبا رسول الله أنأذن لي في القتال ؟ قال : مهلاً رحمك الله ، فلمّا كان بعد ساعة أعاد عليه الكلام فأجابه بمثله ، فأعاده ثالثاً فبكى أمير المؤمنين عليه السلام فنظر إليه عمار

فقال : يا أمير المؤمنين إنه اليوم الذي وصف لي رسول الله .

فنزل أمير المؤمنين عليه السلام عن بغلته و عانق عماراً و ودعه ثم قال : يا أبا اليقظان جزاك الله عن الله و عن نبيك خيراً فنعم الأخ كنت و نعم الصاحب كنت ثم قال : والله يا أمير المؤمنين ما تبعتك إلا ببصيرة فأتى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول : يا عمار ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فاتبع علياً و حزه فأنه مع الحق و الحق معه ، و ستقاتل بعدي الناكثين و القاسطين ، فجزاك الله يا أمير المؤمنين عن الاسلام أفضل الجزاء ، فلقد أدت و بلغت و نصحت

ثم ركب و ركب أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم برز إلى القتال ثم دعا بشربة من ماء فقيل ما معنا ماء فقام إليه رجل من الأنصار فاسقاه شربة من لبن ، ثم قال : هكذا عهد إلى رسول الله أن يكون آخر زادي من الدنيا شربة من اللبن .
ثم حمل على القوم فقتل ثمانية عشر نفساً فخرج إليه رجالان من أهل الشام فطعنا فقتل رحمه الله ، فلما كان الليل طاف أمير المؤمنين عليه السلام في القتلى فوجد عماراً ملقى ، فجعل رأسه على فخذه ثم بكى عليه السلام و أنشأ يقول :

ايا موت كم هذا التفرق عنوة
فلمست تبقى لى خليل خليل
اراك بصيراً بالذين أحببهم
كأنك تمضى نحوهم بدليل
قال المجلسى : في الديوان هكذا :

ألا أيها الموت الذي ليس تاركى
أرحنى فقد أفنيت كل خليل
أراك بصيراً بالذين أحببهم
كأنك تنحو نحوهم بدليل

قال نصر بن مزاحم : لما حدث عمرو بن العاص في عمار ما قاله النبي صلى الله عليه و آله خرج عبد الله عمر العيسى و كان من عباد أهل زمانه ليلاً فأصبح في عسكر علي عليه السلام فحدث الناس بقول عمرو في عمار فلما سمع معاوية هذا القول بعث إلى عمرو و قال : أفسدت على أهل الشام ، أكل ما سمعته من رسول الله تقوله ؟ فقال عمرو : قلتها و لست و الله أعلم الغيب ولا أدري أن صفين يكون عمار خصمنا ، وقد رويت أنت فيه مثل الذي

رويت فاسأل أهل الشَّام ففضب معاوية و تنمّر (١) لعمر ورومنعه وخيره، وقال عمرو ولا خير لى في جوار معاوية إن تجلّت هذه الحرب عنا و كان عمرو حمى الانف فقال في ذلك:

تعاتبنى ان قلت شيئاً سمعته	وقد قلت لو أنصفتني مثله قبلى
و ما كان لى علم بصفين أنها	تكون وعمار يهت على قتلى
فلو كان لى بالغيب علم كتمتها	و كابدت أقواماً مراجلهم تغلى

إلى آخر الأبيات ثم أجابه معاوية بأبيات تشتمل على الاعتذار؛ فاتاه عمرو وأعتبه وصار أمرهما واحداً ثم إن علياً دعا هاشم بن عتبة و معه لوائه، و كان أعور، و قال: حتى متى تأكل الخبز و تشرب الماء، فقال هاشم: لا يجهز ان لا أرجع إليك أبداً. قال نصر عن عمر بن سعد عن رجل عن أبي سلمة أن هاشم دعا في الناس عند المساء ألا من كان يريد الله والدَّار الآخرة فليقبل فأقبل إليه ناس فشدت في عصابة من أصحابه على أهل الشَّام مراراً، فليس من وجه يحمل عليه إلا صبروا له و قوتل فيه قتالا شديداً، فقال لأصحابه.

لا يهو لنسكم ما ترون من صبرهم فوالله ما ترون منهم إلا حمية العرب و صبرها عند راياتها و عند مراكزها، و إنهم لعلى الضلال و إنكم لعلى الحق، يا قوم اصبروا و صابروا و اجتمعوا و امشوا بنا إلى عدونا على تومدة (٢) رويداً و اذكروا الله ولا يسلمن رجل أخاه ولا تكثروا الالتفات و اصمد و اصمدهم و جالدوهم محتسبين حتى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين.

فقال أبو سلمة فمضى في عصابة من القرأ فقاتل قتالا شديداً هو و أصحابه حتى رأى بعض ما يسرّون به إذ خرج عليهم فتى شاب و شدّ يضرب بسيفه و يلعن و يشتم و يكثر الكلام

فقال له هاشم: إن هذا الكلام بعده الخصام و إن هذا القتال بعده الحساب

١- تنمر تشدّد فى الصوت عند الوعيد و تشبه النمر و هو السبع ق.

٢- التومدة التأتى فى المشيم .

فاتق الله فانك راجع إلى ربك فسائلك عن هذا الموقف و ما أردت به .
 قال : فانى اقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلي كما ذكر لي و إنكم لانصلون ،
 و اقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا و أنتم و ازرتموه على قتله .
 فقال له هاشم و ما أنت و ابن عفان إنما قتله أصحاب محمد حين أحدث أحدانا
 و خالف حكم الكتاب و أصحاب محمد أصحاب الدين و أولى بالنظر في امور
 المسلمين و ما أظن أن أمر هذه و لا أمر هذا الدين عنك طرفة عين قط .
 فقال الفتى : أجل و الله لا اكنب فان الكذب يضر و لا ينفع و يشين
 و لا يزين .

فقال له هاشم إن هذا الأمر لاعلم لك به فخله و أهل العلم به قال : أظنك
 والله قد نصحتنى فقال هاشم : و أما قولك إن صاحبنا لا يصلي فهو أول من صلى لله مع
 رسول الله ، و افاقه في دين و أولى برسول الله ، و أما من ترى معه فكلمهم قاري الكتاب
 لا ينام الليل تهجداً فلا يغفرك عن دينك الأشقياء المغرورون .
 قال الفتى : يا عبدالله إني لأظنك امرئ صالحاً أخبرنى هل تجدلى من توبة ؟
 قال : نعم تب إلى الله يتب عليك قال فذهب الفتى راجعاً ، فقال رجل من أهل الشام
 خدعك العراقي ، قال : ولكن نصحتنى .

و قاتل هاشم هو و أصحابه قتالاً شديداً حتى قتل تسعة نفر و عشرة ، و حمل
 عليه الحرث بن المنذر فطعنه فستط ، و بعث إليه علي أن قدم لوائك ، فقال للرسول
 انظر إلى بطنى فإذا هو قد انشق فأخذ الرأية رجل من بكر بن وائل ، و رفع هاشم
 رأسه فإذا هو بعييد الله بن عمر بن الخطاب قتيلاً إلى جانبه فجثا حتى دنى منه
 فعض على نديه حتى تيننت فيه أنيابه ثم مات هاشم و هو على صدر عبيد الله .
 و ضرب البكري فوق فابصر عبيد الله فعض على نديه الآخر و مات أيضاً ، فوجدوا
 جميعاً ماتا على صدر عبيد الله ، و لمّا قتل هاشم جزع الناس عليه جزعاً شديداً و اصيب معه
 عصابة من أسلم من القرأء ، فمرّ عليهم علي عليه السلام و هم قتلوا حوله فقال عليه السلام :
 جزى الله خيراً عصابة أسلمية صباح الوجوه صرّعوا حول هاشم

وسفيان وابناهشم ذى المكارم

يزيد و عبدالله بشر و معبد

إذا اخترط البيض الخفاف الصوارم

و عروة لا يبعد ثناه و ذكره

ثم أخذ الراية عبدالله بن هاشم ، قال نصر : حدثنا عمرو بن شمر قال : لما انقضى أمر صفين وسلم الأمر الحسن إلى معاوية وفدت إليه الوفود وأشخص عبدالله بن هاشم أسيراً فاتى به معاوية ، فلما دخل عليه وعنده عمرو بن العاص قال : يا أمير المؤمنين هذا المحتال بن المرقال فدونك الضب اللاحظ فان العصيا من العصية (١) وانما تلدا الحية حية وجزاء السيئة سيئة مثلها

فقال له ابن هاشم : ما أنا بأول رجل خذله قومه و أدركه يومه ، قال معاوية تلك ضغائن صفين وما جانا عليك أبوك ، فقال عمرو : يا أمير المؤمنين أمكنتني منه فأشخب أوداجه على أثباجه . (٢)

فقال له ابن هاشم : أفلا كان هذه الشجاعة منك يا ابن العاص أيام صفين حين ندعوك إلى النزال وقد ابتأت أقدام الرجال من نقع (٣) الجربال (٤) وقد تضايقت بك المسالك و أشرفت فيها على المهالك ، و ايم الله لولا مكانك منه لنشبت لك مني خافية (٥) ارميك من خلالها أحد من وقع الانافي (٦) فانك لا تزال

١- اى العود الكبير ينشأ من الصغير الذى غرس او لا مثل يضرب للشىء الذى يكون فى

بدنه حقيرا زمخشري . ر

٢- التبع ما بين الكاهل الى الظهر ، ق

٣- النقع محبس الماء و كذلك ما اجتمع فى البئر منه والمراد هنا الدم .

٤- صبغ احمر و حمرة الذهب .

٥- لعل المراد بالخافية السهم المشتمل على الريش قال فى القاموس الخوا فى ريشات اذا ضم الطائر جناحيه خفيت اوهى الاربع اللاتي بعد المناكب اوهى السبع ريشات بعد السبع المقدمات انتهى منه .

٦- لعل المراد بالانافي هنا السنة التى تكوى بها

تكثر (۱) في دهشك وتخبط في مرسك (۲) تخبط العشواء في الليلة الحنّس الظلماء فأعجب معاوية ماسمع من كلام ابن هاشم فأمر به إلى السجن وكف عن قتله هذا ، وبأنى طرف آخر من بقیة الواقعة في شرح بعض الكلمات الآتية إن ساعدنا التوفيق والمجال إن شاء الله

الترجمة

از جمله کلام آن حضرتست که می فرمود بأصحاب خود در بعض روزهای

جنگ صفین !

ای جماعه مسلمان شعار خود گردانید خوف و خشیه کرد گار را ، و پوشش اخذ نمائید بجهت خود تمکین و وقار را ، و بنهید دندانها را بر دندانها که بدرستی این برمی گرداند شمشیرها را از کاسه سر ، و کامل نمائید زره را بسایر آلتهاى جنگ ، و حرکت بدهید شمشیرها را در غلافها پیش از کشیدن آنها ، و بنگرید بگوشه چشم تنک خشمناک ، و بزیند نیزه را بچپ و راست ، و دفع کنید دشمن را باطراف شمشیرها و برسانید شمشیرها را بدشمن با قدمها ، و بدانید که شما منظور نظر کرد گارید ، و در خدمت پسر عم پیغمبر مختار میباشید

پس مکرراً رجوع کنید بر طرف اشار ، و حیا نمائید از گریز و فرار ، که فرار موجب عار است در اولاد و اعقاب ، و باعث آتش است در روز حساب ، و پاکیزه بشوید از حیثیت نفس در حالتی که تجاوز کننده باشید از نفسهای زایل و فانیه خودتان و بروید بسوی مرگ رفتن سهل و آسان ، لازم کنید بر خود حمله آوردن بر سواد اعظم اهل عناد ، و بر چادر طناب دار معاویه بد بنیاد

پس بزیند میان آن خیمه را از جهت اینکه شیطان پنهان است در جانب آن خیمه که بتحقیق پیش آورده است آن شیطان بجهت برجستن دستی را ، و پس کشیده است از برای گریختن پائی را پس قصد نمائید دشمن را قصد کردنی تا اینکه ظاهر

۱- ای تكثر الكلام فی تعبرك و خوفك

۲- المرسة العجل والجمع المرسي

شود بشما ستون حق ، و حال آنکه شما غالب و بلند مرتبه هستيد ، و خداوند

با شماست و ناصر شماست ، و ناقص نمی نماید از شما جزای عملهای شما را

و من كلام له عليه السلام في معنى الانصار وهو السادس

والستون من المختار في باب الخطب

قالوا : لما انتهت إلى أمير المؤمنين أبناء السقيفة بعد وفات رسول الله ﷺ

قال ﷺ ما قالت الانصار؟ قالوا قالت : منا أمير ومنكم أمير قال ﷺ :

فَهَلَّا اِحتَجَبْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَّى بِأَنْ يُحْسِنَ إِلَى

مُحْسِنِيهِمْ ، وَ يُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئَتِهِمْ ؟ قالوا : وَمَا فِي هَذَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ؟

قال ﷺ : لَوْ كَانَتِ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ :

فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ ؟ قالوا : اِحتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ ﷺ فَقَالَ

عَلَيْهِ السَّلَامُ : اِحتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا التَّمْرَةَ .

اللغة

(النَّبَأُ) كالخبر لفظاً و معنا و (السَّقِيفَةُ) الصَّفَةُ و سقيفة بني ساعدة فعيلة

بمعنى مفعولة وهي ظلة كانت مجمع الأنصار و دار ندوتهم لفصل القضايا و (وصيت)

الشيء بالشيء أصبه من باب وعد و وصيته و وصيت إلى فلان توصية و أوصيته إيصال

و الاسم الوصاية بالكسر و الفتح لغة ، وهو وصي فعيل بمعنى مفعول و الجمع الأوصياء

و أوصيت له بمال جعلته له ، و أوصيته بولده استعطفته عليه ، و أوصيته بالصلاة أمرته

بها قال تعالى :

« ذَلِكُمْ وَصِيكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . »

الاعراب

هلاً من حروف التحضيض ، قال نجم الائمة الرضى : و معناها إذا دخلت على الماضى التوبيخ و اللوم على ترك الفعل ، و فى المضارع الحذف على الفعل و الطلب له ، فهى فى المضارع بمعنى الأمر و لا يكون التحضيض فى الماضى الذى قدفات إلا أنها تستعمل كثيراً فى لوم المخاطب على أنه ترك فى الماضى شيئاً يمكن تداركه فى المستقبل ، فكأنها من حيث المعنى للتحضيض على فعل مثل ما فات ، قوله : فماذا قالت ، يحتمل أن يكون ذا موصولة و أن تكون زائدة كما فى قولهم : ماذا صنعت و من ذار أيت .

المعنى

اعلم أنه (لما انتهت إلى أمير المؤمنين أبناء أهل السقيفة بعد وفات رسول الله ﷺ) و مشاجرات المهاجرين و الأنصار و دعوى كل منهما استحقاق الخلافة لنفسه و احتجاج كل من الطرفين على الآخر بذكر المناقب و السوابق (قال عليه السلام) ما قالت الأنصار (المهاجرين) (قالوا) أنهم (قالت منا أمير و منكم أمير قال عليه السلام) فهلا احتجاجتم عليهم بان رسول الله ﷺ وصى بان يحسن إلى محسنهم و يتجاوز عن مسيئتهم) و قد مر تلك الوصية فى المقدمة الثالثة من مقدمات الخطبة الشنشقية فى رواية الاحتجاج عن الشيباني و رواها الشارح المعتزلى من صحيحى البخارى و مسلم فى مسنديهما عن أنس بن مالك قال :

مر أبو بكر و العباس بمجلس من الأنصار فى مرض رسول الله ﷺ و هم يبكون ، فقالا : ما يبكيكم ؟ قال : ذكرنا محاسن رسول الله ﷺ فدخلا على النبي و أخبراه بذلك فخرج وقد عصب على رأسه حاشية برده ، فصعد المنبر و لم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله و أتنى عليه ثم قال :

أوصيكم بالانصار فإنهم كرشى (١) و عيبتى و قد قضاوا الذى عليهم و بقى الذى لهم ، فاقبلوا من محسنهم و تجاوزوا عن مسيئتهم هذا .

١- الكرش بمنزلة الهدنة للانسان و عيال الرجل و اهل بيته .

ولما لم يفهم المخاطبون كيفية حجية كلامه على الأنصار و دلالة على بطلان دعواهم استفهموا عنه ﷺ و (قالوا و ما في هذا) الكلام (من الحججة عليهم فقال ﷺ لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية بهم) لكنها بهم فليست الامارة لهم، بيان الملازمة أن العرف قاض بأن الوصية انما تكون إلى الرئيس في حق المرؤوس لا بالعكس . (ثم قال : فماذا قالت قريش) في مقام الاحتجاج على الأنصار (قالوا احتجت بانها شجرة الرسول) كونهم شجرة الرسول باعتبار أنه صلوات الله عليه و آله منهم، فهو و إياهم جميعاً من أغصان أصل واحد و أولاد نضربن كنانة (فقال احتجوا بالشجرة و أضعوا الثمرة) الظاهر أنه أراد بالثمرة نفسه و أهل بيته و أراد بإضعافها إهمالهم له و لا ولاده من هذا الأمر و المقصود بهذا الكلام الاحتجاج على قريش بمثل ما احتجوا به على الأنصار .

بيان ذلك أنهم استدلوا على أولويتهم بأنهم شجرة الرسول فيكونون أقرب إليه من غيرهم ونحن نحتاج عليهم بأنامة الرسول فنكون أقرب إليه منهم إذ للثمرة اختصاص بالمشعر ليس للغير ذلك الاختصاص ، بل المراد بالشجر ليس إلا الثمر فان كانت الشجرة معتبرة فبالأولى اعتبار الثمرة و إن لم يلتفت إلى الثمرة فلا التفات إلى الشجرة ، و قد وقع مثل ذلك التشبيه في قوله سبحانه :

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا

ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ . »

روى في البحار من تفسير علي بن إبراهيم بنسأده عن سلام بن مستنير عن أبي جعفر عليه السلام قال : الشجرة رسول الله ونسبه ثابت في بني هاشم و فرع الشجرة علي بن أبي طالب ، و غصن الشجرة فاطمة و ثمرتها الأئمة ، من ولد علي و فاطمة ، و شيعتهم و رقبها دان المؤمن من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجرة ورقة ، و أن المؤمن ليولد فتورق الشجرة ورقة ، قلت : رأيت قوله :

« تَوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا » .

قال يعنى بذلك ما يفتون الأئمة شيعتهم في كل حج و عمرة من الحلال والحرام .

تنبيهان الاول

قد قدمنا أخبار السقيفة في المقدمة الثالثة من مقدمات شرح الخطبة الشقة شقية ،
و زبدهنا على ما سبق ما رواه المحدث المجلسي في البحار من الشيخ في
تلخيص الشافي عن هشام بن محمد عن أبي مخنف عن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي
عمر الأنصاري .

أن النبي ﷺ لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بنى ساعدة فقالوا: نولي
هذا الأمر من بعد محمد سعد بن عباد و أخرجوا سعداً إليهم و هو مريض ، قال: فلما
اجتمعوا قال لابنه أو لبعض بني عمه إنسى لأقدر لشكواي اسمع القوم كلمهم كلامي
ولكن تلق منسى قولي فأسمعهم : فكان يتكلم و يحفظ الرجل قوله فيرفع به صوته
و يسمع به أصحابه فقال بعد أن حمد الله و أننى عليه :

يا معاشر الانصار ان لكم سابقة في الدين و فضيلة في الاسلام ليست لقبيلة
من العرب ، ان محمد ﷺ لبث بضع عشر سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن و خلع
الأوثان ، ما آمن به من قومه إلا رجال قليل ، والله ما كانوا يقدرون على أن يمنعوا
رسوله و يعززوا دينه ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيماً (١) عموا حتى اذا أراد بكم
ربكم الفضيلة و ساق إليكم الكرامة و خصكم بالنعمة و رزقكم الايمان به و برسوله
و المنع له و لأصحابه و الاعزاز له و لدينه و الجهاد لأعدائه .

و كنتم أشد الناس على عدوه منهم و أثقله على عدوه من غيركم حتى
استقامت العرب لأمر الله طوعاً و كرها ، و أعطى البعيد المقادة صاغراً و آخرها ،
و حتى اتخذه الله لرسوله بكم في الأرض و دانت بأسيا فكم له العرب و توفاه الله تعالى
إليه و هو عنكم راض و بكم قريب عين ، استبدوا بهذا الأمر دون الناس فانه لكم
دون الناس .

فأجابوه بأجمعهم بأن قد وقعت في الرأي وأصبت في القول ولن نعدو ما رأيت نوليكَ هذا الأمر دون الناس فانك فينا مقنع ولصالح المؤمنين رضى .
ثم إنهم ترادوا الكلام فقالوا فان أبت مهاجرة قريش فقالوا نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأ ولون فعلام تنازعونا الأمر من بعده ؟ قالت طائفة منهم : فانا نقول إذن منا أمير ومنكم أمير ولن نرضى بدون هذا أبداً ، فقال سعد بن عبادة حين سمعها هذا أول الوهن ، وأتى عمر الخبير فأقبل إلى منزل النبي فأرسل إلى أبي بكر وأبوبكر في الدار وعلي بن أبي طالب دائب في جهاز النبي .

فأرسل إلى أبي بكر أن اخرج إلى فأرسل إليه أنني مشتغل فأرسل إليه أن قد حدث أمر لابد لك من حضوره ، فخرج إليه فقال : أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة ، و أحسنهم مقالة من يقول منا أمير و من قريش أمير ، فمضيا مسرعين نحوهم فلقيا أبا عبيدة فتماشوا إليهم فلقامهم عاصم بن عدي وعويمر بن ساعدة فقالوا لهم : ارجعوا فانه لا يكون إلا ما تحبون ، فقالوا : لا نفعل ، فجاؤا وهم مجتمعون .

فقال عمر بن الخطاب : أتيناكم وقد كنت زورت (١) كلاما أردت أن اقوم به فيهم فلما اندفعت إليهم ذهبت لابتداء المنطق فقال لي أبوبكر : رويداً حتى أتكلم ، ثم أنطق بعد بما احببت ، فنطق ، فقال عمر : فما شيء كنت اريد أن أقول به إلا وقد أتى عليه .

قال عبدالله بن عبدالرحمن : فبده أبوبكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله بعث محمداً رسولا إلى خلقه وشهيداً على امتة ليعبدوا الله و يوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى يزعمون أنها لمن عبدها شافعة و لهم نافعة وإنما هي من حجر منحوت خشب و منجور ثم قرأ :

« وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَ يَقُولُونَ هُوَ لَاءَ

شَفَعَا ثَنَا عِنْدَ اللَّهِ وَقَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى .»

فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخصَّ الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والايمان به والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم وتكذيبهم إياه ، و كلَّ الناس لهم مخالفة و عليهم زار ، فلم يستوحشوا لقلَّة عددهم و تشذَّب الناس عنهم و اجماع قومهم عليهم ، فهم أوَّل من عبد الله في الأرض و آمن بالله و رسوله ، وهم أولياؤه و عشيرته و أحقَّ الناس بهذا الأمر من بعده ، ولا ينازعهم في ذلك إِلَّا ظالم .

و أنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين ولا سابقتهم العظيمة في الاسلام رضيكُم الله أنصاراً لدينه و رسوله و جعل إليكم هجرته و فيكم جلةً واجه و أصحابه ، و ليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم ، فنحن الأمراء و أنتم الوزراء لانفتحت (١) عليكم بمشورة ، ولا نقضى دونكم الامور ، فقام المنذر بن الحباب ابن الجموح .

هكذا روى الطبري والذي رواه غيره أن الحباب بن المنذر قال : يا معشر الأنصار املكوا على أيديكم ، و ساق الحديث نحواً مما رواه ابن أبي الحديد عن الطبري إلى قوله فقاموا إليه فبايعوه .

أقول ما رواه ابن أبي الحديد عنه هكذا : فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال : يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم فإن الناس في ظلكم و لن يجترى مجترى على خلافكم ، ولا يصدر أحد إلا عن رأيكم ، أنتم أهل العزة و المنعة و أولو العدد و الكثرة و ذوا لباس و النسجدة ، وإنما ينظر الناس ما تصنعون فلا تختلفوا فتنفسد عليكم اموركم ، فان أبي هولاء إِلَّا ما سمعتم فمنا أمير و منهم أمير .

فقال عمر : هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد والله لا ترضى العرب ان تؤمركم و بينها من غيركم ، ولا تمنع العرب أن تؤتى أمرها من كانت النبوة معهم ، من ينازعنا سلطان محمد و نحن أولياؤه و عشيرته .

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الأنصار املكوا أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوعليةكم فاجلوا هذه من بلادكم فأنتم أحق بهذا الأمر منهم فإنه بأسيا فكم وإن الناس بهذا الدين أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، أنا أبو شبل في عريسة الأسد، والله إن شتمت لنعيدها جذعة.

فقال عمر: إزني يقتلك الله، فقال بل إياك يقتل، فقال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار انكم أول من نصر فلا تكونوا أول من بدّل وغير.

فقام بشير بن سعد والد النعمان بن بشير فقال: يا معشر الأنصار ألا إن نخذاً من قريش وقومه أولى به وأيم الله لا يراني الله أنا زعمهم هذا الأمر، فقال أبو بكر: هذا عمر وأبو عبيدة بايعوا أيهما شتم، فقالا: والله لا نتولّى هذا الأمر عليك وأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله في الصلاة وهي أفضل الدين ابسط يدك فلما بسط يده لبيابعا سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه.

فناداه الحباب بن المنذريا بشير (عفتك خ) عفاة أنفست على ابن عمك الامارة، فقال أسيد بن حصين رئيس الأوس لأصحابه: والله لئن لم تبايعوا ليكونن للخزرج عليكم الفضيلة ابداً، فقاموا فبايعوا أبا بكر فانكسر علي سعد بن عبادة والخزرج ما اجتمعوا عليه، وأقبل الناس يبايعون أبا بكر من كل جانب.

قال في البحار: قال الشيخ قال هشام: قال أبو مخنف: وحدتني أبو بكر بن عمّ الخزاعي إن أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايقت بهم السكك لبايعوا أبا بكر، فقال عمر: ما هو إلا أن رايت اسلم فأيقنت.

قال هشام: عن أبي مخنف قال: قال أبو عبد الله بن عبد الرحمن وأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر وكادوا يطأون سعد بن عبادة، فقال ناس من أصحاب سعد: اتقوا سعداً لا تطأوه، فقال عمر: اقتلوا سعداً قتله الله، ثم قام على رأسه فقال: لقد هممت أن أطاك حتى يندر عضوك، فأخذ قيس بن سعد بلحيته ثم قال: والله لئن حصصت حصفت خل، منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة؛ فقال أبو بكر مهلاً يا

عمر الرفق ههنا أبلغ فأعرض عنه .

وقال سعد : والله لو أرى من قومي ما أقوى على النهوض لسمعت مني بأقطارها
وسككها زئيراً يحجزك وأصحابك ، أما والله إذن لا لحقك بقوم كنت فيهم تابعاً غير
متبوع احمولوني من هذا المكان ، فحملوه فأدخلوه داره وترك أياً ما
ثم بعث إليه أن اقبل فبايع فقد بايع الناس و بايع قومك ، فقال أما والله
حتى أرميكم ما في كنانتي من نبل و اخضب منكم سنان رمحي و أضربكم بسيفي
ما ملكته يدي ، و اقاتلكم بأهل بيتي و من أطاعني من قومي ، ولا أفعل و أيم الله لو
أن الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم حتى اعرض على ربي و أعلم ما حسابي
فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر : لا تدعه حتى يبايع ، فقال بشير بن سعد
إنه قد لجج و أبي فليس يبايعكم حتى يقتل و ليس بمقتول حتى يقتل معه ولده و أهل
بيته و طائفة من عشيرته ، فليس تركه بضاركم إنما هو رجل واحد فتركوه ، و قبلوا
مشورة بشير بن سعد و استنصحوه لما بدالهم منه

و كان سعد لا يصلح بصلاتهم ولا يجمع معهم و يحجج ولا يحجج معهم ، و يفيض
فلا يفيض معهم بافاضتهم فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر
أقول : روى الشارح المعتزلي خبر السقيفة من كتاب السقيفة لأبي بكر
أحمد بن عبدالعزيز الجوهري نحواً مما روينا و زاد في آخره بعد قوله فلم يزل كذلك
حتى مات أبو بكر ، ثم لقي عمر في خلافته و هو على فرس و عمر على بعير فقال له عمر :
هيهات يا سعد فقال سعد : هيهات يا عمر ، فقال : أنت صاحب من أنت صاحبه قال : نعم
أنا ذاك ، ثم قال لعمر والله ما جاورني أحد هو أبغض إليّ جوراً منك و من أصحابك ،
فلم يلبث سعد بعد ذلك قليلاً حتى خرج إلى الشام فخرج فيها ، ولم يبايع لا
لأبي بكر ولا لعمر ولا لغيرهما

ثم قال : قال الراوي : و كثر الناس على أبي بكر فبايعه معظم المسلمين في
ذلك اليوم ، واجتمعت بنو هاشم إلى علي بن أبي طالب و معهم الزبير و كان يعد نفسه رجلاً
من بني هاشم كان علي عليه السلام يقول ، ما زال الزبير من أهل البيت حتى نشأ بنوه فصر فوه عننا .
و اجتمعت بنو أمية إلى عثمان بن عفان و اجتمعت بنو زهرة إلى سعد و عبد الرحمن

فأقبل عمر و أبو عبيدة فقال : مالي أراكم متخلفين ، قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايع الناس و بايعه الأنصار ، فقام عثمان و من معه و قام سعد و عبد الر حمن و من معهما فبايعوا أبا بكر ، و ذهب عمر و معه عصابة إلى بيت فاطمة منهم أسيد بن حصين و سلم ابن أسلم فقال لهم : انطلقوا فبايعوا فأبوا عليه

و خرج الزبير بسيفه فقال عمر ، عليكم الكلب فوثب عليه سلم بن أسلم فأخذ السيف من يده فضرب بيده الجدار ثم انطلقوا به و بعلي و معهما بنو هاشم و علي عليه السلام يقول : أنا عبد الله و أخو رسول الله حتى انتهوا به إلى أبي بكر فقيل له : بايع ، فقال : أنا أحق بهذا الأمر منكم لا أبايعكم و أنتم أولى بالبيعة لي أخذتم هذا الأمر من الأنصار و احتججتم عليهم بالقرابة من رسول الله فاعطوكم و سلموا إليكم الامارة ، و أنا احتجج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار ، فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم و اعرفوا للناس الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم و إلا فبوؤا بالظلم و أنتم تعلمون

فقال عمر إنك لست متروكا حتى تباع فقال له علي عليه السلام : احلب يا عمر حلبا لك شطره اشد له اليوم أمره ليرده عليك غدا ، لا والله لا أقبل قولك ولا ابايعه فقال له أبو بكر : فان لم تباعني لا اكرهك

فقال له أبو عبيدة : يا أبا الحسن إنك حديث السن و هؤلاء مشيخة قريش قومك ليس لك تجربتهم و معرفتهم بالامور و لا أرى أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك و أشد احتمالا له و اضطلاعاً به ، فسلم له هذا الأمر و ارض به فانك إن تعيش و يطل عمرك فأنت بهذا الأمر خليك و به حقيق في فضلك و قرابتك و سابقتك و جهادك .

قال علي عليه السلام : يا معشر المهاجرين الله الله لا تخرجوا سلطان محمد عن داره و بيته إلى بيوتكم و دوركم ، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس و حقته ، فوالله يا معشر المهاجرين لنعن أهل البيت أحق بهذا الأمر منكم ، أما كان منا القاري لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بالسنة المضطلع بأمر الرعية ، والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتزادوا من الحق بعداً

فقال بشير بن سعد : لو كان هذا الكلام سمعته منك الا انصار يا علي قبل بيعتهم
لا بي بكر ما اختلف عليك اثنان ، ولكنهم قد بايعوا ، وانصرف علي إلى منزله ولم يبايع
ولزم بيته حتى ماتت فاطمة فبايع

قال الشارح : قلت : هذا الحديث يدل على بطلان ما يدعى من النص على
أمير المؤمنين وغيره ، لأنه لو كان هناك نص صريح لاحتج به ولم يجز للنص ذكر
وإنما كان الاحتجاج منه ومن أبي بكر ومن الأتباع بالسوابق والفضائل والقرب ،
فلو كان هناك نص صريح على أمير المؤمنين وعلى أبي بكر لاحتج به أبو بكر على الأتباع
ولاحتج به أمير المؤمنين على أبي بكر

فإن هذا الخبر وغيره من الأخبار المستفيضة يدل على أنه قد كان كاشفهم
وهتك القناع بينه وبينهم ألا تراه كيف نسبهم إلى التعدي عليه وظلمه وتمنع من
طاعتهم وأسمعهم من الكلام أشده وأغاظه ، ولو كان هناك نص لذكره أو ذكره من
شيئته وحزبه لأنه لا يعطر بعد عروس (١)

وهذا أيضاً يدل على أن الخبر الذي في أبي بكر في صحيح البخاري ومسلم
غير صحيح ، وهو ما روى من قوله بِالْبَيْتِ لعائشة في مرضه : ادعى إلى أباك وأخاك حتى
اكتب لأبي بكر كتابا ، فإني أخاف أن يقول قائل أو يتمني متمني ، ويأبى الله

١- قولهم لا يعطر بعد عروس اسما. بنت عبد الله العذرية اسم زوجها عروس ومات زوجها
فتزوجها رجل أعسر أبصر بخيل زميم ، فلما أراد أن يظن بها قالت لو أذنت لي رثيت ابن عمي فقال
افلتي فقالت ابنيك يا عروس الأعراس يا ثعلبا في أهله وأسد أعند الباس مع أشياء ليس يعلمها الناس
قال : وما تلك الأشياء. قالت كان عن الهمة غير فماس ويعمل السيف صبيحات الباس ثم قالت يا عروس
الاجر الازهر الطيب الغيم الكريم المحض مع أشياء. له لا تذكر ، قال وماتك الأشياء. قالت كان
عبوفا للخنز والمكر طيب النكهة غير أبصر غير أعسر فعرف الزوج أنها تعرض به فلما دخل بها
قال ضمي اليك عطرك وقد نظرتي قشوة عطرها مطروحة فقالت لا يعطر بعد عروس ، وتزوج رجل
امرأة فهديت إليه فوجدها نفلت فقال ابن عطرك فقالت خبأته فقال لا مخبأ لعطر بعد عروس يضرب
لمن لا يؤخر عنه نفيس ، قاموس

والمؤمنون إلا أبابكر وهذا هو نص مذهب المعتزلة .

أقول من نظر إلى هذا الحديث بعين البصيرة والاعتبار ولا حظ الانصاف وجانب حد الاعتساف ، عرف منه ما فيه للناظرين معتبر واستفاد منه أشياء كلّ منها شاهد صدق على بطلان خلافة الثلاثة ، وبرهان واضح على فساد دعوى تابعيهم استحقاقهم لها وأهليتهم للقيام بها

منها خلوه من احتجاج قريش على الأَنْصار جعل النبيّ الامامة فيهم ، لانه تتضمن من احتجاجهم عليهم ما يخالف ذلك وأنهم إنما ادّعوا كونهم أحقّ بالأمر من حيث كون النبوة فيهم و من حيث كونهم أقرب إلى النبيّ نسباً وأولاهم له أتباعاً .

ومنها أن الأمر إنما بني السقيفة على المغالبة والمخالسة ، وإن كلاً منهم إنما كان يجذبه لنفسه بما اتفق له و عن (١) من حقّ و باطل و قويّ و ضعيف .
ومنها أن سبب ضعف الأَنْصار و قوّة المهاجرين عليهم انحياز (٢) بشير بن سعد حسداً لسعد بن عبادة ، و انحياز الأوس بانحيازه عن الأَنْصار .
ومنها أن خلاف سعد وأهله كان باقياً لم يرجعوا عنه ، و إنما أقعده عن الخلاف بالسيف قلة الناصر .

ومنها أنه لو أراد أبوبكر الاجماع و اتفاق الكلّ على بيعته حتّى من سعد و أصحابه انجرّ الأمر إلى قتل النفوس و اهراق الدماء و فسدله الأمر .
ومنها أن قول عمر في حقّ الزبير : عليكم الكلب ، دليل على بطلان خبر العشرة المبشرة إذ الكلب لا يكون في الجنة .
ومنها أن بيعة عمر لأبي بكر لم يكن لتأسيس أساس الاسلام و رعاية مصلحة الدين و حفظ شرع سيد المرسلين ، و إنما كان نظره في ذلك ليتولى أبوبكر الأمر و يوليّه عليه بعده كما هو نصّ قوله عَلَيْكُمْ اشدد له اليوم أمره ليردّ عليك غداً .

١- عن الشي. عنا اذا ظهرا مامك واعترض، ق.

٢- انحاز عنه عدل، ق.

ومنها أن حدانة السنن لو كان مانعا عن الخلافة كما قاله أبو عبيدة وأخذه
 منه أهل السنة والجماعة ، لكن مانعا عن النبوة بطريق أولى وقد قال سبحانه :
 « وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا » .

فقد أنا النبوة ليحيى وعيسى عليهما السلام في حالة الصبا .

ومنها أن تجربة أبي بكر كما زعمه أبو عبيدة لو كان أزيد من أمير المؤمنين
 ﷺ لم يعز له النبي من البعث بسورة براءة ولم يخلف عليا مقامه و لو كان قوته
 أشد لسبق في يوم أحد وخيبر ولم يستأثر الفر على الكر .
 ومنها أن قول بشير بن سعد له لو كان هذا الكلام سمعته منك الأ نصار قبل البيعة
 لما اختلف عليك اثنان ، دليل على أن بيعتهم لأبي بكر لم يكن عن بصيرة وإنما
 اقتحموا فيها من غير روية ، وإنما كان اللازم عليهم التروى والتشيت وملاحظة
 الأطراف والجوانب ، والتفكر في العواقب والدقة في جهات الاستحقاق فكيف
 يكون بيعة هؤلاء الجهلة الغفلة الفسقة التابعة لهوى أنفسهم الأ مارة حجة شرعية
 لأهل الملة .

و أما ما ذكره الشارح من أنه لو كان هناك نص لاحتج به أمير المؤمنين ولما
 لم يحتج إلا بالسوابق والقرب علم أنه لم يكن هناك نص عليه ، ففساده أظهر من
 الشمس في رابعة النهار ، إذ قد عرفت أن أول من حضر في السقيفة هو الأ نصار ،
 و أول من ابتداء بالكلام فيها سعد بن عباد ، فذكر مناقب الأ نصار و مآثرهم و كونهم
 انصاراً لدين الله و ذابين عن رسول الله ، فاحتج عليهم قريش بالقرب والنسب والسبق
 في التصديق والتقدم في الإيمان فحججهم بذلك ، فاقضى المقام بمقتضى آداب
 المناظرة أن يحتج أمير المؤمنين ﷺ بمثل ما احتجّت به قريش على الأ نصار ، إذ في
 ذلك من الأ لزام لهم ما ليس في غيره كما قال ﷺ فيما يذكره السيد في
 أواخر الكتاب .

فكيف بهذا والمشيرون غيب

فان كنت بالشورى ملكت أمورهم

و ان كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك أولى بالنبي و أقرب

و كيف يدعى عدم النص بعد حديث المنزلة و خبر الغدير و قوله بِالْقَبْلِ عَلَيْهِ عَلِيٌّ مع الحق و الحق مع علي يدور معه كيف دار إلى غير ذلك من الأخبار و الآيات التي قدّمناها في المقدمة الثانية من مقدّمات الخطبة الشقشقية و غيرها ، و من لم يجعل الله له نوراً يستضيء به فما له من نور ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

الثاني

اعلم أنّ الشارح المعتزلي قدروى في شرح هذا الكلام أخباراً من كتاب الجوهرى قدم رواية أكثرها في شرح الخطبة السادسة والعشرين ، و نحن أيضاً روينا بعضها هناك في شرح الفصل الثاني من فصول الخطبة المذكورة و نروى هنا بعض مالم يتقدم ذكره حذراً من التكرار كما وقع في شرح المعتزلي ، و ليس غرضنا من إيرادها مجرد الاقتصاد و إنّما المقصود بذلك إقامة الحجّة علي الطائفة الضالّة من الكلاب الممطورة ، و الابانة عن ضلالة الشارح و غفلته ، و أنّه مع روايته لتلك الأخبار و اعترافه بوثاقه رادياً كيف لم يتنبّه من نومة الجهالة ، و ناه في أودية الضلالة .

فأقول : في الشرح من كتاب السقيفة لأحمد بن عبدالعزيز الجوهرى :

قال : حدّثنا أبو سعيد عبدالرحمن بن محمد ، قال : حدّثنا أحمد بن الحكم ، قال حدّثنا عبدالله بن وهب ، عن الليث بن سعد ، قال تخلف علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر فأخرج ملبياً يمضى به رقصا ، و هو يقول : معاشر المسلمين على م يضرب عنق رجل من المسلمين ، لم يتخلف لخلاف و إنّما تخلف لحاجة فمأمن مجلس من المجالس إلا يقال له : اذهب فبإيع .

أقول : هذا الحديث نصّ في أنه لو لم يبإيع يضرب عنقه فيدلّ على أنه عليه السلام لم يكن في البيعة مختاراً ، و هذا المعنى قد تضمنته أخبار كثيرة عامية و خاصية بالغة حدّ الاستفاضة بل التواتر قد اورد طائفة منها السيد (ره) في الشافي ، و روى جملة كثيرة منها السيد المحدث البحراني في كتاب غاية المرام ، و قد روينا في

شرح الخطبة السادسة والعشرين قول الصادق عليه السلام : والله ما بايع علي حتى رأى الدخان قد دخل عليه بيته ، و نقلنا قول السيد هناك من أنه أي اختيار لمن يحرق عليه بابه حتى يبايع .

قال الجوهري : و حدثنا أبو زيد عمرو بن شيبعة بإسناد رفعه إلى ابن عباس قال : إنني لأماشي عمر في سكة من سلك المدينة يده في يدي ، فقال يا ابن عباس ما أظن صاحبك إلا مظلوماً فقلت في نفسي والله ما يسبقني بها ، فقلت يا أمير المؤمنين فاردد إليه ظلامته ، فانتزع يده من يدي ثم مر بهم ساعة ثم وقف فلحقته فقال : يا ابن عباس ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه ، فقلت في نفسي هذه شر من الأولى ، فقلت والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة برائة من أبي بكر .

قال الجوهري : و حدثني أبو زيد ، قال حدثني محمد بن عباد ، قال حدثني أخي سعيد بن عباد ، عن الليث بن سعد عن رجاله عن أبي بكر أنه قال : ليتني لم اكشف بيت فاطمة ولو اغلق على الحرب

قال الشارح : الصحيح عندي أنها ماتت وهي واجدة على أبي بكر وعمر وأنها أوصت أن لا يبصليها ، وذلك عند أصحابنا من الأمور المغفورة لهما ، وكان الأولى بهما إكرامها واحترام منزلها لكنهما خافا الآفة وأشفقوا من الفتنة ففعلوا ما هو الأصلح بحسب ظنهما ، وكانا من الدين وقوة اليقين بمكان مكين لاشك في ذلك ، الأمور الماضية يتعدى الوقوف على عللها وأسبابها ولا يعلم حقايقها إلا من شاهدها ولا بسبها بل لعل الحاضرين المشاهدين لها لا يعلمون باطن الأمر ، فلا يجوز العدول عن حسن الاعتقاد فيهما بما جرى ، والله ولي المغفرة والعتو ، فإن هذا لو ثبت خطاه لم يكن كبيرة بل كان من باب الصغائر التي لا يقتضى التبري ولا يوجب التولي

أقول : ما صححه من أنها عليها السلام ماتت وهي واجدة غضبانة على الرجلين فهو

الصحيح الذي لا ريب فيه ويشهد بذلك ملاحظة أخبار غضب فدك وغيرها مما مر في تضاعيف الشرح ويأتي أيضاً

وأما ما اعتذر به من أن ذلك من الصغائر المعفوّة فمأسد جداً إذ كيف يكون ذلك من الصغائر مع ماروته العامة والخاصة من قول النبي ﷺ لها : يا فاطمة إن الله يغضب بغضبك ويرضى لرضاك ، وقوله فيها : يؤذيني ما أذاها

وما أخرجه أحمد بن حنبل والحاكم على الميسور بن مخرمة مرفوعاً : فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها ويبسطنني ما يبسطها ، وأن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري ، فإذا انضم إلى ذلك قوله تعالى

« وَمَنْ يَخْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى » وقوله : « وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ

رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ »

يعلم من ذلك أن ما فعلاه في حقها من أكبر الكبائر الموجب لكونهما في أسفل الدرك من الجحيم خالدين فيها و ذلك جزاء الظالمين .

و أما ما ذكره من انهما كانا من الدين وقوة اليقين بمكان مكين ففيه انك قد عرفت في شرح الخطبة الشنشقية وغيرها و ستعرف أيضاً بعد ذلك انهما لم يكونا من الذين في شيء ، و كيف يجسر المتدين أن يدخل من غير إذن بيتاً لم يكن يدخل فيها الملائكة إلا باذن أو يحرق بابه أو يهتك ستره حتى يطمع فيه من لم يكن يطمع .

و أما قوله : إن الأمور الماضية يتعذر الوقوف على عللها ولا يعلم حقايقها إلا من قد شاهدها ، ففيه إن الوقوف عليها والاطلاع على حقايقها يحصل بالنقل والسمع ولا حاجة في ذلك إلى الشهود والحضور ، وقد حصل لنا في حقهما بطريق السمع والبيان ما هو مغن عن الحضور والعيان ، و عرفنا أن الداعي لأفعالهما في جميع حرركاتهما و سكناتهما لم يكن إلا اتباع هوى النفس الامارة و إبطال الشريعة والملة وترويج البدعة وتضييع السنة .

؛ أما قوله : إن ذلك لا يقتضي التبري ولا يوجب التولي ، فيه انهما إذا كانا من

غضب الله عليه بمقتضى ما ذكرنا يجب التبري عنهما ولا يجوز التولي لقوله تعالى:
 « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَيْسُوا
 مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ » .

و أشد مما ذكرنا كله فظاعة و أظهر شناعة ما رواه الشارح أيضاً عن الجوهري،
 قال حدثنا الحسن بن الربيع ، عن عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ،
 عن علي بن عبد الله بن العباس ، عن أبيه قال : لما حضرت رسول الله ﷺ الوفاة وفي
 البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب ، قال : رسول الله ﷺ : إيتوني بدواة و صحيفة
 اكتب لكم كتابا لاتضلوا بعدي ، فقال عمر كلمة معناها : أن الوجع قد غلب على
 رسول الله ، ثم قال : عندنا القرآن حسبنا كتاب الله ، فمن قائل يقول : القول ما قال
 رسول الله ﷺ ومن قائل يقول : القول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللفظ باللفظ ظ واللفظ
 والاختلاف غضب رسول الله ﷺ فقال : قوموا إنه لا ينبغي لنبى أن يختلف عنده هكذا
 فقاموا فمات رسول الله ﷺ في ذلك اليوم فكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل
 الرزية ما حال بيننا وبين رسول الله بعنى الاختلاف واللفظ باللفظ ظ .

قال الشارح قلت: هذا الحديث قد خرجه الشيخان محمد بن إسماعيل ومسلم بن
 الحجاج القشيري في صحيحهم ما وافق المحدثون كافة على روايته.

أقول : هذه الرواية كما ذكره الشارح مما رواها الكل والرواية في الجميع
 عن ابن عباس ، و قوله فقال العمر كلمة معناها أن الوجع قد غلب اه ، الظاهر أن
 تلك الكلمة في أكثر تلك الروايات من قوله : إن الرجل ليهجر ، وفي بعضها ما
 شأنه يهجر استفهموه ، و في بعض الآخر ما شأنه هجر ، و في غيرها ما يقرب من
 هذا اللفظ ، وقد عدل الراوي عن رواية هذه اللفظة لكرهته نقلها إذ الهجر كما
 صرح به غير واحد من اللغويين هو الهديان و بذلك فسر قوله تعالى:

« إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا » .

فبدل الرأوي هذه الكلمة بغيرها استحياء واستصلاحاً لكلام عمر
ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر
فمن تأمل في هذه الرواية حق التأمل عرف جفاوة الرجل و فظاظته
وخبت طينته وسوء سريرته و عناده و نفاقه من جهات عديدة :
الأولى أن النبي ﷺ ما كان ينطق عن الهوى وإن كان كلامه لم يكن إلا وحياً
يوحى ، فنسبه مع ذلك عمر إلى الهذيان .
الثانية أن قوله عندنا القرآن حسبنا كتاب الله رد على الله فضلاً عن رسول الله
وقد قال الله :

« وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ
يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
مُبِينًا » وقال : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ
ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » .

الثالثة أن كتاب الله لو كان كافياً عما أراد صلوات الله عليه وآله كتابته لم
يطلب ما يكتب أتراه يطلب عبثاً أم يريد لغواً ؟ و نقول لم لم يكف الكتاب
و اختلت أمر الأمة و انفصمت جبل الملة و تهدمت أركان الهدى و انطمست
أعلام التقى .

قال السيد بن طاووس في محكمي كلامه من كتاب الطرايف : من أعظم طرايف
المسلمين أنهم شهدوا جميعاً أن نبيهم أراد عند وفاته أن يكتب لهم كتاباً لا يضلون بعده أبداً ،
و أن عمر بن الخطاب كان سبب منعه من ذلك الكتاب و سبب ضلال من ضل من
أمته و سبب اختلافهم و سفك الدماء بينهم و تلف الأموال و اختلاف الشريعة
و هلاك اثنين و سبعين فرقة من أصل فرق الاسلام و سبب خلود من يخلد في
النار منهم .

ومع هذا كلّه فان أكثرهم أطاع عمر بن الخطاب الذي قد شهدوا عليه بهذه الأحوال في الخلافة وعظموه وكفروا بعد ذلك من يطعن فيه ، وهم من جملة الطاعين ، و ضلّوا من يذمّهم وهم من جملة الذّامين ، وتبرؤوا ممن يقبح ذكره وهم من جملة المقبحين.

الرابعة ان غيظ رسول الله و غضبه عليه و أمره له بالخروج من البيت و المتنازعين مع خلقه العظيم و عفوه الكريم و ملاحظته في الفظاظة و الغلظة انقضاء الخلق كما قال سبحانه:

« وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ » .

لم يكن إلا لشدة اسائه الأدب والوقاحة و بلوغه في أذى رسول الله ﷺ الغاية بحيث لم يتحملها صلوات الله عليه وآله وقد قال تعالى:

« إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا »

قال الجوهرى : و حدثنا أحمد بن سيار عن سعيد بن كثير الأنصاري عن عبدالله بن عبدالله بن الرحمن أن رسول الله ﷺ في مرض موته أمر أسامة بن زيد ابن حارثة على جيش فيه جلّة المهاجرين والأنصار منهم أبوبكر و عمرو أبو عبيدة بن الجراح و عبدالرحمن بن عوف و طلحة والزبير و أمره أن يغير على موتة (١) حيث قتل أبوه زيد و أن يغزى و ادى فلسطين ، فتناقل أسامة و تناقل الجيش بتناقله و جعل رسول الله ﷺ يتقل و يغف و يؤكّد القول في تنفيذ ذلك البعث .

حتى قال له اسامة : بأبي أنت و أمي أتأذن لي أن أمكث أياما حتى يشفيك الله؟ فقال : اخرج و سر على بركة الله ، فقال : يا رسول الله إني إن خرجت و أنت على هذه الحال خرجت و في قلبي قرحة منك ، فقال ﷺ سر على النصر و العافية ، فقال .

يا رسول الله إنني أكره أن أسأل عنك الركباني ، فقال ﷺ انفذ لما أمرتك به .
ثم أغمى على رسول الله ﷺ و قام اسامة فجهز للخروج ، فلما أفاق رسول
الله ﷺ سأل عن أسامة والبعث ، فأخبر أنهم يتجهزون ، فيجعل يقول انفذوا بعث
اسامة لعن الله من تخلف عنه و يكرّر ذلك .

فخرج اسامة واللواء على رأسه والصحابة بين يديه ، حتى إذا كان بالجرف (١)
نزل و معه أبو بكر و عمر و أكثر المهاجرين ، و من الأنصار أسيد بن حصين و بشير
ابن سعد و غيرهم من الوجوه ، فجاءه رسول ام أيمن يقول له ادخل فان رسول الله
يموت ، فقام من فوره و دخل المدينة واللواء معه فجاء به حتى ركزه باب رسول
الله و رسول الله ﷺ قدمات في تلك الساعة ، قال : فلما «فماظ» كان أبو بكر و عمر
يخطبان اسامة إلى أن ماتا إلا بالأيمير .

أقول و نقل الشارح بعث جيش اسامة قبل في شرح الخطبة الشقشقية أيضاً
بتغيير يسير لما أورده هنا من الجوهرى ، و قال هناك بعد نقله ما هذه عبارته .
و تزعم الشيعة أن رسول الله ﷺ كان يعلم موته و أنه سير أبابكر و عمر
في بعث اسامة لتخلو دار الهجرة منهما فيصفا لأمر لعلي عليه السلام و يبايعه من تخلف
من المسلمين في مدينة على سكون و طمأنينة ، فاذا جاءهما الخبر بموت رسول الله
و بيعة الناس لعلي بعده كانا عن المنازعة والخلاف أبعداً لأن العرب كانت تلتزم
باتمام تلك البيعة و تحتاج في نقضها إلى حروب شديدة ، فلم يتم له ما قدّر و تناقل
بالجيش أيضاً ما مع شدة حث رسول الله على نفوذه و خروجه بالجيش حتى مات
وهما بالمدينة فسبقا عليا إلى البيعة و جرى ما جرى .

ثم قال : و هذا عندي غير منقذ لأنه إن كان يعلم موته فهو أيضاً يعلم أن
أبابكر سيلي الخلافة و ما يعلمه لا يحترس منه ، و إنما يتم هذا و يصح إذا فرضنا
أنه ﷺ كان يظن موته ولا يعلمه حقيقة و يظن أن أبابكر و عمر يتملان
على ابن عمه و يخاف وقوع ذلك منهما ولا يعلمه حقيقة فيجوز إن كانت الحال

هكذا أن ينقذ هذا التوهّم ويتطرق هذا الظن
 كالأحد منّا له ولدان يخاف من أحدهما أن يتغلب بعد موته على جميع
 ماله ولا يوصل أخاه إلى شيء من حقه فانه قد يخطر له عند مرضه الذي يتخوف أن
 يموت فيه أن يأمر الولد المخوف جانبه بالسفر إلى بلد بعيد في تجارة يسلمها إليه
 يجعل ذلك طريقاً إلى دفع تغلبه على الولد الآخر .

أقول : ما نسبه إلينا معاصر الشيعة حق لا ريب فيه ، وما أورده علينا ظاهر
 الفساد إذ علم النبي بموته وبتولي أبي بكر الخلافة لا ينافي الأمر ببعثه مع اسامة
 وإلا لتوجه هذا الاشكال في أوامر الله سبحانه ، فانه قد أمر العصاة بالاطاعة والكفار
 بالاسلام مع علمه بانهم لا يطيعون وأنهم على كفرهم باقون ، نعم هذا يناسب على
 اصول الأشاعرة القائلين بالجبر و الشارح عدلي المذهب لا مساس لما أورده
 على مذهبه .

و تحقيق الكلام أن النبي ﷺ كان يعلم موته و يعلم أن أبا بكر يغصب
 الخلافة ومع علمه بذلك بعثه في الجيش ليفهم الخلق ويعرفهم أنه ليس راضياً بخلافته
 وينبهم على خلافه و عظم جرمه و جريرته ومخالفته للحكم الالزامي المؤكد الذي
 كرره صلوات الله عليه وآله مرة بعد أخرى

و ليعلمهم أيضاً أنه يرجوعه إلى المدينة مستحقاً لللعن الدائم والعذاب الأليم
 مضافاً إلى ما في ذلك البعث من نكتة أخرى ، وهو هي ظم التنبيه على مقام أبي بكر وعمر
 والايماة إلى أن من كان محكوماً عليه بحكم مثل اسامة ومأموراً بأمره لا يكون له
 قابلية واستعداد لأن يكون أميراً لجميع الأمة واماماً لهم

و الحاصل أن النبي ﷺ كان عالماً بموته وبأن ما قدره و أراد في حق
 أمير المؤمنين عليه السلام لا يتم له ، ومع ذلك سير الرجلين إعلاماً للخلق بأنه لا يرضى
 بهما خلافة وأنهما غير قابلين لذلك ، وإفهاماً لهم بأن أمير المؤمنين عليه السلام هو القابل

له ، وأنه ﷺ أراد قيامه عليه مقامه ﷺ ، فحاولوا بينه وبينه

الترجمة

از جمله کلام آن جناب علیه الصلاة والسلام است در خصوص انصار ، گفته اند
راویان زمانی که رسید بامیرالمؤمنین خبرهای سقیفه بنی ساعده و احتجاجات
مهاجرین و انصار در باب خلافة بعد از وفات حضرت رسول مختار ، فرمود آنحضرت
که چه گفتند انصار بمهاجرین ؟ عرض کردند که چنین گفتند که باید از ما امیری
باشد و از شما امیری فرمود :

پس چرا احتجاج نکردید برایشان باینکه رسول خدا وصیت فرمود در حق
ایشان باینکه احسان بشود در حق نیکوکارایشان و در گذرند از بدکردار ایشان ،
عرض کردند که چگونه باشد در این گفتار حجّة بر انصار پس فرمود آن حضرت
که اگر بود خلافت در ایشان نمی بود وصیت پیغمبر بایشان یعنی لازم بود که پیغمبر
دیگران را بایشان بسپارد نه اینکه سفارش ایشان را بدیگران بکند بعد از آن
فرمود آن حضرت :

پس قریش در مقام احتجاج چه گفتند بآنصار ؟ عرض کردند که حجّت آوردند
باینکه ایشان شجره رسول خدایند ، پس فرمود که : حجّة آوردند بشجره وضایع
کردند نمره او را ، یعنی بدرخت حجّة می آوردند و نمره او را که آل محمد علیه و علی
آله الصلاة والسلام هستند مهمل می گذارند ، اللهم وفقنا .

و من کلام له علیه السلام و هو السابع والستون
من المختار فی باب الخطب

لما قُتل محمد بن أبي بكر مصر فملك عليه وقتل رحمة الله عليه
وَ كَذَلِكَ أَرَدْتُ تَوَلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمِ بْنِ عْتَبَةَ ، وَ لَوْ وَ لِيَتْهُ إِبَاهَا لَمَا خَلَى
لَهُمُ الْعَرَصَةَ ، وَ لَا أَنْهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ ، بِلَا ذَمِّ لِمُحَمَّدٍ ، فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيبًا

وَلِي رَيْبًا .

اللفظة

(العرصة) كل بقعة من الدور واسعة ليس فيها بناء و المراد هنا عرصة مصر و (نهزت الفرصة) و انتهزتها اغتنمتها ، و انتهزت الفرصة بهمزة التَّعدية اى انتهزتها غيري و (الريب) ابن امرء الرجل من غيره .

الاعراب

قوله بلا ذم ، كلمة لانافية معترضة بين الخافض والمخفوض ، وقال الكوفيون إنها اسم بمعنى غير و الجار داخل عليها نفسها و مابعدا مجرور باضافتها إليه ، وغيرهم يراها حرفاً و يسميها زائدة و ان كانت مفيدة معنى كما يسمون كان في نحو زيد كان فاضلا زابدا فهي زائدة لفظاً من حيث فصول عمل ما قبلها الى مابعدا غير زائدة معنى لافادتها النفي

المعنى

اعلم انه (لما قلد محمد بن أبي بكر مصر) قبل وقعة صفين اى جعله و اليها كان ولايتها قلادة في عنقه لكونه مسؤولا عن خيرها و شرها وانصرف الناس من صفين لم يزد معاوية إلا قوة فبعث جيشا كثيفا إلى مصر فقاتلوا محمداً (فملك) مصر (عليه) اى اخذه معاوية منه قهراً و استولى عليه (و قتل) محمد قتله معاوية بن حديج الكندي حسبما تعرفه فلما جاءه ~~عنه~~ نعى محمد قال (وقد أردت تولية مصر هاشم بن عتبة) ابن أبي وقاص (ولو وليته اياها لما خلا لهم العرصة و لا انتهزم الفرصة) كما انتهزها محمد اياهم و خلاها لهم وفر منها ظاناً انه بالفرار ينجو بنفسه فلم ينج واخذ و قتل (بلا ذم لمحمد) اى لست في كلامي ذلك ذاماً له لكون ذلك التغلية منه للعدو من العجز لا من التصير و التواني (فإنه) لقد كان إلى حبيبا و) كان (لى ريبا)

تنبيهات الاول

في ترجمة محمد بن أبي بكر و هاشم بن عتبة

أما محمد فهو جليل القدر عظيم المنزلة من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام

قال ابن طاووس : ولد في حجة الوداع قتل بمصر سنة ثمان وثلاثين من الهجرة
وعن رجال الكشي عن الصادق عليه السلام محمد بن أبي بكر أنه النجابة من قبل
أمه أسماء بنت عميس ، وعنه أيضاً مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام أن محمد بن أبي بكر بايع
عليها على البرائة من أبيه ، وفي شرح المعتزلي أم محمد أسماء بنت عميس بن النعمان
ابن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم كانت تحت جعفر بن أبي طالب وهاجرت معه
إلى الحبشة فولدت له هناك عبدالله بن جعفر الجواد ، ثم قتل عنها يوم موتة فخلف
عليها أبو بكر فأولدها غداً ، ثم مات عنها فخلف عليها علي بن أبي طالب عليه السلام وكان
محمد ربيته وخرجه وجارياً عنده مجرى أولاده ورضع الولد والتشيع من زمن الصبا فنشأ
عليه فلم يكن يعرف أباً غير علي عليه السلام ولا يعتقد لأحد فضيلة غيره حتى قال علي :
محمد ابني من صلب أبي بكر ، وكان يكنى أبا القاسم في قول ابن قتيبة ، وقال غيره
بل يكنى أبا عبد الرحمن

وكان محمد من نساك قريش وكان ممن أعان يوم الدار ، واختلف هل باشر
قتل عثمان أولاً ، ومن ولد محمد القاسم بن محمد فقيه الحجاز وفاضلها ، ومن ولد القاسم
عبد الرحمن بن القاسم كان من فضلاء قريش يكنى أبا محمد ، ومن ولد القاسم أيضاً أم فروة
تزوجها الباقر أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام انتهى .

أقول : وقد تقدم في شرح الخطبة الششقية أن الصادق عليه السلام تولد من
أم فروة .

وفي مجالس المؤمنين أن أهل السنة يسمون معاوية بسبب أخته أم حبيبة
خال المؤمنين ولا يسمون محمداً بذلك مع أن عائشة أخته وهي أم المؤمنين عندهم
وذلك لنصب معاوية وعداوته لأمر المؤمنين عليهم السلام وكون محمد رضي الله عنه من خواص
أصحابه وخلص تلامذته ، ومن شعره رضي الله عنه :

يا أبا ناقد وجدنا ما صلح	خاب من أنت أبوه وافتضح
إنما أخرجنا منك الذي	أخرج الدر من الماء الملح
أنسيت العهد في خم و ما	قاله المبعوث فيه و شرح

فبك وصى أحمد في يومها
 أم بارث قد تَمَّصت بها
 و سئلك المصطفى عما جرى
 ثم عن فاطمة وارثها
 ما ترى عندك في الحشر غداً
 فعليك الخزي من رب السماء
 يا بني الزهراء أنتم عدتي
 و إذا صحّ ولاني بكم

و أما هاشم فهو ابن عتبة بن أبي وقاص وسمى المرقال لأنه كان يرقل في الحرب ، وعن الاستيعاب أنه كان من أصحاب رسول الله ﷺ نزل الكوفة و كان من الفضلاء الخبار ، و كان من الأبطال ، و فقت عينه يوم البرموك ؛ و كان خيراً فاضلاً شهد مع علي عليه السلام الجمل ، و شهد صفين و أبلا بلاء حسنا و بيده كانت راية علي على الرجالة يوم صفين ، و يومئذ قتل و كانت صفين سنة سبع و ثلاثين أقول : و قد تقدم كيفية قتاله و شجاعته و شهادته رضي الله عنه في شرح الخطبة الخامسة و الستين .

الثاني

في الإشارة إلى بعض الفتن الحادثة بمصر ، و شهادة محمد بن أبي بكر رضي الله عنه فأقول : في شرح المعتزلي و البحار جميعاً من كتاب الغارات لابراهيم بن محمد الثقفي قال ابراهيم : باسناده عن الكلبي أن محمد بن حذيفة هو الذي حرّض المصريين على قتل عثمان و ندبهم إليه ، و كان حينئذ بمصر ، فلما ساروا إلى عثمان و حصروه و نهب هو بمصر على عامل عثمان عليها ، وهو عبدالله بن سعد بن أبي سرح فطرده عنها و صلى بالناس ، فخرج ابن أبي سرح من مصر و نزل على تخوم أرض مصر مما يلي فلسطين ، و انتظر ما يكون من أمر عثمان ، فلما بلغ إليه خبر قتله و بيعه الناس لأمير المؤمنين عليه السلام لحق بمعاوية .

قال : فلمّا ولى عليّ عليه السلام الخلافة و كان قيس بن سعد بن عبادة من شيعة
و مناصبه قال له : سر إلى مصر فقد وليتها و اخرج إلى ظاهر المدينة و اجمع
نقاتك و من أحببت أن يصحبك حتى تأتي مصر ومعك جند ، فان ذلك ارجب لعدوك
و أعز لوليك ، فإذا قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن و اشدد على المريب ، و ارفق
بالعامّة و الخاصّة فالرفق يمن

فقال قيس : يا أمير المؤمنين قد فهمت ما ذكرت ، فأما الجند فأنى ادعلك
فاذا احتجت إليهم كانوا قريباً منك ، وإن أردت بعثهم إلى وجه من وجوهك كانوا
لك عدّة ولكني أسير إلى مصر بنفسي و أهل بيتي ، و أمّا ما وصيتني به من الرفق
و الاحسان فالله هو المستعان على ذلك

قال : فخرج قيس في سبعة نفر من أهله حتى دخل مصر و سعد المنبر و أمر بكتاب
معه يقرء على الناس فيه :

من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي من المسلمين ، سلام عليكم
فأنى أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو ، أمّا بعد فان الله بحسن صنعه و قدره و تدبيره
اختار الاسلام ديناً لنفسه و ملائكته و رسله ، و بعث أنبيائه إلى عبادِه ، فكان ممّا أكرم الله
عزّ و جلّ به هذه الأمة و خصّهم به من الفضل أن بعث محمداً عليه السلام إليهم فعلمهم الكتاب
و الحكمة و السنّة و الفرائض ، و أدبهم لكيما يمتدوا و اجتمع لهم لكيلا يتفرقوا ، و زكّاهم لكيما
يتطهروا فلمّا قضى من ذلك ما عليه قبضه الله إليه ، فعليه صلوات الله و سلامه و رحمته و رضوانه
ثم إن المسلمين من بعده استخلفوا أميرين منهم صالحين (١) أحيا السيرة
و لم يعدوا لسنة ، ثم توفيا فولى بعدهما من أحدث أحداثا فوجدت الأمة عليه
مقالاً فقالوا ثم نعموا عليه فغيروا ثم جازوني فبأبوهوني و أنا أستهدى الله للهدى و أستعينه
على التقوى ، ألا وان لكم علينا العمل بكتاب الله و سنة رسوله و القيام بحقه و النصيح
لكم بالقيس و الله المستعان و حسبنا الله و نعم الوكيل

و قد بعثت لكم قيس بن سعد الأناصري أميراً فوازره و أعينوه على الحق ،
و قد أمرته بالاحسان إلى محسنكم و الشدة على مريبكم و الرفق بعوامكم و خواصكم

و هو ممن ارضى هديه و أرجو صلاحه و نصحه ، نسأل الله لنا و لكم عملا زاكيا
و ثوابا جزيلا و رحمة الله و بركانه ، و كتب عبيدالله بن أبي رافع في صفر سنة ست
و ثلاثين .

قال : فلمّا فرغ من قراءة الكتاب قام قيس خطيباً فحمد الله و أننى عليه
و قال :

الحمد لله الذى جاء بالحقّ و أمات الباطل و كبت الظالمين أيّها الناس إنا
بايعنا خير من نعلم بعد نبينا فقوموا بآبائكم على كتاب الله و سنّة نبيه فإن نحن لم نعمل
فيكم بكتاب الله و سنّة رسول الله فلا يبيعه لنا عليكم .

فقام الناس فبايعوه و استقامت مصر و أعمالها لقيس و بعث عليها عماله إلاّ
أنّ قرية فيها قد أعظم أهلها قتل عثمان و بهار رجل من بنى كنانة يقال له يزيد بن
الحرث فبعث إلى قيس إنا لانايتك فابعث عمّا لك فالأرض أرضك ولكن اقرنا
على حالنا حتّى ننظر إلى ما يصير أمر الناس و وثب مسلمة بن مخلد الأنصارى و دعا إلى
الطلب بدم عثمان ، فأرسل إليه قيس و يحك أعلىّ ثنّب و الله ما أحبّ أنّ لى ملك
الشام و مصر و اننى قتلتك فاحقن دمك ، فأرسل إليه مسلمة إنى كاف عنك ما دممت
والى مصر .

و كان قيس ذارأى و حزم فبعث إلى الذين اعتزلوا أننى لا اكرهكم على
اليعة ولكننى أدعكم و اكف عنكم ، فهادنهم و هادن مسلمة بن مخلد و جيه
الخراج و ليس احد ينازعه .

قال إبراهيم : و خرج علىّ إلى الجمل و قيس على مصر و رجع إلى الكوفة
من البصرة و هو بمكانه و كان أنقل خلق الله على معاوية لقرب مصر و أعمالها من الشام
فكتب معاوية إلى قيس و علىّ عليه السلام يومئذ بالكوفة قبل أن يسير إلى صفين :

من معاوية بن أبي سفيان إلى قيس بن سعد سلام عليك فاننى أحمد إليك الله
الذى لا إله إلاّ هو أمّا بعد إن كنتم نتمتم على عثمان في ائرة «عشرة» رأيتموها أو ضربة
سوط ضربها أو في شتمة أو تمييزه أحدا أو في استعماله الفتيان من أهله فانكم قد

علمتم إن كنتم تعلمون أن دمه لا يحل لكم بذلك ، فقد ركبتم عظيماً من الأخطاء ورجعتم شيئاً إداً ، فتب يا قيس إلى ربك إن كنت من المجلبين على عثمان إن كانت التوبة قبل الموت تغنى شيئاً.

وأما صاحبك فقد استيقنا أنه أغرى الناس به و حملهم على قتله حتى قتلوه وأنه لم يسلم من دمه عظم قومك ، فان استطعت يا قيس أن تكون ممن يطلب بدم عثمان فافعل و بايعنا على علي في أمرنا هذا و لك سلطان العراقيين إن أناظفرت ما بقيت و لمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز مادام لي سلطان ، و سلمي عن غير هذا مما تحب فانك لاتسألني شيئاً إلا أتيتك و اكتب الي رأيك فيما كتبت اليك .

فلما جاء إليه كتاب معاوية أحب أن يدفعه و لا يبدى له أمره و لا يعجل له حربته فكتب إليه : أما بعد فقد وصل إلي كتابك و فهمت الذي ذكرت من أمر عثمان و ذلك أمر لم أقاربه و ذكرت أن صاحبي هو الذي أغرى الناس بعثمان و دسهم إليه حتى قتلوه ، و هذا أمر لم اطلع عليه ، و ذكرت لي أن عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فلعمري إن أولى الناس كان في أمره عشيرتي .

و أما ما سألتني من مبايعتك على الطلب بدمه و ما عرضته علي فقد فهمته و هذا أمر لي فيه نظر و فكر و ليس رأس هذا ممّا يجعل إلي مثله و أنا كاف عنك و ليس يأتيك من قبلي شيء تكرهه حتى ترى و ترى إنشاء الله و السلام عليك و رحمة الله و بركاته.

قال إبراهيم : فلما قرء معاوية الكتاب لم يره إلا مقاربا مباحداً و لم يأ من أن يكون مخادعا مكابداً فكتب إليه :

أما بعد فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدك سلماً ، ولم أرك تتباعد فأعدك حرباً أراك كالجمال الجرور (١) كخيال الحرونخ ، و ليس مثلي يصانع بالخداع و لا يخدع بالمكائد و معه عدد الرّجل و أنة الخيل ، فان قبلت الذي عرضت عليك فلك ما أعطيتك و ان أنت لم تفعل ملئت مصر عليك خيلاً و رجلاً و السلام.

١- جمال جرور يصنع القيادة ، و بشر بعيدة ، ق .

فلما قرء قيس كتابه و علم انه لا يقبل منه المدافعة والمطالبة أظهر له ما في نفسه ، فكتب إليه من قيس بن سعد إلى معاوية بن أبي سفيان .

أما بعد فالعجب من استسقاطك رأيي والطمع فيما تسو مني (١) لا أبأ لغيرك من الخروج من طاعة أولى الناس بالأمر و أقولهم بالحق و أهداهم سيلا و أقربهم من رسول الله و سيلة أتأمرني بالدخول في طاعتك طاعة أهد الناس من هذا الأمر و أقولهم بالزور و أضلهم سيلا و اناهم من رسول الله و سيلة و لديك قوم ضالون مضلون طواغيت إبليس ، و أمأ قولك إنك تملأه على مصر خيلا و رجلا فلئن لم أشغلك من ذلك حتى يكون منك انك ذوجد و السلام .

فلما أتى معاوية كتاب قيس آيس و نقل مكانه عليه و كان يحب أن يكون مكانه غيره أعجب لما يعلم من قوته و بأسه و نجدته ، فاشتد أمره على معاوية فأظهر للناس أن قيسا قد بايعكم فادعوا الله له و قرء عليهم كتابه الذي لان فيه و قاربه و اختلق كتابا نسيه إلى قيس فقرئه على الناس للأمر معاوية بن أبي سفيان من قيس ابن سعد :

أما بعد إن قتل عثمان حدث في الاسلام عظيما و قد نظرت لنفسي و ديني فلم أري سعي و ديني مظهرة قوم قتلوا إمامهم مسلما ، فنستغفر الله سبحانه لذنوبنا و نسأله العصمة لديننا ألا و إنني قد القيت إليك بالسلام و أجبتيك إلى قتال قتلة امام المهدي المظلوم فاطلب مني ما احببت من الأمور و الرّجال اعجله إليك إن شاء الله ، و السلام على الامير و رحمة و بر كاته .

قال فشاع في الشام كلها أن قيسا صالح معاوية و أنت عيون علي بن أبي طالب إليه بذلك ، فأعظمه و أكبره و تعجّب له و دعا ابنه حسنا و حسينا و ابنه محمدا و عبد الله بن جعفر فأعلمهم بذلك و قال : ما رأيكم؟ فقال عبد الله بن جعفر : يا أمير المؤمنين دع ما يريبك إلى ما لا يريبك اعزل قيسا عن مصر ، قال علي ﷺ و الله إنني غير مصدق بهذا على قيس ، فقال عبد الله : اعزله يا أمير المؤمنين فان كان ما قد قيل حقا لا يعتزل

لك إن عزلته .

قال : و انهم لكذلك إذ جائهم كتاب من قيس بن سعد فيه .
 أما بعد فأنى أخبرك يا أمير المؤمنين أكرمك الله وأعزك ، إن قبلى رجسالا
 معتزلين سألونى أن أكف عنهم و أدهم على حالهم حتى يستقيم أمر الناس و نرى
 و يرون ، و قدر أيت أن أكف عنهم ولا اعجل بحربهم و ان اتالفهم بين ذلك
 لعل الله أن يقبل بقلوبهم و يفرقهم عن ضاللتهم إن شاء الله و السلام .
 فقال عبدالله بن جعفر : يا أمير المؤمنين إنك إن أطعته في تركهم و اعتزالهم
 استسرى الأمر و تفاقمت الفتنة و قعد عن بيعتك كثير ممن تريد على الدخول فيها
 ولكن مره بقتالهم ، فكتب إليه :
 أما بعد فسر إلى القوم الذين ذكرت فان دخل فيما دخل فيه المسلمون
 و إلا فناجزهم و السلام .

فلما اتى هذا الكتاب قيسا فقره لم يتمالك ان كتب إلى علي عليه السلام
 أما بعد يا أمير المؤمنين تأمرنى بقتل قوم كافين عنك لم يمد و ابدأ للفتنة
 ولا أرسدوا لها فأطعنى يا أمير المؤمنين و كف عنهم فان رأى تركهم و السلام
 فلما أتاه الكتاب قال عبدالله بن جعفر ، يا أمير المؤمنين ابعث محمد بن أبي بكر
 إلى مصر يكفيك و اعزل قيسا فوالله ليبلغنى أن قيسا يقول ان سلطانا لا يتم إلا بقتل
 مسلمة بن مخلد لسلطان سوء والله ما احب أن لى سلطان الشام مع سلطان مصر
 و اننى قتلت ابن مخلد .

و كان عبدالله بن جعفر أخا محمد بن أبي بكر لأمه و كان يحب أن يكون له
 امرة و سلطان فاستعمل علي محمد بن أبي بكر مصر لمحبتة له و لهوى عبدالله بن
 جعفر أخيه فيه و كتب معه كتابا إلى أهل مصر فسار حتى قدمها فقال له قيس : ما
 بال أمير المؤمنين ما غيره أدخل أحد بينى و بينه ، قال : لا و هذا السلطان سلطانك
 و كان بينهما نسب و كان تحت قيس قريبة بنت أبي قحافة اخت أبي بكر فكان قيس
 زوج عمته ، فقال قيس : لا والله لا اقيم معك ساعة واحدة فغضب و خرج من مصر

مقبلا إلى المدينة ولم يمض إلى علي بالكوفة .

فلما قدم المدينة جاء حسان بن ثابت شامتا به و كان عثمانيا فقال له : نزعك علي بن أبي طالب وقد قتلت عثمان فبقي عليك الاثم ولم يحسن عليك الشكر ، فزجره قيس و قال : يا أعمى البصر والله لولا أن التقى بيني وبين رهطك حربا لضربت عنقك ثم أخرجه من عنده .

ثم إن قيسا وسهل بن حنيف خرجا حتى قدما على علي عليه السلام الكوفة فخبيره قيس الخبر و ما كان بمصر ، فصدقه و شهد مع علي بصفين هو وسهل بن حنيف و كان قيس طوالا أطول الناس و أمدهم قامة و كان سبطا أصلع شجاعا مجربا مناصحا لعلي عليه السلام ولولده ولم يزل على ذلك إلى أن مات .
و عن هشام بن عروة قال : كان قيس على مقدمة علي بصفين معه خمسة آلاف قد حلقوا رؤوسهم .

وفي البحار وجدت في بعض الكتب أن عزل قيس من مصر مما غالب أمير المؤمنين أصحابه و اضطروه إلى ذلك ولم يكن هذا رأيه كالتحكيم و لعله أظهر وأصوب .
قال إبراهيم و كان عهد علي عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر :
هذا ما عهد عبدالله علي أمير المؤمنين إلى محمد بن أبي بكر حين ولاء مصر ؛ أمره بتقوى الله في السر و العلانية و خوف الله في المغيب و المشهد ، و أمره باللين على المسلم و الغلظة على الفاجر ، و بالعدل على أهل الذمة و بالانصاف للمظلوم و ما يشده على الظالم ، و بالعمو على الناس و بالاحسان ما استطاع و الله يجزي المحسنين و يعذب المجرمين ، و أمره ان يدعو من قبله إلى الطاعة و الجماعة فان لهم في ذلك من العافية و عظم المتوبة ما لا يقدر قدره و لا يعرف كنهه .

و أمره أن يجبي خراج الأرض على ما كانت تجبي عليه من قبل لا ينتقص و لا يبتدع ثم يقسمه بين أهله كما كانوا يقسمونه عليه من قبل ، و ان تكن لهم حاجة يواسي بينهم في مجلسه و وجهه ليكون القريب و البعيد عنده على سواء ، و أمره أن يحكم بين الناس بالحق و أن يقوم بالتسطاس و لا يتبع الهوى و لا يخاف في الله لومة

لائم فإن الله مع من اتقاه وآثر طاعته على من سواه ، و كتب عبيدالله بن أبي رافع مولى رسول الله بغيره شهر رمضان سنة ست وثلاثين

قال إبراهيم : ثم قام محمد بن أبي بكر خطيباً فحمد الله و أنى عليه وقال :
 أما بعد فالحمد لله الذي هدانا و إياكم لما اختلف فيه من الحق ، و بصّرنا
 و إياكم كثيراً ممّا عمى عنه الجاهلون الأ و إن أمير المؤمنين ، و لأنى اموركم و عهد
 إليّ بما سمعتم و أوصاني بكثير منه مشافهة و لن الوكم جهداً ما استطعت ، و ما توفيقى
 إلا بالله عليه توكلت و إليه ائيب ، فان يكن ماترون من آثاري و أعمالى طاعة لله
 و تقوى فاحمدوا الله على ما كان من ذلك فانه هو الهادى إليه ، و إن رأيتم من ذلك
 عملاً بغير الحق فارفعوه إلى فاني بذلك أسعد و أتمم بذلك جديرون ، و فقتنا لله و إياكم
 لصالح العمل .

أقول : و لا أمير المؤمنين عليه السلام كتاب آخر مبسوط إلى محمد و أهل مصر و رواه
 إبراهيم نرويه إن شاء الله في باب الكتب إن ساعدنا التوفيق و المجال
 ثم قال إبراهيم : فلم يلبث محمد بن أبي بكر شهراً كاملاً حتى بعث إلى أولئك
 المعتزلون الذين كان قيس بن سعد موادعاهم ، فقال : يا هؤلاء إنا أن تدخلوا في
 طاعتنا و إنا ان تخرجوا من بلادنا ، فبعثوا إليه إنا لا نفعل فدعنا حتى ننظر إلى
 ما يصير أمر الناس فلا تعجل علينا فأبى عليهم فامتنعوا منه و أخذوا حذرهم ، ثم كانت
 وقعة صفين ردهم لمحمد هابيون

فلما أتاهم خبر معاوية و أهل الشام ثم صار الأمر إلى الحكومة و أن علياً
 و أهل العراق قد غفلوا عن معاوية و الشام إلى عراقهم ، اجترأ على محمد و أظهروا
 المنابذة له ، فلما رأى محمد ذلك بعث إليهم ابن جهمان البلوى و معه يزيد بن الحرث
 الكنانى فقاتلهم فقتلوهما .

ثم بعث إليهم رجلا من كلب فقتلوه أيضاً ، وخرج معاوية بن حديج (١) من البسكاسك يدعو إلى الطلب بدم عثمان ، فأجابه القوم وناس كثير آخرون وفسدت مصر على محمد بن أبي بكر ، فبلغ عليانوتوبهم عليه ، فقال : مالي أرى لمصر إلا و أحد الرجلين صاحبنا الذي عزلناه بالأمس يعني قيس بن سعد أو مالك بن الحرث الأشر وكان علي حين رجوع عن صفين رد الأشر إلى عمله بالجزيرة وقال لقيس بن سعد : أقم أنت معي على شرطتي حتى نفرغ من أمر هذه الحكومة ثم أخرج إلى اذريجان فكان قيس مقيماً على شرطته .

فلما انقضى أمر الحكومة كتب إلى الأشر وهو يومئذ بنصيبين وطلبه إليه وبعثه إلى مصر ومات قبل الوصول إليه بتفصيل تطلع عليه في باب الكتب أيضاً إن شاء الله قال ابراهيم : فحدث محمد بن عبدالله عن أبي سيف المدياني عن أبي جهضم الأزدى أن أهل الشام لما انصرفوا عن صفين وأتى بمعاوية خبر الحكمين وبايعه أهل الشام بالخلافة لم يزدوا إلا قوة ولم يكن لهم هم إلا مصر فدعا عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبسر بن أرطاة والضحاك بن قيس وعبدالرحمن بن خالد وشرجيل بن السمط وأبا الأعور السلمي وحمزة بن مالك فاستشارهم في ذلك

قال عمرو بن العاص : نعم الرأي رأيت في افتتاحها عزك وعز أصحابك وذل عدوك ، وقال آخرون نرى ما رأى عمرو ، فكتب معاوية إلى مسلمة بن مخلد الانصارى وإلى معاوية بن حديج الكندي وكانا قد خالفا علياً فدعاهما إلى الطلب بدم عثمان ، فأجابا وكتبوا إليه : عجل لنا بخيلك ورجلك فاننا ننصرك ويفتح الله عليك .

فبعث معاوية عمرو بن العاص في ستة آلاف فسار عمرو في الجيش حتى دنى من مصر فاجتمعت إليه العثمانية فأقام ، وكتب إلى محمد بن أبي بكر أما بعد ففتح عني يابن أبي بكر فأنسى لا أحب أن يصيبك مني ظفر وأن

١- قال الدميري في حياة الحيوان معاوية بن حديج بقاء مهلة مضمومة ودال مهلة مفتوحة ويالجم في آخره كذا ضبطه ابن السمعاني في الانساب وابن عبد البر وقتيبة وغيرهم منه

الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك وندموا على اتباعك وهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطنان ، فأخرج منها فاتني لك من الناصحين والسلام قال : وبعث عمرو إلى محمد مع هذا الكتاب كتاب معاوية إليه وهو

أما بعد فإن غيب الظلم و البغي عظيم الوبال وإن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النقمة في الدنيا والتسعة الوبقة في الآخرة ، وما نعلم أحداً كان أعظم على عثمان بغيا ولا أسوء له عينا ولا أشد عليه خلافا منك ، سعت عليه في الساعين وساعدت عليه في المساعدين وسفكت دمه مع السافكين ، ثم تظن أنني نائم عنك فتأتي بلدة فتأمن فيها وجل أهلها أنصاري يرون رأيي ويرفعون قولك ويرقبون عليك وقد بعثت اليك قوما حناقاعليك يسفكون دمك ويتقربون إلى الله عز وجل بجهادك وقد اعطوا الله عهداً ليقتلنك و لو لم يكن منهم إليك ما قالوا لقتلك الله بأيديهم أو بأيدي غيرهم من أوليائه ، وأنا احذرك وانظرك فإن الله مقيد منك ومقتص لوليته و خليفته بظلمك به و بغيك عليه و وقيعتك فيه و عداوتك يوم الدار عليه ، تطعن بمشاقصك فيما بين أحشائه وأوداجه ، ومع هذا فأنسى أكره قتلك ولا أحب أن أتولى ذلك منك ولن يسلمك الله من النقمة ابن كنت أبداً فتتح و انج بنفسك والسلام .

قال : فطوى محمد بن أبي بكر كتابيهما وبعث بهما إلى علي عليه السلام وكتب إليه : أما بعد يا أمير المؤمنين فإن العاصي ابن العاص قد نزل أدنى مصر و اجتمع إليه من أهل البلد كل من كان يرى رأيهم وهو في جيش جرار وقد رأيت ممن قبلي بعض الفشل فان كان لك في أرض مصر حاجة فامدني بالأموال والرجال ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

فكتب عليه السلام إليه : فقد أتاني رسولك بكتاب تذكر أن ابن العاص قد نزل أدنى مصر في جيش جرار و أن من كان على مثل رأيه قد خرج إليه وخرج من كان على رأيه خير من اقامته عندك ، وذكرت أنك قد رأيت ممن قبلك فشلا فلا تفشل وان فشلوا ، حصن قريتك و اضمم إليك شيعتك ، وادل الحرس في عسكريك وانذب الى القوم كنانة بن بشر المعروف بالنصيحة والتجربة والبأس ، فانا نادى اليك الناس

على الصعب والذلول فاصبر لعدوك واهض بصيرتك وقاتلهم على نيتك وجهادهم محتسبا منه سبحانه، وإن كان فتك أقل الفتنين فإن الله تعالى يعين القليل ويخذل الكثير. وقد قرئت كتاب الفاجر بن المتحابين (المتحامين خل) على المعصية والمتلايمين على الضلالة و المرتشين في الحكومة و المنكرين على أهل الدين الذين استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم ، فلا يضر نك اراعدهما و ابراقهما ، واجبهما إن كنت لم تجبهما بماهما أهله ، فانك تجد مقالا ماشئت والسلام .

قال : فكتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية جواب كتابه

أما بعد فقد أتاني كتابك تذكر من أمر عثمان أمراً لا أعتذر إليك منه وتأمرني بالتمحي عنك كأنك لي ناصح و تخوفني بالحرب كأنك علي شفيق ، وأنا أرجو أن تكون الدائرة عليكم و أن يخذلكم الله في الواقعة و أن ينزل بكم الذل و أن تولوا الدبر ، فإن يكن لكم الأمر في الدنيا فكم وكم لعمرى من ظالم قد نصرتم وكم من مؤمن قد قتلتم ومثلتم به و إلى الله المصير ، وإليه ترد الامور ، وهو أرحم الراحمين ، والله المستعان على ما تصفون .

وكتب إلى عمرو بن العاص :

أما بعد فقد فهمت كتابك وعلمت ما ذكرت وزعمت أنك لا تحب أن يصيبني منك الظفر ، فاشهد بالله أنك لمن المبطلين ، وزعمت أنك لي ناصح واقسم أنك عندي ظنين ، وزعمت أن أهل البلد قد رفضوني وندموا على اتباعي فأولئك حزبك و حزب الشيطان الرجيم ، و حسبنا الله رب العالمين ، وتوكلت على الله العزيز الرحيم ، رب العرش العظيم .

قال إبراهيم : فحدثنا محمد بن عبد الله عن المدائني قال : فأقبل عمرو بن العاص يقصد قصد مصر فقام محمد بن أبي بكر في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد يا معاشر المسلمين فإن القوم الذين كان ينهكون الحرمه و يغشون أرض الضلالة و يستطيلون بالجبرية قد نصبوا لكم العداوة و ساروا إليكم بالجنود ، فمن أراد الجنة والمغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدكم في الله ، انتدبوا رحمكم الله

مع كنانة بن بشر .

ثم ندب معه ألفى رجل ، وتخلف محمد في ألفين واستقبل عمرو بن العاص كنانة وهو على مقدمة محمد فلم أدنى عمرو من كنانة سرح إليه الكتاب كتيبة بعد كتيبة ، فلم تأته كتيبة من كتائب أهل الشام إلا شدد عليها بمن معه فيضربها حتى يلحقها بعمرو ، ففعل ذلك مراراً ، فلم أرأى عمرو ذلك بعث معاوية بن حديج الكندي فاتاه في مثل الدّهم ، فلما رأى كنانة ذلك الجيش نزل عن فرسه و نزل معه أصحابه و ضاربهم بسيفه حتى استشهد .

قال : فلما قتل كنانة أقبل ابن العاص نحو محمد وقد تفرق عنه أصحابه ، فخرج محمد فمضى في طريق حتى انتهى إلى خربة فأوى إليها ، وجاء عمرو بن العاص حتى دخل الفسطاط وخرج ابن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج (١) على قارعة الطريق فسألهم هل مرّ بكم أحد تنكرونه ؟ قالوا : لا قال أحدهم : إنّي دخلت تلك الخربة فإذا أنا برجل جالس ، قال ابن حديج : هو هو ورب الكعبة .

فانطلقوا بر كضون حتى دخلوا على محمد فاستخرجوه وقد كاد يموت عطشا ، فاقبلوا به نحو الفسطاط فوثب أخوه عبدالرحمن بن أبي بكر إلى عمرو بن العاص و كان في جنده فقال : لا والله لا يقتل أخى صبراً ابعت إلى معاوية بن حديج فانه ، فأرسل عمرو بن العاص أن ائتمني بمحمد ، فقال معاوية : أقتلت كنانة بن بشر ابن عمي وأخلى عن محمد ، هيهات هيهات أكفّاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزّبر .

فقال محمد : اسقوني قطرة من ماء ، فقال له ابن حديج لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبداً ، إنكم منعمت عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائماً محرماً فسقاه الله من الرّحيق المختوم (٢) والله لأقتلنك يا ابن أبي بكر وأنت ظمآن ويسقيك الله من الحميم والغسلين .

١- العلاج بالسكر الرجل من كفار العجم والجمع علوج ، ق

٢- غير خفي على أهل البصرة أن القضية بالمكس فان الاول شارب من الحميم والغسلين والثاني

من الرّحيق المختوم ، منه

فقال محمد : يا بن اليهودية النساجة ليس ذلك اليوم إليك ولا إلى عثمان وإنما ذلك إلى الله يسقى أوليائه ويطما أعداءه وهم أنت وقرنائك و من تولاك و توليته ، والله لو كان سيفي بيدي ما بلغت مني ما بلغت ، فقال له معاوية بن حديج : أتدرى ما أصنع بك أدخلك جوف هذا الحمار الميت ثم أحرقه عليك بالنار .

قال : ان فعلتم ذلك بي فطال ما فعلتم ذاك بأولياء الله وأيم الله إنني لأرجو أن يجعل الله هذه النار التي تخوفني بها برداً وسلاماً كما جعلها الله على إبراهيم خليله وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وعلى أوليائه وإنني لأرجو أن يحرقك الله وإمامك معاوية وهذا ، وأشار إلى عمرو بن العاص بنار تطفى عليكم كلما خبت زادها الله عليكم سعيراً

فقال معاوية بن حديج إنني لأقتلك ظمأناً إنما أقتلك بعثمان بن عفان ، قال محمد : وما أنت وعثمان رجل عمل بالجور وبدل حكم الله والقرآن وقد قال الله عز وجل :

« وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ، وَأُولَئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ » .

فقمنا عليه أشياء عملها فأردناه أن يختلع من عملنا فلم يفعل فقتله من قتله من الناس ، فغضب معاوية بن حديج فضرب عنقه ثم القاه في جوف حمار وأحرقه بالنار

فلما بلغ ذلك عايشة جزعت عليه جزعا شديداً وقتت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية بن أبي سفيان و عمرو بن العاص و معاوية بن حديج ، وقبضت عيال محمد أخيها و ولده إليها فكان القاسم بن محمد في عيالها ، وحلفت عايشة أن لا تأكل شوى أبداً بعد قتل محمد ، فلم تأكل شوى حتى لحقت بالله ، وما عثرت قط إلا قالت تعس (١)

معاوية بن ابيسفيان و عمرو بن العاص و معاوية بن حديج

قال إبراهيم : و حدثني محمد بن عبد الله عن المدائني عن الحرث بن كعب عن حبيب بن عبد الله ، قال والله إنني لعند عليّ أذجائه عبد الله بن معين من قبل محمد بن

أبي بكر يستصرخه قبل الوقعة ، فقام علي عليه السلام فنادى في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وذكر رسول الله ثم قال عليه السلام :

أما بعد فهذا صريح محمد بن أبي بكر و اخوانكم من أهل مصر قد سار إليهم ابن النباغة عدو الله وعدو من والاه و ولا من عادته ، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعا على باطلهم منكم على حقكم ، و قد بدؤوكم و اخوانكم بالغزو فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر ، عباد الله إن مصر أعظم من الشام خيراً وخيراً أهلاً فلا تغلبوا على مصر فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم و كبت لعدوكم اخرجوا إلى الجزعة « و الجزعة بين الحيرة و الكوفة » لتتوا في هناك كلنا غداً بإنشاء الله .

قال فلمّا كان الغد خرج يمشى فأقام حتى انتصب النهار فلم يوافه مائة رجل فرجع فلما كان العشاء بعث إلى الأشراف فجمعهم فدخلوا عليه القصر و هو كئيب حزين فقال عليه السلام :

الحمد لله على ما قضى من أمر و قدر من فعل و ابتلاني بكم أيها الفرقة التي لا تطيع إذا أمرتها ، و لا تجيب إذا دعوتها ، لأبالغیر كم ماذا تنتظرون بنصركم و الجهاد على حقكم ، الموت خير من الذلّ في هذه الدنيا لغير الحق ، والله إن جاني الموت وليأتيني فليفرقني بيني و بينكم لتجدتني لصحبتكم جد

قال: الأدين بجمعكم الأحمية تفيظكم الأتسمعون بعدوكم ينتقص بلادكم ويشن الغارة عليكم أوليس عجبا أن معاوية يدعو الجفافة الطعام الظلمة فيتبعونه على غير عطاء و معونة و يجيئون في السنة المرّة و المرّتين و الثلاث إلى أي وجه شاء ثم أنا أدعوكم و أنتم أولوا النهي و بقيّة الناس تختلفون و تفرقون مني و تعصوني و تخالفون عليّ . فقام إليه مالك بن كعب الارجبي فقال: يا أمير المؤمنين انذب الناس معي فإنه لا عطر بعد عروس ، و إن الأجر لا يأتي إلا بالكراهة ، ثم التفت إلى الناس ، و قال : اتقوا الله و أجيئوا دعوة إمامكم و انصروا دعوته و قاتلوا عدوكم إننا نسير إليهم يا أمير المؤمنين .

فأمر علي عليه السلام سعداً موله أن ينادي الأسيروا مع مالك بن كعب إلى مصر
و كان وجها مكروها فلم يجتمعوا إليه شهراً ، فلما اجتمع له منهم ما اجتمع خرج
بهم مالك بن كعب فعسكر ظاهر الكوفة و خرج معه علي عليه السلام فنظر فاذا جميع
الناس نحو من ألفين فقال علي عليه السلام سيروا والله أنتم ما أخالكم تدركون القوم حتى
ينقضى أمركم ، فخرج مالك بهم و سار خمس ليال .

و قدم الحجاج بن عرية الأنصاري على علي عليه السلام و قدم عليه عبدالرحمن بن
المسيب الفرازي من الشام ، فأما الفرازي فكان عينا لعلي لاينام و أما الأنصاري
فكان مع محمد بن أبي بكر ، فحدثه الأنصاري بما عاين و شاهد و أخبره بهلاك محمد
و أخبره الفرازي انه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشرية من قبل عمرو بن العاص
فيتبع بعضها بعضا بفتح مصر و قتل محمد بن أبي بكر و حتى اذن معاوية بقتله على المنبر
و قال : يا أمير المؤمنين ما رأيت يوماً قط سروراً مثل ما رأيت بالشام حين أتاهم
قتل ابن أبي بكر ، فقال علي عليه السلام أما إن حزننا على قتله على قدر سرورهم به لابل
يزيد أضعافاً .

قال و حزن علي عليه السلام على محمد حتى رأى ذلك فيه و تبيين في وجهه و قام
خطيباً فحمد الله و أننى عليه ثم قال :

الاولان المصر قد افتتحها الفجرة أولياء الجور والظلم الذين صدوا عن سبيل
الله و بغوا الاسلام عوجاً ، ألا و إن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمة الله عليه و عند الله
تحتسبه ، أما والله لقد كان ماعملت ينتظر القضاء و يعمل للجزاه و يبغض شكل الفاجر و يحب
سمت المؤمن ، إنسى والله ما ألوم نفسي على تقصير ولا عجز و إنسى لمقاساة الحرب مجد بصير إنى
لأقدم على الحرب و أعرف وجه الحزم و أقوم بالرأى المصيب فاستصرخكم و نادىكم
مستغيثاً فلا تسمعون قولاً و لا تطيعون لي أمراً حتى تصير الامور إلى عواقب المسائة
و أنتم القوم لا يدرك بكم النار و لا ينقص بكم الأوتار ، دعوتكم إلى غياث اخوانكم
منذ بضع و خمسين ليلاً فجر جرتم على حجر جرة الجمل الأشر و تناقلتم إلى الارض
تناقل من لانية له في الجهاد و لا رأى في الاكتساب للأجر ، ثم خرج إلى منكم

جنید متدائب ضعیف کانما تساقون إلى الموت وهم ينظرون فاف لكم ، ثم نزل
فدخل رحله .

قال المدائني : إن علياً عليه السلام قال : رحم الله محمداً كان غلاماً حدثاً لقد كنت
أردت أن أولي المر قال هاشم بن عتبة مصراً فإنه والله لو وليها ما خلى لابن العاص
و اءوانه العرصة ولاقتل إلا و سيفه في يده بلازم لمحمد فلقد أحمد نفسه و قضا
ما عليه .

قال المدائني و قيل لعلي عليه السلام لقد جزعت يا امير المؤمنين على محمد بن أبي بكر
فقال : و ما يمنعني إنه كان لي ربيبا و كان لي أخا و كنت له والداً أعد له ولداً
الترجمة

از جمله کلام آن امام انام است در وقتی که ایالت مصر را بمحمد بن ابی
بکر تفویض فرمود :

پس مملوک شد مصر و مقتول گردید محمد یعنی محمد را بامر معاویه ملعون شهید
کردند و بمصر مستولی شدند و بتحقیق که میخواستم هاشم بن عتبة را والی مصر
نمایم و اگر او را والی مصر کرده بودم هر آینه خالی نمیکرد از برای دشمنان
عرصه مصر را و نمی داد بایشان فرصت را در حالتی که مذمت نمی کنم محمد را، پس
بتحقیق که بود محمد بسوی من دوست مخلص و بود مرا پسر زن از جهت اینکه
مادر او اسماء بنت عمیس زوجه جعفر بن ابی طالب بود، و بعد از او ابوبکر اورا تزویج
نمود و محمد از او متولد شد و بعد از وفات ابی بکر امیر المؤمنین عليه السلام آنرا بشکاح
خود در آورد.

ومن كلامه عليه السلام وهو الثامن

والستون من المختار في باب الخطب

كَمْ أَدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارِي الْبَكَارُ الْعِمْدَةَ ، وَالْتِيَابُ الْمَتْدَاعِيَّةُ ، كَمَا

حَيْصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهْتَكْتِ مِنْ آخَرَ، كُلَّمَا أَطْلَ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنْاسِرِ
 أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ، وَانْحَجَرَ انْحِجَارَ الضَّبَّةِ فِي جُجْرِهَا
 وَالضَّبْعِ فِي وِجَارِهَا، الذَّلِيلُ وَاللَّهِ مَنْ تَصَرُّتُمُوهُ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ
 رَمَى بِأَفْوَقِ نَاصِلٍ، وَوَاللَّهِ إِنْكُمْ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ، قَلِيلٌ تَحْتَ الرِّايَاتِ
 وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيمُ أَوْدَكُمْ، وَلَكِنِّي لَا أُرِي إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ
 نَفْسِي، أَضْرَعَ اللَّهُ خُدُودَكُمْ، وَأَتَعَسَّ جُدُودَكُمْ، لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ
 كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ، وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَمَا بَطَلْتُمْ الْحَقَّ.

اللغة

(البكار) بالكسر جمع بكر بالفتح وهو الفتي من الابل و (العمدة) بكسر
 الميم من العمدة الورم والدبر وقيل العمدة التي كسرها ثقل حملها، وقيل التي
 قد انشدخت اسنمتها من داخل وظهرها صحيح و (المتداعية) الخلقة التي تنخرق
 وإنما سميت متداعية لأن بعضها يتخرق فيدعوا لباقي إلى الانخراق.
 و (العوص) الخياطة يقال حاص الثوب يحوصه حوصا خاطه و (اطل) عليه
 بالطاء المهملة أشرف وفي بعض النسخ بالمعجمة أي اقبل اليكم ودنا منكم و (المنسر)
 كمجلس و كمنبر القطعة من الجيش تمر قدام الجيش الكثير و (الجحر) بالضم كل شيء
 يحتفره السباع والهوام لأنفسها و حجر الضب كمنع دخله و حجره غيره أدخله
 فانهجر و تحجر و كذلك احجره و (الضبة) اثني الضباب وهي دابة بريّة.
 و (الضبيع) مؤنثه و (وجارها) بالكسر جحرها و (الافوق) المكسور الفوق
 و (الناصل) المنزوع النصل و (الباحة) السياحة و في بعض النسخ الساحات
 و (الراية) العلم و (الادد) بالتحريك العوج و (ضرع) إليه بالثلاث ضرعا بالتحريك
 و ضراعة خضع و ذلّ و استكان و اضرع الله أذله و (التعس) الهلاك والانحطاط.

و (الجدود) بالضم جمع الجد بالفتح كالجدودة والجدادو هو البخت و العظ
و في الكتاب الكريم :

« إِنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا » .

الاعراب

جملة كلما حيصت في محلّ الرّفع صفة للثياب ، و جملة كلما اطل استينافية
و تحتمل الاستيناف البياني فكانه سئل عن سبب المداراة فأشار إلى الجواب بها ،
و قوله الذليل والله من اه ، جملة القسم معترضة بين الخبر والمبتداء و تقديم الخبر
لقصد الحصر ، و جملة اضرع الله خدودكم ، و أنعس جدودكم دعائيتان لامحلّ لهما
من الاعراب .

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذا الكلام توبيخ أصحابه، و ذمهم بتناقلهم عن الجهاد ،
و تقاعدهم عن النهوض إلى حرب أهل الشام ، فأشار ادّ إلى كونهم محتاجين إلى
المداراة الكثيرة البعيدة عن شيمة أهل النجدة والشجاعة و ذوي الفتوة والكياسة
و نبّه على ذلك بقوله :

(كم أداريكم كما تدارى البكار العمدة والثياب المتداعية) اي كما يدارى
صاحب البعير بعيره المنشدخ السنّام ولايس الأثواب نيابه الخلقه المنخرقة، و وجه
تشبيهمم بالبكار العمدة هو قلة صبرهم و شدة اشفاقهم و عدم تحملهم لمشاق الجهاد
والقتال كما يشدّ جرجرة البكر العمدة و يقل صبره ولايتحمل تقال الأحمال .

و وجه التشبيه بالثياب المتداعية أنّ الثياب الموصوفة كما أنّها (كلما حيصت
من جانب تهتك من جانب آخر) فكذلك أصحابه كلما أصلح حال بعضهم وانتظم
أمرهم للحرب فسد عليه البعض الآخر (كلما اطل عليكم) و اشرف (منسر من
مناسر اهل الشام اغلق كلّ رجل منكم بابه) و لزم بيته من شدة الجبن و الخوف
(انحجر انحجار الضبة في جعرها والضبع في و جاراها)

تخصيصهما من بين ساير الحيوانات بالذكر لانتصاف الاولى بالجهل والعقوق

حتى صار يضرب بها المثل في الجهل، ولذلك لانحرف جرحها إلا عند صخرة لثلاث نضل عنه
إذ أخرجت لطلب الطعام و من عقوبتها أنها تاكل حسولها (١) و اتصاف الثانية بالحمق كما
عرفت ذلك في شرح سادس المختار في باب الخطب، وخص الأناث منهما أيضاً لهما
أولى بالمخافة من الذكر.

ان (الذليل والله من نصرتموه) لاتصاف المخاطبين في أنفسهم بالذلة فيلزم
اتصاف المنتصرين بهم بها أيضاً (و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناضل) شبههم
بالسهم المكسور الفوق المنزوع التصل لعدم الانتفاع بهم في الحرب كما لا ينتفع
بالسهم الموصوف وقد مضى مثل هذه العبارة في الخطبة التاسعة والعشرين، و ذكرنا
هنالك ما يوجب زيادة توضيحها.

(و والله انكم لكثير في الباحات قليل تحت الرايات) و صنفهم بالكثرة في الأندية والقلة
تحت الألوبة إشارة إلى جبنهم، فان هذين الوصفين من لوازم الجبن والخوف كما أن مقابلهما
من لوازم الفتوة والشجاعة ولذلك يهجو الشعراء بالأل و ل ويمدحون بالثاني قال الشاعر:

لشكلاه لآزهره من نسوة زهر
و أكثرهم عند الذبيحة والقدر

أما انكم تحت الخوافق والقنا
ألستم أقل الناس تحت لوائهم
وقال آخر:

قليل إذا عدوا كثير إذا شدوا

نقال إذا لآناو أخفاف إذا دعوا

(و) الله (اننى لعالم بما يصلحكم و يقيم ادركم) و هو اقامة مراسم السياسة فيهم من
القتل والتعذيب و استعمال وجوه الحيل والتدبير والمخالفة لآمر الله سبحانه ،
ولذلك استدرك بقوله (ولكننى لا أرى اصلاحكم بافساد نفسى) يعنى أن اصلاحكم
بالقتل والسياسة موجب لفساد نفسى و دينى ولأرضى به كما يرتضيه ملوك الدنيا
و رؤسائها بلحاظ صلاح ملكهم و انتظام أمر مملكتهم لكون نظرهم مقصوراً على
زخارف الدنيا و زهراتها العاجلة و غفلتهم بالكليّة عن الآخرة.

و أما هو عليه السلام فراعى صلاح نفسه و قدّمه على اصلاح حال الغير لانحصار همته

في الآخرة و انقطاعه بکلیته عن الدنيا الفانية ، فلم یکن يستحلّ منهم ما يستحلّ
سائر الملوك من رعیتهم من القتل والتعذيب الموجبین للائم والمعصية المستلزمین
لفساد الدین والسخط في الآخرة.

ثمّ دعی عَلَيْهِ السَّلَامُ علیهم بقوله (اضرع الله خدودکم) و هو کنایة عن ذلّة النفس
والاستکانة و بقوله (واتمس جدودکم) و هو کنایة عن الخسران والخیبة .
ثمّ نبّههم علی علّة استحقاقهم للدّعاء بقوله (لاتعرفون الحقّ کمعرفتکم الباطل)
أراد به جهلهم بما یلزم علیهم من القيام بوظایف التکالیف الشرعیة والاحکام الالهیة
و اشتغالهم بالامور الدنیویة الباطلة (ولا تبطلون الباطل کابطالکم الحقّ) أراد به عدم
ابطالهم للمنکر کابطالهم للمعروف.

الترجمة

از جمله کلام آنحضرتست در مذمت اصحاب خود :

چقدر مدارا کنم با شما چنانکه مدارا کنند با شرانی که کوفناک باشد
کوهان ایشان ، و هم چنانکه مدارا کنند با لباسهای کهنه پاره پاره بمرتبه که هر
وقت دوخته شود از جانبی دریده می شود از جانب دیگر هر وقت که مشرف شود
بر شما دسته لشگری از لشگرهای اهل شام می بندد هر مردی از شمارر خانه خود
از ترس و در آید در سوراخ همچو در آمدن سوسمار در سوراخ خود و همچو در
آمدن کفتار در خانه خود .

بخدا سوگند که ذلیل آنکسی است که شما ناصر آن شده باشید ، و کسیکه
تیر اندازد با شما به دشمنان پس بتحقیق که میاندازد بتیر سوار شکسته بی پیکان
قسم بخدا که بدرستی شما هر آینه بسیارید در عرصها و اندکید در زیر علمها ،
و بدرستی من دانا هستم بچیزیکه اصلاح نماید شما را و راست گرداند کجی شمارا
ولیکن من بخدا سوگند نمی بینم اصلاح شما را بافساد نفس خود .

خوار گرداند خدا رخسارهای شما را ، و تباه گرداند نصیبهای شمارا ، نمی
شناسید شما حق کامل را چنانچه می شناسید باطل را ، و باطلی نمی گردانید باطل را

همچو باطل گردانیدن شما حق را یعنی شما با مورد دنیویة باطله مشغولید و از امور اخرویة غافل.

وقال عليه السلام في سحرة اليوم الذي ضرب فيه و هو التاسع والستون من المختار باب الخطب
مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللَّهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ
اللَّهِ مَاذَا لَقَيْتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأُودِ وَاللَّدَدِ؟ فَقَالَ: أَدْعُ عَلَيْهِمْ،
فَقُلْتُ: أَبَدَلَنِي اللَّهُ بِهِمْ خَيْرًا لِي مِنْهُمْ، وَأَبَدَ لَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي.

قال السيد (ره) : یعنی بالأود الاعوجاج، واللدد الخصام و هو من أفصح الكلام.

اللغة

(السحر) بالتحريك قبيل الصبح والسحرة بالضم السحر الاعلى و (منح) لى راي كمنع سنوحا و سنحا بالفتح و سنحا بالضم عرض و (اود) يا وداودامن باب فرح.

الاعراب

جملة انا جالس حال من مفعول ملكت ، و ما في قوله ماذا لقيت استفهامية استعظامية كما في قوله تعالى الحاقّة ما الحاقّة ، وذا إما موصولة أو زائدة كما قلناه في ما سبق ، والباء في قوله بهم و بى للمقابلة.

المعنى

قال الشارح البحراني : قوله (ملكتني عيني) استعارة حسنة وتجوز في التركيب أما الاستعارة فلفظ الملك للنوم و وجه الاستعارة دخول النائم في غلبة النوم وقهره و منعه له ان يتصرف في نفسه كما يمنع المالك المملوك من التصرف في أمره ،

و أمّا التجوز ففي العين وفي الاسناد إليها ، أمّا الأول فاطلق لفظ العين على النوم لما بينهما من الملازمة إذا طباق الجفون من عوارضهما ، وأمّا الثاني فاسناد الملك إلى النوم المتجوز فيه بلفظ العين .

أقول: حاصله أنه من باب الاستعارة التبعية مثل قولهم : نطقت الحال بكذا ، و محصله أن الملك استعارة عن غلبة النوم والعين مجاز عن النوم بعلاقة المجاورة و اسناد الغلبة إلى النوم مجاز عقلي فافهم ، فالمعنى غلبني نومي (و أنا جالس فسنح لي رسول الله) أي رأيته في المنام أو مرّ بي معترضا (فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمّتك من الادود واللدود فقال ادع عليهم) شكايته منهم إلى رسول الله ﷺ دليل على غاية كربه منهم من جهة تقصيرهم في الاجابة إلى دعائه والتسليم لنداءه و توائهم في القتال والجهاد ، و ترخيص رسول الله في دعائه عليهم دليل على عدم رضائه عنهم .

و قوله : (فقلت أبدلني الله بهم خيراً لي منهم و أبدلهم بي شرّاً لهم مني) لا يدل على اتصافه بالشر إذ صيغة افعال لم يرد بها التفضيل بل المراد مجرد الوصف أو بناء التفضيل على اعتقاد القوم فانهم لما لم يطيعوه حق الطاعة فكأنهم زعموا فيه شرّاً ، و قد مر مزيد تحقيق لهذه الفقرة في شرح الخطبة الخامسة و العشرين فتذكر هذا .

و روى في البحار من الارشاد عن عمّار الدهني ، عن أبي صالح الحنفي قال : سمعت عليّاً عليه السلام يقول : رأيت رسول الله ﷺ في منامي فشكوت إليه ما لقيت من أمّته من الادود واللدود و بكيت ، فقال لي : لا تبك يا علي والتفت و إذا رجلان مصفدان (١) و إذا جلاميد ترضخ بهما رؤوسهما ، قال أبو صالح : فغدوت إليه من الغد كما كنت أغد و اليه كل يوم حتّى إذا كنت في الجزائر ين لقيت الناس يقولون قتل أمير المؤمنين .

١- صفده يصفده شده و اوتقة كاصفده و صفده ، والجلمد الصخر كالجلود و ورضخ الحمصا

كمنم و ضرب كسرهما و به الارض جلده بها و راضخ فلان رماه بالعجارة ، ق .

تذييلات الاول

في كيفية شهادته ﷺ وفيها روايات كثيرة وابطسطها مارواه في المجلد

التاسع من البحار

قال : رأيت في بعض الكتب القديمة رواية في كيفية شهادته أوردنا منه شيئاً

مما يناسب كتابنا هذا على وجه الاختصار .

قال : روى أبو الحسن عليُّ بن عبد الله بن محمد البكري ، عن لوط بن يحيى ، عن اشيخه واسلافه قالوا : لما توفي عثمان وبايع الناس أمير المؤمنين كان رجل يقال له حبيب بن المنتجب واليأعلى بعض أطراف اليمن من قبل عثمان فأقره عليُّ ﷺ على عمله وكتب كتابا يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب إلى حبيب بن المنتجب سلام عليك ، أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأصلي على محمد عبده ورسوله ، و بعد فإني وليتك ما كنت عليه لمن كان من قبل فامكث على عملك وإني أوصيك بالعدل في رعيتك و الاحسان إلى أهل مملكتك ، و اعلم أن من ولي على رقاب عشرة من المسلمين و لم يعدل بينهم حشره الله يوم القيامة و يدها مغلولتان إلى عنقه لا يفكها إلا عدله في دار الدنيا ، فاذا ورد عليك كتابي هذا فاقره على من قبلك من أهل اليمن وخذلي البيعة على من حضرك من المسلمين فاذا بايع القوم مثل بيعة الرضوان فامكث في عملك و انفذ إلى منهم عشرة يكونون من عقلائهم و فضحائهم و ثقاتهم ممن يكون أشدهم عوناً من أهل الفهم و الشجاعة عارفين بالله عالمين بأديانهم و مآلهم و ما عليهم و أجودهم رأياً ، و عليك و عليهم السلام

و طوى الكتاب و ختمه و أرسله مع أعرابي ، فلمّا وصله قبّله و وضعه على عينيه ورأسه فلمّا قرأه صعدا المنبر فحمد الله و أننى عليه و صلى على محمد و آله ثم قال : أيها الناس اعلموا أن عثمان قد قضى نحبه و قد بايع الناس من بعده العبد الصالح و الإمام الناصح أخا رسول الله و خليفته و هو أحق بالخلافة وهو أخو رسول الله و ابن عمه و كاشف الكرب عن وجهه و زوج ابنته و وصيه و أبوسبطين أمير المؤمنين

عليّ بن أبيطالب فما تقولون في بيعته والدّخول في طاعته؟
 قال : فضجّ الناس بالبكاء والنحيب وقالوا : سمعا وطاعة وحبّاً وكرامة لله
 ولرسوله ولأخى رسوله ، فأخذ له عليه السلام البيعة عليهم عامّة ، فلمّا بايعوا قال لهم :
 اريد عشرة منكم من رؤسائكم وشجعانكم انفذهم إليه كما أمرني به فقالوا : سمعا
 وطاعة فاختر منهم مائة ، ثمّ من المائة سبعين ، ثمّ من السبعين ثلاثين ، ثمّ من
 الثلاثين عشرة فيهم عبدالرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله وخرجوا من ساعتهم
 فلمّا أتوه عليه السلام سلموا عليه وهنّوه بالخلافة ، فردّ عليهم السلام ورحب بهم ،
 فتقدّم ابن ملجم وقام بين يديه وقال :

السلام عليك أيها الامام العادل والبدر التمام والليث الهمام والبطل الضرعام
 والفارس القمقام و من فضله الله على ساير الأنام صلى الله عليك وعلى آلك الكرام ،
 أشهد أنك امير المؤمنين صدقاً وحقاً وأنك وصي رسول الله والخليفة من بعده
 ووارث علمه لعن الله من جحد حقتك ومقامك أصبحت أميرها وعميدها ، لقد اشتهر
 بين البرية عدلك ، وهطلت (١) شآبيب فضلك وسحاب رحمتك ورأفتك عليهم ، ولقد
 أنهضنا الأмир إليك فسررنا بالتقدم عليك فبوركت بهذه الطلعة المرضية وهنتت
 بالخلافة في الرعية .

ففتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه في وجهه ونظر الى الوفد فقرر بهم وأدناهم فلمّا
 جالسوا دفعوا الكتاب ففضّسه وقراه وسرّ بما فيه فأمر بكلّ واحد منهم بحلّة يمانية
 ورداء عدنية و فرس عربية و أمر أن يفتقدوا ويكرموا ، فلما نهضوا قام ابن ملجم
 ووقف بين يديه وأنشد :

أنت المهيمن والمهذب ذو الندى	وابن الضراعم في الطراز الأول
الله خصّك يا وصي محمد	وحباك فضلاً في الكتاب المنزل
وحباك بالزهراء بنت محمد	حورية بنت النبي المرسل

١- الهطل هو تابع المطر المتفرق العظيم القطر والشؤبوب الدفمة من المطر، ق

ثم قال: يا أمير المؤمنين ارم بناحيث شئت لترى منا ما يسرك فوالله ما فينا إلا كل بطل أهيس (١) و حازم أكيس و شجاع أشوس (٢) و رتنا ذلك عن الآباء والاجداد و كذلك نورته صالح الأ ولاد.

قال: فاستحسن أمير المؤمنين كلامه من بين الوفد فقال له: ما اسمك يا غلام؟ قال: اسمي عبدالرحمن، قال: ابن من؟ قال: ابن ملجم المرادي، قال: أمرادي أنت؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال ﷺ: إن الله وينا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال: و جعل أمير المؤمنين يكرر النظر إليه و يضرب إحدى يديه على الأخرى و يسترجع ثم قال له: و يحك أمرادي أنت؟ قال: نعم فعند هذا تمثل بقوله:

أنا أنصحك مني بالوداد مكاشفة و أنت من الأعادي
أريد حياته و يريد قتلي عذيرك (٣) من خليلك من مرادي

قال الاصبغ بن نباتة: لما دخل الوفد إلى أمير المؤمنين و بايعوه و بايعه ابن ملجم فلما أدبر عنه دعاه أمير المؤمنين ثانيا فتوثق منه بالعهود و المواثيق أن لا يغدر ولا ينكث ففعل ثم سار عنه، ثم استدعاه ثالثا ثم توثق منه فقال ابن ملجم: يا أمير المؤمنين ما رأيتك فعلت هذا بأحد غيري فقال ﷺ: امض لسانك فما أراك تفي بما بايعت عليه.

فقال ابن ملجم: كأنك تكره و فودى عليك لما سمعته من اسمي و انسى والله لأحب الإقامة معك و الجهاد بين يديك و إن قلبي محب لك و انسى والله أو الى وليك

١- الأهيس الشجاع و من الأبل الجري لا ينقبض عن شيء.

٢- الشوس محرقة النظر بؤخر العين تكبر او تفيظا، ق

٣- العذير أمير و زنته عاذر معنائه دركه عذر و بهانه لى قبول ايدن آدمه دينور ومنه قول

على و هو ينظر الى ابن ملجم عذيرك من خليلك من مراد يقال عذيرك من فلان بالنصب اى هات عذيرك اى من يعذرنى و عذير معين و نصيره اطلاقى الونور يقول من عذيرى من فلان اى نصيرى او قيانوس

و أعادي عدوك .

قال : فتبسم عليه السلام و قال : بالله يا أخا مراد إن سألتك عن شيء تصدقني فيه؟
قال : أي وعيشاك يا أمير المؤمنين ، فقال له : هل كان لك داية يهودية فكانت إذا
بكيت تضربك و تلطم جبينك و تقول لك : اسكت فانك أشقى من عاقر ناقة صالح
وإنك ستجنى في كبرك جناية عظيمة بغضب الله بهاعليك و يكون مصيرك إلى النار ؟
فقال قد كان ذلك ولكنك والله يا أمير المؤمنين أحب إلى من كل أحد ، فقال
أمير المؤمنين والله ما كذبت ولا كذبت ولقد نطقت حقاً و قلت صدقا و أنت والله قاتلي
لامحالة و مستخضب هذه من هذه وأشار إلى لحيته و رأسه ولقد قرب وقتك و حان زمانك .
فقال ابن ملجم والله يا أمير المؤمنين أتك أحب إلى من كل ما طلعت عليه
الشمس ، ولكن إذا عرفت ذلك منسي غيرني . إلى مكان تكون ديارك من دياري بعيدة
فقال : كن مع أصحابك حتى اذن لكم في الرجوع إلى بلادكم .

ثم أمرهم بالنزول في بني تميم فأقاموا ثلاثة أيام ، ثم أمرهم بالرجوع إلى
اليمن ، فلما عزموا على الخروج مرض ابن ملجم مرضا شديدا فذهبوا وتركوه ، فلما
بره أتى أمير المؤمنين و كان لا يفارقه ليلا ولا نهاراً و يسارع في قضاء حوائجه و كان
يكرمه و يدعو إلى منزله و يقر به ، و كان مع ذلك يقول له : أنت قاتلي و يكرر
عليه الشعر :

أريد حياته و يريد قتلي عذيرك من خليلك من مرادى

فيقول له : يا أمير المؤمنين إذا عرفت ذلك منسي فاقتلني ، فيقول إنه لا يحل
ذلك أن اقتل رجلا قبل أن يفعل بي شيئا ، و في خبر آخر قال : إذا قتلتك
فمن يقتلني .

قال : فسمعت الشيعة ذلك فوثب مالك الأشتر و الحرث بن الأعور وغيرهما
من الشيعة فجرّوا سيفوفهم و قالوا : يا أمير المؤمنين من هذا الكلب الذي تخاطبه
بمثل هذا الخطاب مراراً و أنت امامنا و ولينا و ابن عم نبينا ، فمرنا بقتله ، فقال
لهم : انمذوا سيفوفكم بارك الله فيكم ولا تشقوا عصا هذه الأمة أترون أنني أقتل رجلا

لم يصنع بي شيئاً .

فلما انصرف عليه السلام إلى منزله اجتمعت الشيعة وأخبر بعضهم بعضاً بما سمعوا وقالوا : إن أمير المؤمنين يغلس إلى الجامع وقد سمعتم خطابه لهذا المرادي وهو ما يقول إلا حقاً وقد علمتم عدله وإشفاقه علينا ونخاف أن يقتاله هذا المرادي فتعالوا نقترع على أن تحوطه كل ليلة من قبيلة .

فوقعت القرعة في الليلة الأولى والثانية والثالثة على أهل الكناس ، فتقلدوا سيوفهم و اقبلوا في ليلتهم إلى الجامع ، فلما خرج عليه السلام رآهم على تلك الحالة فقال ما شأنكم ؟ فأخبروه فدعا لهم فتبسّم ضاحكاً ، وقال : جئتم تحفظوني من أهل السماء أم من أهل الأرض ؟ قالوا : من أهل الأرض ، قال : ما يكون شيء في السماء إلا هو في الأرض وما يكون شيء في الأرض إلا هو في السماء ثم تلى :

« قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا »

ثم أمرهم أن يأتوا منازلهم ولا يعود والمثلها ، ثم إنّه صعد المأذنة وكان إذا تنحنح يقول السامع ما اشبهه بصوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فتأهب الناس بصلاة الفجر وكان إذا أذن يصل صوته إلى نواحي الكوفة كلها ، ثم نزل عليه السلام فصلّى و كانت هذه عادته .

قال : وأقام ابن ملجم بالكوفة إلى أن خرج أمير المؤمنين عليه السلام إلى غزاة النهران فخرج ابن ملجم معه و قاتل بين يديه قتالاً شديداً فلما رجع إلى الكوفة وقد فتح الله على يديه قال ابن ملجم لعنه الله يا أمير المؤمنين أتأذن لي أن أتقدمك إلى المصر لأبشّر أهله بما فتح الله عليك من النصر ؟ فقال : ما ترجو بذلك ؟ قال : الثواب من الله والشكر من الناس و افرح الأولياء و اكمد الأعداء ، فقال : شأنك .

ثم أمر له بخلع سنيّة و عما متين و فرسين و سيفين و رمحين فسار ابن ملجم و دخل الكوفة و جعل يخترق أزقتها و شوارعها ، و هو يبشّر الناس بما فتح الله على أمير المؤمنين و قد دخله العجب في نفسه فانتهى به الطريق إلى محلة بني تميم ،

فمرّ على دار تعرف بالقبيلة وهي أعلا دار بها و كانت لقطام بنت سخينة بن عوف بن تيم اللات ، و كانت موصوفة بالحسن والجمال والكمال والبهاء ، فلما سمعت كلامه بعثت إليه و سألته النزول عندها ساعة لتسأله عن أهلها ، فلما قرب من منزلها و أراد النزول عن فرسه خرجت إليه ثم كشفت له عن وجهها و أظهرت له محاسنها .

فلما رآها أعجبت و هوأها من وقته فنزل عن فرسه و دخل إليها و جلس في دهليز الدار و قد أخذت بمجامع قلبه فبسطت له بساطا و وضعت له متكئا و أمرت خادمها أن تنزع أخفافه و أمرت له بماء فغسل وجهه فريديه و قدمت إليه طعاما فاكل و شرب ، و أقبلت عليه تروحه من الحرّ فجعل لا يملّ من النظر إليها وهي مع ذلك متبسّمة في وجهه سافرة له عن نقابها بارزة عن جميع محاسنها ما ظهر منها و ما بطن .

فقال لها أيتها الكريمة لقد فعلت اليوم بي ما يجب به بل بيعضه على مدحك و شكرك دهري كلّه فهل من حاجة أتشرّف بها وأسعى في قضائها ؟

قال : فسألته عن الحرب و من قتل فيه فجعل يخبرها و يقول فلان قتله الحسن و فلان قتله الحسين إلى أن بلغ قومها و عشيرتها ، و كانت قطام لعنهما الله على رأى الخوارج و قد قتل أمير المؤمنين في هذا الحرب من قومها جماعة كثيرة منهم أبوها و أخوها و عمها ، فلما سمعت منه ذلك صرخت باكية ثم لطمت خدّها و قامت من عنده و دخلت البيت وهي تندبهم طويلا .

قال : فندم ابن ملجم فلما خرجت إليه قالت : يعزّ عليّ فراقهم من لى بعدهم أفلا ناصر ينصرني و يأخذلى بئاري و يكشف عن عارى فكنت أهب له نفسي وأمّكنه منها و من مالى و جمالى ، فرق لها ابن ملجم و قال لها : غضى صوتك و ارققى بنفسك فانك تعطين مرادك .

قال : فسكنت من بكائها و طمعت في قوله ، ثم أقبلت عليه بكلامها وهي كاشفة عن صدرها و مسبلة شعرها ، فلما تمكّن هواها من قلبه مال إليها بكليته ثم جذبها

إليه و قال لها : كان أبوك صديقا لي وقد خطبتك منه فأنعم لي بذلك فسبق إليه الموت
فزوجيني نفسك لا آخذ لك بشارك.

قال : ففرحت بكلامه و قالت قد خطبني الأشراف من قومي و سادات عشيرتي
فما انعمت إلا لمن يأخذ لي بشاري و لما سمعت عنك أنك تقاوم الأقران و تقتل
الشجعان فأحببت أن تكون لي بعلاواً كون لك أهلا.

فقال لها : فأنا والله كفو كريم فاقرحي على ما شئت من مال و فعال،
فمالت له : إن قدمت على العطية و الشرط فما أنا بين يديك فتحكم كيف شئت ،
فقال لها : وما العطية و الشرط؟ فقالت له : أمّا العطية فثلاثة آلاف دينار و عبد
وقينة (١) فقال هذا أنا مليء به ، فما الشرط المذكور؟ قالت : نم على فراشك حتى
أعود إليك.

ثم إنهما دخلت خدرها فلبست أفخر ثيابها و لبست قميصا رقيقا يرى صدرها
و حليتها و زادت في الحلبي و الطيب و خرجت في معصرها فجعلت تباشره
بمحاسنها ليري حسنها و جمالها ، و أرخت عشرة ذوايب من شعرها منظومة بالدر
و الجواهر .

فلما دخلت إليه أرخت لثامها عن وجهها و رفعت معصرها (٢) و كشفت
عن صدرها و اعكأها و قالت : ان قدمت على الشرط المشروط ظفرت بهذا جميعه
و أنت مسرور مقبوط.

قال : فمدّ ابن ملجم عينيه إليها فحار عقله و هوى لحنه مغشياً عليه ساعة فلما
أفاق قال : يا منية النفس ما شرطك فاذكره لي فاني سأفعله ولو كان دونه قطع
القفار و خوض البحار و قطع الرؤوس و اختلاس النفوس ، قالت له الملعونة : شرطي
عليك أن تقتل علي بن أبي طالب بضربة واحدة بهذا السيف في مفرق رأسه يأخذه
ما يأخذ و يبقى ما يبقى.

١- القينة الامة المغنية أو الاعم .

٢- ثوب صبغ بالمعصر وهو نبت .

فلما سمع ابن ملجم كلامه استرجع و رجع إلى عقله و اغاظه و ألقه ثم صاح بأعلى صوته : و يحك ما هذا الذي واجهتني به بس ما حدثك به نفسك من المحال ، ثم طأطأ رأسه يسيل عرقا و هو متفكر في أمره ، ثم رفع رأسه إليها و قال :

ويلك من يقدر على قتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب المستجاب الدعاء المنصور من السماء ، والأرض ترجف من هيبتته ، و الملائكة تسرع إلى خدمته .
يا ويلك و من يقدر على قتل علي بن أبي طالب و هو مؤيد من السماء ، و الملائكة تحوطه بكرة و عشية ، ولقد كان في أيام رسول الله إذا قاتل يكون جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره و ملك الموت بين يديه فمن هوهكذا لا طاقة لأحد بقتله ولا سييل لمخلوق على اغتياله .

و مع ذلك فإنه قد أعزني وأكرمني وأحببني ورفعني وآنرني على غيري ، فلا يكون ذلك جزاؤه مني أبداً ، فان كان غيره قتلته لك شر قتلة ولو كان أفرس أهل زمانه ، و أما أمير المؤمنين فلا سييل لي عليه .

قال : فصبرت عنه حتى سكن غيظه و دخلت معه في المداعبة و الملاعبة و علمت أنه قد نسي ذلك القول ، ثم قالت له : يا هذا ما يمنعك عن قتل علي بن أبي طالب و ترغب في هذا المال و تتنعم هذا الجمال و ما أنت بأعف و أزهدي من الذين قاتلوه و قتلهم و كانوا من الصوامين و القوامين ، فلما نظروا إليه و قد قتل المسلمين ظلما و عدوانا اعتزلوه و حاربوه ، و مع ذلك فإنه قد قتل المسلمين و حكم بغير حكم الله و خلع نفسه من الخلافة و امرة المؤمنين ، فلما رأوه قومي على ذلك اعتزلوه فقتلهم بغير حجة له عليهم .

فقال له ابن ملجم : يا هذه كفتي عني فقد أفسدت علي ديني و أدخلت الشك في قلبي و ما أدري ما أقول لك و قد عزمت على رأي ثم أنشد :

ثلاثة آلاف و عبد و قينة
و ضرب علي بالحسام المصمم

فلا مهر أغلا من قطام وإن غلا
فأقسمت بالبيت الحرام ومن أتى
لقد أفسدت عقلي قطام وإنني
لقتل عليّ خير من وطأ الثرى
ثم أمسك ساعة وقال:
فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة
ثلاثة آلاف وعبد وقينسة
فلا مهر أغلا من عليّ وإن غلا
فأقسمت بالبيت الحرام ومن أتى
لقد خاب من يسعى لقتل إمامه
إلى آخر ما أنشد من الأبيات ثم قال لها: أجليني ليلتي هذه حتى أنظر في أمري
و آتيك غدا بما يقوى عليه عزمي.

فلما هم بالخروج أقبلت إليه وضمته إلى صدرها وقبلت ما بين عينيه وأمرته
بالاستعجال في أمرها وسأيرته إلى باب الدار وهي تشجعه وأنشدت له أبيات، فخرج
الملعون من عنده وقد سلبت فؤاده وأذهبت رقاذه ورشاده، فبات ليلته قلقاً متفكراً فمرة
يعاتب نفسه ومرة يفكر في ديناه وآخرته .

فلما كانت وقت السحر أتاه طارق فطرق الباب فلما فتحه إذا برجل من بني
عمّه عليّ نجيب وإذا هو رسول من إخوته إليه يعزونه في أبيه وعمّه ويعرفونه أنه خلف
مالاً جزيلاً وأنهم دعوه سريعاً ليجوز ذلك المال.

فلما سمع ذلك بقى متحيراً في أمره إذ جائه ما يشغله عمّا عزم عليه من أمر
قطام فلم يزل مفكراً في أمره حتى عزم على الخروج ، وكان له اخوان لأبيه واهمه
كانت من زييد يقال لها عدنية وهي ابنة عليّ بن ماشوج وكان أبوه مرادياً، وكانوا
يسكنون عجران صنعا .

١- الفتك مثلثة ركوب ما هم من الامور ودعت اليه النفس وفتك يفتك فهو فانك جرى.

شجاع وفتك به انتهز منه فرصة فقتله وجرحه مجاهرة واعاق

فلما وصل إلى النجف ذكر قطام ومنزلتها في قلبه ورجع إليها فلما طرق الباب اطلعت عليه وقالت من الطارق؟ فعرفته على حالة السفر فنزلت إليه وسلمت عليه وسألته عن حاله فأخبرها بخبره ووعدها بقضاء حاجتها إذا رجع من سفره وتملكها جميع ما يجي، به من المال، فعدلت عنه مغضبة فدنيت منها وقبلها وودعها وحلف لها أنه يبلغها مأمولها في جميع ما سألته

فخرج وجاء إلى أمير المؤمنين وأخبره بما جاؤوا إليه لأجله وسأله أن يكتب إلى ابن المنتجب كتاباً ليعينه على استخلاص حقه فأمر كاتبه فكتب له ما أراد ثم أعطاه فرسا من جباد خيله فخرج وسار سيراً حثيثاً حتى وصل إلى بعض أودية اليمن، فأظلم عليه الليل فبات في بعضها، فلما مضى من الليل نصفه إذا هو بزعة عظيمة من صدر الوادي ودخان يفور ونار مضرمة فانزعج لذلك وتغير لونه ونظر إلى صدر الوادي وإذا بالدخان قد أقبل كالجبل العظيم وهو واقع عليه والنار تخرج من جوانبه، فخر مغشياً عليه فلما أفاق وإذا بها تف يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول:

إسمع وع القول يا بن ملجم	إنك في أمر مهول معظم
تضمر قتل الفارس المكرم	أكرم من طاف ولبي واحرم
ذاك على ذوالتقاء الأقدم	فارجع إلى الله لكيلا تندم

فلما سمع توهم أنه من طوارق الجن وإذا بالهاتف يقول:

يا شقي ابن الشقي أما ما أضمرت من قتل الزاهد العابد العادل الرأكع
الساجد امام الهدى و علم التقى و العروة الوثقى فأنسا علمنا بما تريد أن تفعله
بأمر المؤمنين ونحن من الجن الذين أسلمنا على يديه ونحن نازلون بهذا الوادي
فأنسا لاندعك تبيت فيه فأنك ميشوم على نفسك ثم جعلوا يرمون به بقطع الجنادل فصعد
فوق شاهق فبات بقيّة ليله .

فلما أصبح سار ليلاً ونهاراً حتى وصل إلى اليمن وأقام عندهم شهرين و قلبه
على حرّ الجمر من أجل قطام ثم إنه أخذ الذي أصابه من المال و المتاع و الأثاث

والجواهر و خرج .

فبينما هو في بعض الطريق إذا خرجت عليه حرامية فسايرهم وسايروه فلما قربوا من الكوفة حاربوه وأخذوا جميع ما كان معه ونجى بنفسه وفرسه وقليل من الذهب على وسطه وما كان تحته ، فهرب على وجهه حتى كاد أن يهلك عطشاً . وأقبل سايراً في الفلاة مهموماً جايعاً عطشاناً فلاح له شبح فقصده ، فإذا بيوت من آيات الحرب فقصد منها بيتاً فنزل عندهم واستسقامهم شربة ماء فسقوه وطلب لبنا فأتوه به فنام ساعة .

فلما استيقظ أتاه رجلان وقدا إليه طعاماً فأكل وأكلامه وجعلوا يسألانه عن الطريق فأخبرهما ، ثم قال له : ممن الرجل ؟ قال : من مراد ، قالوا : ابن تقصد ؟ قال : الكوفة ، قالوا : كانتك من أصحاب أبي تراب ؟ قال : نعم ، فاحمرت أعينهما غيظاً وعزما على قتله ليلاً ، وأسراً ذلك ونهضاً ، فتبين له ما عزموا عليه فندم على كلامه

فبينما هو متحير إذ أقبل كلبهم ونام قريباً منهم ، فأقبل اللعين يمسح بيده على الكلب ويشفق عليه ويقول مرحباً بكم قوم أكرموني فاستحسن ذلك وسأله ما اسمك ؟ قال : عبدالرحمن بن ملجم ، فقالوا له : ما اردت بصنعك هذا في كلبنا ؟ فقال : أكرمته لأجلكم حيث اكرمتموني فوجب على شكركم وكان هذا منه خديعة ومكرراً فقالوا : الله اكبر الآن والله وجب حقك علينا ونحن نكشف لك عما في ضمائرنا

نحن نرى رأى الخوارج وقد قتل أعمامنا وأخواننا وأهاليها كما علمت ، فلما أخبرتنا أنك من أصحابه عزمنا على قتلك في هذه الليلة فلما رأينا صنعك هذا بكتبنا صفاً عنك ونحن الآن نطلعك على ما قد عزمنا عليه فسألها عن اسمها فقالوا أحدهما أنا البرك بن عبدالله التميمي ، وهذا عبدالله بن عثمان العنبري صهرى

وقد نظرنا إلى ما نحن عليه من مذهبنا فرأينا أن فساد الأرض والأمة كلها من ثلاثة نفر أبو تراب ، ومعوية وعمر بن العاص ، فامسأ أبو تراب فإنه قتل رجالنا كما رأيت وافتكرنا أيضاً في الرجلين معاوية وابن العاص وقد ليا علينا هذا الظالم الغشوم بسر بن أرطاة يطرقنا في كل وقت وبأخذ أموالنا وقد عزمنا على قتل هؤلاء

الثلاثة فاذا قتلناهم توطأت الأرض واقعد الناس لهم اماماً يرضونه

فلما سمع ابن ملجم كلامهما صفق باحدى يديه على الأخرى وقال : والذي فلق الحبة وبره النسمة وتردى بالعظمة إنني لثالثكما وإنني موافقكما على رأيكما وأنا أكفيكما أمر علي بن أبي طالب

فنظرا إليه متعجبين من كلامه قال والله ما أقول لكما إلا حقاً ، ثم ذكر لهما قصته فلما سمعا كلامه عرفا صحته وأقالا إن قطام من قومنا وأهلها كانوا من عشيرتنا فنحن نحمد الله على اتفاقنا فهذا لا يتم إلا بالايمان المغلظة فتركب الآن مطايانا ونأتي الكعبة وتتعاقد عندها على الوفاء

فلما أصبحوا وركبوا حضر عندهم بعض قومهم فأشاروا عليهم وقالوا لا تفعلوا ذلك فمامنكم أحد إلا ريندم ندامة عظيمة ، فلم يقبلوا وساروا جميعاً حتى أتوا البيت وتعاهدوا عنده .

فقال البرك : أنا عمرو بن العاص ، وقال العنبري : أنا لمعاوية ، وقال ابن ملجم لعنه الله : أنا لعلي ، فتحالفوا على ذلك بالايمان المغلظة ودخلوا المدينة وحلقوا عند قبر النبي على ذلك ثم افترقوا وقد عينوا يوماً معلوما يقتلون فيه الجميع ، ثم سار كل منهم على طريقه

فاما البرك فأتى المصر ودخل الجامع وأقام فيه أياماً ، فخرج عمرو بن العاص ذات يوم إلى الجامع وجلس فيه بعد صلاته فجاء البرك إليه وسلم عليه ثم حادثه في فنون الأخبار وطرف الكلام والأشعار ، فشغف به عمرو بن العاص وقر به وأدناه وصار يأكل معه على مائدة واحدة ، فأقام إلى الليلة التي تواعد فيها فخرج إلى نيل مصر وجلس مفكراً فلما غربت الشمس أتى الجامع وجلس فيه

فلما كان وقت الافطار افتقده عمرو بن العاص فلم يره فقال لولده : ما فعل صاحبنا وأبن مضي فأنبى لا أراه فبعث إليه يدعوه فقال له : إن هذه الليلة ليست كاليالي وقد أحببت أن أقيم ليلتي هذه في الجامع رغبة فيما عند الله واحب أن اشرك للأمر في ذلك .

فلما رجع إليه وأخبره بذلك سره سرورا عظيماً وبعث إليه مائدة فأكل و بات ليلته ينتظر قدوم عمرو ، و كان هو الذي يصلي بهم فلما كان عند طلوع الفجر أقبل المؤذن إلى باب عمرو وأذن وقال : الصلاة يرحمك الله الصلاة .

فانتبه فأتى بالماء وتوضأ وتطيب وذهب ليخرج إلى الصلاة فزلق فوقع على جنبه فاعتوره عرق النساء فاشغلته (فشغلته خل) عن الخروج ، فقال قدّموا خاريجة ابن تميم القاضي يصلي بالناس ، فأتى القاضي ودخل المحراب في غلس فجاء البرك فوقف خلفه وسيفه تحت ثيابه وهو لا يشك أنه عمرو فأمله حتى سجد وجلس من سجوده فسل سيفه ونادى

لا حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصى الله ثم ضربه بالسيف على أم رأسه فقضى نحبه لوقته ، فبادر الناس و قبضوا عليه وأخذوا سيفه من يده وأوجعوه ضرباً وقالوا له : يا عدو الله قتلت رجلاً مسلماً ساجداً في محرابه فقال : يا حمير أهل مضر إنّه يستحق القتل قالوا : بماذا وبلك ؟ قال : لسعيه في الفتنة لأنّه الداهية الدهماء الذي أثار الفتنة ونبذها وقواها وزين لمعاوية محاربة علي

فقالوا له : يا ويلك من تعنى ؟ قال : الطاغى الباغى الكافر الزنديق عمرو بن العاص الذي شق عصا المسلمين وهتك حرمة الدين ، قالوا : لقد خاب ظنك وطاش سهمك إن الذي قتلت ما هو وإنما هو خاريجة ، فقال يا قوم المعذرة إلى الله واليكم فوالله ما أردت خاريجة وإنما أردت قتل عمرو

فأوثقوه كتافاً وأتوا به إلى عمرو ، فلما رآه قال : أليس هذا هو صاحبنا المحجازي قالوا له : نعم قال : ما باله ؟ قالوا : إنّه قد قتل خاريجة فدهش عمرو لذلك وقال : إننا لله وإننا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ثم التفت إليه وقال : يا هذا لم فعلت ذلك ؟ فقال له والله يا فاسق ما طلبت غيرك ولا أردت سواك ، قال : ولم ذلك ؟ قال : إننا ثلاثة تعاهدنا بمكة على قتلك وقتل علي بن أبي طالب وقتل معاوية في هذه الليلة ، فان صدق أصحابي فقد قتل علي بالكوفة ومعاوية بالشام وأما أنت فقد سلمت ، فقال عمرو : يا غلام احبسه حتى نكتب إلى معاوية ، فحبسه

حتى أمره معاوية بقتله فقتله .

وأما عبد الله العنبري فقصده دمشق واستخبر عن معاوية فأرشد إليه فجعل يتردد إلى داره فلا يتمكن من الدخول عليه إلى أن أذن معاوية يوماً للناس إذنا عاماً فدخل إليه مع الناس وسلم عليه وحادثه ساعة وذكر له ملوك قحطان ومن له كلام مصيب حتى ذكر له بني عمته وهم أول ملوك قحطان وشيئاً من أخبارهم فلمّا تفرّقوا بقي عنده مع خواص أصحابه و كان فصيحاً خبيراً بأنساب العرب وأشعارهم .

فأحبه معاوية حباً شديداً فقال : قد أذنت لك في كل وقت نجلس فيه أن تدخل علينا من غير مانع ولا دافع ، فكان يتردد إليه إلى ليلة تسع عشرة و كان قد عرف المكان الذي يصلّى فيه معاوية .

فلمّا أذن المؤذن للفجر أتى معاوية المسجد ودخل محرابه ثار إليه بالسيف وضربه فراغ عنه ، فأراد ضرب عنقه فانصاع عنه فوقع السيف في إلبته وكانت ضربته ضربة جبان ، فقال معاوية : لا يفوتنكم الرجل فاستخلف بعض أصحابه للصلاة ونهض إلى داره .

و أمّا العنبري فأخذته الناس وأوثقوه وأتوا به إلى معاوية وكان مغشياً عليه فلمّا أفاق قال له : ويلك بالكع لقد خاب ظنني فيك ما الذي حملك على هذا ؟ فقال له : دعني من كلامك اعلم أننا ثلاثة تحالفنا على قتلك وقتل عمرو بن العاص وعلي بن أبي طالب فان صدقا صاحبنا فقد قتل عليّ وعمرو ، و أمّا أنت فقد روغ أجلك كروغك الثعلب .

فقال له معاوية : على رغم أنك فامر به إلى الحبس فأتاه الساعدي وكان طبيباً فلمّا نظر إليه قال له ، اختر إحدى الخصلتين إمّا أن احمي حديدية فأضعها موضع السيف ، وإمّا أن أسقيك شربة تقطع منك الولد وتبره منها ، لأنّ ضربتك مسمومة فقال معاوية أمّا النار فلا صبر لي عليها ، و أمّا انقطاع الولد فانّ في يزيد

وعبد الله ما تقرُّ به عيني ، فسقاه الشربة فبرىء ولم يولد له بعدها .

وأما ابن ملجم لعنه الله فإنه سار حتى دخل الكوفة و اجتاز على الجامع و كان أمير المؤمنين جالسا على باب كندة فلم يدخله و لم يسلم عليه ، وكان إلى جانبه الحسن والحسين و معه جماعة من أصحابه فلما نظروا إلى ابن ملجم و عبوره قالوا : ألا ترى إلى ابن ملجم عبروا لم يسلم عليك ؟ قال ﷺ : دعوه فإن له شأنان من

الشأن ، والله ليخضبن هذه من هذه وأشار إلى لحيته وهامته ثم قال ﷺ

ما من الموت لانسان نجيا كل امرء لا بد يأتيه الفنا

تبارك الله و سبحانه لكل شيء مدة و انتها

يقدر الانسان في نفسه امرأ و يأتيه عليه القضاء

لا تاملن الدهر في أهله لكل شيء آخر و انقضاء

بين ترى الانسان في غبطة يمسي و قد حل عليه القضاء

ثم جعل يطيل النظر إليه حتى غاب عن عينه و أطرق الأرض يقول : إنا لله و انا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

قال : و سار ابن ملجم حتى وصل إلى دار قطام و كانت قدايست من رجوعه إليها ، و عرضت نفسها على بني عمها و عشيرتها و شرطت عليهم قتل أمير المؤمنين فلم يقدم أحد على ذلك ، فلما طرق الباب قالت من الطارق ؟ قال : أنا عبدالرحمن ، ففرحت قطام به و خرجت إليه و اعتنقته و ادخلته دارها و فرشت له فرش الديباج و احضرت له الطعام و المدام فاكل و شرب حتى سكر و سألته عن حاله فحدثها بجميع ماجرى له في طريقه .

ثم أمرته بالاعتسال و تغيير ثيابه ، ففعل ذلك و امرت جارية لها ففرشت الدار بأنواع الفرش و حضرت له شرابا و جوارى فشرب مع الجواروهن يلعبن له بالعيدان و المعازف (١) و الدفوف فلما أخذ الشراب منه أقبل عليها و قال : ما بالك لاتجالسيني ولا تحاذينني يا قرّة عيني ولا تمازحيني ، فقالت له : بلى سمعا و طاعة

ثم أتتها نهضت و دخلت إلى خدرها و لبست أفخر ثيابها و تزينت و تطيبت و خرجت إليه و قد كشفت له عن رأسها و صدرها و نهودها و أبرزت له عن فخذها وهي في طاق غلالة رومي بيين له منها جميع جسدها وهي تبختر في مشيتها والجوار حولها يلعبن .

فقام الملعون و اعتنقها و ترشقها (١) و حملها حتى أجلسها مجلسها و قد بهت و تحيروا استحوذ عليه الشيطان فضربت يدها على زر قميصها فحلته و كان في حلقتها عقد جوهر ليست له قيمة فلما أراد مجامعتها لم تمكنه من ذلك فقال لم تمانعيني عن نفسك و أنا وأنت على العهد الذي عاهدناك عليه من قتل علي ولو أحببت لقتلت معه شبليہ الحسن والحسين .

ثم ضرب يده على هميانه فحلّه من وسطه ورماه إليها و قال خذيه فان فيه أكثر من ثلاثة آلاف دينار و عبد وقينه ، فقالت له والله لا امكنك من نفسي حتى تحلف لي بالايمان المغلظة انك تقتله فحملته القساوة على ذلك و باع آخرته بديناره و تحكم الشيطان فيه بالايمان المغلظة انه يقتله ولو قطعوه اربا اربا .

فمالت إليه عند ذلك وقبلته و قبلها فأراد و طيها فمانعته و بات عندها تلك الليلة من غير نكاح فلما كان من الغد تزوج بها سرا و طاب قلبه فلما أفاق من سكرته ندم على ما كان منه و عاتب نفسه و لعنها فلم تزل ترادعه في كل ليلة و تعده بوصالها فلما دنت الليلة الموعودة مدّ يده إليها ليضاجعها و يجامعها فأبت عليه وقالت ما يكون ذلك إلا أن تفي بوعدك و كان الملعون اعتلّ علة شديدة فبره منها ، و كانت الملعونة لا تمكنه من نفسها مخافة أن تبرد ناره فيخلّ بقضاء حاجتها .

فقال لها يا قطام : اقتل لك في هذه الليلة علي بن أبي طالب فأخذ سيفه و مضى به إلى الصيقل فأجاد صقاله وجاء به إليها فقالت إنني أريد أن أعمل فيه سمّا قال : و ما تصنع بالسم لو وقع على جبل لهده ، فقالت : دعني أعمل فيه السم فانك لو رأيت عليا لطاش عقلك و ارتعشت يداك و ربّما ضربته ضربة لا تعمل فيه

شيئاً، فإذا كان مسموماً فإن لم تعمل الضربة عمل السمّ.
 فقال لها : يا بلك أنخوفيني من عليّ فوالله لأرهب عليّاً ولاغيره ، فقالت له:
 دعني من قولك هذا فإن عليّاً ليس كمن لاقيت من الشجعان فاطرت في مدحه
 وذكرت شجاعته و كان غرضها أن يحمل الملعون على الغضب و يحرضه على الأمر
 فأخذت السيف و انقضته إلى الصيقل فسقاه السمّ ورددّه إلى غمده
 و كان ابن ملجم قد خرج في ذلك اليوم و يمشي في أزقة الكوفة فلقيه صديق
 له و هو عبدالله بن جابر الحارثي فسلم عليه و هنأ بزواج قطام ، ثم تحدّثا
 ساعة فحدّثه بحديثه من أوله إلى آخره فسرّ بذلك سروراً عظيماً ، فقال له:
 أنا اعاونك.

فقال ابن ملجم : دعني من هذا الحديث فإن عليّاً أروغ من الثعلب وأشدّ
 من الاسد ، ثم مضى ابن ملجم لعنه الله يدور في شوارع الكوفة ، فاجتاز على أمير
 المؤمنين و هو جالس عند ميثم التمار فخطف عنه كيلاً يراه ففطن به فبعث خلفه رسولا
 فلما أتاه وقف بين يديه و سلم عليه و تضرّع لديه.

فقال له : ما تعمل ههنا ؟ قال :- أطوف في أسواق الكوفة و أنظر إليها ، فقال
 عليك بالمساجد فإنها خير لك من البقاع كلّها و شرّها الاسواق ما لم يذكر اسم الله
 فيها ثمّ حدثه ساعة و انصرف.

فلما ولى جعل أمير المؤمنين يطيل النظر إليه و يقول يالك من عدوّ لي من
 مراد ثمّ قال : اريد حياته و يريد قلبي ، و يابى الله إلا أن يشاء.

ثمّ قال ﷺ يا ميثم هذا والله قاتلي لامحالة أخبرني به حبيبي رسول الله ﷺ ،
 فقال ميثم : يا أمير المؤمنين فلم لا تقتله أنت قبل ذلك ؟ فقال : يا ميثم لا يجعل القصاص
 قبل الفعل ، فقال ميثم يا مولاي إذا لم تقتله فاطرده ، فقال : يا ميثم لولا آية في
 كتاب الله :

« يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » .

و أيضاً أنه بعد ما جناجناية فيؤخذ بها ولا يجوز أن يعاقب قبل الفعل ، فقال ميثم :
 جعل يومنا قبل يومك ولا أرانا الله فيك سوء ابدأ و متى يكون ذلك يا أمير المؤمنين ؟
 فقال : إن الله تفرّد بخمسة أشياء لا يطلع عليها نبي مرسل ولا ملك مقرب فقال عز
 من قائل :

« إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ » الآية .

يا ميثم هذه خمسة لا يطلع عليها إلا الله وما اطلع عليها نبي ولا وصي ولا ملك
 مقرب ، يا ميثم لاحذر من قدر ، يا ميثم إذا جاء القضاء فلا مفر ، فرجع ابن
 ملجم و دخل على قظام لعنهما الله و كانت تلك الليلة ليلة تسع عشر من
 شهر رمضان .

قالت أم كاثوم بنت أمير المؤمنين عليها السلام لما كانت ليلة تسع عشرة من شهر
 رمضان قدمت إليه عند افطاره طبقاً فيه قرصان من خبز الشعير و قصعة فيها لبن
 و ملح جريش ، فلما فرغ من صلاته أقبل على فطوره ، فلما نظر إليه و تأمله حرك
 رأسه و بكى بكاء شديداً عالياً و قال : يا بنية ما ظننت أن بنتاً تسوء أباهما كما قد أسأت
 أنت إلي ، قالت : و ماذا أبأ ؟ قال : يا بنية أتقدمين إلي أريك ادامين في فرد طبق
 واحد أتريدن أن بطول وقوفي غداً بين يدي الله عز وجل يوم القيامة أنا أريد أن
 أتبع أخى و ابن عمى رسول الله صلى الله عليه وآله ما قدم إليه طعامان في طبق واحد إلى
 أن قبضه الله .

يا بنية ما من رجل طاب مطعمه و مشربه و ملبسه إلا طال وقوفه بين
 يدي الله عز وجل يوم القيامة ، يا بنية إن الدنيا في حلالها حساب و في حرامها عقاب .
 و قد أخبرني حبيبي رسول الله أن جبرئيل نزل إليه و معه مفاتيح كنوز الأرض
 و قال : يا محمد الله يقرؤك السلام و يقول لك ان شئت سيرت معك جبال تهامة ذهباً
 و فضة و خذ هذه مفاتيح كنوز الأرض و لا ينقص ذلك من حظك يوم القيامة ، قال :

يا جبرئيل وما يكون بعد ذلك؟ قال الموت، فقال: إذن لا حاجة لي في الدنيا دعني أجوع يوماً وأشبع يوماً، فالיום الذي أجوع فيه أتضرع إلى ربي وأسأله، واليوم الذي أشبع فيه أشكر ربي وأحمده، فقال له جبرئيل: وفقت لكل خير ثم قال:

يا بنية الدنيا دار غرور ودار هو ان فمن قدم شيئاً وجده، يا بنية الله لا آكل شيئاً حتى ترفعين أحد الأدامين، فلما رفعت قدمي إلى الطعام فأكل قرصاً واحداً بالملح الجريش.

ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قام إلى صلواته فصلى فلم يزل راکعاً وساجداً ومبتهلاً ومتضرعاً إلى الله سبحانه ويكثر الدخول والخروج وهو ينظر إلى السماء وهو قلق يتململ، ثم قرء سورة يس حتى ختمها، ثم رقد هنيئاً وانتبه مرعوباً وجعل يمسح وجهه بثوبه نهض قائماً على قدميه وهو يقول: اللهم بارك لنا في لقاءك ويكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم صلى حتى ذهب بعض الليل، ثم جلس للتعقيب، ثم نامت عيناه وهو جالس، ثم انتبه من نومته مرعوباً.

قالت أم كلثوم كانتى به وقد جمع أولاده وأهله وقال لهم في هذا الشهر تفقدوني إنني رأيت في هذه الليلة رؤياها لتني وأريد أن أقصها عليكم، قالوا: وما هي؟ قال: إنني رأيت الساعة رسول الله في منامي وهو يقول لي: يا أبا الحسن إنك قادم إلينا عن قريب يجيء إليك أشقاها فيخضب شيبتك من دم رأسك وأنا والله مشتاق إليك وإنك عندنا في العشر الآخر من شهر رمضان فهل إلينا فما عندنا خير لك وأبقى.

قال: فلما سمعوا كلامه ضجوا بالبكاء والنحيب وأبدوا العويل فاقسم عليهم بالسكوت فسكوتوا، ثم أقبل عليهم بوصيهم وبأمرهم بالخير وبنهيهم عن الشر.

قالت أم كلثوم فلم يزل تلك الليلة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً، ثم يخرج

ساعة بعد ساعة يقلب طرفه في السماء و ينظر في الكواكب وهو يقول والله ما كذبت ولا كذبت و إنها الليلة التي وعدت بها.

ثم يعود إلى صلاة و يقول . اللهم بارك لي في الموت و يكثر من قول إن الله و إننا إليه راجعون و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم و يصلي على النبي و آله و يستغفر الله كثيراً .

قالت أم كلثوم : ، فلما رأته في تلك الليلة فلما متملما كثير الذكر و الاستغفار أرقت معه ليلتي و قلت يا ابتاه مالي أراك هذه الليلة لانذوق طعم الرقاد ، قال : يا بنية إن أباك قتل الأبطال و خاض الأهوال و ما دخل الجوف له خوف و ما دخل في قلبي رعب أكثر مما دخل في هذه الليلة ، ثم قال : إن الله و إننا إليه راجعون ، فقلت : يا أباه مالك تنمي نفسك منذ الليلة ، قال : يا بنية قد قرب الأجل و انقطع الأمل قالت أم كلثوم : فبكيت ، فقال لي : يا بنية لا تبكين فأنسي لم أقل ذلك إلا بما عهد إلي النبي ، ثم انه عليه السلام نعى و طوى ساعة ثم استيقظ من نومه ، و قال يا بنية إذا قرب وقت الأذان فأعلميني ، ثم رجع إلي ما كان عليه أول الليل من الصلاة و الدعاء و التضرع إلى الله سبحانه

قالت أم كلثوم فجعلت أرقب وقت الأذان فلما لاح الوقت أتته و معي إناه فيه ماة ثم أيقظته أسبخ الوضوء و قام و لبس ثيابه و فتح بابه ، ثم نزل إلى الدار و كان في الدار أوزقداً هدى إلى أخى الحسين فلما نزل خرجن و رائه و رفرن و صحن في وجهه و كان قبل تلك لم يصحن ، فقال : لا إله إلا الله .

صوارخ تتبعها نوايح و في غداة عند يظهر القضا

فقلت له : يا أبا هكذا تطير ، فقال : يا بنية مامناً أهل البيت من يتطير ولا يتطير به ولكن قول جرى على لساني ، ثم قال : يا بنية بحقّي عليك إلا ما أظلقته فقد حبست ما ليس له لسان ولا يقدر على الكلام إذا جاع أو عطش فأطعميه و اسقيه و إلا خلّي سبيله يأكل من حشائش الأرض ، فلما وصل إلى الباب فعالجه ليفتحه فأنحل مئزره حتى سقط فأخذه و شده و هو يقول :

اشدد حياز يمك للموت فان الموت لايكا

ولا تجزع من الموت إذا حلّ بناديكا
ولا تغتر بالدهر و ان كسان يواتيكاً كما أضحكك الدهر كذاك الدهر ببيكيكا
ثم قال : اللهم بارك لنا في الموت اللهم بارك لي في لقاءك .

قالت أم كلثوم : و كنت أمشى فملفقه فلما سمعته يقول ذلك ، قلت : و اغوثاه
يا أبتاه أراك تنمي نفسك منذ الليلة ، قال : يا بنية ما هو بنعاه ولكنها دلالات وعلامات
للموت تتبع بعضها بعضا فامسكي عن الجواب ، ثم فتح الباب و خرج .

قالت أم كلثوم : فجئت إلي أخي الحسن فقلت يا أخي قد كان من أمر
أبيك الليلة كذا و كذا ، و هو قد خرج في هذا الليل الغلس فالحقه ، فقام الحسن بن
علي عليه السلام و تبعه فلحق به قبل أن يدخل الجامع فقال : يا أباه ما اخرجك في هذه
الساعة و قد بقي من الليل ثلثه

فقال : يا حبيبي و يا قرّة عيني خرجت لرؤياً رأيتها في هذه الليلة هالتي
و أزعجتني و أفلقتني ، فقال له : خيراً رأيت و خيراً يكون فقصتها علي ،

فقال : يا بني رأيت كان جبرئيل قد نزل من السماء علي جبل أبي قبيس فتناول
منه حجرين و مضى بهما إلي الكعبة و تركهما علي ظهرها و ضرب أحدهما علي الآخر
فصار كالرّميم ، ثم ذراهما (١) في الرّيح فما بقي بمكة ولا بالمدينة بيت إلا ودخله
من ذلك الرماد فقال له يا أبت و ما تأويلها ؟

فقال : يا بني إن صدقت رؤياي فإن أباك مقتول ولا يبقى بمكة حينئذ و لا
بالمدينة بيت إلا و يدخله من ذلك غمّ و مصيبة من أجلي ، فقال الحسن عليه السلام و هل
تدري متى يكون ذلك يا أبت ؟ قال : يا بني أن الله يقول :

« وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ

تَمُوتُ » .

ولكن عهد إلى حبيبي رسول الله أنه يكون في العشر الآخر من شهر رمضان يقتلني ابن ملجم المرادي ، فقلت له يا أبتاه إذا علمت ذلك منه فاقتله ، قال : يا بني لا يجوز القصاص قبل الجناية والجناية لم تحصل منه ، يا بني لو اجتمع الثقلان الانس والجن على أن يدفعوا ذلك لما قدروا ، يا بني ارجع إلى فراشك ، فقال الحسن يا أبتاه أريد أمضى معك إلى موضع صلاتك .

فقال له : اقسمت بحقي عليك إلا ما رجعت إلى فراشك لئلا يتغص عليك نومك ولا تعصني في ذلك ، قال فرجع الحسن فوجد اخته أم كلثوم قائمة خلف الباب تنتظره فدخل فأخبرها بذلك وجلسا يتحدثان وهما محزونان حتى غلب عليها النعاس فقاما ودخلا إلى فراشهما وناما

قال أبو مخنف وغيره : و سار أمير المؤمنين حتى دخل المسجد و القناديل قد خمد ضوئها فصلّى في المسجد وتمّ و رده و عقب ساعة ثم إنه قام وصلّى ركعتين ثم علا المأذنة ووضع سبابته في أذنيه و تنحّح ، ثم أذن وكان صلوات الله عليه إذا أذن لم يبق في الكوفة بيت إلا اخترقه صوته

قال الراوي : وأما ابن ملجم فبات في تلك الليلة يفكر في نفسه ولا يدرى ما يصنع فتارة يعاتب نفسه و يوبخها ويخاف من عقبي فعله فيهم أن يرجع عن ذلك ، وتارة يذكر قطام لعنهما الله وحسنها وجمالها وكثرة مالها فتميل نفسه إليها ، فبقى عامة ليله يتقلب على فراشه و هو يترنم بشعره ذلك إذا أتته الملعونة و نامت معه في فراشه وقالت يا هذا من يكون على هذا العزم يرقد

فقال لها والله إنني أقتله لك الساعة فقالت اقتله وارجع إلى قريبر العين مسروراً وافعل ما تريد فأنى منتظرة لك ، فقال لها بئس اقتله وارجع إليك سخين العين منحوسا محسورا ، فقالت أعوذ بالله من تطيرك الوحش

قال فوثب الملعون كأنه الفحل من الابل قال هلمني الي بالسيف ، ثم انه انزّر بمززر واتشح (١) بازار وجعل السيف تحت الازار من بطنه ، و قال افتح لي

الباب ففي هذه الساعة اقتل لك علياً ، فقامت فرحة مسرورة و قبلت صدره و بقي يقبلها و يترشقها ساعة ثم راودها عن نفسها فقالت : هذا علي أقبل الى الجامع وأذن فقم إليه فاقتله ثم عد إلى فيها أنا منتظرة رجوعك ، فخرج من الباب و هي خلفه تحرضه بهذه الايات :

أقول إذا ما حية أعيت الرقا
وكان ذعاف (١) الموت منه شرابها
دسنا إليها في الظلام ابن ملجم
همام إذا ما الحرب شب لها بها
فخذها علي فوق رأسك ضربة
بكف سعيد سوف يلقا نوابها

قال الراوى : فالتفت إليها و قال أفسدت والله الشعر في هذا البيت الآخر ، قالت : و لم ذلك ؟ قال لها : هلا قلت

بكف شقي سوف يلقا عقابها

قال مصنف هذا الكتاب قدس الله روحه : هذا الخبر غير صحيح بل إننا كتبناه كما وجدناه ، و الرواية الصحيحة أنه بات في المسجد ومعه رجلان أحدهما شبيب ابن بحيرة و الآخر وردان بن معالج يساعده انه علي قتل علي ، فلما أذن نزل من المأذنة وجعل يسبح الله و يقدمه و يكبره و يكسر من الصلاة على النبي قال الراوى : و كان من أكرم أخلاقه أن يفتقد النائم في المسجد ويقول للنائم : الصلاة يرحمك الله الصلاة ثم إلى الصلاة المكتوبة ثم يتلو « إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ » .

ف فعل ذلك كما كان يفعله على جارى عاداته مع النائمين في المسجد حتى إذا بلغ إلى الملعون فرآه نائماً على وجهه قاله : يا هذا قم من نومك هذا فانها نومة يمقتها الله وهي نومة الشيطان و نومة أهل النار ، بل نم على يمينك فانها نومة العلماء أو على يسارك فانها نومة الحكماء أو على ظهرك فانها نومة الانبياء .

قال : فتحرك الملعون كأنه يريد أن يقوم و هو من مكانه لا يبرح فقال له أمير المؤمنين : لقد هممت بشيء تكاد السموات يتفطرن منه و تنشق الأرض و تخرب

الجبال هداً ، ولو شئت لأنبتك بما صحت ثيابك ، ثم تركه وعدل عنه إلى محرابه وقام قائماً يصلي وكان يطيل الركوع والسجود في الصلاة كعادته في الفريضة والنوافل حاضراً قلبه .

فلما أحس به فنهض الملعون مسرعاً وقبل يمشى حتى وقف بازاء الاسطوانة التي كان الامام يصلي عليها ، فأملهه حتى صلى الركعة الأولى وركع وسجد السجدة الأولى منها ، ورفع رأسه عن ذلك أخذ السيف وهزه ثم ضربه على رأسه المكروم الشريف ف وقعت الضربة على الضربة التي ضربها عمرو بن عبدود العامري ثم أخذت الضربة إلى مفرق رأسه إلى موضع السجود

فلما أحس الامام بالضرب لم يتأوه وصبر واحتسب ووقع على وجهه وليس عنده أحد قائلاً : بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، ثم صاح وقال قتلني ابن ملجم قتلني اللعين ابن اليهودية ورب الكعبة أيها الناس لا يفوتكم ابن ملجم و سار السهم في رأسه وبدنه وثار جميع من في المسجد في طلب الملعون وماجوا بالسلاح فما كنت أرى إلا صفق الأيدي على الهامات وعلو الصرخات

وكان ابن ملجم ضربه ضربة خائفاً فرعوباً ، ثم ولى هارباً وخرج من المسجد وأحاط الناس بأمر المؤمنين وهو في محرابه يشد الضربة و يأخذ التراب و يضعه عليها ثم تلا قوله تعالى :

« مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى »

ثم قال : جاء أمر الله وصدق رسول الله ثم إنه لما ضربه الملعون ارتجت الأرض وباحت البحار والسموات واصطفقت أبواب الجامع

قال : وضربه اللعين شبيب بن بحيرة ؛ فأخطأه و وقعت الضربة في الطاق

قال الراوي : فلما سمع الناس الضجة نار إليه كل من كان في المسجد وصاروا يدورون ولا يدرون أين يذهبون من شدة الصدمة والدهشة ، ثم أحاطوا بأمر المؤمنين وهو يشد رأسه بميزره والدم يجري على وجهه ولحيته وقد خضبت بدماثة وهو يقول :

هذا ما وعد الله ورسوله وصدق الله ورسوله .

قال الرأوي . فاصطفقت أبواب الجامع وضجت الملائكة في السماء بالدعاء وهبت ريح عاصف سوداء مظلمة ، ونادى جبرئيل بين السماء والأرض بصوت يسمعه كل مستيقظ : تهديمت والله أركان الهدى ، وانطمست والله نجوم السماء ، وأعلام التقى وانفصمت والله العروة الوثقى ، قتل ابن عم محمد المصطفى قتل الوصي المجتبي قتل علي المرتضى ، قتل والله سيد الأوصياء ، قتله أشقى الأَشقياء

قال : فلما سمعت أم كلثوم نعى جبرئيل فلطمت على وجهها وخذها وشقت جيبها وصاحت وأبتهاء وعلياهاء واهجدهاء واهجدهاء ، ثم أقبلت إلى أخويها الحسن والحسين ﷺ فأيقظتهما وقالت لهما لقد قتل أبوكما ، فقاما يبكيان فقال لهما الحسن يا اختاه كفي عن البكاء حتى نعرف صحة الخبر كيلا تشمت الأعداء

فخرجوا فإذا الناس ينوحون وينادون واهماماه واهماماه أمير المؤمنين قتل والله إمام عابد مجاهد لم يسجد لصنم قط كان أشبه الناس برسول الله

فلما سمع الحسن والحسين صرخات الناس ناديا واهجدهاء واهجدهاء ليمت الموت أعدمنا الحياة ، فلما وصلا الجامع ودخلا وجدا أبا جعدة بن هبيرة ومعه جماعة من الناس وهم يجتهدون أن يقيموا الامام في المحراب ليصلي بالناس فلم يطق على النهوض وتأخر عن الصف وتقدم الحسن فصلى بالناس واهجدهاء واهجدهاء أمير المؤمنين يصلي ايماء عن جلوس وهو يمسح الدم عن وجهه وكريمه الشريف يميل تارة ويسكن اخرى والحسن ينادى واهجدهاء واهجدهاء يعز والله على أن أراك هكذا

ففتح عينه وقال : يا بني لا جزع على أبيك بعد اليوم ، هذا جدك محمد المصطفى وجدتك خديجة الكبرى وأمك فاطمة الزهراء واهجدهاء واهجدهاء محققون منتظرون قدوم أبيك ، فطب نفسا وقر عيننا وكف عن البكاء فان الملائكة قدار تفتت أصواتهم إلى السماء

قال : ثم إن الخبر شاع في جوانب الكوفة وانحشر الناس حتى المخدرات خرجن من خدرهن إلى الجامع ينظرن إلى أمير المؤمنين ، فدخل الناس الجامع

فوجدوا الحسن ورأس أبيه في حجره وقد غسل الدّم عنه وشدّ الضّربة وهي بعدها تشخب وما ووجهه قد زاد بياضا بصفرة وهو يرمق السّماء بطرفه ولسانه يسبح الله ويوحّدوه وهو يقول :

أسألك يا ربّ الرّبيع الأعلى، فأخذ الحسن رأسه في حجره فوجده مغشياً عليه فعندها بكى بكاء شديداً وجعل يقبّل وجه أبيه و ما بين عينيه وموضع سجوده ، فسقط من سجوده دموعه ظا قطرات على وجه أمير المؤمنين ففتح عينيه فرآه با كيا فقال: يا بنى يا حسن ما هذا البكاء يا بنى لا روع على أيبك بعد اليوم هذا جدك محمد المصطفى وخديجة وفاطمة والحدور العين محدقون منتظرون قدوم أيبك فطب نفساً و قرّ عينا واكفف عن البكاء فانّ الملائكة قد ارتفعت أصواتهم إلى السّماء

يا بنى أتجزع على أيبك وغداً تقتل بعدي مسموما مظلوما وأخوك يقتل بالسيف هكذا وتلحقان بعدكما كما وأيبكما وأمكما فقال له الحسن : ماتعرفنا من قتلك ومن فعل بك هذا ، قال : قتلنى ابن اليهودية عبدالرحمن بن ملجم المرادي ، فقال يا أباه من أى طريق مضى قال : لا يمضى أحد في طلبه فانه سيطلع عليكم من هذا الباب وأشار بيده الشريفة إلى باب كندة

قال : ولم يزل السّم يسرى في رأسه وفي بدنه ، ثمّ أغمى عليه ساعة والنّاس ينتظرون قدوم الملعون من باب كندة ، واشتغل النّاس بالنّظر إلى الباب ويرتقبون قدوم الملعون وقد غصّ المسجد بالعالم ما بين باك ومحزون ، فما كان إلاّ ساعة وإذا بالصبيحة قد ارتفعت وزمرة من النّاس و قد جاؤوا بعدد الله ابن ملجم مكتوفاً وهذا يلعنه وهذا يضربه

قال : فوقع النّاس بعضهم على بعض ينتظرون إليه فأقبلوا باللعين مكتوفاً وهذا يلعنه وهذا يضربه وهم ينهشون لحمه بأسنانهم ويقولون له : يا عدو الله ما فعلت أهلكت امّة محمد و قتلت خير النّاس وإنه لصامت وبين يديه رجل يقال له حذيفة النخعي بيده سيف مشهور وهو يردّ النّاس عن قتله وهو يقول : هذا قاتل الامام عليّ عليه السلام حتى أدخلوه المسجد .

قال الشعبي : كَانَتْ أُنظُرُ إِلَيْهِ وَعَيْنَاهُ قَدْ طَارَ فِي أُمِّ رَأْسِهِ كَانَهُمَا قَطَعْتَا عُلُقَ وَقَدْ وَقَعْتَ فِي وَجْهِهِ ضَرْبَةً قَدْ هَشَمْتَ وَجْهَهُ وَ أَنْفَهُ وَالدَّمُ يَسِيلُ عَلَى صَدْرِهِ وَ هُوَ يَنْظُرُ يَمِينًا وَ شِمَالًا وَ عَيْنَاهُ قَدْ طَارَتَا فِي أُمِّ رَأْسِهِ وَ هُوَ أَسْمَرُ اللَّوْنِ حَسَنُ الْوَجْهِ وَ فِي وَجْهِهِ اثْرُ السَّجُودِ وَ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ شَعْرٌ أَسْوَدٌ مَنُثُورٌ عَلَى وَجْهِهِ كَأَنَّهُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ ، فَلَمَّا حَازَانِي سَمِعْتَهُ يَتَرْتَمُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ :

أَقُولُ لِنَفْسِي بَعْدَ مَا كُنْتُ أَنْهَمَهَا وَقَدْ كُنْتُ أَسْنَاهَا وَ كُنْتُ أَكِيدُهَا
أَيَا نَفْسِ كَفَيْ عَنْ طَلَابِكَ وَ اصْبِرِي وَلَا تَطْلُبِي هَمًّا عَلَيْكَ يَبِيدُهَا
فَمَا قَبِلْتُ نَصْحِي وَ قَدْ كُنْتُ نَاصِحًا كُنْصَحَ وَ لَوْ دَغَابَ عَنْهَا وَ لِيدُهَا
فَمَا طَلَبْتُ إِلَّا عَنَائِي وَ شَقَوْتِي فَيَا طُولَ مَكْتَى فِي الْجَحِيمِ بَعِيدُهَا
فَلَمَّا جَاؤَ وَابَهُ أَوْقَفُوهُ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ الْحَسَنُ عليه السلام قَالَ لَهُ : يَا
وَيْلَكَ يَا لِعَيْنِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَنْتَ قَاتِلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ ، هَذَا جَزَاؤُهُ مِنْكَ حَيْثُ
آوَاكَ وَ قَرَّبَكَ وَ أَدْنَاكَ وَ آتَرَكَ عَلَى غَيْرِكَ ، وَ هَلْ كَانَ بَسُّ الْإِمَامِ لَكَ حَتَّى
جَازَيْتَهُ هَذَا الْجَزَاءَ يَا شَقِي.

قال : فلم يتكلم بل رمعت عيناه فانكبت الحسن عليه السلام على أبيه يقبله و قال له :
هذا قاتلك يا أباه قد أمكن الله منه فلم يجبه عليه السلام و كان نايمًا فكره أن يوقظه من
نومه ، ثم التفت إلى ابن ملجم و قال له : يا عدو الله هذا كان جزاؤه منك بؤاك و أدناك
و قرّبك و حباك و فضلك على غيرك هل كان بسّ الامام حتى جازيته هذا الجزاء
يا شقيّ الاشقياء.

فقال له الملعون يا أبا محمد أفأنت تنقذ من في النار فعند ذلك ضجّت الناس
بالبكاء والنحيب فأمرهم الحسن عليه السلام بالسكوت.

ثم التفت الحسن عليه السلام إلى الذي جاء به حذيفة رضى الله عنه ، فقال له :
كيف ظفرت بعدو الله و أين لقيته : فقال : يا مولاي إن حديثي معه لعجيب .

وذلك إنني كنت البارحة نائمة في داري و زوجتي إلى جانبي وهي من غطفان وأنا
راقد وهي مستيقظة إذ سمعت هي الزعقة و ناعيا يعني أمير المؤمنين و هو يقول :
تهدّمت والله أركان الهدى ، و انطمست والله أعلام التقى ، قتل ابن عم محمد المصطفى

قتل علي المرتضى قتله أشقى الأشقياء ، فأيقظتني وقالت لي أنت نائم وقد قتل إمامك علي بن أبي طالب .

فانتبهت من كلامها فزعاً مرعوباً و قلت لها : يا ويلك ما هذا الكلام رض الله فاك لعل الشيطان قد ألقى في سمعك هذا أو حلم ألقى عليك ، يا ويلك إن أمير المؤمنين ليس لأحد من خلق الله قبله تبعه ولا ظالمة وإنه لليتيم كالأب الرحيم وللأرملة كالزوج العطوف ، وبعد ذلك فمن الذي يقدر على قتل علي أمير المؤمنين وهو الأسد الضرعام والبطل الهمام والفارس القمقام .

فاكثرت علي وقالت : انسى سمعت مالم تسمع وعلمت مالم تعلم ، فقلت لها وما سمعت فأخبرتني بالصوت ، فقالت سمعت ناديا ينادى بأعلى صوته : تهدمت والله أركان الهدى وانظمت والله أعلام التقي قتل ابن عم محمد المصطفى قتل علي المرتضى قتله أشقى الأشقياء .

ثم قالت و ما أظن بيتاً إلا وقد دخله هذا الصوت ، قال فينما أنا وهي في مراجعة الكلام وإذا بصيحة عظيمة و جلبة و ضجة عظيمة و قائل يقول : قتل أمير المؤمنين .

فحس قلبي بالشر فمددت يدي إلى سيفي و سللته من غمده و أخذته و نزلت مسرعا و فتحت باب داري و خرجت فلما صرت في وسط الجادة فنظرت يمينا و شمالا و إذا بعدو الله يحول فيها يطلب مهربا فلم يجدوا إذا قد انسدت الطرقات في وجهه فلما نظرت إليه و هو كذلك رابنى أمره فناديته :

يا ويلك من أنت و ما تريد لأأم لك في وسط هذا الدرب تمر و تجي ، فتسمى بغير اسمه و انتمى بغير كنيته ، فقلت له : من أين أقبلت ؟ قال : من منزلي قلت : وإلى أين تريد تمضي في هذا الوقت قال : إلى الحيرة ، فقلت : ولم لا تقعد حتى تصلى مع أمير المؤمنين صلاة الغداة و تمضي في حاجتك ؟ فقال : أخشى أن أقعد للصلاة فتفوت حاجتي فقلت : يا ويلك إنني سمعت صيحة و قائلاً يقول قتل أمير المؤمنين فهل عندك من ذلك خبر ؟ قال : لا أعلم لي بذلك فقلت له : فلم لا تمضي معي حتى تحقق الخبر

وتمضى في حاجتك؟ فقال: أنا ماض في حاجتي وهي أهم من ذلك.
فلما قال لي مثل ذلك القول قلت بالكعب الرّجال حاجتك أحب إليك من التحسس
لأمير المؤمنين وإمام المسلمين إذن والله بالكعب مالك عند الله من خلاق، وحملت
عليه بسيفي و هممت أن أعلو به فراغ عني.

فبينما أنا أخطبه وهو يخاطبني إذ هبت الريح فكشفت إزاره و إذأ بسيفه
يلمع تحت الازار كأنه مرآة مصقولة، فلما رأيت بريقه تحت ثيابه قلت: يا ويلك
ما هذا السيف المشهور تحت ثيابك لعلك أنت قاتل أمير المؤمنين فأراد أن يقول
لأفانطق الله لسانه بالحق فقال نعم.

فرفعت سيفي وضربته فرفع هو سيفه وهم أن يعلوني فانحرفت عنه فضربته
على ساقيه فأوقفته ووقع لحيته و وقعت عليه و صرخت صرخة شديدة وأردت أخذ
سيفه فمانعني عنه، فخرج أهل الحيرة فأعانوني عليه حتى أوثقته كتافا وجئتك به
فها هو بين يديك جعلني الله فداك فاصنع به ماشئت.

فقال الحسن الحمد لله الذي نصر وليه و خذل عدوه، ثم انكب الحسن على
أبيه يقبله و قال له: يا أباه هذا عدو الله و عدوك قد امكن الله منه فلم يجبه و كان
نايما فكره أن يوقظه من نومه فرقد ساعة ثم فتح عينيه و هو يقول: ارفقوا بي يا
ملائكة ربي.

فقال له الحسن عليه السلام هذا عدو الله و عدوك ابن ملجم قد امكن الله منه وقد
حضر بين يديك قال: ففتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه و نظر إليه و هو مكتوف وسيفه
معلق في عنقه فقال له بضعف و انكسار صوت و رأفة و رحمة: يا هذا لقد جئت
عظيما و ارتكبت أمراً عظيما و خطبا جسيما أبس الامام كنت لك حتى جازيتني
بهذا الجزاء؟ ألم اكن شفيقا عليك و آثرتك على غيرك و احسنت اليك و زدت في
اعطائك؟ ألم يكن يقال لي فيك كذا و كذا فخليت لك السبيل و منحتك عطائي؟
و قد كنت أعلم أنك قاتلي لامحالة و لكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى
عليك بالكعب و على أن ترجع عن غيرك فقلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا

أشقى الأشقياء.

قال قدمعت عينا ابن ملجم لعنه الله و قال : يا أمير المؤمنين أفأنت تنقذ من في النار، قال له : صدقت ، ثم التفت إلى ولده الحسن و قال له : ارفق يا ولدي بأسيرك و ارحمه و أحسن إليه و اشفق عليه ألا ترى إلى عينيهِ قد طارتا في أم رأسه و قلبه يرجف خوفا و رعبا و فرعا.

فقال له الحسن : يا أباه قد قتلك هذا اللعين الفاجر و أفجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرفق به فقال له : نعم يا بني نحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا كرما و عفواً و الرحمة و الشفقة من شيمتنا لا من شيمة عدونا.

بحقِّي عليك فأطعمه يا بني ممّا تأكل و اسقه مما تشرب و لا تقيد له قدما و لا تغل له يدا فان أنامت فاقصص منه بأن تقتله و تضربه ضربة واحدة و تحرقه بالنار و لا تمثل بالرجل فأنى سمعت جدك رسول الله ﷺ يقول إياكم و المثلة و لو بالكلب العقور ، و إن أنا عشت فأنا أولى به بالعفو عنه و أنا أعلم بما أفعل به فان عفوت فنحن أهل بيت لا نزداد على المذنب إلينا إلا عفواً و كرما.

قال مخنف بن حنيف : إنى والله ليلة تسع عشرة في الجامع في رجال نصلي قريبا من السدة التي يدخل منها أمير المؤمنين فيبينما نحن نصلي إذ دخل أمير المؤمنين من السدة و هو ينادي الصلاة ثم صعد المأذنة فأذن ثم نزل فعبّر على قوم نيام في المسجد فناداهم الصلاة ثم قصد المحراب.

فما أدري دخل في الصلاة ام لا إذ سمعت قائلا يقول : الحكم لله لالك يا علي، قال : فسمعت عند ذلك أمير المؤمنين عليه السلام يقول : لا يفوتكم الرجل ، قال فشد الناس عليه و أنا معهم و إذا هو ورد ان بن مجالد ، و أمّا ابن ملجم لعنه الله فإنه هرب من ساعته و دخل الكوفة و رأينا أمير المؤمنين مجروحا في رأسه.

قال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : ثم إن أبي قال : احملوني الى موضع مصلاي في منزلي قال فحملناه إليه و هو مدنف و الناس حوله وهم في اسر عظيم باكين معزوين قد اشرفوا على الهلاك من شدة البكاء و النحيب .

ثم التفت إليه الحسين و هو يبكي فقال له يا أبتاه من لنا بعدك لا كيومك إلا يوم رسول الله من أجلك تعلمت البكاء يعزّو الله على أن أراك هكذا فناداه عَلَيْكَ السَّلَامُ وقال : يا حسين يا أبا عبد الله ادن مني ، فد نامنه وقد قرحت أجفان عينيه من البكاء فمسح الدموع من عينيه و وضع يده على قلبه و قال له : يا بني ربط الله قلبك بالصبر و أجزل لك ولاخوانك عظيم الأجر ، فسكن روعتك و اهدى من بكائك ، فان الله قد آجرك على عظيم مصابك ثم ادخل إلى حجرته و جلس في محرابه .

قال الراوي : و أقبلت زينب و أم كلثوم حتى جلستا معه على فراشه و أقبلتا تندبانه و تقولان : يا أبتاه من للصغير حتى يكبر ، و من للكبير بين الملاء ، يا أبتاه حزننا عليك طويل و عبرتنا لا ترقى .

قال فضجّ الناس من وراء الحجرة بالبكاء و النحيب و فاضت دموع أمير المؤمنين عند ذلك و جعل يقلّب طرفه و ينظر إلى أهل بيته و أولاده ، ثم دعا الحسن و الحسين عليهما السلام و جعل يحضنها و يقبلهما .

ثم انغمى عليه ساعة طويلة و أفاق ، و كذلك رسول الله يغمى عليه ساعة طويلة و يفيق أخرى لأنه وَاللَّهِ لَيَكُنَّ كان مسموما فلما أفاق ناداه الحسن قعبا من لبن فشرب منه قليلا ثم نحاه عن فيه و قال : احمלוه الي أسيركم .

ثم قال للحسن : بحقّي عليك يا بني إلا ما طيبتم مطعمه و مشربه و أرفقوا به إلى حين موتي و تطعمه ممّا تأكل و تسقيه ممّا تشرب حتى تكون أكرم منه ، فعند ذلك حملوا إليه اللبن و أخبروه بما قال أمير المؤمنين في حقّه فأخذ اللبن و شربه .

قال : و لما حمل أمير المؤمنين إلى منزله جاؤوا باللّعين مكتوفا إلى بيت من بيوت القصر فحبسوه فيه فقالت له أم كلثوم وهي تبكي : يا وياك أما أبي فانه لا بأس عليه وإن الله مخزيك في الدنيا والآخرة وإن مصيرك إلى النار خالدا فيها ، فقال لها ابن ملجم لعنه الله : ابكي إن كنت باكية فوالله لقد اشتريت سيفي هذا بألف و سممته بألف ، ولو كانت ضربتي هذه لجميع أهل الكوفة مانجا منهم أحد

و في ذلك يقول الفرزدق :

فلا غرو للأشراف إن ظفرت بها

ذئاب الأعدى من فصيح و أعجم

فحربة وحشى سقت حمزة الردى

و حتف على من حسام ابن ملجم

قال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : و بتنايلة عشرين من شهر رمضان مع أبي

وقد نزل السم إلى قدميه و كان يصلي تلك الليلة من جلوس و لم يزل يوصينا بوصاياهم

و يعزينا من نفسه و يخبرنا بأمره و تبيانه إلى حين طلوع الفجر (١) .

فلما أصبح استاذن الناس عليه فاذن لهم بالدخول فدخلوا عليه و أقبلوا

يسلمون عليه و هو يرد عليهم السلام ، ثم قال أيها الناس اسألوني قبل أن تفقدوني

و خففوا سؤالكم لمصيبة إمامكم .

قال : فبكى الناس عند ذلك بكاء شديداً و أشفقوا أن يسألوه تخفيفاً عنه ، فقام

إليه حجر بن عدي الطائي و قال :

فيا أسفا على المولى التقى

أبو الأطهار حيدرة الزكي

قتله كافر حنث زنيهم

لعين فاسق نفل شقي

فيلعن ربنا من حاد عنكم

و يبره منكم لعنا و بى

لأنكم يوم الحشر ذخرى

و أتم عترة الهادى النبى

فلمّا بصره و سمع شعره قال له : كيف لي بك اذا دعيت إلى البرائة مني فما

عساک أن تقول ؟ فقال : والله يا امير المؤمنين لو قطعت بالسيف ارباً ارباً واضرم لي النار

و ألقيت فيها لا آثرت ذلك على البرائة منك ، فقال : و فقت لكل خير يا حجر جزاك الله

خييراً عن أهل بيت نبيك .

١- قال ابو الفرج الاصبهاني ثم جمع له اطباء الكوفة فلم يكن منهم اعلم بجرحه من اثير

ابن عمرو بن هاني السلوي و كان متطبب صاحب كرسى يعالج الجراحات و كان من الاربيين غلاما

الذين كان ابن الوليد اصابهم في عين التمر فسياهم فلما نظر اثير الى جرح امير المؤمنين دعا

برية شاة حارة فاستخرج منها عرقا و ادخله في الجرح ثم نفخه ، ثم استخرجه و اذا عليه بياض

الدماغ فقال يا امير المؤمنين اعهد عهدك فان عدوا الله قد وصلت ضربته الى امرأسك منه .

ثم قال : هل من شربة من لبن ؟ فأتوه بلبن في قعب فأخذه وشربه كله فذكر الملعون ابن ملجم وأنه لم يخلف له شيئاً فقال : وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، اعلموا أنني شربت الجميع و لم أبق لأسيركم شيئاً من هذا إلا وأنه آخر رزقي من الدنيا فبالله عليكم يا بنى إلا ما أسقيته مثل ما شربت فحمل إليه ذلك فشربه

قال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : لما كانت ليلة احدى وعشرين وأظلم الليل وهي الليلة الثانية من الكائنة ، جمع أبى أولاده وأهل بيته وودعهم ، ثم قال لهم : الله خليفتي عليكم وهو حسبي ونعم الوكيل ، وأوصاهم الجميع منهم بلزوم الايمان والأديان والأحكام التي أوصاه بها رسول الله ﷺ .

فمن ذلك ما نقل عنه أوصى به الحسن والحسين ﷺ لما ضربه الملعون ابن ملجم وهي هذه : أوصيكما بتقوى الله ، إلى آخر ما يأتي في الكتاب برواية السيد في باب المختار من وصاياه إنشاء الله .

قال : ثم تزايد ولوج السم في جسده الشريف حتى نظرنا إلى قدميه وقد احمرتا جميعاً ، فكبر ذلك علينا وآيسنا منه ثم أصبح فأمرهم ونهاهم وأوصاهم ثم عرضنا عليه المأكول والمشروب فأبى أن يشرب فنظرنا إلى شفتيه وهما يختلجان بذكر الله تعالى ، وجعل جبينه يرشح عرقاً وهو يمسحه بيده

قلت : يا أبت أراك تمسح جبينك ، فقال : يا بنى إنني سمعت جدك رسول الله ﷺ يقول : إن المؤمن إذا نزل به الموت ودنت وفاته عرق جبينه وصار كاللؤلؤ الرطب وسكن أئنيه .

ثم قال : يا أبا عبد الله وياعون ، ثم نادى أولاده كلهم بأسمائهم صغيراً وكبيراً ، واحداً بعد واحد وجعل يودعهم ويقول : الله خليفتي عليكم استودعكم الله ، وهم سيكون .

فقال الحسن ﷺ يا أبا مازعك إلى هذا ، فقال له : يا بنى إنني رأيت جدك رسول الله في منامي قبل هذه الكائنة بليلة فشكوت إليه ما أنا فيه من التذلل والأذى من هذه الامة ، فقال لي : ادع عليهم فقلت : اللهم أبدلهم بى شرأ مني و أبدلني

بهم خيراً منهم ، فقال لى قد استجاب الله دعائك سينقلك الينا بعد ثلاث ، وقد مضت الثلاث .

يا أبا محمد أوصيك و يا أبا عبدالله خيراً فأنتما منى و أنا منكما ، ثم التفت إلى أولاده الذين من غير فاطمة و أوصاهم أن لا يخالفوا أولاد فاطمة يعنى الحسن و الحسين .

ثم قال : أحسن الله لكم العزاء الأوائى منصرف عنكم و راحل فى ليلتى هذه ولاحق بحبيبي محمد كما وعدنى فاذا أنامت يا أبا محمد ففسلنى و كفتنى وحنطني ببقية حنوط جدك رسول الله فانه من كافور الجنة جاء به جبرئيل إليه ، ثم ضغنى على سربري و لا يتقدم أحد منكم مقدم السرير و احملوا مؤخره و اتبعوا مقدمه فأى موضع وضع المقدم فضعوا المؤخر فحيث قام سربري فهو موضع قبري .
ثم تقدم يا أبا محمد وصل على يا بنى يا حسن و كبر على سبعا و اعلم أنه لا يحل ذلك على أحد غيري إلا على رجل يخرج فى آخر الزمان اسمه القائم المهدي من ولد اخيك الحسين يقيم اعوجاج الحق .

فاذا أنت صليت يا حسن ففتح السرير عن موضعه ثم اكشف التراب عنه فترى قبراً محفوراً و لحداً منقوباً و ساجة منقوبة فاضجعنى فيها ، فاذا أردت الخروج من قبري فافتقدنى فانك لانجدنى و انى لاحق بجدك رسول الله .
و اعلم يا بنى ما من نبي يموت و إن كان مدفوناً بالمشرق و يموت وصيه بالمغرب إلا و يجمع الله عز و جل بين روحيهما و جسديهما ثم يفترقان فيرجع كل واحد منهما إلى موضع قبره و الى موضعه الذى حط فيه .

ثم اشرح اللحد باللبن و أهل التراب على ثم غيب قبري ، و كان غرضه بذلك لئلا يعلم بموضع قبره أحد من بنى امية فانهم لو علموا بموضع قبره لحفروه و أخرجوه و أحرقوه كما فعلوا بزيد بن علي بن الحسين .

ثم يا بنى بعد ذلك إذا أصبح الصبح أخرجوا تابوتنا إلى ظاهر الكوفة على

ناقة و أمر بمن يسيرها بما عليها كأنها تريد المدينة بحيث يهفي على العامة موضع قبري الذي تضرني فيه (١) ، و كأنني بكم وقد خرجت عليكم الفتن من ههنا وههنا فعليكم بالصبر فهو محمود العاقبة.

ثم قال : يا أبا محمد و يا أبا عبد الله كأنني بكمما وقد خرجت عليكم من بعدي الفتن من ههنا فاصبروا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين.

ثم قال : يا أبا عبد الله أنت شهيد هذه الأمة فعليك بتقوى الله والصبر على بلائه ، ثم أغمى عليه ساعة و أفاق و قال : هذا رسول الله و عمى حمزة و أخى جعفر و أصحاب رسول الله كلهم يقولون عجل قدومك علينا فاننا إليك مشتاقون.

ثم أدار عينيه في أهل بيته كلهم ، و قال : استودعكم الله جميعاً سددكم الله جميعاً ، حفظكم الله جميعاً خليفتي عليكم الله و كفى بالله خليفة ، ثم قال و عليكم السلام يا رسل ربى ثم قال :

« لِمَثَلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ » .

و عرق جبينه و هو يذكر الله كثيراً و ما زال يذكر الله و يتشهد الشهادتين ، ثم استقبل القبلة و غمض عينيه و مدّ رجليه و يديه و قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمداً عبده و رسوله .

ثم قضى نحبته ﷺ و كانت وفاته في ليلة احدى و عشرين من شهر رمضان و كانت ليلة الجمعة سنة أربعين من الهجرة .

قال : فعند ذلك صرخت زينب بنت علي و أم كلثوم و جميع نساءه و قد شقوا الجيوب و لطموا الخدود و ارتفعت الصيحة في القصر فعلم أهل الكوفة أن أمير المؤمنين

١- في البعار من فرحة الغري من بعض كتب القديمة مسندا ان جعفر بن محمد حدث ان امير المؤمنين امر ابنه الحسن ان يعفر له اربع قبور في اربع مواضع في المسجد وفي الرحبة و في دار جمعة بن هبيرة و في الغري و انما اراد بهذا ان لا يعلم احد من أعدائه موضع قبره، منه .

قد قبض ، فأقبل النساء والرجال يهرعون أفواجا أفواجا وصاحوا بصيحة عظيمة فارتجت الكوفة بأهلها ، و كثر البكاء والنحيب وكثر الضجيج بالكوفة و قبائلها و ذر ها و جميع أقطارها ، فكان ذلك كيوم مات فيه رسول الله.

فلما أظلم الليل تغير أفق السماء و ارتجت الأرض و جميع من عليها بكوه و كنسا نسمع جلبة وتسيبها في الهواء فعلمنا أنها أصوات الملائكة ، فلم يزل كذلك إلى أن طلع الفجر ثم ارتفعت الأصوات و سمعنا هاتفًا بصوت يسمعه الحاضرون ولا يرون شخصه يقول:

بنفسى و مالى نم أهلى و اسرتى	فدا، لمن أضحى قتيل ابن ملجم
على رقا فوق الخلايق في الوغا	فهدت له أركان بيت المحرم
علي أمير المؤمنين و من بكت	لمقتله البطحاء و اكناف زمزم
يكاد الصفا والمشعرين كلاهما	يهد أوبان النقص في ماء زمزم
و أصبحت الشمس المنير ضياؤها	لقتل علي لونها لون دهلم
و ظل له أفق السماء كسابة	كشقة ثوب لونها لون عدم
و ناحت عليه الجن إذ فجعت به	حينئذ كئلى نوحها يترنم
وأضحى التقى والخير والحلم والنهى	و بات العلي في قبره المتهم
لفقد علي خير من وطأ الحصى	أخى العلم المهادى النبى المعظم

قال محمد بن الحنفية رضي الله عنه ثم أخذنا في جهازه ليلا ، و كان الحسن عليه السلام بغسله والحسين عليه السلام يصب الماء عليه و كان لا يحتاج إلى من كان يقلبه بل يتقلب كما يريد الغاسل يمينا وشمالا ، و كانت رائحته أطيب من رائحة المسك والعنبر ، ثم نادى الحسن باخته زينب وأم كلثوم و قال : يا اختاه هلمي بحنوط جدي رسول الله، فبادرت زينب مسرعة حتى أتته به .

قال الراوي : فلما فتحته فاحت الدار و جميع الكوفة و شوارعها لشدة رائحة ذلك الطيب، ثم لفوه بخمسة أبواب كما أمر عليه السلام ثم وضعوه على السرير وتقدم الحسن والحسين إلى السرير من مؤخره و إذا مقدمه قد ارتفع ولا يرى حامله ، و كان حامله من مقدمه جبرئيل و ميكائيل فبأمر بشي، على وجه الأرض إلا انحنى

له ساجداً و خرج السرير من مايل باب كنده فحمله مؤخره وسايرا يتبعان مقدمه .
قال ابن الحنفية رضي الله : والله لقد نظرت إلى السرير و أنه ليمر
بالحيطان و النخل فتحنى له خشوعا و مضى مستقيما إلى النجف إلى موضع
قبره الآن .

قال : و وضعت الكوفة بالبكاء و النحيب و خرجن النساء يتبعنه لاطمات
حاسرات فممنهم «كذا» الحسن عليه السلام و نهاهم «كذا» عن البكاء و العويل ورد هن إلى أماكنهن ،
و الحسين عليه السلام يقول : لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم إن الله و إننا إليه راجعون
يا أباهوا انقطاع ظهر اه من أجلك تعلمت البكاء إلى الله المشتكى .

فلما انتهى إلى قبره و إذا مقدم السرير قد وضع فوضع الحسن مؤخره ، ثم
قام الحسن و صلى عليه و الجماعة خلفه فكبر سبعا كما أمره به أبوه ، ثم زحزح سريريه
و كشف التراب و إذا بقبر محفور و لحد مشقوق و ساجة منقورة مكتوب عليها :
هذا ما ادخره له جده نوح النبي (١) .

فلما أرادوا نزوله سمعوا هاتفا يقول : انزلوه إلى التربة الطاهرة فقد اشتاق
العبيد إلى الحبيب ، فدهش الناس عند ذلك و تحيروا و الحد أمير المؤمنين قبل
طلوع الفجر و انصرف الناس و رجع أولاد أمير المؤمنين و شيعتهم إلى الكوفة ولم
يشعربهم أحد من الناس .

فلما طلع الصباح و بزغت الشمس اخرجوا نابوتا من دار أمير المؤمنين
و أنوابه إلى المصلى بظاهر الكوفة ، ثم تقدم الحسن و صلى عليه و رفعه على ناقه
و سيرها مع بعض العبيد .

قال في البحار : روى البرسي في مشارق الأنوار عن محدثي أهل الكوفة أن
أمير المؤمنين لما حمله الحسن و الحسين على سريريه إلى مكان البئر المختلف فيه
إلى نجف الكوفة وجدوا فارسا يتصوّع منه رايحة المسك فسلم عليهما .

١- وفي البحار من فرحة النرى عن ام كلثوم في حديث ثم اخذ الحسن العول فضرب
ضربة فانشق القبر عن ضريح فاذا هو ساجة مكتوب عليها سطران بالسر يانية بسم الله الرحمن
الرحيم هذا قبر قبره نوح النبي المصطفى وصي محمد قبل الطوفان بسبعمة عام، منه .

ثم قال للحسن أنت الحسن بن علي رضيع الوحي والتنزيل و فطيم العلم والشرف الجليل خليفة أمير المؤمنين و سيد الوصيين؟ قال: نعم قال: وهذا الحسين ابن أمير المؤمنين و سيد الوصيين سبط الرحمة و رضيع العصمة و ربيب الحكمة و والد الأئمة؟ قال: نعم، قال: سلماه إلى واهضيا في دعة الله.

فقال له الحسن إنه أوصى إلينا أن لانسلمه إلا إلى أحد رجلين جبرئيل أو الخضر فمن أنت منهما؟ فكشف النقاب فاذا هو أمير المؤمنين، ثم قال: يا أباع محمد إنه لا يموت نفس إلا ويشهداها (١) فما يشهد جسده.

قال البرسي و روى عن الحسن بن علي عليه السلام أن أمير المؤمنين قال للحسن والحسين: إذا وضعتما في الضريح فصلباً ركعتين قبل أن تهبلا علي التراب وانظرا ما يكون، فلما وضعا في الضريح المقدس فعلا ما امر به و إذا الضريح مغطى بثوب من سندس فكشف الحسن مما يلي وجه أمير المؤمنين فوجد رسول الله و آدم و إبراهيم (ع) يتحدثون مع أمير المؤمنين، و كشف الحسين مما يلي رجله فوجد الزهراء و حواء و مريم و آسية عليهن السلام ينحن علي أمير المؤمنين و يندبونه.

قال المجلسي: ولم أرهذين الخبرين إلا من طريق البرسي ولا أعتد علي ما يتفرّد بنقله ولا أردهما لورود الأخبار الكثيرة الدالة علي ظهورهم بعد موتهم في أجسادهم المثالية.

و في البحار من ارشاد المفيد: كانت امامة أمير المؤمنين بعد النبي ثلاثين سنة منها أربع و عشرون سنة و أشهر ممنوعا من التصرف في أحكامها مستعملا للتقية و المداراة و منها خمس سنين و ستة أشهر ممتحننا بجهاد المنافقين من النساكين و القاسطين و المارقين، و مضطهداً بفتن الضالين.

كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة عشر سنة من نبوته ممنوعا من احكامها خائفا و محبوبا و هاربا و مطروداً لا يتمكن من جهاد الكافرين ولا يستطيع دفاعن المؤمنين، ثم هاجر و أقام بعد الهجرة عشر سنين مجاهداً للمشركين ممتحننا بالمنافقين إلى أن قبضه

الله إليه وأسكنه جنات النعيم.

و كان وفات أمير المؤمنين عليه السلام قبيل الفجر من ليلة الجمعة ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ، قالت سودة بن بنتظ عمارة الهمدانية ونعم ما قالت :

صلى الاله على روح تضمنها قبر فأصبح فيه العدل مدفوناً
قد حالف الخير لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والايمان مقروناً (١)
و من أمالي الصدوق في حديث فلمّا كان من الغدو أصبح الحسن قام خطيباً على المنبر فحمد الله و أتنا عليه ثم قال :

أيها الناس في هذه الليلة نزل القرآن و في هذه الليلة رفع عيسى بن مريم و في هذه الليلة قتل يوشع بن نون و في هذه الليلة مات أبى أمير المؤمنين و الله لا يسبق أبى أحد كان قبله من الأوصياء إلى الجنة ، ولا من يكون بعده و إن كان رسول الله ليبعثه في السرية فيقاتل جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن يساره و ما ترك صفراء ولا يضاء إلا سبعة أدرهم ليشتري بها خادماً لأهله.

و من المناقب عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : إن السماء و الأرض لتبكي على المؤمن إذا مات أربعين صباحاً و إنها لتبكي على العالم إذا مات أربعين شهراً و إن السماء و الأرض ليبيكان على الرسول أربعين سنة و إن السماء و الأرض

١- في المناقب قال الحسن بن علي (ع)

ابن من كان اذا ما قطع الناس سعابا

ابن من كان لعلم المصطفى في الناس بابا

ابن من كان دعاه مستجابا و مجابا

ابن من كان اذا نودي في الحرب أجابا

في المناقب ايضا قال انس بن مالك يسمع صوت هاتف من الجن

أدالرسالة غير ما متوان

يامن يؤم الى المدينة قاصداً

خير البرية ما جداً ذاشان

قتلت شراربنى امية سيداً

سيف النبي و هادم الأوثان

رب الفضل في السماء و أرضها

بكت الأنام له بكل مكان

بكت الشاعر و المساجد بعدما

ليكيان عليك يا علي إذا قتلت أربعين سنة.

قال ابن عباس: لقد قتل أمير المؤمنين علي الأرض بالكوفة فامطرت السماء ثلاثة أيام دماً.

أبو حمزة عن الصادق عليه السلام وقد روى أيضاً عن سعيد بن المسيب أنه لما قبض أمير المؤمنين عليه السلام لم يرفع من وجه الأرض حجر إلا وجد تحته دم عبيط.

أربعين الخطيب و تاريخ النسوي أنه سئل عن عبد الملك بن مروان الزهري ما كانت علامة يوم قتل علي عليه السلام قال: ما رفع حصاة من بيت المقدس إلا كان تحتها دم عبيط، ولما ضرب في المسجد سمع صوت (١) لله الحكيم لاك يا علي ولا لأصحابك، فلما توفى سمع في داره:

« أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » الآية.

ثم هتف آخر مات رسول الله و مات أبوكم.

وفي أخبار الطالبيين أن الروم أسروا قوما من المسلمين فأتى بهم إلى الملك فعرض عليهم الكفر فأبوا فأمر بالقائمهم في الزيت المغلى و أطلق منهم رجلا يخبر بحالهم، فبينما هو يسير إذ سمع وقع حوافر الخيل فوقف فنظر إلى أصحابه الذين القوا في الزيت فقال لهم في ذلك فقالوا قد كان ذلك فنادا مناد من السماء في الشهداء البر والبحر إن علي بن أبي طالب قد استشهد في هذه الليلة فصلوا عليه فصلينا عليه و نحن راجعون إلى مصارعنا.

تسلى هم وتسكين فؤاد في أحوال قاتله و كيفية قتله

ففي البحار من كتاب قصص الأنبياء عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن عاقر ناقة صالح كان أزرق ابن بغي، و إن قاتل علي صلوات الله ابن بغي و كانت مراد تقول ما نعرف له فينا أبا ولانسبا و إن قاتل الحسين بن علي صلوات الله ابن بغي، ولم

يقتل الأنبياء ولا أولاد الأنبياء إلا أولاد البغايا.

و فيه أيضاً في ذيل الرواية السالفة التي قدمناها في كيفية شهادته ﷺ عن

لوط بن يحيى:

قال الراوى: ثم أنه لما رجع أولاد أمير المؤمنين وأصحابه إلى الكوفة

واجتمعوا لقتل اللعين عدو الله ابن ملجم فقال عبدالله بن جعفر: اقطعوا يديه ورجليه

و لسانه و اقتلوه بعد ذلك، و قال محمد بن الحنفية: اجعلوه غرض النشاب و احرقوه

بالنار، و قال آخر: اصلبوه حياً حتى يموت فقال الحسن: أنا ممثّل فيه ما أمرني

به أمير المؤمنين أضربه ضربة بالسيف حتى يموت فيها و احرقه بالنار بعد ذلك.

قال الراوى: فأمر الحسن أن يأتيه، فجاءوا به مكتوفاً حتى ادخلوه الموضع الذي

ضرب فيه الامام والناس يلعنونه و يوبخونه و هو ساكت لا يتكلم، فقال الحسن يا

عدو الله قتلت أمير المؤمنين و إمام المسلمين و أعظمت الفساد في الدين.

فقال لهما: يا حسن و يا حسين ما تريد ان أن تصنعوا لي؟ قالوا نريد أن نقتلك

كما قتلت سيدنا و مولانا، فقال لهما اصنعا ما شئتما أن تصنعا ولا تعنفا من استزله

الشیطان فصدّه عن السبيل، ولقد زجرت نفسي فلم تنزجر و نهيتها فلم تنته فدعها

تذوق وبال أمرها و لها عذاب شديد ثم بكى.

فقال له: يا ويلك ما هذه الرقة ابن كانت حين وضعت قدمك و ركبت

خطيئتك، فقال ابن ملجم:

«إِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ

أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» .

ولقد انقضى التويخ والمعايرة و إنما قتلت أباك و حصلت بين يديك فاصنع ما

شئت و خذ بحقك منى كيف شئت ثم برك على ركبتيه و قال: يا بن رسول الله الحمد

لله اجرى قتلى على يديك، فرق له الحسن لأن قلبه كان رحيماً صلى الله عليه، فقام

الحسن فأخذ السيف بيده و جرّده من غمده و ندبه « و نزته خل» حتى لاح الموت

في حده ثم ضربه ضربة أراد بهاعنقه فاشتد زحام الناس عليه وعلت أصواتهم فلم يتمكن من فتح باعه فارتفع السيف إلى باعه رأسه فأبراه فانقلب عدو الله على قفاه يخور في دمه .

فقام الحسين إلى أخيه وقال : يا أخى أليس الأب واحداً والأم واحدة ولي نصيب في هذه الضربة ولي حق في قتله فدعنى أضربه ضربة أشفى بها بعض ما أجده ، فتاوله الحسن السيف فأخذه وهزه وضربه على الضربة التي ضربها الحسن فبلغ إلى طرف أنفه وقطع جانبه الآخر وابتدره الناس بأسيا فمهم بعد ذلك فقطعوه اربا اربا ، فعجل الله بروحه إلى النار وبس القرار ثم جمعوا جثته وأخرجوه من المسجد وجمعوا له حطباً وأحرقوه بالنار .

و في المناقب استوهبت أم الهيثم بنت الأسود التميمية جيفته لتتولى إحراقها فوهبها لها فأحرقتها بالنار .

وقيل : طرحوه في حفرة وطموه بالتراب فهو يعوي كعوى الكلاب في حفرة إلى يوم القيامة .

واقبلوا إلى قطام الملعونة وأخذوها فقطعوها بالسيف اربا اربا ونهبوا دارها ثم أخذوها وأخرجوها إلى ظاهر الكوفة وأحرقوها بالنار وعجل الله بروحها إلى النار وغضب الجبار .

وأما الرّجلان اللذان تحالفا معه فأحدهما قتله معاوية بن أبي سفيان بالشّام والآخر قتله عمرو بن العاص بمصر لارضى الله عنهما .

وأما الرّجلان (١) اللذان كانا مع ابن ملجم بالجامع يساعدانه على قتل عليّ عليه السلام فقتلا من ليلتهما لعنهما الله وحشرهما مع مشر المناققين الظالمين في جهنم خالدين مع السالفين .

و في البحار من الخرايج مسنداً عن عمرو بن أحمد بن محمد بن عمرو ، عن الحسن بن محمد المعروف بابن الرّفا ، قال : سمعته يقول : كنت بالمسجد الحرام فرأيت

١ . وهما شيب بن بعية ورجل من وكلاء عمرو بن العاص .

الناس مجتمعين حول مقام إبراهيم فقلت ما هذا؟ قالوا: راهب أسلم فأشرفت عليه فإذا بشيخ كبير عليه جبّة صوف و قلنسوة صوف عظيم الخلقة وهو قاعد بحذاء مقام إبراهيم فسمعتة يقول:

كنت قاعدا في صومعة فأشرفت منها وإذا طائر كالنسر قد سقط على صخرة علي شاطئ البحر فتقياً فرمى بربع إنسان، ثم طار فنفقده فعدارتقياً فرمى بربع إنسان، ثم طار فجاء فتقياً بربع إنسان، ثم طار فجاء فتقياً بربع إنسان ثم طار فدنت الأرباع فقام رجلا فهو قائم وأنا أتعجب منه.

ثم انحدر الطير فضربه وأخذ ربه فطار، ثم رجع فأخذ ربه فطار، ثم رجع فأخذ ربه فطار، ثم انحدر الطير فأخذ الربع الآخر فطار، فبقيت أنفكر وتحسرت ألا أكون لحقته وسألته من هو فبقيت أنفقد الصخرة حتى رأيت الطير قد أقبل فتقياً بربع إنسان فنزلت فقامت بازائه، فلم أزل حتى تقياً بالربع الرابع، ثم طار فالتأم رجلا فقام قائما.

فدنوت منه فسألت فقلت: من أنت؟ فسكت عني فقلت بحق من خلقك من أنت؟ قال: أنا ابن ملجم، فقلت له وأى شيء عملت قال: قتلت علي بن أبي طالب فوكل بي هذا الطير يقتلني كل يوم قتلة فهو بينا يخبرني إذا انقض الطائر فأخذ ربه فطار فسألت عن علي عليه السلام فقالوا: هو ابن عم رسول الله ﷺ فأسلمت.

التذييل الثاني في موضع قبره الشريف والاشارة الى من بناه فنقول إنه كان في بعض الأزمان بين المخالفين اختلاف في موضع قبره صلوات الله عليه، فذهب جماعة منهم إلى إنه دفن في رحبة مسجد الكوفة وقيل: إنه دفن في قصر الامارة، وقيل: إنه أخرجه الحسن معه إلى المدينة ودفنه بالبقيع وكان بعض جهلة الشيعة يزورونه بمشهد في الكرخ.

وقد اجتمعت الشيعة على أنه مدفون بالقرى في الموضع المعروف عند الخاص والعام، وهو عندهم من المتواترات روه خلفا عن سلف إلى أئمة الدين صلوات الله عليهم أجمعين وكان السبب في هذا الاختلاف إخفاء قبره خوفا من الخوارج

والمناققين و كان لا يعرف ذلك إلا خاص الخاص من الشيعة إلى أن ورد الصادق عليه السلام الحيرة في زمن السفاح فأظهره لشيخته.

ومن هذا اليوم يزوره كافة الشيعة في هذا المكان ، ولا حاجة لنا إلى ذكر ما ورد في تعيين موضع القبر الشريف من الأخبار المروية عن الأئمة الأطهار ، وإنما الأ نسب ذكر كيفية بناء المرقد الشريف والقبعة المباركة زادها الله شرفاً ، فأقول : روى عن الصادق عليه السلام إذا ركب نوح في السفينة أتت إلى مكان البيت وطاف له اسبوعاً ، فأوحى الله إليه ان انزل عن السفينة و اخرج عظام آدم و جسده و ادخله في السفينة فنزل نوح و كان الماء إلى ركبته فاخرج تابوتا فيه جسد آدم فأوقعه في السفينة ، و لمّا وصلت السفينة إلى مسجد الكوفة فاستقر هناك فانزل نوح جسده من السفينة فدفنه في النجف و جعل نوح لنفسه قبراً في امامه و صير صندوقاً لعلي يدفن فيه في امام صدره .

وفي كتاب رياض الجنة تأليف بعض أصحابنا قدس الله روحه : مشهد النجف على ساكنه ألف تحية و تحف واقع على طرف القبلة من الكوفة بنصف فرسخ . و أول من بنا القبر الشريف هارون العباسي على ما استطلع عليه ، ثم بعد ماة و ثمانين سنة و نيفاً بنا عضد الدولة الديلمي القبعة الشريفة ، ثم زاد الملوك على ذلك يوماً فيوماً إلى أن صار بلدة صغيرة جاور الناس فيها

و لمّا وصل دورة السلطنة إلى السلطان نادر أمر بتذهيب القبعة المباركة و بناء الأيوان و المنارتين و تذهيبها و صرف على ذلك خمسين ألف تومان نادري و صرفت زوجته كوهر شاد أم ابنيه امام قلي ميرزا و نصر الله ميرزا ماة ألف ربيعة على تعمير الصحن المقدس و بناء جدرانها بالكاشي و صرفت أم سلطان و ساير زوجاته عشرين ألف تومان نادري على بناء المسجد الواقع في ظهر الرأس الشريف و أرسلن إلى الروضات المطهرة عشرين حمل بعير من الفرش والبساط ، و كان الفراغ من جميع ذلك في سنة سبع و خمسين و ماة بعد الألف ، و قيل في تاريخ تمام المنارة الشمالية

تعالى شأنه الله أكبر

وفي تمام المنارة الجنوبية

تكرر اربعا الله اكر

أراد أربعة الله أكبر ثم لما صار نوبة السلطنة إلى السلطان على مراد خان زند في سنة سبع و تسعين و مائة وألف بعث جمعا من حذقة المهندسين بواحد من نقاته إلى تعمیر ماخرب من جدران البقعة الشريفة وتجديد كواشي الجدران والطاقت وتنقية بئر الصحن المقدس وسائر آبار المشهد واصلاح مجرى مياهها وأهدى إلى المشاهد المشرفة ولا سيما مشهد أمير المؤمنين بالفرش النفيسة والقناديل المرصعة بالدرر والجواهر وأعطى الخدام والمجاورين هناك عطايا عظيمة وصلات جزيلة

ثم أمر بصنعة صندوق من الخاتم يوضع فوق القبر الشريف وتوفى قبل تمامه ثم اشتغل به حذقة الصائغين بأمر جعفر خان ، وتوفى وله يتم ، وأتمه لطفعلي خان ابن جعفر خان وكان مدة الاشتغال بصنعه ست سنين

ثم بنا الضريح المقدس المفضض السلطان آقا محمد خان قدس الله روحه ، وكان آصف الدولة الهندي أراد أن يعجزى نهراً إلى المشهد من الفرات من جنب جسر المسيب على أربعة وعشرين فرسخاً فلم يتيسر

ثم عزم الحاج محمد علي البغدادى إلى نهر من سمت ذي الكفل وصرف مصارف كثيرة عليه ولم يمكن

أقول : والله الحمد والمنة فقد جرى النهر في زمان اشتغالنا بالتحصيل في المشهد بنعمى السيد الفاضل الجليل العالم العلامة الزاهد الورع الحاج سيد أسد الله الاصفهاني قدس الله سره و نور ضريحه من تحت الأرض منتهيا إلى البحر ، وأرخ بعضهم جريان الماء بقوله : جاء ماء الغرى شكر الله مساعى المتصدئين لبناء المشاهد المشرفة والساعين في تعمیر البقاع المتبركة وحشرهم مع مواليمهم الطاهرين

وعن سيد السند نعمة الله الجزائري في مقامات النجاة أن أمير المؤمنين عليه السلام مدفون بالغري ويقال له الغريان أيضاً و هما قبر مالك وعقيل نديمي حذيمة الأبرش

سمياً غريين لأنَّ النعمان بن المنذر كان يغريهما بدم من يقتله إذا خرج في يوم بأسه (١) .

وقيل : كان ينادم النعمان رجلان من العرب خالد بن مفضل وعمرو بن مسعود الأسدَيان ، فشرب معهما ليلة فرجفاه الكلام ففضب و أمر بأن يجعلا في تابوتين ويدفنا بظهر الكوفة ، فلما أصبح سأل عنهما فأخبره بصنيعه فندم وركب حتى وقف عليهما و أمر ببناء الغريين و جعل لنفسه كل سنة يوم نعم و يوم بؤس و كان يضع سريره بينهما .

فاذا كان يوم نعمه فأول من يطلع عليه يؤتية مائة من الابل ، و إذا كان يوم بؤسه فأول من يطلع يؤتية رأس طربال و هي دويبة منتنة الريح و أمر بقتله فقتل و يغري به الغريان و بقي هذا حاله إلى وقوع قضية الطائي و شريك نديم النعمان ، و قد مضى ذكر تلك القضية منّا في شرح الخطبة الحادية والأربعين فتذكر

التذييل الثالث في ذكر نبذ من المعجزات الظاهرة منه و من قبره الشريف بعد وفاته

فمن هذه ما عن ارشاد الديلمي عند الاستدلال على كونه مدفوناً بالغري قال :
والدليل الواضح والبرهان اللايح على ذلك من وجوه
الأول تواتر أخبار الأئمة يرويه خلف عن سلف
الثاني اجماع الشيعة والاجماع حجة
الثالث ما حصل عنده من الاسرار والآيات و ظهور المعجزات كقيام الزمان
ورد بصر الأعمى وغيرها

فمنها ما روى عن عبدالله بن حازم قال خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة فصرنا إلى ناحية الغريين فرأينا ظباً فأرسلنا عليها الصقور والكلاب فجادلتها ساعة ثم لجأت الظبء إلى الكمة (٢) فراجعت الصقور والكلاب عنها ، فتهجّب الرشيد من

١- وتسببه الشهيد بالغري من باب مجاز العجائز لوقوعه قرب الغري، منه

٢- الكمة كقصة التل الصغير

ذلك ، ثم إن الأطباء هبطت من الأكمة فسقطت الطيور و الكلاب عنها فرجعت
الطباء إلى الأكمة فتراجعت الصقور و الكلاب عنها مرة ثانية ، ثم فعلت ذلك
مرة أخرى .

فقال الرشيد : اركضوا إلى الكوفة فأتوني بأكبرها سنناً ، فأتني بشيخ من
بني أسد فقال الرشيد : أخبرني ما هذه الأكمة ؟ فقال : حدثني أبي عن آباءه أنهم
كانوا يقولون : إن هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب جعله الله تعالى حرماً لا يأوي
إليه شيء إلا أمن .

فنزله هارون ودعابماه وتوضأ وصلى عند الأكمة وجعل يدعو ويبكي ويتمرغ
عليها بوجهه وأمر أن يبني قبة بأربعة أبواب فبنى ، وبقي إلى أيام السلطان عضد الدولة
فجاء فأقام في ذلك الطريق قريباً من سنة هو وعسكره فبعث فأتني بالصناع والاستاذية
من الأطراف وخرّب تلك العمارة وصرف أموالاً كثيرة جزيلة وعمر عمارة جليلة حسنة
وهي العمارة التي كانت قبل عمارة اليوم

ومنها ما حكى عن جماعة خرجوا بليل مخنفين إلى الغري لزيارة
أمير المؤمنين عليه السلام قالوا : فلما وصلنا إلى القبر الشريف و كان يومئذ قبراً حوله
حجارة ولا بناء عنده ، وذلك بعد أن أظهره الرشيد وقبل أن يعمره ، فبينما نحن عنده
بعضنا يقرء و بعضنا يصلي و بعضنا يزور وإذا نحن بأسد مقبل نحونا ، فلما قرب منا
قدر رمح قال بعضنا لبعض : ابعدوا عن القبر لننظر ما يصنع ، فتباعدنا عن القبر الشريف
فجاء الأسد وجعل يمرغ ذراعيه على القبر ، فمضى رجل منا فشاهده فعاد فأعلمنا
فزال الرعب عنا فحجنا بأجمعنا فشاهدناه يمرغ ذراعيه على القبر وفيه جراح فلم
يزل يمرغه ساعة ، ثم نزع عن القبر فمضى ، فعدنا إلى ما كنا عليه من الزيارة والصلاة
و القرآن .

و عن مزار البحار قال : وقد شاع في زماننا من شفاء المرضى و معافاة
أصحاب البلوى وصحة العميان والزمن أكثر من أن يحصى

و لقد أخبرني جماعة كثيرة من الثقات أن عند محاصرة الروم لغنم الله المشهد

الشريف في سنة أربع وثلاثين وألف من الهجرة تحصن أهله بالبلد و إغلاق الأبواب عليهم و التعرض لدفعهم مع قلة عددهم و عدتهم و كثرة المحاصرين لهم و قوتهم و شوكتهم ، و جلسوا زمانا طويلا و لم يظفروا بهم و كانوا يرمون بالبنادق الصغار و الكبار عليهم شبه الأمطار و لم يقع على أحد منهم ، و كانت الصبيان في السنكك ينتظرون وقوعها ليلعبوا بها حتى أنهم يروون أن بندقا كبيرا دخل في كم جارية رفعت يدها لحاجة على بعض السطوح و سقط من ذيلها ولم يصبها و يروى عن بعض الصلحاء الأفاضل من أهل المشهد أنه رأى في تلك الأيام أمير المؤمنين عليه السلام في المنام وفي يده سواد فسأله عن ذلك فقال : لكثرة دفع الرصاص عنكم ، والغراب التي ينقلونها في تلك الواقعة كثيرة

فأما التي اشتهرت بين أهل المشهد بحيث لا ينكره أحد منهم

فمنها قصة الدهن و هو أن خازن الروضة المقدسة المولى الصالح البارع التقى مولانا محمود قدس الله روحه كان هو المتوجه لاصلاح العسكر الذي كانوا في البلد ، و كانوا محتاجين إلى مشاعل كثيرة لمحافظة أطراف الحصار فلمّا ضاق الأمر ولم يبق في السوق ولا في البيوت شيء من الدهن أعطاهم من الحياض التي كانوا يصبون فيها الدهن لاسراج الروضة وحواليها ، فبعد إتمام جميع ما في الحياض وبأسهم من حصوله من مكان آخر رجعوا إليها فوجدوها مترعة من الدهن فأخذوا منها وكفاهم إلى انقضاء وطرهم

ومنها أنهم كانوا يرون في الليالي في رؤوس الجدران و أطراف العمارات و المنارات نورا ساطعا بينما حتى أن الناس إذا كان يرفع يده إلى السماء كان يرى أنامله كالشموع المشتعلة .

و لقد سمعت من بعض أشرف الثقات من غير أهل المشهد أنه قال : كنت ذات ليلة نائما في بعض سطوح المشهد الشريف فانتبهت فرأيت النور ساطعا من الروضة المقدسة و من أطراف جميع جدران البلد فعجبت من ذلك و مسحت يدي على عيني فنظرت فرأيت مثل ذلك فأيقظت رجلا كان نائما بجنبي فأخبرني

بمثل ما رأيت وبقي هكذا زماناً طويلاً ثم ارتفع
و سمعت أيضاً من بعض الثقات قال : كنت نائماً في بعض الليالي على بعض
سطوح البلد الشريف فانتبهت فرأيت كوكباً نزل من السماء بحذاء القبّة السامية
حتى وصل إليها وطاف حولها مراراً بحيث أراه يغيب من جانب ويطلع من آخر ثم
صعد إلى السماء .

ومن الامور المشهورة التي وقعت قريباً من زماننا أن جماعة من صلحاء أهل
البحرين أتوا لزيارة الحسين عليه السلام لادراك بعض الزيارات المخصوصة فأبطأوا ولم
يصلوا إليه ووصلوا ذلك اليوم إلى الغري وكان يوم مطر وطين وكان مولانا محمود
أغلق أبواب الروضة وقالوا قد حرمانا من زيارة ولدك فلا تحرمانا زيارتك فانا من
شيعتك وقد أتيناك من شقة بعيدة ، فبيناهم في ذلك إذ سقطت الاقفال وفتحت
الأبواب ودخلوا وزاروا .

وهذا مشهور بين أهل المشهد وبين أهل البحرين غاية الاشتهار
و منها ما تواترت به الأخبار و نظموها في الأشعار و شاع في جميع الاصقاع
والأقطار و اشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار و كان بالقرب من تاريخ الكتابة
سنة اثنين و سبعين بعد الألف من الهجرة ، و كان كيفية تلك الواقعة على ما سمعته
من الثقات أنه .

كان في المشهد الغروي عجزز تسمى بمريم ، و كانت معروفة بالعبادة والتقوى
فمرضت مرضاً شديداً و امتدّ بها حتى صارت مقهورة مزمنة و بقيت كذلك قريباً
من سنتين بحيث اشتهر أمرها و كونها مزمنة في الغري .

ثم إنهما لتسع ليال خلون من رجب تضرّعت لدفع ضرّها إلى الله تعالى
و استشفّت بمولانا أمير المؤمنين عليه السلام و شكّت إليه في ذلك و نامت ، فرأت في منامها
ثلاث نسوة دخلن إليها واحدهنّ كالقمر ليلة البدر نوراً و صفاء و قلن لها لا تخافي
ولا تحزني فإن فرجك في الليلة الثاني عشر من الشهر المبارك .

فانتبهت فرحاً و قصّت رؤياها على من حضرها و كانت منتظرة ليلة ثاني عشر

رجب فمرت بها ولم تر شيئاً، ثم ترقبت ليلة ثاني عشر شعبان فلم تر شيئاً ابداً، فلما كانت ليلة تاسع شهر رمضان رأت في منامها تلك النسوة بأعيانهن وهن يبشرنها، فقلن لها إذا كانت ليلة الثماني عشر من هذا الشهر فامض إلى روضة أمير المؤمنين و ارسلي إلى فلانة و فلانة و سمين نسوة معروفات و باقيات إلى حين هذا التحريير و اذهبي بهن معك إليها.

فلما أصبحت قصت رؤياها و بقيت مسرورة مستبشرة بذلك إلى أن دخلت تلك الليلة فأمرت بغسل ثيابها و تطهير جسدها و أرسلت إلى تلك النسوة و دعتهن فأجبن و ذهبن بها محمولة لأنّها كانت لا تقدر على المشي

فلما مضى قريب من ربع الليل خرجت واحدة و اعتذرت منها و بقيت معها اثنتان و انصرف عنهن جميع من حضر الروضة المقدسة و غلقت الأبواب ولم يبق في الرواق غيرهن فلما كان وقت السحر و أرادت صاحبها أكل السحور أو شرب التتن فاستحميا من الضريح المقدس فتركتاهما عند الشباك المقابل للضريح المقدس في جانب القبلة و ذهبتا إلى الباب الذي في جانب خلفه يفتح إلى الصحن و خلفه الشباك، فدخلتا هناك و أغلقتا الباب لحاجتهما.

فلما رجعتا إليها بعد قضاء و طرهما لم تجداهما في الموضع الذي تركتاهما لقاة فيه، فتحيرتا فمضتا يميناً و شمالاً قاذأ بها تمشى في نهاية الصلحة و الاعتدال. فسألتهما عن حالهما و ماجرى عليهما فأخبرتهما أنكما لما انصرفتما عني رأيت تلك النسوة اللاتي رأيتهن في المنام أقبلن و حملنني و أدخلنني داخل القبّة المنورة وأنا لأعلم كيف دخلت و من أين دخلت.

فلما قربت من الضريح المقدس سمعت صوتاً من القبر يقول: حرّكن المرأة الصالحة و طفن بها ثلاث مرّات فطفن بي ثلاث مرّات حول القبر، ثم سمعت صوتاً آخر أخرجني المرأة الصالحة من باب الفرج فأخرجتني من الباب الغربي الذي يكون خلف من يصلي بين البابين بحذاء الرأس و خلف الباب شبك يمنع الاستطراق ولم يكن الباب معروفاً

قبل ذلك بهذا الاسم .

قالت فالآن مضين عنّي وجتّمانني وأنا لأأرأبي شيئاً ممّا كان من المرض والام والضعف وأنا في غاية الصّحة والقوّة ، فلما كان آخر الليل جاء خازن الحضرة الشّريفة وفتح الابواب فرآهنّ يمشين بحيث لا يتميّز واحدة منهنّ .
وانسى سمعت من المولى الصّالح التّتى مولينا محمد طاهر الذي بيده مفاتيح الرّوضة المقدّسة و من جماعة كثيرة من الصّالحاء الذين كانوا حاضرين في تلك الليلة في الحضرة الشّريفة أنّهم رأوها في أوّل الليلة بحمولة عند دخولها وفي آخر الليل سائرة أحسن ما يكون عند خروجها .

وفي المجلد التاسع من البحار من بعض مؤلفات أصحابنا عن زيد النّساج قال: كان لي جار و هو شيخ كبير عليه آثار النّسك والصّلاح ، و كان يدخل إلى بيته و يعتزل عن النّاس ولا يخرج إلّا يوم الجمعة .

قال زيد النّساج : فمضيت يوم الجمعة إلى زيارة زين العابدين عليه السلام فدخلت إلى مشهده فاذا أنا بالشّيوخ الذي هو جاري قد اخذ من البرماء يريد أن يقتسل غسل الجمعة والزّيارة .

فلما نزع ثيابه و اذأ في ظهره ضربة عظيمة فتحها أكثر من شبر و هي تسيل قيحا ومدّة ، فاشمّرّ قلبي منها فحانت منه التفاتة فرآني فخبول فقال أنت زيد النّساج ؟ فقلت: نعم ، فقال لي : يا بني عاونّي على غسلي فقلت لا والله لا اعاونك حتّى تخبرني بقصة هذه الضّربة التي بين كتفيك و من كف من خرجت و أي شيء كان سببها .

فقال: يا زيد اخبرك بهابشرطان لانحدبّتها أحدهمّ من النّاس إلّا بعد موتي فقلت: لك ذلك ، فقال: عاونّي على غسلي فاذا البست أطماري حدّثتك بقصّتي ، قال زيد فساعدته فاغتسل ولبس ثيابه وجلس في الشّمس وجلست إلى جانبه وقلت له حدّثني یرحمك الله فقال لي : اعلم أنّا كنّا عشرة أنفس قد تواخينا على الباطل و توافقنا على قطع الطريق و ارتكاب الآثام ، و كانت بيننا نوبة نديرها في كلّ ليلة على واحدنا ليصنع لنا طعاماً نفيساً و خمراً عتيقاً وغير ذلك .

فلما كانت الليلة التاسعة و كنّا قد تغشينا عند واحد من أصحابنا و شربنا

الخمر ثم تفرقتا و جئت إلى منزلي و نمت ، أيقظتني زوجتي وقالت لي إن الليلة الآتية نوبتها عليك ولا عندنا في البيت حبة من الحنطة .

قال فاتبعت وقد طار السكر من رأسي و قلت كيف أعمل و ما الحيلة والى أين أتوجه ؟ فقالت لي زوجتي : الليلة ليلة الجمعة ولا يخلو مشهد مولينا علي بن أبيطالب من زوار يأتون إليه يزورونه فقم و امض و اكن على الطريق فلا بد أن ترى أحداً فتأخذ نياحه فتبيعها و تشتري شيئاً من الطعام لتتم مروءتك عند أصحابك وتكافئهم على ضيقهم .

قال : فقممت و أخذت سيفي و حجفتي و مضيت مبادراً و كمنت في الخندق الذي في ظهر الكوفة ، و كانت ليلة مظلمة ذات رعد و برق فأبرقت برقة فاذا أنا بشخصين مقبلين من ناحية الكوفة ، فلما قربا مني برقت برقة أخرى فاذا هما امرتان ، فقلت في نفسي في مثل هذه الساعة أتاني امرتان ففرحت و وثبت إليهما و قلت لهما انزعا الحلبي الذي عليكما سر يعا فطرحا .

فأبرقت السماء برقة أخرى فاذا إحداهما عجوز و الأخرى شابة من أحسن النساء وجها كأنها ظبية قتاص (١) أو درة غواص ، فوسوس لي الشيطان على أن أفضل بها القبيح ، فقلت في نفسي مثل هذه الشابة التي لا يوجد مثلها حصلت عندي في هذا الموضع و أخليها ، فراودتها عن نفسها .

فقالت العجوز : يا هذا أنت في حل مما أخذته من الثياب والحلي فخلنا نمضي إلى أهلنا فوالله إنهابنت يتيممة من أمها وأبيها وأنا خالتها وفي هذه الليلة القابلة تزف إلى بلعها و أنها قالت لي : يا خالة إن الليلة القابلة أزف إلى ابن عمي و أنا والله راغبة في زيارة سيدي علي بن أبيطالب عليه السلام و إنني إذا مضيت عند بعلي ربما لا يأذن لي بزيارته فلما كانت هذه الليلة الجمعة خرجت بها لأزورها مولها و سيدها أمير المؤمنين فبالله عليك لانتهك سترها ولا تنفض ختمها ولا تنفضها بين قومها .

فقلت لها : إليك عنى و ضربتها و جعلت أدور حول الصبية وهي تلوذ بالبعجوز

وهي عربانة ما عليها غير السر وال وهي في تلك الحال تعقد تكتمها و توثقها عقداً فدفعت العجوز عن الجارية و صرعتها إلى الأرض و جلست على صدرها و مسكت يديها بيد واحدة و جعلت أحلُّ عقد التكة باليد الأخرى وهي تضطرب تحتى كالسمكة في يد الصياد وهي تقول: المستغاث بك يا الله المستغاث بك يا علي بن أيطالب خلصني من يد هذا الظالم.

قال : فوالله ما استتم كلامها إلاّ و حسن حافر فرس خلفي ، فقلت في نفسي هذا فارس واحد و أنا أقوى منه و كانت لي قوة زائدة و كنت لأهاب الرجال قليلاً أو كثيراً ، فلما دنا مني فاذا عليها ثياب بيض و تحته فرس أشهب تفوح منه رائحة المسك فقال لي : يا ويلك خلّ المرأة فقلت له : إذهب لشأنك فأنت نجوت بنفسك تريد تنجى غيرك؟

قال : فغضب من قلبي و نقفني (١) بذبالب (٢) سيفه بشيء قليل فوقعت مغشياً عليّ لأدرى أنا في الأرض أو في غيرها و انعقد لساني و ذهبت قوتي لكنني أسمع الصوت و أعي الكلام.

فقال لهما قوما البسا ثيابكما ، فقالت العجوز : فمن أنت يرحمك الله و قد منّ الله علينا بك و إنني أريد منك أن توصلنا إلى زيارة سيدنا و مولينا علي بن أيطالب قال فتبسم في وجوههما و قال لهما : أنا علي بن أيطالب ارجعا إلى أهلكما فقد قبلت زيارتكما.

قال : فقامت العجوز و الصبية و قبلاً يديه و رجليه و انصرفا في سرور و عافية قال الرجل : فأفقت من غشوتي و انطلق لساني فقلت له : يا سيدي أنا تائب إلى الله على يدك و اني لاعدت ادخل في معصية أبداً ، فقال : إن تبت تاب الله عليك ، فقلت له : تبت والله على ما أقول شهيد.

١- النقف الضرب بالمرح والمصا ونحوهما، منه .

٢- لعل المراد بذبالب السيف الموضع الذابل اي الدقيق منه وهو راسه و في بعض النسخ

بالشناة و هو ايضا كتابة عن راسه .

ثم قلت له : ياسيدي تركني و في هذه الضربة هلكت بلاشك ، قال: فرجع إليّ و أخذ بيده قبضة من تراب ثم وضعها على الضربة و مسح بيده الشريفة عليها فالتحمت بقدره الله تعالى.

قال زيد النساج: فقلت : كيف التحمت و هذه حالتها فقال لي : إنها والله كانت ضربة مهولة أعظم مما تراها الآن و لكنها بقيت موعظة لمن يسمع و يرى . و من فرحة الغري معنعا عن عليّ بن الحسن بن الحجاج من حفظه ، قال: كنا جلوسا في مجلس ابن عمي أبي عبدالله محمد بن عمر بن الحجاج و فيه جماعة من أهل الكوفة من المشايخ و فيمن حضر العباس بن أحمد العباسي و كانوا قد حضروا عند ابن عمي يهنونه بالسّلام ، لأنّه حضر وقت سقوط سقيفة سيدي أبي عبدالله الحسين عليه السلام في ذي الحجة من سنة ثلاث و سبعين و مائتين .

فينا هم قومو يتحدثون إذ حضر المجلس إسماعيل بن عيسى العباسي ، فلما نظرت الجماعة إليه أحجمت عما كانت فيه و أطال إسماعيل الجلوس ، فلما نظر إليهم قال لهم : يا أصحابنا أعزكم الله لعلّي قطعتم حديثكم بمجيبتي قال أبو الحسن عليّ بن يحيى السليمانى و كان شيخ الجماعة و مقدما فيهم : لا والله يا بأب عبدالله أعزك الله ما أمسكنا بحال من الأحوال ، فقال لهم : يا أصحابنا اعلموا أنّ الله عزّ و جلّ مسألنى عما أقول لكم و ما أعتقد من المذهب حتى حلف بعق جواريه و مماليكه و حبس دوابه أنّه لا يعتقد إلاّ ولاية عليّ بن أبيطالب و السّادة من الأئمة عليهم السّلام و عدّهم واحداً واحداً و ساق الحديث ، فأبسط إليه أصحابنا و سألوهم و سألوه .

ثم قال لهم : رجعنا يوم جمعة من السّلاة من المسجد الجامع مع عمي داوود فلما كان قبل منازلنا و قبل منزله و قد خلا الطريق قال لنا أينما كنتم قبل أن تغرب الشّمس فصيروا إليّ ولا يكون أحد منكم على حال فيتخلف لأنّه كان جمرة بنى هاشم .

فصرنا إليه آخر النهار و هو جالس ينتظرنا ، فقال صيحووا بفلان و فلان من

الفلة فجاء رجلان معهما آلتهما والتفت إلينا فقال: اجتمعوا كلكم فاركبوا في وقتكم هذا وخذوا معكم الجمل غلاما كان له أسود يعرف بالجمل ، و كان لو حمل هذا الغلام على سكر درجلة لسكرها من شدته و بأسه ، و امضوا إلى هذا القبر الذي قد افتتن به الناس و يقولون إنه قبر عليّ حتى تنبشوه و تعيونني بأقصى ما فيه.

فمضينا إلى الموضع فقلنا دونكم و ما امر به ، فحفر الحفارون وهم يقولون: لاحول ولا قوة إلا بالله في أنفسهم و نحن في ناحية حتى نزلوا خمسة أذرع ، فلمسا بلغوا إلى الصلابة قال الحفارون: قد بلغنا إلى موضع صلب و ليس نقوي بنقره ، فانزلوا الحبشى فأخذ المنيار فضرب ضربة سمعنا لها طينا شديدا في البر ، ثم ضرب ثانية فسمعنا طينا أشد من ذلك ، ثم ضرب الثالثة فسمعنا أشد مما تقدم.

ثم صاح الغلام صيحة فقمنا فأشرفنا عليه و قلنا للذين كانوا معه : اسألوه ما باله فلم يجيبهم ، و هو يستغيث فشدوه و اخرجوه بالحبل فاذا على يده من أطراف أصابعه إلى مرقفه دم هو يستغيث لا يكلمنا ولا يخرجوا ، فحملناه على البغل و رجعنا طابرين .

ولم يزل لحم الغلام ينثر من عضده و جنبه و ساير شقه الأيمن حتى انتهينا إلى عمي فقال : ايش و رائكم ؟ فقلنا : ما ترى و حدثناه بالصورة.

فالتفت إلى القبلة و تاب مما هو عليه و رجع عن المذهب و تولى و تبرى و ركب بعد ذلك في الليل على مصعب بن جابر فسأله أن يعمل على القبر صندوقا ولم يخبره بشيء مما جرى ، و وجه من طم الموضع و عمر الصندوق عليه و مات الغلام الأسود من وقته.

و قال أبو الحسن الحجاج رأينا هذا الصندوق الذي هذا حديثه لطيفا .
أقول : و ما ظهر منه عليه السلام من هذا القبيل فوق حد الاحصاء و لاجابة إلى الاطالة ، فسبحان من آثر أوليائه بالكرامات الظاهرة و المعجزات القاهرة ، و خصهم بالمناقب السنينة و المآثر الرفيعة .

« لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ بَحِيصٍ مَنْ حَيٍّ عَنْ بَيِّنَةٍ »

و لشیخنا البهائی قدس الله روحه في مدح حرم الغري سلام الله على مشرفه:
 في ذالحرم الأقدس بيت معمور في خدمته ملائكة العرش حضور
 فيه القبس الذي ابن عمران رأى فيه النور الذي تجلّى للطور
 وقال أيضاً :

هذا الحرم الأقدس قد لاح لديك فاسجد متخشعاً و عقر خديك
 ذا طور سنين فاعفض الطرف به هذا حرم العزة فاخلع نعليك
 وقال أيضاً :

هذا النبأ العظيم ما فيه خلاف هذا لملائك السماوات مطاف
 هذا حرم الله لمن حجّ و طاف من حلّ به فهو من النار معاف

الترجمة

و فرمود آن حضرت در سحر آن روزی که ضربت یافت در او : مالک شد
 مرا چشم من یعنی غلبه نمود خواب بر من در حالتی که من نشسته بودم ، پس
 ظاهر شد بمن رسول خدا ﷺ پس گفتم یا رسول الله چیست اینها که رسیدم
 از امت تو از کجی و دشمنی ؟ پس حضرت رسالت فرمود که ای علی دعای بدکن
 بر ایشان ، پس گفتم که بدل گرداند و عوض دهد مرا خدای تعالی بایشان بهتری
 از برای من از ایشان یعنی بجای ایشان جماعتی بهتر بمن کرامت فرماید ، و بدل
 گرداند و عوض دهد ایشانرا بمن بدتر کسی از برای ایشان بجای من تا اینکه ایشانرا
 بجزا و سزای عملهای بدشان برساند .

و من کلام له علیه السلام فی ذم اهل العراق
 و هو السبعون من المختار فی باب الخطب

والظاهر انها ملتقطه من خطبة طويلة قلتمنا روايتها عن الاحتجاج و الارشاد في شرح
 الخطبة التاسعة والعشرين فليراجع هناك :

أَمَا أَمَدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَأِنَّا أَنْتُمْ كَالْمَرْثَةِ الْحَامِلِ حَمَلْتِ فَلَمَّا أَتَيْتِ
 أَمَلَصْتَ وَمَاتَ قِيمُهَا ، وَطَالَ تَأْيِيمُهَا ، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا ، أَمَا وَاللَّهِ مَا
 أَتَيْتُمْ اخْتِيَارًا ، وَلَكِنْ جِئْتُمْ إِلَيْكُمْ سَوْقًا ، وَلَقَدْ بَلَّغْتُمْ أَنْكُمْ تَقُولُونَ
 عَلِيٌّ يَكْذِبُ ، قَاتِلِكُمْ اللَّهُ ، فَعَلَى مَنْ أَكْذَبَ ؟ أَعَلَى اللَّهِ ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ
 آمَنَ بِهِ ، أَمْ عَلِيُّ نَبِيِّهِ ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ ، كَلَّا وَاللَّهِ ، وَلَكِنَّهَا
 لَهَجَةٌ غَبِطْتُمْ عَنْهَا ، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا ، وَنِيلُ أُمِّهِ كَيْلًا بِغَيْرِ تَنْبِيءٍ لَوْ
 كَانَ لَهُ وَعِيَاءٌ ، وَتَعَمَّنُ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ .

اللغة

(املصت) الحامل ألت ولدها ميتا والمملاص معتادته و (قيم) المرأة تزوجها
 لأنه يقوم بأمرها و (تاييم) المرأة خلوها من الزوج ، والأيم في الأصل التي لازوج
 لها قال سبحانه:

« وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ » .

و (السق) الاضطراب و في بعض النسخ ولاجئت اليكم شوقا بالشين المعجمة
 و (اللهجة) بسكون الهاء و فتحها اللسان و يكتنى بها عن الكلام .
 قال الفيروز آبادي : (الويل) حلول الشر وبهاء الفضيحة ، أو هو تفجيع يقال :
 ويله وويلك وويلي و في النديبة يقال وبله ، وويل كلمة عذاب واد في جهنم أو بتر أبواب
 لها ورجل ويلمه بكسر اللام و ضمها واه ويقال له استجاه ويلمه أي ويل لأمه كقولهم
 لا أب له ، فركبوه و جعلوه كالشيء الواحد ثم ألحقوه الهاء مبالغة كدهاية .

الاعراب

قال الجوهري: تقول ويل لزيد وويلا لزيد ، فالنصب على اضماد الفعل والرفع

على الابتداء هذا إذا لم تضافه فاذا أضفت فليس إلا النصب لأنك لو رفعت لم يكن له خبر.
 وقال نجم الأئمة الرضوي في باب حذف عامل المفعول المطلق من شرح الكافية : ومنها أي من جملة ما يحذف عامله أسماء الأصوات قامت مقام المصادر كماها منك أي توجعا، وهاهالك أي طيبا، وافالك أي كراهة، إلى أن قال : والأصوات القائمة مقام المصادر يجوز اعرابها نصبا إلا أن تكون على حرفين ثانيهما حرف مد نحووى لزيد ، وذلك نحواها وديها ، ويجوز إبقائها على البناء الأصلي نحواف لكما وأوه من اخواني وآه من ذنوبي .

والظاهر أن ويلك وبيحك وويلك وبيك من هذا الباب وأصل كلهاى على ما قال الفراء جى ، بلام الجر بعدها مفتوحة مع المضمرة نحووى لك ووى له ثم خلط اللام بوى حتى صارت لام الكلمة كما خلطوا اللام بيافى قوله :

فخير نحن عند الناس منكم إذ الداعى المثوب قال يالا

فصار معربا باتمامه ثلاثيا فجاز أن يدخل بعدها لام أخرى نحو ويل لك لصيرورة الأولى لام الكلمة ثم نقل إلى باب المبتداء فويل لك كما في سلام عليك.
 أقول : وتحقيق الكلام أنك إذا قلت ويل لزيد فيجوز الرفع على الابتداء والنصب على المفعولية أي حل الشر به حلولا أو عذب الله عذابا أو هلكاله ، وجوز جرّه في القاموس ولأرى له وجهها.

وإذا قلت : ويل لزيد فيجوز الضم على الابتداء وحذف الخبر أي عذابه أو هلاكه مطلوب ، والكسر على أن أصله وى لزيد فكلمة وى بمعنى الحزن والخسران اتصلت لام الجر بها لكثرة الاستعمال فويل لزيد ، والفتح على أنها بعد الاتصال بلام الجر حسبما قلناه خففوا اللام بالفتح .

و أما قولهم رجل ويلمه بكسر اللام وضمه فأرادوا به أنه واه يستعملونه في مقام التعجب من دهاء الرجل وذكائه ، وأصله ويل لامه فركب الكلمتان بعد التخفيف بحذف اللام واسقاط الهمزة فصار ويلمه .

قال في الاقيانوس : وى فيها كلمة مفردة معناها التعجب كأنه يتعجب من

أمه أنها ولدت هذا الولد الذي لانظير له في العقل والفراسة، أو أنه من قبيل قاتله الله و تربت يدها يعني أن الجملة موضوعة للتعجب ملغاة عن معناها الأصلية أو أن الويل بمعنى العذاب والخسران كأنه يريد عذاب أمه كيف ولدت هذا الولد الداهي الظالم فيكون مستعملا في مقام الأسف والانفعال ، أو أن المراد بذلك الحسرة والتأسف من أمه وأنها ولدت هذا الولد فرداً ولم تلد له ثانيا كفوأف يكون مستعملا في مقام التعجب والاستحادة.

وقيل : إن أصل ذلك ويل لأم كما أن قولهم لآب لك مخفف لآب لك ، فالحق به الهاء كمالا للمبالغة كما في الداهية فصار ويل لأمه فخفف وصار ويلمه و على ذلك فالهاء ليست ضميراً ولكن المستفاد من كلام الزمخشري أنه مخفف من قولهم ويل لأمه أو من قولهم وي لأمه ، والهاء ضمير يفسره ما بعده من باب الاضمار على شريطة التفسير كما في قولهم ربّه رجلا يقال ويلمه رجلا قال ذو الرمة:

ويلمها روحة والريح معصفة و الغيث مرتجز و الليل مقرب

و عن النهاية و منه حديث عليّ كرم الله وجهه ويلمه كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء أي يكيل العلوم الجمّة بلا عوض إلا أنه لا يصادف داعيا الويل للتعجب ، و قيل ويل كلمة مفردة ولا مه مفردة وهي كلمة تفجع وتعجب وحذفت الهمزة من أمه تخفيفا والقيت حركتها على اللام و ينصب ما بعدها على التمييز انتهى.

و في شرح المعتزلي انتصب كيلا لأنه مصدر في موضع الحال ، ويمكن أن ينتصب على التمييز كقولهم لله درّه فارسا

المعنى

قد ظهر من رواية الاحتجاج المتقدمة في شرح الخطبة التاسعة و العشرين أن هذه الخطبة واردة في ذم أهل العراق بثناقلهم عن جهاد معاوية و أتباعه فقال لهم (أمّا بعد يا أهل العراق فانما أنتم كالمرأة الحامل حملت فلما أتمت حملها و تكاملت أيامه (أمصت) و أسقطت ولدها ميتا (ومات قيمها) أي زوجها(و طال

تأييها) بقاؤها بلا زوج (و وراثتها بعدها) لفقدان الوارث القريب .
 شبههم بالمرأة الموصوفة بالأوصاف الخمسة التي هي وجوه الشبه بينها
 وبينهم ، فحملها يشبه تهيؤهم للحرب واستعدادهم لها ، وانمام الحمل يشبه مشارفتهم
 لاستيصال أهل الشام والظفر على المقصود ، والاملاص يشبه باجابتهم إلى التحكيم
 وجنوحهم إلى السلم و رجوعهم عن العدو و بعد قرب الظفر و ظهور أمارات الفتح ،
 فان ذلك رجوع غير طبيعي و غير معتاد للعقلاء كما أن الاملاص أمر غير طبيعي
 و خارج عن العادة و موت القيم و طول الأيم يشبه بقائهم بلاصاحب الجارى مجرى
 موته عنهم و طول ضعفهم و تمادى ذلتهم ، كما أن موت قيم المرأة مستلزم لطول
 ضعفها و تمادى عجزها .

و أمّا ورائة الأبعدين فإشارة إلى أنهم لتقصيرهم في الأمر أخذ عدوهم الذين
 هم أبعد الناس عنهم بلادهم و تسلطوا عليهم و صاروا بمنزلة الوارثين لها ، كما أن
 المرأة الموصوفة بسبب املاصها و موت زوجها لا يبقى لها وارث قريب نسبي و سببي
 فيرثها البعيد عنها .

ثم أقسم تفجعراً من حالهم بقوله : (أما والله ما أتيتكم اختياراً) و إشاراً
 للمقام بينكم و حباً لكم و لبلادكم (ولكن جئت اليكم سوقاً) و اضطراراً كما ان
 القضاء سافه إليهم ، إذخروجه من المدينة دار الهجرة لم يكن إلا لقتال أهل الجمل
 و احتاج إلى الاستنصار بأهل الكوفة إذلم يكن جيش الحجاز و افياء بمقاتلتهم ، ثم
 اتصلت تلك الفتنة بفتنة أهل الشام فاضطر إلى المقام بينهم .

ثم قال (ولقد بلغنى أنكم تقولون علي يكذب) فانه عليه السلام كان كثيراً ما
 يخبرهم عن الملاحم و الامور الغيبية و ما يكون قبل كونه كما مضى نبذ من ذلك في
 شرح كلامه السادس و الخمسين ، و يأتي كثير منها في تضاعيف الشرح أيضاً فكان
 مناقو أصحابه ينسبونه في هذه الاخبار الغيبية إلى الكذب لضعف عقولهم و قصور
 أفهامهم و يقولون إنه يكذب فدعا عليهم بقوله (قاتلكم الله) أي لعنكم و أبعدهم
 عن رحمته .

ثم ردّ زعمهم الفاسد واعتقادهم الكاسد بقوله : (فعلى من أكذب على الله فأنا أول من آمن به ، أم على نبيّه فأنا أول من صدّقه) يعني أن هذه الأخبار ما أخبركم بها من تلقاء نفسي ، وإنما هي أخبار عن الله وعن رسوله فكيف أكذب على الله وأنا أول المؤمنين به و أول مؤمن به لا يكون أول مكذب ، و كيف أكذب على الله على الرسول وأنا أول المصدقين له والتابعين لمثته فكيف أكون مكذباً عليه .
 (كلا والله) أي لا والله أو حقاً والله (ولكنها) أي تلك الأخبار الغيبية (لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من أهلها) أي غابت عقولكم الضعيفة عن إدراكها وتحصيل منافعها وإدراك ثمراتها ولستم أهلاً لفهمها ، أو أنكم كنتم غائبين عنها حين أخبرني بها رسول الله ﷺ فسمعت كلامه ولم تسمعه ولو سمعتموه أيضاً لم تكونوا من أهله .

(ويل أمه كيلا بغير ثمن لو كان له وعاء) أنت بعد الخبرة بما حقّقناه في بيان الأعراب تعرف احتمال رجوع ضمير أمه فيه إلى المكذب له فيكون تعجباً من قوّة جهلهم أو استعظاماً لمقاتلتهم أو دعاء عليهم أي عدّ به الله وقاتله فأنّي أكيل العلم لهم كيلا بلائمن لو وجدت له حاملاً .

أو أنّه راجع إلى نفس العلم فيكون وارداً في مقام الاستجادة والاستعظام والتعجب كأنه يتعجب من علمه حيث يكال كيلا بلائمن لو كان له واعياً ، و سائر الاحتمالات غير خفيّ على البصير الناقد لما قدّ منا

وقوله : (و لتعلمنّ نبأه بعد حين) اقتباس عن الآية الشريفة أي لتعلمنّ ثمرة جهلكم وتكذبيكم و اعراضكم عما أقول بعد مفارقتي عنكم و حين مماني حيثما تسلط عليكم بنو أمية والعباس وساقكم سوق العبيد وابتليتكم بالقتل والذلّ والصفار أو أنكم تعلمون جزاء ذلك و تجدونه بعد مفارقة الدنيا ومصيركم إلى الآخرة حين ما وقعتم في الندامة الدائمة والحسرة الباقية .

الترجمة

أز جمله كلام بلاغت نظام آن عالی مقامست در مذمت أهل عراق و توبيخ

ایشان میفرماید:

پس از حمد الهی و درود حضرت رسالت پناهی ای اهل عراق پس بدرستی که شما مثل زن آبستن هستید که حامله شود پس چون تمام نماید حمل را ایندازد و سقط کند آن بچه را و بمیرد شوهر او که قایم امر اوست و طول یابد بی شوهر ماندن او و وارث شود بر او دورتر وراثت آن زن.

وجه تشبیه اهل عراق بزنی موصوف اینست که استعداد و مهیا شدن ایشان بحرب اهل شام مشابه حمل آن زن است، و مشارفۀ ایشان بر غلبه به دشمن در جنگ صفین شبیه است باتمام ولد، و برگشتن ایشان از دشمن بعد از ظهور علامات فتح و ظفر مانند سقط کردن اوست بچه اش را، و رجوع ایشان از رأی آنحضرت و تفرق ایشان که باعث ذلّمان شد شبیه است به مردن شوهر ضعیفه و بی صاحب ماندن او که مستلزم عجز و مذلتش است، و تسلط اعدا بر شهرهای ایشان به منزله وارث شدن دورترین است از آن زن.

باری حضرت ولایت مآب بعد از اینکه ایشان را باین نوع مذمت فرمود میفرماید: که آگاه باشید قسم بخدا نیامدم بسوی شما ای اهل کوفه از روی رغبت و میل و اختیار، ولیکن آمدم من بسوی شما از روی اضطرار که دست قضا و قدر خداوندی از گریبان من گرفته بسوی شما کشید، بجهت اینکه حرکت آن حضرت از مدینه بجهت حرب اهل بصره بود و محتاج شد بیاری اهل کوفه و بعد از انقضای حرب جمل وقعه صفین اتفاق افتاد که لابد شدن از ماندن کوفه پس فرمود:

و بتحقیق که رسید به من اینکه شما میگوئید علی بن ابیطالب دروغ می گوید در آنچه خبر می دهد از اخبار آینده، خدا از رحمت کنار نماید شمارا بکه دروغ می بندم آیا بر خدا افترا می گویم و حال آنکه من اول کسی هستم که ایمان آورده ام باو، یا بر رسول خدا کذب میگویم و حال آنکه من اول کسی هستم که پیغمبر را تصدیق نمود.

نه چنین است قسم بخدا ولكن این سخنان که میگویم بشما گفتار فصیحی است که غایب بودید شما از آن در وقتی که پیغمبر به من تعلیم فرمود و نبودید شما از اهل آن.

مادر تکذیب کننده من به ماتم آن بنشینند من میبیمایم علم ربانی را بپمودنی بدون بها اگر باشد در میان شما آنرا حافظی که ظرفیت و هارائی آن را داشته باشد.

و هر آینه البته خواهید دانست ثمره کردار و گفتار خودتان را بعد از زمانی، یعنی در وقتی که من از میان شما بروم و امراه جور بنی امیه به شما مسلط شوند.

ومن خطبة له عليه السلام علم فيها الناس الصلاة على النبي ﷺ وهي العبادية والسبعون من المختار في باب الخطب

وهي مروية في المجلد السابع عشر من البحار من مناقب ابن الجوزي عن الحسن بن عرفة عن سعيد بن عمير عن أمير المؤمنين عليه السلام بتغيير يسير.

اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوتَاتِ ، وَدَائِمَ الْمَسْئُوكَاتِ ، وَجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَيَّ
فِطْرَتَهَا ، شَقِيهَا وَسَعِيدَهَا ، اجْعَلْ شَرَايِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ ،
عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ، الْغَايِمِ لَهَا سَبَقَ ، وَالْفَاتِحِ لَهَا انْفَلَقَ ،
وَالْمُعَلِّنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ ، وَالذَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ ، وَالذَّامِعِ صَوْلَاتِ
الْأَضَالِيلِ ، كَمَا حَمَلَ فَأَضْطَلَعَ قَائِمًا بِأَمْرِكَ ، مُسْتَوْفِرًا فِي مَرَضَاتِكَ ،

غَيْرِ نَاقِلٍ عَنْ قَدِيمٍ، وَلَا وَاهِ فِي عَزِيمٍ، وَاعِيًا لَوْحِيكَ، حَافِظًا عَلَى عَهْدِكَ
 مَاضِيًا عَلَى نَفَازِ أَمْرِكَ، حَتَّى أَوْزَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ
 لِلْغَاطِطِ، وَهَدَيْتَ بِهِ الْقُلُوبَ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ، وَأَقَامَ مُوضِحَاتِ
 الْأَعْلَامِ، وَنَثَرْتَ الْأَحْكَامَ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْتَامُونَ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ
 الْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إِلَى
 الْخَلْقِ.

اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي ظِلِّكَ، وَأَجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ
 اللَّهُمَّ وَاغْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَائِهِ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وَأَتِمِّمْ
 لَهُ نُورَهُ، وَأَجْزِهِ مِنْ ابْتِعَائِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ، وَمَرْضِيَّ الْقَوْلِ
 ذَا مَنْطِقِ عَدْلٍ، وَخُطَّةِ فَضْلِ، اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرَدِ الْعَيْشِ
 وَفَرَارِ النَّعْمَةِ، وَمُنَى الشَّهَوَاتِ، وَأَهْوَاءِ اللَّذَاتِ، وَرِخَاءِ الدَّعَةِ، وَمُنْتَهَى
 الطُّمَأْنِينَةِ، وَتُحَفِ الْكِرَامَةِ.

اللغة

(دجى) الله الأرض دحواً بسطها ففى مدحوة و (دعمت) الشيء من باب نفع
 دعما حفظته بالدعامه وهى بالكسر ما يستند به العايط والسقف ونحوهما يمنعهما
 السقوط و (سمكه) سمكا رفعه، والمسمكات كمكرمات السماوات، والمسموكات
 لغة و (العجل) الخلق و (الناسمى) الزايد و (الجيشات) جمع جيشة من جاشت القدر
 إذا ارتفع غليانها .

و (بطل) الشيء يبطل بطلا و بطولا و بطلانا بضم الأ وائل فسداً و سقط حكمه فهو باطل و الجمع بواطل و أباطيل على غير قياس ، و قال أبو حاتم : الأباطيل جمع ابطولة بضم الهمزة و قيل جمع ابطالة و (دمغته) دماغ من باب نفع كسرت عظم دماغه ، فالشجة دماغه وهي التي تخسف الدماغ و لا يبقى معها حياة و (الصولة) السطوة و (الأضاليل) جمع الضلال على غير القياس .

و (ضلع) الشيء بالضم ضلعة قوى ، و فرس ضليع غليظ الأ لواح شديد العصب و رجل ضليع قوى و (الوفز) العجلة و استوفر في قعدته قعد منتصبا غير مطمئن و (نكل) نكولا نكص و جبن و (ورى) الزند يورى خرج ناره و اوربته أنا، ومنه قوله سبحانه:

« فَأَلْمُورِيَاتِ قَدْحًا » .

و (القبس) بفتحيتين شعلة من النار قال سبحانه:

« لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ » .

و القابس هو الذي يطلب النار يقال قبس ناراً يقبسها من باب ضرب أخذها و قبس علما تعلمه و قبست الرجل علما يتعدى و لا يتعدى و أقبسته ناراً و علما بالالف و (الخابط) الذي يسير على غير جادة ليلا و (العلم) بالتحريك ما يستدل به على الطريق .

و (البعيث) بمعنى المبعوث كالجريح و القتل و (فسحت) له في المجلس فسحا من باب نفع فرجت له من مكان يسعه ، و المفسح إما مصدر أو اسم مكان ، و بعثته رسولا بعثا أوصلته و ابتعثته كذلك و في المطاوع فانبعث مثل كسرتة فانكسر و كل شيء ينبعث بنفسه يتعدى الفعل إليه بنفسه فيقال بعثه ، و كل شيء لا ينبعث بنفسه كالكتاب و الهدية يتعدى الفعل إليه بالباء فيقال بعثت به .

و (الخطة) بالضم الخصلة و الحالة ، و في أكثر النسخ و خطبة فصل و هو الأظهر و (برد العيش) قال المعتزلي ، العرب يقول عيش بارد و عيشة باردة أى لا حرب

فيها ولا نزاع ، لأن البرد والسكون متلازمان كتلازم الحر والحركة و (قر) الشيء قرأ من باب ضرب استقر والاسم القرار .

و (الأهواء) جمع هوى بالقصر وهو ما تحبه النفوس وتميل إليه من هويته هوى من باب تعب إذا أحببته و علفت به و (رخي) ورخومن باب تعب و قرب رخاوة بالفتح إذالان، و كذلك العيش رخي و رخاوا إذا اتسع فهو رخي على فاعل و الاسم الرخاء و (الدعة) بفتح الدال السكون والسعة في العيش و (الطمأنينة) اسم من اطمأن القلب إذا سكن و (التحف) جمع التحفة بالضم و كمزة البر و اللطف والطرفة و أصلها و حفة بالواو .

الاعراب

داحى المدحوات وداعم المسموكات منصوبان على النداء ، و شقيها وسعيدها بالجر على البدل من القلوب ، و اضافة الشرايف والنوامى من باب اضافة الصفة إلى الموصوف ، والكاف في قوله كما حمل إمّا بمعنى لام التعليل كما في قول الشاعر :

فقلت أبا الملحة خذها كما أو سعتنا بغياً و عدواً

أى خذ هذه الضربة لأجل بغيك و تعديك علينا ، و يحتمل كونها على أصل التشبيه و قوله : قائماً ، منصوب على الحال و كذلك المنصوبات بعده أعنى مستوفزاً وغير ناكل و ما عطف عليه ، و واعيا وحافظا وما ضيا و اضافة الخوضات الى الفتن ظرفية ، و اضافة الموضحات والنيرات الى الأعلام والأحكام من باب اضافة الصفة الى الموصوف ، و المعزوز بالجر صفة علمك ، و مقبول الشهادة و كذلك مرضى المقالة منصوب على المفعولية من اجزه ، و ذا منطلق منصوب على الحال .

المعنى

اعلم ان هذه الخطبة مشتملة على فصول ثلاثة الاولى في صفات المدعو و تمجيده ، و هو الله سبحانه الثاني في صفات المدعو له وهو النبي ﷺ الثالث في أنواع المدعوبه .

اما الاول

فاليه الاشارة بقوله (اللهم داحي المدحوات) أى باسط الأرضين السبع المبسوطة ، و وصفها بالباط لا بنافي كرويتها إذ بسطها باعتبار سطحها البارز الذي هو مسكن الحيوان فانه في الأوهام سطح مبسوط وإن كان بالاعتبار العقلي محدباً وإلى ذلك ينظر قوله سبحانه:

« وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بَسَاطًا » « وَالَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

فِرَاشًا » .

(و داعم المسموكات) أى حافظ السموات المرفوعة بالدعامة التي هي القدرة على مامرت تحقيقه في شرح الفصل الثامن من فصول الخطبة الاولى (و جابل القلوب على فطرتها شقيتها وسعيدها) أراد كونه سبحانه خالق شقى القلوب وسعيدها على فطرتها الأصلية المكتوبة في اللوح المحفوظ ، والمراد بالقلوب النفوس .
و أهل العرفان كثيراً ما يعبرون عن النفس بالقلب ، و بالسعادة ما يوجب دخول الجنة والنعمة الدائمة واللذة الأبدية ، و بالشقاوة ما يوجب دخول النار والعقوبات الأبدية والآلام الدائمة .

فمحصل المعنى أنه خالق النفوس و موجدتها في الخارج موافقا لفطرتها التي كتبت في الألواح السماوية قبل خلق الخلق و قدرت أنها من أهل الجنة أو من أهل النار موافقا لعلمه سبحانه التابع لما يختارونه بعد وجودهم وتكليفهم بارادتهم و اختيارهم .

وإلى هذا ينظر ما رواه في الكافي باسناده عن منصور بن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الله خلق السعادة والشقاوة قبل أن يخلق خلقه ، فمن خلقه الله سعيداً لم يبغضه أبداً و إن عمل شراً أبغض عمله ولم يبغضه ، و إن كان شقيماً لم يحبه أبداً و إن عمل صالحاً أحب عمله و أبغضه لما يصير إليه فإذا أحب الله شيئاً لم يبغضه أبداً و إذا أبغض شيئاً لم يحبه أبداً .

واما الثاني

فاليه أشار بقوله : (اجعل شرايف صلواتك و نوامي بر كاتك على محمد عبدك و رسولك) قيل في تفسير العبد : العين علمه بالله ، والباء بونه عن الخلق ، والدال دنوه من الله بلا اشارة ولا كيف ، يعنى أن العبد لا يكون كامل العبودية إلا إذا كان عارفاً بالله سبحانه قريباً منه بالقرب المعنوي و باينا من الخلق بأن يكون فيهم ولا يكون منهم، و ذلك مستلزم لاستغراقه في طاعة معبوده اذلولاه لماحصل التقرب ولا يتحصل معنى العبودية.

و من هنا قيل : إن حقيقة العبودية عنوان ثلاثة أشياء : أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوَّله الله ملكاً لأن العبد لا يكون لهم ملك بل يرون المال مال الله يضعونه حيث امرهم الله ، ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً ، و يكون جملة اشتغاله فيما امر الله تعالى و نهاء عنه ، فاذا لم ير العبد فيما خوَّله الله ملكاً هان عليه الانفاق و إذا فوض العبد نفسه إلى مدبرها هانت عليه مصائب الدنيا ، و إذا اشتغل العبد فيما أمره الله ونهاه لا يفرغ منهما إلى المراء والمباهات مع الناس.

فاذا اكرم الله العبد بهذه الثلاث هانت عليه الدنيا ولا يطلب الدنيا تفاخراً و تكائراً ولا يطلب عند الناس عزاً و علواً ولا يدع أيامه باطلة فيكون تاركاً لدنياه و فارغاً لطاعة مولاه ، فاذا وصل العبد إلى هذا المقام انكشفت له الحجابات الغيبية و أدركته الألفاظ الربانية ، و تحصل له معنى العبودية وهي ظهيرة جوهرية كنهها الربوبية، و يصير مظهراً لصفات الكمال ومصدر النعوت الجلال.

وإلى هذا المعنى ينظر الحديث القدسي : إن عبدى ليتقرب إلى بالنافلة حتى احبته فاذا احبته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و لسانه الذي ينطق به و يده التي يبطش بها إن دعاني أجيب و إن سألتني أعطيت و لما كان هذا المعنى غاية الكمال وصف الله سبحانه جملة من أوليائه المقربين في كتابه المجيد بذلك فقال :

« سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » وقال :

« عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا » وقال : « نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوْابٌ ».

الى غير هذا ، ثم انه لما كان مرتبة الرسالة فوق مرتبة العبودية و من عادتهم تقديم غير الابلاغ على الابلاغ كما يقولون : عالم تحرير و جواد فياض لاجرم قدم توصيفه بالعبودية على توصيفه بالرسالة ، و إنما قلنا إن درجة الرسالة فوق هذه الدرجة لأن الرسول من يسع قلبه الجانين ولا يجب بشهود الحق عن الخلق ، فهو أكمل ممن يستغرق فيه تعالى غافلا عن خلقه.

و يدل على تقدمها عليها رواية زيد الشحام التي مرت في شرح الفصل الثاني من فصول الخطبة الثانية فتذكر (الخاتم لما سبق) إن جاز استعمال كلمة ما في ذوي العقول فالمراد بها النبيون والمرسلون ، و إلا فالمراد أنه خاتم لشرعه للشرائع والأديان السابقة.

(والفانح لما انغلق) من باب الهدى و طريق الرشاد والجنة ، و إنما كان منغلقا لغلبة أمر الجاهلية و اندراس الشرائع السابقة (والمعلن الحق بالحق) قال الشارح المعتزلي : أي المظهر الحق الذي هو خلاف الباطل بالحق أي بالحرب والخصومة يقال حاق فلان فلانا أي خاصمه فخصمه.

أقول : و منه الحاقه للقيامة قال تعالى : الحاقه ما الحاقه ، سميت بذلك لأنها تحاق الكفار الذين حاقوا الأنبياء أي خاصموهم هذا ، والأظهر أن يكون المراد بالحق الأول الدين و بالثاني الحق المرادف للصدق أي مظهر الدين بقول حق ثابت في نفس الأمر و بيان صواب.

(والدافع جيئات الباطيل) أي لثوران فتن المشركين و اجتماعهم على إطفاء نور الله أولفتنتهم التي كانت عادة بينهم و استمرت عليها سجيئتهم من القتل والغارة و حرب بعضهم لبعض ، فإن هذا كله أمور خارجة عن قانون العدالة وقد اندفع ذلك كله بميامن قدومه صلوات الله عليه و آله

(والدافع صلوات الأضاليل) أي المهلك لسطوات الضلالات و قاصع هيبات أهل

الضلال المنحرفين عن سبيل الله و سبيل الرّشاد إلى الفساد (كما حمل فاضطلع)
معناه على جعل الكاف بمعنى اللام : اجعل شرايف صلواتك عليه لأجل أنه حمل
أعباء الرّسالة فنهض بها قويا ، و على جعلها بمعناها الأصلي صلّ عليه صلاة مناسبة
مشابهة لتحميلك له الرّسالة إذ الجزء من الحكيم العدل لا بدّ أن يكون مناسباً للعمل
المجزى عليه.

(فأما بأمرك مستوفزاً في مرضاتك) أي مستعجلاً في تحصيل رضاه الله سبحانه
ورضوانه غير بطيء فيه حائماً نفسه عليه (غيرنا كل عن قدم ولاواه في عزم) أراد
كونه غير جبان عن التّقدّم فيما يلزمه التّقدم فيه ولامتوان في الاتيان بما عزم عليه
(و اعيالوحيك) ضابطاً له قويّ النفس على قبوله (حافظاً لمهدك) المأخوذ عليه
في تبليغ الرّسالة و أداء الامانة (ماضياً على انفاذ امرك) مصراً في إجرائه وفي جذب
الخلق إلى سلوك سبيل الآخرة .

(حتّى) انتهى في اصراره في هداية الخلق و جذبهم إلى الآخرة إلى النّهاية
وبلغ الغاية ف (أورى قيس القابس) أي أخرج نور الحقّ وأشعله لطالبه والمقتبسين
له (و أضاه الطريق) طريق الجنّة والصّراط المستقيم (للخابط) في ظلمات الجهل
السّالك على غير جادة واضحة .

(و هديت به القلوب بعد خوضات الفتن) والآتم اللازمة عما اجترحت من
السّيئات (وأقام موضحات الأعلام) أي الأدلة الواضحة على الحقّ التي هي كالأعلام
المستدلّ بها على الطريق (و نيرات الأحكام) أي الأحكام الشرعية والتكاليف الإلهية
ذوات النور المستنبطة من الأدلة الواضحة .

(فهو أمينك المأمون) أي ائتمنه على وحيه و رسالته والمأمون تأكيد للامين
(و خازن علمك المخزون) أراد به علمه الذي لا يقدر على حمله عموم الخلق وهو
المشار إليه بقوله : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى
من رسول » .

روى سدير قال : سمعت حمرا بن أعين يسأل أبا جعفر عليه السلام و يقول رأيت

قوله : عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ، فقال له أبو جعفر عليه السلام إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه و من خلفه رصداً ، و كان والله محمد مِمَّن ارتضاه و أما قوله عالم الغيب ، فإن الله تبارك و تعالى عالم بما غاب عن خلقه مما يقدر من شيء و يقضيه في علمه فذلك يا حمران علم موقوف عنده إليه فيه المشية فيقضيه إذا أراد و يبدو له فيه فلا يمضيه ، فأما العلم الذي يقدره الله و يقضيه و يمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله ثم اليانا .

(و شهيدك يوم الدين) يحتمل أن يكون المراد بذلك شهادته على أمته و شهادته على أمة الدين خصوصاً و جميع الصحيح الذين لم يغفل الله سبحانه أرضه منهم من لدن آدم إلى آخر الدهر وقد ورد الاحتمالات الثلاثة في أخبار أهل البيت و مثل كلامه قوله تعالى في سورة النحل :

« وَ يَوْمَ نَبُئُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ » .

وفي سورة البقرة : « وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » .

وفي سورة النساء : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا » .

قال الطبرسي في تفسير هذه الآية إن الله يستشهد يوم القيامة كل نبي على أمته فيشهد لهم و عليهم و يستشهد نبينا على أمته .

و في البحار في الأخبار ما يدل على أن حجة كل زمان شهيد على أهل ذلك الزمان و نبينا عليه السلام شهيد على الشهداء .

و فيه من الكافي باسناده عن سماعة قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : في قول

الله عز وجل:

« فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا » .

نزلت في أمة محمد خاصة نبي كل قرن منهم إمام منا شاهد عليهم و محمد شاهد علينا قال المجلسي يمكن أن يكون المراد تخصيص الشاهد والمشهود عليهم جميعا بهذه الامة فيكون المراد بكل امة في الآية كل قرن من تلك الامة واحد من الأئمة عليهم السلام شاهداً على من في عصرهم من هذه الامة وعلى جميع من مضى من الامم ، والأول أظهر لفظاً والثاني معنا وإن كان بحسب اللفظ يحتاج إلى تكلفات أقول : وبدل على الوجه الأول ما عن تفسير فرات بن إبراهيم عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير الآية الثانية قال: منا شهيد على كل زمان علي بن أبي طالب في زمانه والحسن في زمانه والحسين في زمانه وكل من يدعو منا إلى أمر الله.

وعلى الثاني ما عن تفسير علي بن إبراهيم في تفسير الآية الثانية أيضاً باسناده عن بريد العجلي قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن تفسير هذه الآية قال نحن الامة الوسط ونحن شهداء الله على خلقه و حجته في أرضه.

وما عن بصائر الدرجات باسناده عن سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : إن الله طهرنا و عصمنا و جعلنا شهداء على خلقه و حجته في أرضه و جعلنا مع القرآن و جعل القرآن معنا لانفارقه ولا يفارقنا.

وعلى هذا فمعنى كونهم شهداء أنهم عليهم السلام يشهدون على الأنبياء أن الله أرسلهم و يشهدون للأنبياء أنهم بلغوا رسالات ربهم و يشهدون لمن أجابهم وأطاعهم بأجابته و اطاعته و على من خالفهم و عصاهم بمخالفته و عصيانه و يشهدون على محمد أن الله أرسله و يشهدون له أنه بلغ ما امر بتبليغه و على امته ولهم كذلك و يشهد رسول الله عليهم بما حملهم من أمر الخلافة ولهم بما أدوا ما حملوا ولهم أوجب بما أوجب ولهم عصى بالعصيان هذا.

و غير خفي على الفطن العارف أن الشهادة لما كانت مشروطة بالعلم واليقين
و من ذلك أن رسول الله أرى للشاهد الشمس و قال على مثل هذا فاشهد أودع ،
فاللازم من كونهم صلوات الله عليهم شهداء على الناس أن يكونوا عالمين بأعمال الناس
غير غائبين عنها ، و يستفاد ذلك من الأخبار و هي على قسمين .

احدهما ما دلت على أنه سبحانه أعطى الامام عموداً من نور يرى فيه أعمال
الغالب كروية الشخص في المرآت وأن الدنيا بأسرها و ما فيها عند الامام كالدرهم
في يد أحدكم يقلبه كيف شاء .

فمن ذلك ما في البحار من بصائر الدرجات عن معاوية بن حكيم عن أبي داود
المسرق عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الامام يسمع الصوت في بطن
امه فإذا بلغ أربعة أشهر كتب على عضده الأيمن :

« وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ » .

فإذا وضعت أمه سطم له نور ما بين السماء والأرض فإذا درج رفع له عمود من نور
يرى ما بين المشرق والمغرب .

و منه باسناده عن ابن زليان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن الامام لسمع
في بطن امه فإذا ولد خط على منكبيه ، ثم قال هكذا بيده فذلك قول الله تعالى :

« وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ » .

و جعل له في كل قرية عموداً من نور يرى به ما يعمل أهلها فيها .

و عن محمد بن الفضيل عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عليه السلام الامام يسمع الكلام
في بطن امه فإذا سقط إلى الأرض نصب له عمود في بلاده و هو يرى ما في
غيرها .

و عن محمد بن مروان قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن الامام يسمع في
بطن امه فإذا ولد خط بين كتفيه :

« وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ » .

فاذا صار الأمر إليه جعل الله له عموداً من نور يبصر به ما يعمل به أهل كل بلدة. وعن إسحاق القمي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام ما قدر الامام؟ قال يسمع في بطن امه فاذا وصل إلى الأرض كان على منكبه الأيمن مكتوباً:

« وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ » .

ثم يبعث أيضاً له عموداً من نور من تحت بطنان العرش إلى الأرض يرى فيه أعمال الخلاق كلها، ثم ينشعب له عمود آخر من عند الله إلى اذن الامام كلما احتاج إلى مزيد افرغ فيه افرغاً.

أقول: والعمود الآخر ما أشير إليه في رواية صالح بن سهل

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنت جالسا عنده فقال لي ابتداء منه: يا صالح بن سهل إن الله جعل بينه وبين الرسول رسولا ولم يجعل بينه وبين الامام رسولا، قال: قلت: وكيف ذلك؟ قال: جعل بينه وبين الامام عموداً من نور ينظر الله به إلى الامام و ينظر الامام به إليه فاذا أراد علم شيء نظر في ذلك النور فعرفه. قال المحدث المجلسي: نظر الله تعالى إليه كناية عن إفاضته عليه و نظره إليه كناية عن غايه عرفانه.

والقسم الثاني

من الأخبار ما دلّت على عرض أعمال العباد على النبي صلى الله عليه وآله وعلى الأئمة عليهم السلام وإلى ذلك أشير في الكتاب العزيز:

قال تعالى: « وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ

وَسَرُّدُونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » .

روى في البحار من تفسير علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن الحسن الصفار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من مؤمن يموت أو كافر يوضع في قبره حتى يعرض عمله على رسول الله عليه السلام وعلى أمير المؤمنين عليه السلام وهلم جراً إلى آخر ما فرض الله طاعته فذلك قوله:

« وَ قُلِ اَعْمَلُوا فَمَا يَرْىَ اللّٰهُ عَمَلِكُمْ وَ رَسُوْلُهُ وَ الْمُؤْمِنُوْنَ . »

وعنه عليه السلام قال: إن أعمال العباد يعرض على رسول الله كل صباح أبراها وفجارها فاحذروا فليستحي أحدكم أن يعرض على نبيته العمل القبيح. و من بصائر الدرجات باسناده عن معلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى:

« وَ قُلِ اَعْمَلُوا فَمَا يَرْىَ اللّٰهُ عَمَلِكُمْ وَ رَسُوْلُهُ وَ الْمُؤْمِنُوْنَ . »

قال: هو رسول الله والائمة تعرض عليهم أعمال العباد كل خميس. وعن محمد بن مسلم و زرارة قالوا سألتنا أبا عبد الله عليه السلام عن الأعمال تعرض على رسول الله؟ قال ما فيه شك، ثم تلا هذه الآية:

« وَ قُلِ اَعْمَلُوا فَمَا يَرْىَ اللّٰهُ عَمَلِكُمْ وَ رَسُوْلُهُ وَ الْمُؤْمِنُوْنَ . »

قال إن لله شهداء في أرضه.

وعن ابن أبي عمير عن غير واحد من أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه حياتي خير لكم و مماتي خير لكم، قالوا: أما حياتك يا رسول الله فقد عرفناه، فما في وفاتك؟ قال: أما حياتي فإن الله يقول: وما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم و ما كان الله معذبهم وهم يستغفرون، و أما وفاتي فتعرض على أعمالكم فاستغفروا لكم.

وعن داود الرقي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال يا داود أعمالكم عرضت على يوم الخميس فرأيت لك فيها شيئاً فرحني و ذلك صلتك لابن عمك أما

أنه سيمحق أجله ولا ينقص رزقك ، قال داود : و كان لي ابن عم ناصب كثير العيال محتاج ، فلما خرجت إلى مكة أمرت له بصلة ، فلما دخلت على أبي عبدالله عليه السلام أخبرني بهذا هذا.

وقد تحصل مما ذكرنا كله اطلاع النبي و اطلاع الأئمة على جميع أفعال الناس و أعمالهم من خير أو شر و أنه لانفاوت في ذلك بين حالتي الموت والحياة فان قلت : ما فائدة تلك الشهادة و ما ثمرة عرض الأعمال عليهم و اطلاعهم بذلك والناس كلهم يردون إلى عالم الغيب والشهادة و ينبتهم بما كانوا يعملون. قلت : ثمرة ذلك أن الناس إذا علموا أن لهم شهداء و رقباء و كتابا يكتبون ما يفعلون لا يغادرون صغيرة ولا كبيرة و أن النبي و الأئمة يعرض عليهم الأعمال و يطالعون بما يعملون كان ذلك رادعا للنفوس الامارة عن الانهماك في الشهوات و مانعا لها عن متابعة الأهواء واللذات ، فلا بد للعاقل البصير أن ينظر إلى عمله و يحذر من عرض عمله القبيح على نبيه و أمته و يستحى من ذلك ولا يفعل ما يوجب مسامة حالهم واستحيائهم من الله سبحانه من قبائح أعمال شيعتهم والله ولي التوفيق.

(و بعثك بالحق و رسولك إلى الخلق) أراد كونه مبعوثا بالدين الثابت الباقي نفعه إلى الخلق و رسولا إليهم ، و هذان الوصفان كساير الأوصاف المذكورة في هذا الفصل إشارة إلى جهات استحقاق الصلاة والرحمه.

الفصل الثالث

في أنواع المدعو به ؛ و إليها الإشارة بقوله (اللهم افسح له مفسحا في ذلك) أي مكانا متسعاً في حظيرة قد سك ، والظل إما استعارة للجود والافضال و وجه الشبه استراحة المستظل بالظل من حرارة الشمس و كذلك الملتجئ إلى جود الله سبحانه و افضاله يستريح بجوده تعالى من شديد العذاب الاليم و حر نار الجحيم ، و يحتمل أن يكون المراد معناه الحقيقي كما في قوله تعالى :

« وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَ طَلْحٍ

مَنْضُودٍ وَظِلِّ مَمْدُودٍ .

قال في مجمع البيان أى دائم لا تنسخه الشمس فهو باق لا يزول ، وقد ورد في الخبر أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها ، و روى أيضاً أن أوقات الجنة كغدوات الصيف لا يكون فيها حر ولا برد .

(و اجزه مضاعفات الخير من فضلك) أراد به أن يضاعف له الكمالات من نعمه إذ مراتب استحقاق نعمه سبحانه غير متناهية (اللهم و اعل على بناء البائين بناءه) المراد بالبائين إما الأنبياء و ببنائهم ما شيدوه من أمر الدين فيكون المقصود بالدعاء علو دينه و ظهوره على الدين كله ولو كره المشركون ، وإما مطلق عباد الله الصالحين البائين بأعمالهم الصالحة عرفا في الجنة و قصوراً فيها فيكون المقصود علو منزله على ساير المنازل (و اكرم لديك منزلته) بانزاله المنزل المبارك الموعود و هو سبحانه خير المنزلين ، قال تعالى مخاطباً لنوح :

« وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ » .

(و اتم له نوره) المراد بذلك اتمام نوره يوم القيامة بحيث يطفى ساير الأنوار وهو النور الذى يسعى بين أيدي الامة حتى ينزلوا منازلهم في الجنة ، و إليه الاشارة في قوله .

« يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ نَورًا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

قال الطبرسي : يسعى نورهم بين أيديهم و بأيمانهم على الصراط يوم القيامة و هو دليلهم إلى الجنة و يريد بالنور الضياء الذي يرونه و يمررون فيه عن قتادة ، و قيل نورهم هداهم عن الضحاك قال قتادة : إن المؤمن يضيء له نور كما بين عدن إلى صنعا و دون ذلك حتى أن من المؤمنين من لا يضيء له نوره إلا موضع قدميه .

قال الشارح المعتزلي : قد روى أنه يطفى ساير الأنوار إلا نور محمد ، ثم يعطى المخلصون من أصحابه أنواراً يسيرة يبصرون بها هواطيه الأقدام فيدعون الله

بزيادة تلك الأنوار وإتمامها ، ثم إن الله يتم نور محمد فيستطيل حتى يملأ الآفاق
فذلك إتمام نوره .

(و اجزه من انبعاثك له مقبول الشهادة و مرضي المقالة) أراد به أن يعجزه الله
سبحانه من بعثته له الشهادة المقبولة عنده والمقالة المرضية لديه بأن يكون شهادته وَالصَّلَاةُ
على أمته و غيرها نافذة و شفاعته فيهم ماضية حال كونه (ذا منطق عدل و خطة فصل)
أى صاحب نطق عادل و خصلة فاصلة بين الحقّ والباطل اذ قال (١) غير هازل كما
قال تعالى : « إنه لقول فصل و ما هو بالهزل » .

والمطلوب بهذه الاعتبارات كلها على اختلاف مفاهيمها أمر واحد و هو زيادة
كمالاته وَالصَّلَاةُ و قربه من الله سبحانه ، ثم إنه بِحجته بعد الصلاة على الرسول دعا
لنفسه و للمؤمنين من خالصي شيعته بقوله (اللهم اجمع بيننا و بينه في برد العيش)
الذي لا كلفة فيها من الحرب والخصومة (وقرار النعمة) مستقرها في الحضرة الربوبية (و منى
الشهوات) في حظيرة القدس (و أهواء الذات) في الجنة العالية ، وفيها ما تشبهه الأ نفس
و تلذ الأ عين (و رخاء الدعة و منتهى الطمأنينة) أى سعة مسكون النفس و نهاية
اتساع عيشها في دار الخلد (و تحف الكرامة) المعدة لأهل اليقين من أولياء الله
المقرّين مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر .

تنبيهات الاول

الصلاة على النبي وَالصَّلَاةُ مما أمر الله تعالى به وحثّ عليه بقوله :

« إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا

عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا »

و ينبغي لنا أن نحقق الكلام في ذلك و نذكر ما أتى به الفاضل المقداد صاحب
كنز العرفان في تفسير هذه الآية و ما يرتبط عليها و نفصل بعض ما أجمله قدس
الله روحه .

قال «ره» قرء شاذ أبرفع ملائكته فقال الكوفيون بعطفها على أصل إن واسمها وقال البصريون مرفوعة بالابتداء، و خبر إن محذوف أى إن الله يصلي وملائكته يصلون فحذف للقربة و نظايره كثيرة كقول الشاعر :

نحن بما عندنا و أنت بما عندك راض والرأى مختلف

أى نحن راضون ، والصلاة و ان كانت من الله الرحمة فالمراد بها هنا هو الاعتناء باظهار شرفه و رفع شأنه ، و من هنا قال بعضهم تشریف الله عمدا بقوله :
« إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ » .

أبلغ من تشریف آدم بالسجود له والتسليم ، قيل المراد به الانقياد كما في قوله :
« فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » .

وقيل هو قولهم : السلام عليك أيها النبي قاله الزمخشري والقاضي في تفسيرهما وذكره الشيخ في تبيانه وهو الحق لقضية العطف ولأنه المتبادر إلى الفهم عرفا و لرواية كعب الآتية وغيرها إذا تقرر ذلك فهنا فوايد.

الاولى ذهب أصحابنا والشافعي و أحمد إلى وجوب الصلاة على النبي في الصلاة خلافاً لما لك و أبي حنيفة فانهما لم يوجباها ولم يجعلها شرطاً في الصلاة واستدل بعض الفقهاء بما تقريره

شيء من الصلاة على النبي واجب و لا شيء من ذلك في غير الصلاة بواجب ينتج أنها في الصلاة واجب ، أما الصغرى فلقوله تعالى : صلوا ، والأمر حقيقة في الوجوب ، وأما الكبرى فظاهرة ، وفيه نظر لمنع الكبرى كما يجيء وحينئذ فالأولى الاستدلال على الوجوب بدليل خارج .

أما من طرقهم فمارووه عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تقبل صلاة إلا بظهور وبالصلاة علي ، وكذا عن أنس عن النبي ﷺ قال : إذا صلتي

أحدكم فليديه بحمد الله ثم ليصل على

ومن طرقنا ما رواه أبو بصير وغيره عن الصادق عليه السلام قال : من صلى ولم يصل على النبي وتركه متعمداً فلا صلاة له ، حتى أن الشيخ جعلها ركناً في الصلاة فان عنى الوجوب والبطالان بتركها عمداً فهو صحيح وإن عنى تفسير الركن بأنه ما يبطل الصلاة بتركه عمداً وسهواً فلا .

الثانية قال علمائنا اجمع : إن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم واجبة في التشهدين وبه قال أحمد ، وقال الشافعي : مستحبة في الأول واجبة في الآخر ، وقال مالك وأبو حنيفة : مستحبة فيهما ، دليل أصحابنا روايات كثيرة عن أئمتهم عليهم السلام .
الثالثة هل تجب الصلاة على النبي في غير الصلاة أم لا ، ذهب الكرخي إلى وجوبها في العمر مرة ، وقال الطحاوي : كلما ذكر ، واختاره الزمخشري ، ونقل عن ابن بابويه من أصحابنا ، وقال بعضهم : في كل مجلس مرة ، والمختار الوجوب كلما ذكر لدلالة ذلك على التنويه (١) برفع شأنه والشكر لاحسانه المأمور بها ، ولأنه لولاه لكان كذكر بعضنا بعضاً وهو منهي عنه في آية النور .

أقول : وأشار بها إلى قوله سبحانه : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً » ولما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم : من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله ، والوعيد أمانة الوجوب .

وروى أنه قيل له : يا رسول الله أرأيت قول الله إن الله وملائكته يصلون على النبي ؟ فقال : هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به إن الله عز وجل وكل بي ملكين فلا أذكر عند مسلم فيصلي علي إلا قال له ذلك الملكان غفر الله لك ، وقال الله وملائكته : آمين ، ولا أذكر عند مسلم فلا يصلي علي إلا قال له الملكان : لا غفر الله لك وقال الله وملائكته : آمين .

أقول : ومثل ذلك في إفادة الوعيد ما رواه الصدوق في عقاب الأعمال باسناده عن محمد بن هارون عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا صلى أحدكم ولم يصل على النبي

خطيء به طريق الجنة .

وقال النبي ﷺ : من ذكرت عنده فنسي الصلاة عليّ خطيء به طريق الجنة قال (ره) : وأما عند عدم ذكره صلوات الله عليه فيستحب استحباباً مؤكداً ، لتظافر الروايات أنّ الصلاة عليه وآله تهدم الذنوب وتوجب اجابة الدعاء المقرون بها .
الرابعة روى كعب بن عجرة قال : لما نزلت الآية قلنا : يا رسول الله هذا السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة عليك ؟ فقال قولوا : اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وعلى هذا الحديث سؤال مشهور بين العلماء ذكرناه في نضد القواعد و ذكرنا ما قيل في أجوبته من أرادہ وقف عليه هناك .

أقول : ولا يحضرني كتاب نضد القواعد حتى نقف على ما ذكره ولعل المراد بالسؤال المشهور ما ذكره من أن التشبيه يقتضى أن يكون المشبه به أقوى من المشبه فيلزم أن يكون التشبيه الواقع فيه من باب إلحاق الناقص بالکامل ، واجيب تارة بأن التشبيه لبيان حال من يعرف بمن لا يعرف ، وثانية بأن التشبيه في أصل الصلاة لا في قدر الصلاة ، وثالثة بأن معناه : اجعل لمحمد صلاة بمقدار الصلاة لإبراهيم وآله وفي آل إبراهيم خلاق لا يحصون من الأنبياء ، وليس في الله نبيّ فطلب إلحاق جملة فيها نبيّ واحد بما فيه الأنبياء ، وربما اجيب باجوبة اخرى ولا حاجة إليها والأظهر الأوسط .

الخامسة دلّ حديث كعب المذكور على مشروعية الصلاة على الآل تبعاً له ﷺ ، وعليه اجماع المسلمين ، وهل يجوز عليهم لاتباع بل افراداً كقولنا : اللهم صلّ على آل محمد بل الواحد منهم لا غير أم لا ؟ قال أصحابنا : بجواز ذلك ، وقال الجمهور : بکراهته لأنّ الصلاة على النبي صارت شعاراً فلا يطلق على غيره ولا يهامه الرّفص والحق ما قاله الأصحاب لوجوه .

الأول قولي تعالى مخاطباً للمؤمنين كافة : « هو الذي يصلي عليكم وملائكته »

وهو نص في الباب .

الثاني قوله تعالى : « الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة » ولا ريب أن أهل البيت أصيبوا بأعظم المصائب الذي من جعلتها اغتصابهم مقام امامتهم .

أقول : وهذا الدليل لعله مأخوذ من العلامة قدس الله روحه و قد حكى في لؤلؤة البحرين من كتاب حياة القلوب أنه قدس الله سره ناظر أهل الخلاف في مجلس سلطان محمد خدا بنده أنار الله برهانه وبعد إتمام المناظرة وبيان حقيقة مذهب الامامية الاثني عشرية خطب قدس الله لطفه خطبة بليغة مشتملة على حمد الله و الصلاة على رسوله والأئمة عليهم السلام .

فلماسمع ذلك السيد الموصلي الذي هو من جملة المسكوتين بالمناظرة قال ما الدليل على جواز توجيه الصلاة على غير الأنبياء ؟ فقرأ الشيخ العلامة في جوابه بلا انقطاع الكلام : الذين إذا أصابتهم مصيبة ، الآية فقال الموصلي بطريق المكابرة : ما المصيبة التي أصابت إليهم حتى أنهم يستوجبون بها الصلاة ؟ فقال الشيخ : من أشنع المصائب وأشدّها أن حصل من ذاربيهم مثلك الذي ترجح المنافقين الجهال المستوجبين لللعنة والنكال على آل رسول المتعال ، فاستضحك الحاضرون وتعجبوا من بداهة آية الله في العالمين وقد انشد بعض :

إذا لعلوى تابع ناصيباً

وكان الكلب خيراً منه قطعاً

الثالث أنه لما أتى أبواؤ في بز كانه قال النبي ﷺ : اللهم صل على أبي

أدفي و آل أبي أدفي ، فيجوز على أهل البيت بطريق أولى

الرابع ان الصلاة من الله بمعنى الرحمة و يجوز الرحمة عليهم إجماعاً فيجوز مراد فيها لما تقرر في الاصول من أنه يجوز إقامة احد المترادفين مقام الآخر الخامس قولهم إنه صار شعاراً للرسول قلنا مصادرة على المطلوب ، لأنها كما

دلت على الاعتناء برفع شأنه كذلك تدل على الاعتناء برفع شأن أهله القائمين مقامه فيكون الفرق بينه وبينهم وجوبها في حقه عليه السلام كلما ذكر كما اخترناه .

أقول: التفريق بذلك غير خال عن التأمل

فان قلت : عادة السلف قصره على الأنبياء .

قلت : العادة لا يخصص كما تقرر في الأصول ، هذا مع أن من أعظم السلف

الباقر والصّادق عليهما السلام ، ولم يقولوا بذلك .

السادس أن قولهم : إن ذلك بوهم الرّفض تعصب محض و عناد ظاهر ، نظير

قولهم من السنة تسطيع القبور لكن لما اتخذته الرافضة شعاراً لقبورهم عدلنا منه إلى

التسنيح ، فعلى هذا كان يجب عليهم أن كل مسألة قال بها الامامية أن يفتوا بخلافها

و ذلك محض التعصب والعناد ، نعوذ بالله من الأهواء المضلة والآراء الفاسدة

السادسة مذهب علمائنا أجمع أنه يجب الصلاة على آل محمد في التشهدين ،

وبه قال بعض الشافعية ، وفي إحدى الروايتين عن أحمد ، وقال الشافعي بالاستحباب

لنا رواية كعب وقد تقدمت في كيفية الصلاة عليه وإذا كانت الصلاة عليه واجبة كانت

كيفيتها أيضاً واجبة .

و روى كعب أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقول ذلك في صلاته و قال : صلّوا كما

رأيتموني أصلي .

وعن جابر الجعفي عن الباقر عليه السلام عن ابن مسعود الأنصاري قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وآله من صلّى صلاة ولم يصلّ فيها عليّ وعلى آلي وأهل بيتي لم يقبل منه

السابعة الآل الذين يجب الصلاة عليهم في الصلاة و يستحب في غيرها هم

الأئمة المعصومون ، لاطباق الأصحاب على أنهم هم الآل ولأن الأمر بذلك مشعر

بغاية التعظيم المطلق الذي لا يستوجبه إلا المعصوم ، وأما فاطمة عليها السلام فتدخل

أيضاً لأنها بضعة منه .

الثاني

قال الجمهور : الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن آدميين

الدعاء، واستبعد تارة باقتضائه كونه مشتركاً لفظياً والأصل العدم، وأخرى بأننا لانعرف في العربية مسنداً واحداً يختلف معناه باختلاف المسند إليه إذا كان الاسناد حقيقياً، وثالثة بأن الرحمة فعلها متعدٌ والصلاة فعلها قاصر وتفسير القاصر بالمتعدّي غير مناسب، ورابعة بأنه لو قيل مكان صلّى عليه دعا عليه انعكس المعنى ولو كانا مترادفين صحّ حلول كل منهما محلّ الآخر.

وقال المحققون: إنّه لغة بمعنى العطف والعطف بالنسبة إلى الله الرحمة اللابئة وإلى الملائكة الاستغفار وإلى الأدميين دعا بعضهم لبعض، قال السهيلي: الصلاة كلّها وإن اختلفت معانيها راجعة إلى أصل واحد فلا تظنّها لفظاً مشتركاً ولا استعارة إنّما معناها العطف ويكون محسوساً ومعقولاً انتهى. فعلى ما ذكره يكون مشتركاً معنوياً وهو أولى من الاشتراك اللفظي إذا دار الأمر بينه وبينه

الثالث

قال الشهيد الثاني نور الله مضجعه في الرّوضة غاية السؤال بالصلاة عابدة إلى المصلّي لأنّ الله تعالى قد أعطى نبيّه من المنزلة والزلفى لديه ما لا يؤثر فيه صلاة مصلّ كما نظقت به الأخبار وصرّح به العلماء الأخيار.

أقول: أمّا انتفاع المصلّي بالصلاة واستحقاقه بها الثواب الجزيل والجزاء الجميل فمما لا غبار عليه وستطلع على ذلك في التنبيه الآتي، وأمّا عدم تأثيره في حقّه صلوات الله عليه وآله فممنوع، لأنّ مراتب القرب إليه تعالى والزلفى لديه غير متناهية فيجوز أن يوجب كل صلاة عليه الارتقاء من مرتبة إلى مرتبة فوقها.

فان قلت: يستلزم ذلك أن يكون صلوات الله عليه ناقصاً في ذاته ومرتبه مستكملاً بالصلاة والدعاء.

قلت: إن أردت نقصه بالنسبة إلى الواجب فمسلّم ولا ضير فيه وإن أردت النقص بالنسبة إلى الموجودات الممكنة فلا، يبان ذلك أنّه أفضل الموجودات وأشرف المجعولات وأكمل المخلوقات، لا موجود سواه إلاّ وهو دونه ولا مجعول غيره إلاّ وهو ناقص بالنسبة إليه، لكنّه صلوات الله عليه وآله مع ذلك كلّه ممكن

محتاج في وجوده وبقائه وامتكمال ذاته إلى الواجب تعالى وهو قديم وفيضه غير متناه ، وهو قابل بذاته لكسب الفيوضات وازدياد الدرجات وهو تعالى ولي الخيرات والحسنات ، وهو على كل شيء قدير هذا .

وقد عثرت بعد ما حقت المقام على كلام المحدث العلامة المجلسي في هذا المرام ذكره في كتاب مرآت العقول على بسط وتفصيل فأحببت نقل ما أورده لتضمنه فوايد سنية .

قال «ره» : اختلف العلماء في أنه هل ينفعهم الصلاة شيئاً أم ليس إلا لتفاننا فذهب الأكثر إلى أنهم صلوات الله عليهم لم يبق لهم كمال منتظر بل حصل لهم جميع الخصال السنية والكمالات البشرية ولا يتصور للبشر أكثر ما منحهم الله تعالى ، فلا يزيدهم صلواتنا عليهم شيئاً بل يصل نفعها إلينا وإنما أمرنا بذلك لظهار حبهم ولأنهم ، بل هي إنشاء لظهار الاخلاص والولاء لنا ، وليس الغرض طلب شيء لهم .

و يترتب عليه أن يفيض الله علينا بسبب هذا الاظهار فيوضه ومواهبه وعطاياه كما أنه إذا كان لأحد محبوب بحبه حبباً شديداً وقد أعطاه كل ما يمكن فاذا كان لرجل حاجة عند المحب يتقرب إليه بالثناء على محبوبه وطلب شيء له تقرباً إليه باظهار حبه وتصويبه في إكرامه و أنه مستحق لما أعطاه حقيق بما أولاه . وهذا الكلام عندي مدخول بل يمكن توجيهه بوجوه أخر لكل منها شواهد من الأخبار .

الأول أن تكون الصلاة سبباً لمزيد قربهم وكمالهم ولم يدل دليل على عدم ترقيمهم إلى ما لا يتناهى من الدرجات العلى في الآخرة والأولى ، وكثير من الأخبار يدل على خلافه كما ورد في كثير من أخبار التفويض أنه إذا أراد الله سبحانه أن يفيض شيئاً على إمام العصر يفيضه أولاً على رسول الله ثم على إمام حتى ينتهي إلى إمام الزمان لئلا يكون آخرهم أعلم من أولهم .

وكما أن بيننا وبين موالينا صلوات الله عليهم من أبواب العصمة والطهارة

درجات غير متناهية لا يمكن لأحدنا و إن عرج على معارج القرب والكمال أن يصل إلى أدنى منازلهم ، فكذا بينهم عليهم السلام و بين جناب الألوهية وساحة الربوبية معارج غير متناهية كلما صعدوا بأجنحة الرفعة والكمال على منازل القرب والجلال لانتهى تلك المعارج و يعدون أنفسهم في جنب ساحة القدس مثل الذرة أودونها.

وقد أفيض على وجه وجيه في استغفار النبي والأئمة صلوات الله عليهم يناسب هذا الوجه و هو : أنهم صلوات الله عليهم لما كانوا دائما في الترقى في مدارج المعرفة والقرب والكمال ففي كل آن تحصل لهم معرفة جديدة و قرب جليل و كمال عتيد عدوا أنفسهم مقصرين في المرتبة السابقة في المعرفة و القرب و الطاعة كانوا يستغفرون منها وهكذا إلى ما لانهاية لها.

وقد ورد في الروايات الكثيرة أن أشرف علومنا علم ما يحدث بالليل والنهار أنا فأنا وساعة فساعة ، و يؤيده ما روى في تفسير قوله سبحانه : وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ، أن أهل الجنة في كل يوم جمعة يجتمعون في موضع يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى بأنوار جلاله ، فيرجع المؤمن بسبعين ضعفا مما في يديه فيتضاعف نوره وضيؤه ، و هذا كناية عن تضاعف قربه ومعرفته.

الثاني أن تكون سبباً لزيادة المثوبات الأخروية و إن لم تصر سبباً لمزيد قربهم وكمالهم.

و كيف يمنع ذلك عنهم و قد ورد في الأخبار الكثيرة وصول آثار الصدقات الجارية والأولاد والمصحف وتعليم العلوم والعبادات إلى أموات المؤمنين والمؤمنات وأي دليل دل على استئنائهم عن تلك النضائيل والمثوبات ، بل هم آباء هذه الأمة المرحومة والأمة عبيدهم و بركتهم فازوا بالسعادات ونجوا من المهلكات ، وكما صدر عن الأمة من خير و سعادة و طاعة يصل إليهم نفعها و بركتها ولا منقصة لهم في ذلك مع أن جميع ذلك من آثار مساعيمهم الجميلة و أيديهم الجليلة.

الثالث أن تصير سبباً لأموالهم تنسب إليهم من رواج دينهم وكثرة أمتهم واستيلاء

قائمهم و تعظيمهم و ذكرهم في الملاء الأعلى بالجميل و بالتفخيم و التمجيل .
وقد ورد في بعض الأخبار في معنى السلام عليهم : أن المراد سلامتهم وسلامة
دينهم و شيعتهم في زمن القائم عليه السلام ، انتهى كلامه رفع مقامه

الرابع

في فضيلة الصلاة و نوابها ، والأخبار في ذلك كثيرة لا تحصى .

فمنها ما في نواب الأعمال للصدوق بإسناده عن عباس بن ضمرة عن أمير
المؤمنين عليه السلام قال : الصلاة على النبي و آله عليهم السلام أمحق للخطايا من الماء إلى
النار والسلام على النبي و آله أفضل من عتق رقاب وحب رسول الله أفضل من مهج
الأنفس أو قال ضرب السيوف في سبيل الله .

و عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا ذكر النبي عليه السلام فأكثر الصلاة
عليه فإنه من صلى على النبي صلاة واحدة صلى الله عليه ألف صلاة في ألف سنة من الملائكة ولم
يبق شيء مما خلق الله إلا صلى على ذلك العبد لصلاة الله عليه و صلاة ملائكته ، ولا
يرغب عن هذا إلا جاهل مغرور قد برى الله منه و رسوله ، ورواه أيضاً في جامع
الأخبار كالكليني في الكافي نحوه .

و عن أبي البختري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آباءه عليهم السلام قال : قال
رسول الله عليه السلام : أنا عند الميزان يوم القيامة فمن ثقلت سيئاته على حسناته جئت
بالصلاة على حتى أثقل بها حسناته ، و رواه في جامع الأخبار مثله .

و عن عبد السلام بن نعيم قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : إنني دخلت البيت فلم
يحضرني شيء من الدعاء إلا الصلاة على النبي عليه السلام فقال عليه السلام : لم يخرج أحد بأفضل
مما خرجت .

و عن الحارث الأعور قال : قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : كل دعاء
محبوب عن السماء حتى يصل على محمد و آله .

و عن الصباح بن سيابة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ألا أعلمك شيئاً يقبى الله وجهك
من حر جهنم ؟ قال : قلت : بلى ، قال : قل بعد الفجر : اللهم صل على محمد و آل محمد

مائة مرة بقي الله به وجهك من حر جهنم.

وعن محمد بن أبي عمير عن أخبره ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : وجدت في بعض الكتب : من صلى على محمد وآل محمد كتب الله له مائة حسنة ، ومن قال صلى الله على محمد وأهل بيته كتب الله له ألف حسنة.

وعن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله من صلى علي يوم الجمعة مائة صلاة قضى الله له ستين حاجة ثلاثون للدينيا وثلاثون للآخرة .
وعن أبي المغيرة قال : سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول : من قال في دبر صلاة الصبح وصلاة المغرب قبل أن يشتي رجله أو يكلم أحداً : إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً اللهم صل على محمد وذريته قضى الله له مائة حاجة سبعين «سبعون» في الدنيا وثلاثين «ثلاثون» في الآخرة ، قال : قلت : ما معنى صلوات الله و صلوات ملائكته و صلوات المؤمنين ؟ قال : صلوات الله رحمة من الله و صلوات الملائكة تزيك منهم له ، و صلوات المؤمنين دعاء منهم له .

ومن سر آل محمد في الصلاة على النبي وآله : اللهم صل على محمد وآل محمد في الأولين ، و صل على محمد وآل محمد في الآخرين ، و صل على محمد وآل محمد في الملاء الأعلى ، و صل على محمد وآل محمد في المرسلين اللهم اعط محمد الوسيلة والشرف والفضيلة والدرجة الكبيرة ، اللهم إنني آمنت بمحمد ولم أره فلا تحرمني يوم القيامة رؤيته ، وارزقني صحبته وتوفني على ملته واسقني من حوضه مشرباً «شرباً» رويأ سايفاً هنيئاً لازماً بعده أبداً إنك على كل شيء قدير اللهم كما آمنت بمحمد ولم أره فعرزني في الجنان وجهه اللهم بلغ روح محمد تحية كثيرة و سلاماً .

فان من صلى على النبي بهذه الصلاة هدمت ذنوبه ومحيت خطايا و دام سروره واستجيب دعائه و اعطى أمه و بسط له في رزقه و أعين على عدوه و هبى له سبب أنواع الخير و يجعل من رفقاء نبيته في الجنان الأعلى ، يقولن ثلاث مرات غدوة و ثلاث مرات عشية .

وعن عبد الله بن صفان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم

لأمير المؤمنين: ألا أبشرك؟ قال: بلى بأبي أنت وأمي، فانك لم تنزل مبشراً بكل خير فقال: أخبرني جبرئيل آتفاً بالعجب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام وما الذي أخبرك يا رسول الله؟ قال: أخبرني أن الرجل من أمتي إذا صلى على فاتبع بالصلاة على أهل بيته فتحت له أبواب السماء و صلّت عليه الملائكة سبعين صلاة وإنه إن كان من المذنبين تحات عنه الذنوب كما تحات الورق من الشجر، و يقول الله تبارك و تعالى: لبنيك عبدى وسعديك يا ملائكتي أتمّ تصلّون عليه سبعين صلاة و أناصلّي عليه سبعمأة صلاة، فان صلّي علىّ ولم يتبع بالصلاة على أهل بيته كان بينها وبين السماء سبعون حجاً بآ و يقول الله جلّ جلاله: لا ليك ولا سعديك يا ملائكتي لانصعدوا دعائه إلا أن يلحق بالنبيّ عترته، فلا يزال محجوباً حتى يلحق بى أهل بيته.

و عن معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قال في يوم مائة مرّة ربّ صلّى على محمد و على أهل بيته، قضى الله له مائة حاجة ثلاثون منها للدنيا، و سبعون منها للأخرة.

و عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ارفعوا أصواتكم بالصلاة علىّ فانها يذهب بالنفاق.

و في جامع الأخبار عن أبي هريرة أن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من صلّى علىّ في كتابه لم يزل الملائكة تصلّي عليه مادام ذلك مكتوباً إلى يوم القيامة وفيه أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من صلّى علىّ مرة صلّى الله عليه ألف مرّة لا يعذب به كذاباً في النار أبداً، و قال: من صلّى عليّ مرّة فتح الله عليه باباً من العافية، و قال من صلّى عليّ مرّة لم يبق من ذنوبه ذرّة.

و روى عن عبد الله بن مسعود أن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إن أولى الناس في يوم القيامة أكثرهم صلاة، و قال النبيّ صلى الله عليه وآله في الوصية: يا علي من صلّى كلّ يوم أو كلّ ليلة رجبت له شفاعتي ولو كان من أهل الكبار.

عن أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن أقربكم منّي يوم القيامة في كلّ موطن أكثركم علىّ صلاة في دار الدنيا، و من صلّى في يوم الجمعة أو في ليلة

الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا، ثم يوكل الله له بكل صلاة ملكا يدخل في قبري كما يدخل أحدكم الهدايا ويخبرني من صلى علي باسمه ونسبه إلى عشيرته فائتبه عندي في صحيفة بيضاء.

عن الرضا عليه السلام من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآله فانها تهدم الذنوب هدما.

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قال: صلى الله على محمد وآله أعطاه الله أجر اثنين وسبعين شهيداً وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

روى عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما من أحد يذكرني ثم صلى علي إلا غفر الله له ذنوبه وإن كان أكثر من رمل عالج.

وقال صلوات الله عليه وآله: من صلى علي يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئته ثمانين سنة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: من صلى علي مرة خلق الله تعالى يوم القيامة على رأسه نوراً وعلى يمينه نوراً وعلى شماله نوراً وعلى فوقه نوراً وعلى تحته نوراً، وفي جميع أعضائه نوراً.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: لن يلبح النار من صلى علي.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: الصلاة على نور على الصراط، ومن كان له على الصراط من النور لم يكن من أهل النار.

وفي رواية عبد الرحمن بن عون أنه قال: جئني جبرئيل وقال: إنه لا يصلي عليك أحد إلا ويصلي عليه سبعون ألف ملك و كان من أهل الجنة.

عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: من صلى علي ألف مرة لم يموت حتى يبشّر بالجنة.

وقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلى علي و علي آلي تعظيماً خلق الله من ذلك القول ملكاً يرى جناح له بالمغرب والآخر بالمشرق و رجلاه مغموستان من الأرض السفلى و عتقه ملتوى تحت العرش، فيقول الله عز وجل: صل علي عبدي كما صلي

علی النبیؑ، فهو یصلی علیه إلى یوم القیامة إلى غیر هذه من الأخبار المتجاوزة عن حدِّ الاحصاء.

والحمد لله الذی جعل صلاتنا علیه و آله ما خصنا به من ولایتهم طیباً لخلقنا و طهارة لأنفسنا و تزکیة لنا و کفارة لذنوبنا، و له الشکر علی ما آثرنا بذلك و خصصنا به دون غیرنا کثیراً کثیراً.

الترجمة

از جمله خطب آنحضرتست که تعلیم فرموده خلق را در آن صلوات فرستادن به پیغمبر را.

ای خداوند ما ای گستراننده گستردها چون هفت طبقه زمین و ای نگه دارنده بلند شدها چون طبقات چرخ برین و ای معجول نماینده قلبها بر فطرت اصیبه آنها که معجول نموده قلبهای با شقاوت را بشقاوت و قلبهای با سعادت را بسعادت، بگردان شریف ترین درودهای خود را و بلندترین و افزونترین بر کتفای خود بر محمد بن عبدالله که بنده برگزیده و رسول پسندیده تو است که ختم کننده آن چیزی است که گذشته از پیش از شریعت و همت، و گشاینده آن چیز است که بسته شده از باب رشاد و هدایت، و اظهار کننده دین حق است بایمان درست و حق و دفع کننده غلبهای باطلان و شکننده صولتهای گمراهان.

صلوات فرست بر آن حضرت صلواتی که مشابه باشد بر سالتی که برداشت آنرا وقوی شد به برداشتن او در حالتی که استاده بود بفرمان تو و صاحب تعجیل بود در تحصیل رضای تو، و در حالتی که جبون نبود از پیشی گرفتن در آداء او امر شریعت و سست نبود در عزیمت با بلاغ احکام ملت، نگاه دارنده بود وحی تو را، حفظ کننده بود عهد تو را، گذرنده باجراه فرمان تو تا آنکه برافروخت شعله نور حق را بجهت طالبین، و روشن ساخت راه شرع متین را از برای خبط کننده و جاهلین، و هدایت یافته شده بوجود مبارک آن قلبها بعد از غوطه خوردن در فتنها، و برپانمود علمهای راه نماینده و احکام روشنی دهنده را.

پس او امین نو است و خزینه دار علم مخزون و سر مکنون تو ، و شاهد تو است در روز جزا و فرستاده تو بسوی خلق بار خدایا گشاده گردان از برای آن حضرت مکان با وسعت در سایه کشیده خود ، و جزا بده او را زیادتیهای خیر را از فضل و رحمت خود .

بار خدایا بلند گردان بر بنای بانیمان بنای او را که عبارتست از دین همین و شرع متین ، و گرامی دار نزد خود منزل او را که جنت عدن است و فردوس برین ، و تمام گردان از برای او نور او را که احاطه نماید بهممه خلائق ، و پاداش ده او را از جهة مبعوث نمودن تو او را شهادت پذیرفته شده و گفتار پسندیده در حالتی که او صاحب نطق عادلست و صاحب مصلحت جدا کننده میان حق و باطل .

بار خدایا جمع کن میان ما و میان او در خوشی زندگانی و در ثبات نعمت جاودانی و در مطلوبهای آرزوها و در خواهشات لذتها و در گشادگی آسایش و راحت و در پایان آرامی و استراحت و در تحفههای کرامت که معداست و مهیا برای اهل جنت

و من كلام له عليه السلام قاله لمروان بن الحكم
بالبصرة وهو الثاني والسبعون من المختار في باب الخطب

قالوا : اخذ مروان بن الحكم اسيراً يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام
إلى أمير المؤمنين عليه السلام فكلّمهما فيه فخلّى سبيله فقالا له : يبابعك يا أمير المؤمنين .
فقال : أو لم يباعني بعد قتل عثمان ؟ لا حاجة لي في بيعته ، إنها كفت
يهودية لو بايعني بكفه لندرت بسبته ، أما إن له إمرة كلفقة الكلب
أنفه ، وهو أبو الأكبش الأزبعة ، و ستلقى الأمة منه و من ولده
يوماً أحمر .

اللغة

قال الشارح المعتزلي يقال استشفعت فلانا إلى فلان وسألته ان يشفع لي إليه
وتشفعت إلى فلان في فلان فشفعني فيه تشفيماً ، وقول الناس استشفعت بفلان إلى
فلان ليس بذلك الجيد انتهى ، و (السببة) بالفتح الامت ، و (الامرة) بالكسر
مصدر كالامارة وقيل اسم و (لعقه) كسمعه لحسه لعقة و يضم و (كبش) القوم
رئيسهم و (الولد) بالتحريك مفرد و جمع .

الاعراب

فاعل استشفع في كلام السيد راجع إلى مردان ، قوله : انها وارد في مقام
التعليل لعدم الحاجة و حذف منه الجار ، والضمير فيه راجع إلى الكف المفهوم
من البيعة لجريان العادة بوضع المبايع كفه في كف المتبايع ، و يهودية بالرفع
صفة لكف .

المعنى

اعلم أن مروان الملعون هو ابن الحكم بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس
ابن عبد مناف ، وكان أبوه الحكم لعنه الله عم عثمان بن عفان وقد طرده رسول الله
ﷺ ونفاه عن المدينة مع ابنه مروان ، وكان مروان يومئذ طفلاً فلم يزا بالطايف
حتى ولى عثمان فرده إلى المدينة مع ولده .

واختلف في السبب الموجب لنفيه له فقيل : إنه يتحيل ويستخفى و يسمع ما
يسره رسول الله إلى أكابر الصحابة في مشركي قريش وسائر الكفار و المنافقين ،
وقيل : يتجسس على رسول الله وهو عند نسائه و يصفى إلى ما لا يجوز الاطلاع عليه
ثم يحدث به المنافقين على طريق الاستهزاء ، وقيل : كان يحكيه في بعض مشيه
وبعض حر كانه ، فقد قيل : إن النبي ﷺ إذا مشى يتكفأه ، وكان الحكم بن العاص
يحكيه وكان شائناً له حاسداً مبغضاً ، فألنت رسول الله يوماً فرآه يمشى خلفه يحكى
في مشيته فقال له كذلك فلتكن يا حكم ، فكان الحكم مختلجاً يرتعش من يومئذ
وفي شرح المعتزلي من كتاب الاستيعاب باسناد ذكره عن عبد الله بن عمرو بن

العاص أن رسول الله ﷺ قال يدخل عليكم رجل لعين ، قال : وكنت قد رأيت أبي يلبس ثيابه ليقبل إلى رسول الله فلم أزل مشفقاً أن يكون أوّل من يدخل ، فدخل الحكم بن أبي العاص .

و عن النهاية في حديث عايشة قالت لمروان : إن الله لعن أباك وأنت فضض من لعنة الله أي قطعة وطائفة منها ، ورواه بعضهم فظاظة من لعنة الله بظاين من الفظيظة وهو ماء الكرش . وقال الزمخشري افتظظت الكرش اعتصرت مائها كأنها عصارة من لعنة الله .

و كيف كان فهو الطريدا بن الطريد ، واللعين ابن اللعين ومنافق ابن منافق ، ولذلك أن الحسنين عليهما السلام لما قالوا لأمير المؤمنين عليه السلام إنه يبايعك يا أمير المؤمنين فقال (أولم يبايعني بعد قتل عثمان) فقدر وحضر فيمن حضر حرب الجمل (لاحاجة لي في بيعته إنهما) أي كفه (كف يهودية) غادرة والنسبة إلى اليهود لشيوع الغدر فيهم كما نبه عليه على ذلك بقوله (لو يبايعني بيده لغدر بسبته) أراد أنه لو بايع في الظاهر لغدر في الباطن وذكر السببة إهانة له .

(أما إن له امرأة كلعقة الكلب أنفه) أشار بذلك إلى قصر مدة إمارته ، فقد قيل : أنه ولي الأمرتسعة أشهر ، وقيل : ستة أشهر ، وقيل أربعة أشهر وعشرة أيام (وهو أبو الكعبش الأربعة) فسّر الأكثر ذلك ببني عبد الملك بن مروان : الوليد ، وسليمان ، ويزيد ، وهشام ، ولم يل الخلافة من بني أمية ولا من غيرهم أربعة أخوة إلا هؤلاء .

قال المعتزلي : وعندي أنه يجوز أن يعني به بني مروان لصلبه ، وهم عبد الملك الذي ولي الخلافة ، وبشر الذي ولي العراق ، ومجد الذي ولي الجزيرة ، وعبد العزيز الذي ولي مصر ، ولكل منهم آثار مشهورة (وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر) أي شديداً وفي بعض النسخ موتاً أحمر وهو كناية عن القتل .

تكملة

هذا الكلام مروى بنحو آخر ، وهو ما رواه في البحار من الخرايج عن

ابن الصیرفی عن رجل من مراد قال : كنت واقفاً على رأس أمير المؤمنين عليه السلام يوم البصرة إذ أتاه ابن عباس بعد القتال فقال : إن لي حاجة فقال ما عرفني ما الحاجة التي جئت فيها تطلب الأمان لابن الحكم؟ قال : نعم أريد أن تؤمنه قال أمنتك ولكن اذهب وجثني به ولا تجثني به إلا رديفاً فإنه أذل له .

فجاء به ابن عباس ردفاً خلفه كأنه قد قال أمير المؤمنين عليه السلام : أتبايع؟ قال : نعم ، وفي النفس ما فيها قال : الله أعلم بما في القلوب فلما بسط يده ليبايعه أخذ كفه عن كف مروان فترها فقال لاحاجة لي فيها إنها كف بهودية لو بايعني بيده عشرين مرة لنكت باسته ، ثم قال :

هيه هيه يا بن الحكم خفت على رأسك أن تقع في هذه المعمعة ، كلا والله حتى يخرج من صلبك فلان وفلان يسرمون هذه الأمة خسفاً و يسقونه كأساً مصبرة قال المجلسي : قوله فترها ، كذا في أكثر النسخ بالثبأ والراء المهمله في القاموس تر العظم وتر تريراً وترور أبان وانقطع ، وقطع كآثر والتترتر كالنزول والتقلقل ، وفي بعض النسخ فنثرها بالنون والثاء المثله أي نفضها ، وفي بعضها فنثرها بالنون والثاء المثله من النثر وهو الجذب بقوة وفي القاموس يقال لشيء يطردهيه هيه بالكسر وهي كلمة استراداة أيضاً ، وفي النهاية المعامع شدة الموت والجد في القتال والمعمعة في الأصل صوت الحريق والمعمعان شدة الحر .
أقول : ولعله أراد بقوله كأساً مصبرة كأسامراً كان فيها صبراً .

الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام آن حضرت است که فرمود از برای مروان بن حکم در شهر بصره ، راویان گویند که گرفتند مروان بن حکم را اسیر در روز حرب جمل پس شفیع نمود حسن و حسین علیهما السلام را مروان بسوی امیر المؤمنین علیه السلام پس سخن گفتند آن دو بزرگوار بآن حضرت در خصوص آن بی اخلاص ، پس رها کرد آن را ، پس عرض کردند ایشان که بیعت میکند مروان بتو ای امیر مؤمنان پس آن حضرت فرمود که :

آیا بیعت نکرد آن بیدین بعد از کشته شدن عثمان لعین هیچ حاجت نیست
 مرا در بیعت آن بد بخت ، بدرستی که دست آن ملعون دست یهودی است یعنی مثل
 طائفة یهود مکلا و غدار است اگر بیعت کنند بمن بدست خود هر آینه غدر کند
 بادبر خود ، یعنی اگر ظاهراً بیعت نماید باطنا نقض آن را خواهد نمود .

آگاه باشد که بدرستی باشد اورا امارتی بغایت کوتاه مانند لیسیدن سگ
 بینی خود را و او است پدر چهار رئیس ، مراد عبدالملک و عبدالعزیز و بشر و محمد است
 که همه پسران مروان بودند ، و زود باشد که برسند این امت از جانب مروان و از
 جانب پسران او روز باشدت ، مراد قتل و غارتیست که از ایشان صادر شد .

ومن کلام له علیه السلام لها عزمو ا علی بیعة عثمان
 وهو الثالث والسبعون من المختار فی باب الخطب

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي ، وَ وَاللَّهِ لَا سَأْمَنُ مَا سَلِمَتْ
 أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ ، وَ لَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً التَّمَا سَا لِأَجْرِ ذَلِكَ
 مِنْ فَضْلِهِ ، وَ زُهْدًا فِيهَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرِهَا وَ زَبْرِهَا .

اللغة

(نافست) في الشيء، منافسة و نفاسا إذا رغبت فيه على وجه المبارات
 و (الزخرف) بالضم الذهب وكمال حسن الشيء، قال تعالى: «حتى إذا أخذت
 الأرض زخرفها» و(الزبرج) بالكسر الزينة.

الاعراب

كلمة ما في قوله ما سلامت ظرفية مصدرية ، و خاصة منصوب على الحالبة ،
 و التماسا مفعول له و العامل لاسلمن و من زخرفها بيان لما .

المعنى

المستفاد من شرح المعتزلي أن هذا الكلام صدر منه عليه السلام بعد أن بايع أهل الشورى عثمان وعد عليه فضائله وسوابقه ، وناشداً أصحاب الشورى فقطع عبدالرحمن ابن عوف كلامه وقال يا علي : قد أبى الناس إلا على عثمان فلا تجعل على نفسك سييلاً ، ثم قال عليه السلام : يا باطلحة ما الذى أمرك به عمر ؟ قال : أن أقتل من شق عصا الجماعة ، فقال عبدالرحمن لأئمة المؤمنين بايع إذن وإلا كنت متبعاً غير سييل المؤمنين وانفذنا فيك ما أمرنا به فعند ذلك قال :

(لقد علمتم أنسى أحق بها) أى بالخلافة المستفاد من قربنة المقام (من غيرى) لاستجماعه عليه السلام الكمالات النفسانية والفضائل الداخلية والخارجية مضافاً إلى وصية رسول الله ﷺ بها ، فيكون أولى وأحق وذلك لا يستلزم كون غيره حقيقاً أيضاً إذ اسم التفضيل في كلامه نحوه في قوله تعالى :

« قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ » .

ثم نبه عليه السلام على أن رغبته فيها ليست حرصاً على زخارف الدنيا وزينتها ومارتها كما هي في غيره ، وإنما هي لرعاية مصلحة الاسلام وصلاح حال المسلمين فقال (والله لاسلمن) و أترك المخالفة (ما سلمت أمور المسلمين) أي مهما كان في تسليمي سلامة أمور المسلمين (ولم يكن فيها جور إلا على خاصة) وإنما سلمت ذلك (التماساً لأجر ذلك من فضاه) أى لأجر المظلومية والجور الواقع في حقي من فضل الله سبحانه (وزهداً فيما تافستموه) و رغبة عما رغبتم فيه (من زخرفها و زبرجها) أى ذهب الدنيا وزينتها .

قال المحدث المجلسي : في هذا الكلام دلالة على أن خلافة غيره جور مطلقاً وأن التسليم على التقدير المقروض وهو سلامة أمور المسلمين وإن لم يتحقق الفرض لرعاية مصالح الاسلام والتقوية انتهى .

و بذلك يظهر ما في كلام الشارح المعتزلي حيث قال :

فان قلت : فهلاً سلم إلى معاوية وإلى أصحاب الجمل و اغضى على اغتصاب

حقه حفظاً للإسلام من الفتنة.

قلت : إن الجور الداخل عليه من أصحاب الجمل ومن معاوية وأهل الشام لم يكن مقصوراً عليه خاصة ، بل كان يعم الإسلام والمسلمين جميعاً ، لأنهم عنده لم يكونوا ممن يصلح لرياسة الأمة و تحمل أعباء الخلافة ، فلم يكن الشرط الذي اشترطه متحققاً وهو قوله : ولم يكن فيها جور إلا على خاصة.

ثم قال : وهذا الكلام يدل على أنه عليه السلام لم يكن يذهب إلى أن خلافة عثمان تتضمن جوراً على المسلمين والإسلام وإنما يتضمن جوراً عليه خاصة وإنما وقعت على جهة مخالفة الأولى لاعلى جهة الفساد الكلى والبطان الأصلى وهذا محض مذهب أصحابنا انتهى.

و أقول : أما ما ذكره من التفرقة بين المتخلفين الثلاثة و بين النساكين والقاسطين بكون جور الأولين مقصوراً عليه خاصة وجور الآخرين عاماً له و للإسلام والمسلمين ، فضعيف جداً كضعف توهمه صلاحية الأولين عنده عليه السلام لرياسة الأمة وعدم صلاحية الآخرين لها .

أما إذا فلنمنع انحصار جور الأولين فيه خاصة ألم يبعث الأول خالد بن الوليد لعنه الله إلى مالك بن نويرة قتلته و أصحابه وزنى امرئته بمجرّد امساكه عن الزكاة و منع بضعة الرسول من فذلك أليس جوراً بيناً و ظالماً فاحشاً فضلاً عن ساير ما صدر عنه؟

أولم يأمر الشاني باحراق بيت الصديقة و منعها حقها و أعطى عايشة و حفصة عشرة آلاف درهم في كل سنة و ظلم المسلمين في بيت مالهم؟

أولا تنظر إلى الثالث كيف اخرج أبي ذر إلى الرّبذة و كسر ضلع عبدالله بن المسعود و حمل بني أبي معيط على رقاب الناس و أتلف مال المسلمين و ظلمهم في حقهم و قام معه بنو أمية أبيه ، يخضمون مال الله خضم الأبل نبتة الربيع ؟ ولو لم يكن منهم جور إلا في حقه عليه السلام لكفى في بطلان خلافتهم إذ الجائر لا يكون إماماً لقوله تعالى :

« لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ » .

واما ثانيا فلمنع صلاحية الأولين عنده عليه السلام للرياسة، و كيف يتوهم ذلك مع تصريحه في الخطبة الشقشقية وغيرها مما سمرت و يأتي بعد ذلك ببطلان خلافتهم و اغتصابهم حقه فضلا عما حققنا سابقا في غير موضع فساد خلافتهم و بطلان دعواهم لها.

فان قلت : فلم أمسك عنهم و نهض إلى معاوية و أصحاب الجمل؟
قلت : قد بينا جواب ذلك فيما سبق و قلنا إن إمساكه النكير على الأولين لعدم وجود ناصر و معين له يومئذ ينصره و يحمي له فأمسك عنهم تقيّة و حقا لدمه بخلاف يوم الجمل و صفين كما مر تفصيلا في تنبيهات كلامه السابع و الثلثين ، و بالجملة لاريب في بطلان خلافة الجميع و كون الكل جابراً ظالماً في حقه و في حق المسلمين ، غاية الأمر أن معاوية و أصحاب الجمل هتكوا حرمة الاسلام بالمرّة و أعلنوا بعداوتهم عليه السلام و شهر و اسيو ففهم عليه ، و الأولين لم يبلغوا هذه المثابة .
و بهذا كله ظهر فساد ما توهمه أخيراً و نسبته إليه عليه السلام من عدم ذهابه إلى بطلان خلافة عثمان أصلاً و رأساً و إنما كان يذهب إلى أنها متضمنة للجور عليه خاصة فافهم جيداً.

الترجمة

از جمله کلام آن امام همام است که فرموده در زمانیکه عزم کردند اهل شوری بیعت عثمان .
بتحقیق هر آینه دانسته اید که آنکه بدرستی من سزاوارترم بخلاف از غیر من و قسم بذات خداوند که هر آینه تسلیم میکنم مادامیکه سلامت باشد کارهای مسلمانان و نباشد در خلافت دیگران ستمی مگر بر من تنها از جهت خواهش نمودن ثواب آنرا از فضل خداوند تبارک و تعالی و از جهت اعراض نمودن در آنچه شما رغبت نمودید در آن از طلای آن و زینت و آرایش آن .

و من كلام له عليه السلام لها بلغه اتهام بنى امية
له بالمشاركة في دم عثمان وهو الرابع والسبعون
من المختار في باب الخطب

أَوَلَمْ يَنْهَ أُمِّيَّةَ عِلْمَهَا بِي عَنْ قَرْفِي؟ أَوْ مَا وَزَعَ الْجُهَالَ سَابِقَتِي عَنْ
تَهْتِي؟ وَ لَمَّا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ، وَ خَصِيمُ
الْمُرْتَابِينَ، وَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ، وَ بِهَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ

اللغة

قوله (أولم ينه أمية) في بعض النسخ بنى امية وكلاهما صحيحان، والمراد
القبيلة يقال كليب و بنو كليب ويراد بهما القبيلة قال الشاعر:

أشارت كليب بالأكف الأصابع

وقال آخر: أبني كليب إن عمي اللذا

و (قرف) فلانا من باب ضرب اتهمه و عابه و (وزعه) عنه صرفه و كفه و (السابقة)
الفضيلة والتقدم و (الحجيج) المحاج من حج فلان فلانا اذا غلبه بالحجة و (المارق)
الخارج من الدين و (الخصيم) المخاصم.

الاعراب

الهمزة في قوله أولم ينه و أو ما وزع استفهام على سبيل الانكار التوبيخي نحو
قوله تعالى:

« أَتَعْبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ ، أَعَفَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ . »

والواد في قوله و لما وعظهم بحتمل القسم والاستيناف والحال.

المعنى

اعلم أن هذا الكلام له وارد في توبيخ بني امية والظعن عليهم ، فإنه عليه السلام لما بلغه اتهامهم له بالمشاركة في دم عثمان و بخهم بقوله (أولم ينه امية علمها بي عن قرفي) قال الشراح المعتزلي : يقول عليه السلام أما كان في علم بني امية بحالي ما ينهيها عن قرفي و اتهامي بدم عثمان ، وحاله التي أشار إليها وذكر أن علمهم بها يقتضى أن لا يعرفوه بذلك هي منزلته في الدين التي لا منزلتة أعلى منها ، و ما نطق به الكتاب الصادق من طهارته و طهارة بنيه و زوجته في قوله :

« إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً »

و قول النبي صلى الله عليه وآله أنت منى بمنزلة هارون من موسى ، وذلك يقتضى عصمته عن الدم الحرام كما أن هارون معصوم عن مثل ذلك ثم أكد ذلك بقوله (أو ما وزع الجهال) و ردعهم (سابقتي) في الاسلام (عن تهمتي) ثم اعتذر عليه السلام لنفسه في عدم تاثير موعظته فيهم بقوله (و لما وعظهم الله به) في كتابه (ابلغ من لساني) و قولي .
يعنى ان كلام الله سبحانه مع كونه ابلغ الموعظة و أكمل في الردع و التحذير لا يوجب و زعهم و ردعهم عن القول و الاعتقاد بما لا يجوز و لا يؤثر فيهم ، فكيف بكلامي و هذا الكلام نظير قوله في الخطبة الرابعة : و قر سمع لم يفقه الواعية و كيف يراعى النبأ من أصمته الصبيحة ، والمراد بما وعظهم الله به الآيات الناهية عن الظن و الرأفة عن الغيبة و المحذرة من ايداء المؤمنين مثل قوله تعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ »

وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ أُوْحِيَ إِلَيْكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ

أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ » و قوله : « وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فَفَقَدَ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا » .

إلى غير ذلك وهو كثير في القرآن ثم قال (أنا حبيج المارقين وخصيم المرتابين) أى مغالب الخارجين عن الدين باظهار الحجّة عليهم في الدنيا والآخرة ومخاصم الشاكين في الدين أو في كل حق في خصوص الامامة من بني امية وغيرهم.

روى في غاية المرام عن الشيخ في أماليه باسناده عن قيس بن سعد بن عبادة قال : سمعت علي بن أبيطالب يقول : أأول من يجثو بين يدي الله عز وجل للمخصومة أقول : وإلى تلك المخاصمة أشيرت في قوله تعالى :

« هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ » .

روى في غاية المرام عن ابن بابويه مسنداً عن النضر بن مالك قال : قلت للحسين بن علي بن أبيطالب عليهما السلام : يا أبا عبد الله حدثني عن قول الله عز وجل :

« هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ »

قال : نعمن و بنو امية اختصمنا في الله عز وجل قلنا صدق الله وقالوا كذب الله فنحن وإياهم الخصمان يوم القيامة.

و من كشف الغمة عن مسلم والبخاري في حديث في قوله تعالى :

« هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا » .

نزلت في علي و حمزة و عبيدة بن الحارث الذين بارزوا المشركين يوم بدر عتبة و أشية ابنار بيعة والوليد بن عتبة.

و من تفسير علي بن إبراهيم في معنى الآية قال : قال يعنى الصادق عليه السلام نعمن و بنو امية نعمن قلنا صدق الله و رسوله ، وقالت بنو امية كذب الله و رسوله :

« فَالَّذِينَ كَفَرُوا » يعنى بني امية « قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ »

إلى قوله « حديد » .

قال قال عليه السلام : تشويه النار فتسترخي شفته السفلى حتى يبلغ سرته وتعلق شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، ولهم مقامع من حديد ، قال : قال الأعمدة التي يضربون بها .

و من تفسير الثعلبي في تفسير قوله تعالى :

« ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ »

قال : روى خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن أبي سعيد الخدري قال : كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد فماهذه الخصومة ، فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا : نعم هو هذا ، ثم قال عليه السلام (وعلى كتاب الله تعرض الأمثال) يريد نحو قوله تعالى :

« هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا » الآية . وقوله تعالى : « أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ »

روى في غاية المرام من طريق العامة عن ابن عباس في قوله :

« أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » قال علي وحمزة وعبيدة « كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ » عتبة وشيبة والوليد بن عتبة « أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ » هؤلاء علي وأصحابه « كَالْفُجَّارِ » عتبة وأصحابه ، وقوله : « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخْيَأُهُمْ وَمَا لَهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ »

قال ابن عباس فالذين آمنوا بنوهاشم وبنوعبد المطلب ، والذين اجترحوا السيئات بنوعبد شمس ، وقال بعضهم لما كان في أقواله وأفعاله عليه السلام ما يشبه الأمر بالقتل أو

فعله فأوقع في نفوس الجهال شبهة القتل نحو ما روي عنه عليه السلام الله قتله و أنا معه و كتخلّفه عن الخروج يوم قتل عثمان حسبما تقدّم في شرح كلامه التاسع والعشرين فقال عليه السلام: ينبغي أن يعرض ذلك على كتاب الله فان دلّ على كون شيء من ذلك قتلاً فيحكم به وإلا فلا ولن يدلّ عليه أبداً.

قال المحدث العلامة المجلسي: ويحتمل أن يراد بالأشكال المحجج أو الأحاديث كما ذكر في القاموس أي ما احتجّ به في مخالفة المارقين والمرتابين وما يحتجّون به في مخالفتي ينبغي عرضها على كتاب الله حتّى يظهر صحتهما وفسادهما، أو ما يسندون إلى في أمر عثمان وما يروى في أمري وأمر عثمان يعرض على كتاب الله (وبما في الصدور تجازى العباد) أي بالنيات والعقائد أو بما يعلمه الله من مكنون الضمائر لا على وفق ما يظهره المتخاصمون عند الاحتجاج بجازي الله العباد.

الترجمة

از جمله کلام آن عالی مقام است در حینی که رسید باو متهم کردن بنی امیه اورا بشریک شدن او در خون عثمان علیه اللّٰنة والنیران .
آیا نهی کرد بنی امیه را علم ایشان بحالت من از متهم داشتن من ، آیا منع و ردع نکرد جاهلان را سابقه فضیلت من از آنها من و هر آینه آنچه که موعظه فرموده است خداوند ایشان را باو ابلغ است از کلام من ، من احتجاج کننده ام با کسانی که از دین خارجند و خصومت کننده ام با اشخاصی که در دین شک دارند بر کتاب خدا عرض و تطبیق شود شبهها ومثلها و بآنچه در سینه است از اعتقادهای نیک و بد جزا داده میشوند بندگان در این جهان و آن جهان .

و من خطبة له عليه السلام وهي الخامسة و السبعون
من المختار في باب الخطب

رَحِمَ اللهُ عَبْدًا «أمرء» سَمِعَ حُكْمًا قَوِيًّا ، وَدُعِيَ إِلَى رِشَادِ فِدَنِي ،

وَأَخَذَ بِحُجْرَةِ هَادٍ فَفَجَّحِي ، رَاقِبَ رَبِّهِ ، وَخَافَ ذَنْبَهُ ، قَدَّمَ خَالِصًا ، وَعَمِلَ صَالِحًا ، اِكْتَسَبَ مَذْخُورًا ، وَاجْتَنَبَ مَحْذُورًا ، رُمِيَ غَرَضًا ، وَأَحْرَزَ عِوَضًا ، كَابَرَ هَوَاهُ ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ ، جَمَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ ، وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ ، رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَاءَ ، وَكَزَمَ الْمَحَبَّةَ الْبَيْضَاءَ ، اغْتَنَمَ الْمَهْلَ وَبَادَرَ الْأَجَلَ ، وَتَرَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ .

اللغة

(وعيت) الحديث حفظته قال تعالى : « و تعيها أذن و اعية » (و الحجة) بالضم معقد الازار و (رقبته) أرقبه من باب قتل حفظته وأنا رقيب وراقبت الله خفت عذابه و (اكتسب) بمعنى كسب و (الغرض) ما يرمى بالسهم وفي بعض النسخ عرضاً بالعين المهملة وهو متاع الدنيا (كابرته) مكابرة غالبته وعاندته ، وفي بعض النسخ كابر بالثاء المثلثة وهو بمعنى غالب أيضاً ، يقال : كابرناهم فكثروناهم أى غلبناهم بالكثرة و (المطية) المركب و (الغراء) و (البيضاء) بمعنى و (المحبة) بالفتح معظم الطريق و (المهل) بالفتح فالسكون وبتحتين أيضاً اسم من المهلة أو مصدر

الاعراب

جملة سمع وما بعدها منصوب المحل على الوصفية و قوله : راقب ربه ، وقدم خالصا ، وما بعدهما من الافعال بحذف العواطف فيها نوع من الفصاحة كثير في استعمالهم قال سبحانه :

« وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ، لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ، لَا يَسْمَعُ فِيهَا لَاجِيَةٌ ، فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ، فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ »

و ربه وذنبه مفعولان بالواسطة ونسبة الخوف إلى الذنب مجاز لأنه إنما هو من الله سبحانه إلا أنه لما كان سببه الذنب نسب إليه و حقيقة الكلام خاف من الله

لأجل ذنبه .

المعنى

اعلم أنه ﷺ ترحم في كلامه ذلك على عبد اتصف بما ذكر فيه من الأوصاف وفيه حث وترغيب على ملازمة تلك الصفات و الاتصاف بهذه الأوصاف وهى على ما ذكره ﷺ عشرون .

الأول ما أشار إليه بقوله (رحم الله عبداً سمع حكماً فوعى) أراد بالحكم الحكمة الأعم من العلمبة والعملية كما في قوله تعالى :
« وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا » .

الثاني قوله (ودعى إلى رشاد فدى) أى الى رشد و هداية فدى من الداعى وقرب من المرشد والهادي .

الثالث قوله (وأخذ بحجزه هاد فنجى) أى اعتصم به والتجأ إليه واستهدى به فهداه من الضلالة و انقذه من الجهالة فاهتدى ونجى من الهلكة و امن من العقوبة والهادي في كلامه وإن كان مطلقاً إلا أن الأظهر عندي أن المراد به الأئمة الذين يهدون بالحق و به يعدلون ، فيكون المراد بالأخذ بحجزتهم المتمسكين بحبل الولاية والمقتبسين من أنوارها ، ويدل على ما استظهرته ماورد في تفسير قوله تعالى إنما انت منذر ولكل قوم هاد ، بطرق كثيرة أن الهادى هو أمير المؤمنين و ولده المعصومون سلام الله عليهم أجمعين .

فمنها ما في غاية المرام من تفسير العياشي عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال : قال أمير المؤمنين : فينا نزلت هذه الآية :
« إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ » .

فقال رسول الله ﷺ أنا المنذر و أنت الهادي يا علي ، فمننا الهادي و النسجاة و السعادة إلى يوم القيامة .

ومنه أيضاً عن بريد ، عن معاوية عن أبي جعفر ﷺ

« إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ » .

فقال : قال رسول الله ﷺ أنا المنذر وفي كل زمان إمام منا يهديهم إلى ما جاء به نبي الله والهداة من بعده علي ثم الأوصياء من بعده واحد بعد واحد ، والله ما ذهبت منا وما زالت فينا إلى الساعة ، رسول الله ﷺ المنذر وبعلي يهتدي المهتدون .

والأخبار في هذا المعنى كثيرة بالغة حد الاستفاضة يطول الكتاب بذكرها وقد روى في غاية المرام ثلاثين رواية من طريق العامة والخاصة في ذلك من أراد الاطلاع فليراجع إليه .

الرابع قوله (راقب ربّه) والمراقبة اخذت ثمرات الايمان وهي على ما قيل رتبة عظيمة من رتب السالكين ، وحققتها أنها حالة للنفس يشمرها نوع خاص من المعرفة ولها تأثير خاص في القلب والجوارح أما الحالة فهي مراعات القلب للرقيب واشتغاله به ، وأما العلم المشمر لها فهو العلم بأن الله تعالى مطلع على الضمائر والسرائر قائم على كل نفس بما كسبت كما قال تعالى :

« إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا » .

فهذه المعرفة إذا استولت على القلب ولم يبق فيها شبهة فلا بد أن تجذبه إلى مراعات الرقيب ، والموقنون بهذه المعرفة طائفتان .

أحداها الصديقون و مراقبتهم التعظيم والاجلال واستغراق قلبهم بملاحظة ذلك الجلال والانكسار تحت الهيبة والعظمة بحيث لا يبقى فيه مجال للالتفات إلى الغير أصلاً ، وجوارحهم معطلة عن الالتفات والتلفت إلى المباحات فضلاعن المحظورات وإذا تحركت بالطاعة كانت كالمستعمل لها فلا تصلح لغيرها ولا يحتاج إلى تديير في ضبطها على سنن السداد ، و من نال هذه المرتبة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصرهم ولا يسمع أقوالهم .

و الطائفة الثانية الورعين من أصحاب اليمين وهم قوم غلبت بعض اطالعات الله على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال ، بل بقيت قلوبهم على الاعتدال متسعة

للتسلف، إلى الأقوال والأعمال إلا أنها مع مدارستها للعمل لا تغلو عن المراقبة فقد غلب الحياء من الله على قلوبهم فلا يقدمون ولا يجحسون «يجحسون» إلا عن تثبت فيمتنعون عن كل أمر فاضح يوم القيامة إذ يرون الله مشاهداً لأعمالهم في الدنيا كما يرونه مشاهداً في القيامة .

ولا بد لأهل هذه الدرجة من المراقبة في جميع حركاته وسكناته ويلزم عليه أن يرصد كل خاطر يسبح له، فإن كان إلهياً يعجل مقتضاه، وإن كان شيطانياً يبادر إلى قمعه، وإن شك فيه توقف إلى أن يظهر له بنور الحق من أي جانب هو روى في الوسائل عن محمد بن يعقوب عن علي بن إبراهيم مسنداً عن داود الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل :

« وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ » .

قال : من علم أن الله يراه أو يسمع ما يقول و يعلم ما يفعله من خير أو شر فيحجزه ذلك عن القبح من الأعمال فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى .

الخامس قوله (و خاف ذنبه) و الخوف توقع حلول مكروه أو فوات محبوب وإذا علق بالذوات كما تقول خفت الله وخفت زيدا فمعناه توقع مكروه أو حرمان يقع من جهته وإلا فالذوات لا يتعلق بها خوف فمعنى الخوف من الذنب الخوف مما يكون الذنب سببا له من العقوبة الدنيوية أو الأخروية أو نقصان الدرجة وانحطاط الرتبة وحرمان الجنة .

قال بعض العلماء : خوف الخائفين من الله قد يكون لأمور مكروهة لذاتها وقد يكون لأمور مكروهة لادائها إلى ما هو مكروه لذاته .

أما القسم الأول فمثل أن يتمثل في نفوسهم ما هو المكروه لذاته كسكرات الموت وشدته أو سؤال القبر أو عذابه أو هول الموقف بين يدي الله تعالى والحياء من كشف السر والسؤال عن كل صغيرة وكبيرة ، أو العوف عن المرور على الصراط مع حدته أو من النار وأهوالها أو غلالها أو من حرمان الجنة أو من نقصان الدرجات فيها أو خوف الحجاب من الله ، وكل هذه الأسباب مكروهة في أنفسها و يختلف أحوال

السالكين إلى الله فيها وأعلىها رتبة خوف الفراق والحجاب عن الله وهو خوف العارفين وما قبل ذلك فهو خوف العابدين والصلحاء والزاهدين .

وأما القسم الثاني فأقسام كثيرة كخوف الموت قبل التوبة أو خوف نقض التوبة أو خوف الانحراف عن القصد في عبادة الله أو خوف استيلاء القوى الشهوانية بحسب مجرى العادة في استعمال الشهوات المألوفة أو خوف تبعات النفس عنده أو خوف سوء الخاتمة أو خوف سبق الشقاوة في علم الله ، وكل هذه ونحوها مخاوف عباد الله الصالحين وأغلبها على قلوب المتقين خوف الخاتمة فإن الأمر فيه خطير .

قال بعض اولى الالباب : إذا سكن الخوف القلب أحرقت الشهوة وأطرد عنه الغفلة .

السادس قوله (قدم خالصاً) قال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ العمل الخالص الذي لا يريد أن يمدحك عليه أحد إلا الله وهذا هو معنى الاخلاص قال تعالى :
« وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » .

وللقوم في تعريف الاخلاص عبارات ف قيل : هو تصفية العمل عن ملاحظة المخلوقين حتى عن ملاحظة النفس فلا يشهد غير الله ، وقد مر تفصيل ذلك في شرح الخطبة الاولى عند قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ و كمال توحيده الاخلاص له ، وقيل : هو تنزيه العمل عن ان يكون لغير الله فيه نصيب ، وقيل : هو إخراج الخلق عن معاملة الحق ، وقيل : هو ستر العمل من الخلاق وتصفيته من العالين ، وقيل : إنه لا يريد عامله عليه عوضاً في الدارين وهذه درجة رفيعة و اليها أشار أمير المؤمنين و سيّد الموحدين بقوله : ما عدتكم خوفاً من نارك ولا طمعا في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعدتكم .

السابع قوله (وعمل صالحاً) و العمل ما صدر عن الحيوان بقصده قلبياً أو قالبياً فهو أخص من الفعل ، والمراد بالعمل الصالح إتيان الأمور به كما امر به ويقابله العمل الفاسد قال تعالى :

« فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا » .

وقال في سورة الفاطر: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ

مَرْفُوعُهُ» .

قال الصادق عليه السلام: الكلم الطيب قول المؤمن لآله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله وخليفة رسول الله قال عليه السلام: والعمل الصالح الاعتقاد بالقلب أن هذا هو الحق من عند الله لا شك فيه من رب العالمين .

أقول: ولعل مقصود عليه السلام أن العمل الصالح الموجب لرفع الكلم الطيب بالمعنى الذي ذكره هو الاعتقاد الذي نبه عليه ، لما قد علمت أن متعلق العمل أعم من الاعتقاد .

الثامن قوله (اكتسب مذخوراً) أى ذخيرة مرجوة ليوم فاقتنه و زاداً معداً لوقت حاجته وخير الزاد هو التقوى كما أفصح به الكتاب الميم وصرح به أخبار سيد المرسلين .

التاسع قوله (واجتنب محذوراً) أى تجنب مما يلزم العذر منه و يجب الاحتراز عنه وهو مخالفة الأوامر الشرعية ومنازمة التكليف الالزامية قال سبحانه « فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » .

أوجب العذر لمخالفي أمره من إصابة الفتنة وهى العقوبة الدنيوية وإصابة العذاب الأليم وهى العقوبة الاخرية .

العاشر قوله (رمى غرضاً) أى رمى بسهام أعماله الصالحة الباطنة والظاهرة فأصاب الغرض غير خاطئة (١) فأدرك مناه و حاز ما تمناه ، و على رواية عرضا بالمهملة فالمعنى أنه رمى عرض الدنيا وحذف متاعها ورفض حطامها وأخرج حبها من قلبه علماً منه بسرعة زوالها وفنائها .

العادي عشر قوله (و احرز عوضاً) اي احرز متاع الآخرة الباقية الذي هو عوض من متاع الدنيا الفانية ، وادخر ما يفاض عليه من الحسنات وأعد ما يثاب عليه من الصالحات .

« وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ أَمَلًا » .

الثاني عشر قوله (كابر هوأه) أي غالب هوأه بوفور عقله و يجاهد نفسه الأمارة و يطوعها لقوته العاقلة ، قوله تعالى :

« وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ

هِيَ الْمَأْوَىٰ » .

أي نهى نفسه عن المحارم التي تهويها و تشتهيها فإن الجنة مستقره و ماواه .

روى في الوسائل عن الصدوق باسناده عن الحسين بن زيد عن الصادق عن آباءه عليهم السلام عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ في حديث المناهي قال : من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها مخافة الله عز وجل حرم الله عليه النار و آمنه من الفزع الأكبر و أنجز له ما وعده في كتابه :

« وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ » .

الأو من عرضت له دنيا و آخرة فاختار الدنيا على الآخرة لقي الله عز وجل يوم القيامة وليست له حسنة يتقى بها النار ، و من اختار الآخرة و ترك الدنيا رضى الله عنه و غفر له مسأى عمله .

و عن عبدالله بن سنان قال سألت أبا عبدالله جعفر بن محمد الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قلت للملائكة أفضل أم بنو آدم ؟ فقال : قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب : إن الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة و ركب في البهائم شهوة بلا عقل و ركب في بني آدم كلتيهما من غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة و من غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم .

وعن السكوني عن جعفر عن أبيه عن آباءه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ
طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعده لم يره
الثالث عشر قوله (و كذب مناه) أى قابل ما يلقيه إليه الشيطان من الأمانى
الباطلة بالتكذيب ، قال تعالى :

« وَقَالَ لَا تَخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَلَا ضِلَّتَهُمْ وَلَا أَمْنِيَّتَهُمْ
وَلَا مَرْبَهُمْ فَلْيُبْتِئِكُنْ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرْبَهُمْ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ
يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ
وَمَا يَعِدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا أُولَئِكَ مَا لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا
مَحِيصًا » .

قال في مجمع البيان في تفسير قوله ولا مئنيهم يعني أئنيهم طول البقاء في الدنيا
فيؤثرون بذلك الدنيا ونعيمها على الآخرة ، وقيل معناه أقول لهم ليس وراءكم بعث
ولا نشر ولاجنة ولا نار ولا نواب ولا عقاب فافعلوا ماشئتم عن الكلبي ، وقيل : أئنيهم
بالأهواء الباطلة الداعية إلى المعصية وأزبن لهم شهوات الدنيا وزهراتها أدعو كلاً
منهم إلى نوع ميل طبعه إليه فأصدده بذلك عن الطاعة والقيمه في المعصية .

الرابع عشر قوله (جعل الصبر مطية نجاته) والصبر قوة ثابتة وملكة راسخة
بها يقتدر على حبس النفس ومنعه عن قبائح اللذات ومنى الشهوات وعلى حمله
على مشاق العبادات والتكليفات وعلى التحمل على المصائب والآفات والداهي
والبليات وبها يحصل النجاة والخلاص من غضب الجبار وعذاب النار ، ولذلك جعلها
مطية يتمكن بها من الهرب والفرار عن العدو في مقام الحاجة والاضطرار ، والآيات
القرآنية والأخبار المعصومية في مدحها وفضلها والحث عليها أكثر من أن تحصي
ولعلنا نشبع الكلام في تحقيقها وبيان أقسامها في شرح الخطبة المائة والثانية والسبعين

ونقتصر هنا على بعض ماورد فيها على ما اقتضاه المقام .

فأقول في الوسائل من الكافي باسناده عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السلام

قال : إذا كان يوم القيامة فيقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيقال من أنتم ، فيقولون نحن أهل الصبر ، فيقال لهم على ما صبرتم ؟ فيقولون : كنا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصي الله فيقول الله عز وجل : صدقوا ادخلوهم الجنة وهو قول الله عز وجل .

« إِنَّا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » .

وعن عمرو بن شمر اليماني يرفع الحديث إلى علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله الصبر ثلاثة : صبر عند المصيبة ، و صبر عند الطاعة ، و صبر عن المعصية ، فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض ، و من صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش ، و من صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش .

و عن عثمان بن عيسى عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال اصبروا على الدنيا فانما هي ساعة فمامضى منه لا تجد له ألماً ولا سروراً ، ومالم يجيء فلا تدرى ما هو وإنما هي ساعتك التي أت فيها ، فاصبر فيها على طاعة الله و اصبر فيها عن معصية الله .

الخامس عشر قوله (والتتقوى عدّة وفاته) . قد مرّ معنى التقوى وبعض ماورد فيها في شرح الخطبة الثالثة والعشرين ، وأقول هنا إنّ العدّة لما كانت عبارة عمّا أعدّها الانسان و هيئها لحوادث دهره و ملمّات زمانه وكان الموت أعظم الحوادث ، وبالتتقوى يحصل الوقاية من سكراته و غمراته وبه يتقى من شدايد البرزخ و كربات به ويستراح من طول الموقف و مخاوفه ، لاجرم جعلها عليه السلام عدّة للوفات ووقاية يحصل بها النجاة ، واستعار عنها الكتاب المجيد بالزاد فقال :

« وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى » .

بملاحظة أن الزاد لما كان هو الطعام الذي يتخذ للسفر ليتقوى به الطبيعة على الحركات الحسية و كانت تقوى الله مما تقوى به النفس على الوصول إلى حظيرة القدس حسن الاستعارة به عنها لما بين المغنيين من كمال المشابهة وتمامها .

قال بعض العارفين : ليس السفر من الدنيا أهون من السفر في الدنيا وهذا لا بد له من زاد وكذلك ذلك بل يزداد ، فان زاد الدنيا يخلصك عن عذاب منقطع موهوم وزاد الآخرة ينجيك من عذاب مقطوع معلوم ، زاد الدنيا يوصلك إلى متاع الفرور و زاد الآخرة يبلفك دار السرور ، زاد الدنيا سبب حظوظ النفس و زاد الآخرة سبب الوصول إلى عتبة الجلال والقدس .

السادس عشر قوله (ركب الطريقة الغراء) أى سلك جادة الشريعة الواضحة المستقيمة الموصلة لسالكها الى الجنان ومقام القرب والرضوان .

السابع عشر قوله (ولزم المحجة البيضاء) قال الشارح البحراني والفرق بين ذلك والذي قبله أن الأول أمر بركوب الطريقة الغراء والثاني أمر بلزومها وعدم مفارقتها وانها وإن كانت واضحة إلا أنها طويلة كثيرة المخاوف و سالكها أبدأ محارب للشيطان وهوفي معرض أن يستزله عنها .

الثامن عشر قوله (اغتنم المهل) أى أيام مهلته وهو مدة عمره و أيام حياته في دار الدنيا .

قال زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق من الصحيفة: اللهم صل على محمد و آل محمد ونبهني لذكرك في أوقات الغفلة واستعملني بطاعتك في أيام المهلة وانهج لي إلى محبتك سبيلا سهلة .

وانما عبر عنها بأيام المهلة لأن العناية الأزلية لما كانت مقتضية لسوق الناقص إلى كماله فاقترضت العناية عدم معاجلة العباد بالعقوبة والسخط والأخذ

بالذنوب والمعصية في هذه الحياة الدنيا ليرجعوا إلى التوبة و يرجعوا الانابة فكانته تعالى أمهلهم مدة حياتهم في الدنيا و أنظرهم طول بقائهم فيها و جعلهم في التظرة و المهلة .

التاسع عشر قوله (بادر الأجل) أى سارع إلى أجله الموعود بصحبة عمله الصالح و هو كناية عن جعله الموت نصب عينيه و عدم غفلته عنه و ترقبه له فاذا كان كذلك لا يخاف من حلول الموت و نزوله ولا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه .
العشرون قوله (و تزود من العمل) أى تزود من أعماله الصالحة لقطع منازل الآخرة نسأل الله سبحانه أن يوفقنا للاتصاف بتلك الأوصاف الشامخة الفايقة حتى نستوجب بذلك رحمته العامة الواسعة بمحمد و عترته الطاهرة .

الترجمة

از جمله خطبهای شریفه آن حضرت است که میفرماید : خداوند رحمت کند بنده را که بشنود حکمت را پس گوش گیرد و حفظ نماید و خوانده شود به سوی رشد و صلاح پس اجابت کند و نزدیک آید ، و بگیرد کمرگاه هدایت کننده را و معتصم او بشود پس نجات یابد ، مراقب باشد پروردگار خود را و برترسد از گناه خود ، پیش فرستد کردار پاکیزه و عمل کند عمل شایسته ، کسب نماید چیزی را که ذخیره میشود از برای آخرت ، و اجتناب نماید از چیزی که باعث حذر است و ندامت .

بیندازد با تیر اعمال حسنه بسوی غرض و نشانه و جمع کند متاع دار جاودانرا بعوض متاع دنیای فانی ، غلبه نماید بهوا و هوس و شهوات نفسانیه و تکذیب نماید آمال و امانی باطله شیطانیه بگرداند صبر و شکیبائرا مرکب نجات خویش و تقوی و پرهیزکاری را توشه و فات خود ، سوار بشود بر طریقه روشن شریعت و لازم شود بر جاده آشکار ملت ، غنیمت شمارد ایام مهلت حیاة را و مبادرت نماید بنیکو کاری قبل از ممات و توشه بگیرد از اعمال صالحه بهجت سفر آخرت .

و من كلام له عليه السلام و هو السادس والسبعون من المختار في باب الخطب

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيَفُوقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ ﷺ تَفْوَيقًا، وَاللَّهِ لَئِنْ بَقِيَتْ
لَهُمْ لَا نَفْضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَامِ الْوِذَامِ التَّرِبَةَ .

قال السيد : و يروى التراب الوذمة وهو على القلب ، قوله تفويقا : ليفوقونني
أى يعطونني من المال قليلا قليلا كفواق الناقة وهى الحلبة الواحدة من لبنها، والوذام
جمع و ذمة وهى الحزة من الكرش والكبد يقع في التراب فتنفض.

اللفظة

(التراث) بضم التا الارث والتاء والهمزة فيهما بدل من الواو ، و (نفضه) نفضا
من باب قتل حر كه ليزول عنه الغبار ونحوه فانتفض أى تحرك لذلك ونفضت الورق
من الشجر نفضا اسقطته والنفض بفتحين ما تساقط فعل بمعنى مفعول و (اللحام)
القصاب و (الوذام) ككتاب جمع و ذمة محرّكة و (ترب) الشبي يترب من باب تعب
لصق بالتراب ، و فى القاموس التراب بالكسر أصل ذراع الشاة و منه التراب الوذمة
أو هى جمع ترب مخفف ترب والصواب الوذام التربة انتهى .
و «الحزة» بالضم القطعة من اللحم ونحوه تقطع طولها والجمع حرز كغرفة وغرف
و «الكرش» لذى الخف والظلف كالمعدة للانسان.

الاعراب

إضافة تراث إلى محمد من قبيل الحذف والايصال أى يفوقونني تراثى من محمد
والتربة صفة للوذام

المعنى

قوله (ان بنى أمية ليفوقونني تراث محمد ﷺ تفويقا) أى يعطونني إرثي من

رسول الله وهو الفيء الحاصل ببركته صلوات الله عليه وآله قليلا قليلا ، استعار لفظ التفويق عن اعطائهم المال قليلا بمشابهة القلة و كونه في دفعات كما يدفع الفصيل ضرع أمه لتدر ثم يدفع عنها لتحلب ثم يعاد إليها لتدر وهكذا ، ثم قال (والله لئن بقيت) و صرت أميراً (لهم) لأنهم لا ينفضونهم نفس اللحم الوزام التربة).

قيل الظاهر أن المراد من نفضهم منعهم من غصب الأموال و أخذ ما في أيديهم من الأموال المغصوبة و دفع بغيرهم و ظلمهم و مجازاتهم بسيئات أعمالهم.

و قال الشراح البحراني : أقسم عليه السلام أن بقي لبني أمية ليحرمهم التقدم في الأمور ، و استعار لفظ النفض لابعادهم عن ذلك و شبه نفضه لهم بنفض القصاب القطعة من الكبد أو الكرش من التراب إذا أصابته.

أقول : والأظهر عندي أنه شبههم بالوزام التربة من حيث إن الوزمة إذا وقعت في التراب و تلطخت به يتنقر عنها الطباع ولا يرغب إليها الناس فينفضها القصاب أي يسقطها و يعزلها عن ساير لحماته لمكان ذلك التنقر فيقول عليه السلام : إنني لوبقيت لهم لاسقطهم عن درجة الاعتبار و اعزلهم عن الامارة والمداخلة لأمر المسلمين بحيث لا يرغب إليهم أحد و يتنقر الناس عنهم و يكونون حقيراً عندهم كما لا يرغبون إلى الوزام لحقارتها والله العالم بحقايق كلام وليه هذا.

وقد روى عنه عليه السلام هذا الكلام في رواية أخرى بزيادة و نقصان و تفاوت لما هنا و هي ما رواها أبو الفرج في كتاب الأغاني باسناد رفعه إلى الحرب بن جيش قال :

بعثنى سعيد بن العاص و هو يومئذ أمير الكوفة من قبل عثمان بهدايا إلى المدينة و بعث معي هدية إلى علي عليه السلام و كتب إليه أني لم ابعث إلى أحد مما بعثت به إليك إلا إلى أمير المؤمنين فلما أتيت علياً و قرء كتابه قال : لشد ما يخطر على بنو أمية تراث عهد أما والله لان وليتها لأنفضتها نفس القصاب التراب الوزمة.

قال أبو الفرج هذا خطأ وإنما هو الوزام التربة قال : وقد حدثني بذلك أحمد ابن عبدالعزيز الجوهري عن أبي يزيد عمر بن شيبه باسناد ذكره في الكتاب أن سعيد

ابن العاص حيث كان أمير الكوفة بعث مع ابن أبي العايشة مولاة إلى علي بن أبي طالب بصلة فقال علي والله لا يزال غلام من غلمان بني أمية يبعث إلينا ممأفاه الله على رسوله بمثل قوت الأرملة ، والله لئن بقيت لهم لأ نفضنها نفص القصاب الوزام التربة.

تذنيبان الاول

في بيان نسب بني أمية .

فأقول في البحار من كامل البهائي أن أمية كان غلاماً روميّاً لعبد الشمس فلما ألقاه كيساً فطناً اعتقه و تنبأه فقيل : أمية بن عبد الشمس كما كانوا يقولون قبل نزول الآية : زيد بن عجل ، و لذا روى عن الصادقين عليهما السلام في قوله تعالى : الم غلبت الروم ، أنهم بنو أمية و من هنا يظهر نسب عثمان و معاوية و حسبهما و أنهما لا يصلحان للخلافة لقوله ﷺ : الأئمة من قریش .

و قال مؤلف كتاب إلزام النواصب : أمية لم يكن من صلب عبد شمس وإنما هو من الروم فاستلحقه عبد شمس فنسب إليه فبنو أمية كلهم ليس من صميم قریش و إنهم يلمحون بهم و يصدق ذلك قول أمير المؤمنين ﷺ : إن بني أمية لصاق و ليسوا صحيحي النسب إلى عبد مناف ولم يستطع معاوية إنكار ذلك .

الثاني

في ذكر بعض ما ورد من الآيات والأخبار في لعن بني أمية و كفرهم وإلحادهم .

فأقول : في الكافي عن الصادق عليه السلام رأى رسول الله ﷺ في منامه أن بني أمية يصعدون على منبره و يضلّون الناس عن نصرراط القهقري ، فأصبح كئيباً حزينا ، قال ﷺ : فهبط عليه جبرئيل فقال : يا رسول الله ما لي أراك كئيباً حزينا ؟ قال : يا جبرئيل إنني رأيت في ليلتي هذه يصعدون منبري من بعدى يضلّون الناس عن الصراط القهقري ، فقال : والذي بعثك بالحق نبياً إنني ما اطلعت عليه فخرج إلى السماء فلم يلبث أن نزل بأى من القرآن يونسه بها قال :

« أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ » وأنزل عليه: « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » .

جعل الله ليلة القدر لنبيه خيراً من ألف شهر ملك بني أمية.

و في مفتاح الصحيفة الكاملة السجادية على صاحبها ألف سلام و تحية عن الصادق عليه السلام قال ، إن أبي حدثني عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ أخذته نعسة وهو على منبره فرأى في منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القردة يردون الناس على أعقابهم القهقري ، فاستوى رسول الله ﷺ جالساً و المحزن يعرف في وجهه فأناه جبرئيل بهذه الآية:

« وَهَذَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا » .

بعضى بنى أمية قال : يا جبرئيل أعلى عهدى يكونون و في زمنى ؟ قال : لا ولكن تدور رحى الاسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشرأ ، ثم تدور رحى الاسلام على رأس خمس و ثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمساً ، ثم لا بد من رحى ضالقة على قائمة على قطبها ، ثم ملك الفراعنة و أنزل الله في ذلك.

« إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ »

يملكها بنو أمية ليس فيها ليلة القدر.

أقول : قوله والشجرة الملعونة في القرآن فيه تقديم و تأخير أى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس ، و قيل : الشجرة الملعونة بالرفع مبتداه و حذف الخبر أى والشجرة الملعونة كذلك أى فتنة للناس

وقوله : يعنى بنى امية تفسير للشجرة الملعونة ، وقوله : تدور رحى الاسلام من مهاجرك ، أى من هجرتك فتلبث بذلك عشراً أى عشر سنين هى مدة حياته ثم تدور على رأس خمس و ثلاثين هى العشر المذكورة و مدة خلافة المتخلفين ، وهى خمس وعشرون سنة فتلك خمس و ثلاثون ، قوله فتلبث بذلك خمساً هى مدة خلافة أمير المؤمنين ، ثم لا بد من رحى ضلالة اشارة إلى ملك بنى امية ، وقوله ثم ملك الفراعنة اشارة إلى ملك بنى عباس .

و فى مجمع البيان فى تفسير قوله تعالى :

« وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ

مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ »

قال هى كلمة الشرك والكفر وقيل : كل كلام فى معصية الله كشجرة خبيثة غير زاكية وهى شجرة لحنظل وقيل : انها شجرة هذه صفتها وهو أنه لا قرار لها فى الأرض ، وروى أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام أن هذا مثل لبنى امية و فيه أيضاً فى تفسير قوله :

« أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ

جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَنَسَّ الْقَرَارِ » .

قال سأل رجل أمير المؤمنين عن هذه الآية فقال هما الأفجران من قريش بنو امية و بنو المغيرة ، فأما بنو امية فمتعوا إلى حين و أما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر .

وفى البحار من تفسير علي بن ابراهيم فى قوله تعالى :

الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتُغُونَ

عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا » .

قال : نزلت فى بنى امية حيث خالفوهم على ان لا يردوا الأمر فى بنى هاشم ، و فى قوله :

«وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَفَّقُوا عَلَىٰ النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّوْا وَلَا نَكَذَّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُوْنُ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ»

قال: نزلت في بني أمية ثم قال:

«بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ عَنْهُ مِنْ قَبْلُ»

قال من عداوة أمير المؤمنين.

«وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوا لِمَآنَهُوْا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُوْنَ» وفي قوله تعالى: «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» .

عن أبي جعفر عليه السلام قال نزلت في بني أمية فهم شر خلق الله الذين كفروا في باطن القرآن فهم لا يؤمنون.

و عن أبي جعفر عليه السلام أيضاً في قوله:

«وَكَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَىٰ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اِنَّهُمْ اَصْحَابُ

النَّارِ» يعني بني أمية .

و من كنز جامع الفوائد و تأويل الآيات باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن تفسير الم غلبت الروم، قال: هم بني «بنو أمية وإنما انزلها الله الم غلبت الروم بنو أمية في أدنى الأرض وهم من بعد عليهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل و من بعد و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، عند قيام القائم.

أقول: كذا في النسخ غلبت الروم بنو أمية، فيحتمل أن أصل الكلام غلبت بنو أمية فزاد النسخ لفظ الروم كما احتمله في البحار أو أنه كذلك و بنو أمية بدل من الروم، و على كل تقدير فلا بد أن يكون غلبت على ذلك بصيغة المعلوم، و قوله سيغلبون بصيغة المجهول والتعبير عن بني أمية بالروم من حيث إنهم انسابهم إلى عبد رومي حسبما قدمنا، والله العالم.

و من تفسير الثعلبي في قوله تعالى:

« فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ »

نزلت في بنى أمية و بنى هاشم و في غاية المرام عن الكليني باسناده عن صالح بن سعد الهمداني قال قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل:

« اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ » فاطمة

عليها السلام « فيها مصباح » الحسن « المصباح في زجاجة » الحسين

« كأنها كوكب دري » فاطمة فكوكب دري بين نساء أهل الدنيا

« يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ » إبراهيم « زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ »

لا يهودية ولا نصرانية « يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ » يعني يكاد العلم ينفجر « وَلَوْ

لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُوِّرَ عَلَى نُورٍ » إمام منها بعد إمام « يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ » (لنوره ظ)

لِلْأُمَّةِ « مَنْ يَشَأْ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ » قلت « أَوْ كَظُلُمَاتٍ »

قال الأول وصاحبه « يَغْشَاهُ مَوْجٌ » الثالث « ظُلُمَاتٍ » الثاني « بَعْضُهَا

فَوْقَ بَعْضٍ » فتن بنى أمية « إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ » المؤمن في ظلمة فتنهم

« لَمْ يَكُنْ يَرِيهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا » أماناً (اماماظ) من ولد فاطمة

« قَالَهُ مِنْ نُورٍ »

يوم القيامة هذا ، والآيات والروايات في هذا المعنى كثيرة وفيما ذكرناه كفاية لمن

اهتدى أو ألقى السمع وهو شهيد.

الترجمة

از جمله کلام آن حضرتست فرمود آنرا هانکامیکه فرستاده بود سعید بن عاص
أموي که امیر عراق بود از جانب عثمان هدیه بخدمت آن حضرت از مال غنیمت و از
کمی آن اعتذار کرده بود.

بدرستی بنی امیه میدهند آنک آنک بمن میراث محمد بن عبدالله ص را اندک
اندک دادنی بخدا قسم اگر بمانم از برای آن قوم عنود و الوالی امر بشوم هر آینه ساقط
میکنم ایشان را از درجه اعتبار همچو ساقط نمودن قصاب شکنبه یا جگر پاره
خاک آلود را از میان سایر گوشت های کوسفند ، یا اینکه بیفشانم ایشان را هم
چو افشاندن قصاب شکنبه و پاره جگر خاک آلود را ، و این استعاره میشود از
دور کردن ایشان از امر خلافت و از بازگرفتن اموال مغضوبه از دست ایشان علیهم
اللعنة والنیران.

و من کلمات له علیه السلام کان یدعو بها وهی السابعة
والسبعون من المختار فی باب الخطب

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدَّ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَإِيْتُ مِنْ نَفْسِي وَ لَمْ تَجِدْ لَهُ وِفَاءً عِنْدِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ
لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ
الْأَلْحَاطِ ، وَ سَقَطَاتِ الْأَلْفَاطِ ، وَ شَهَوَاتِ الْجِنَانِ ، وَ هَفَوَاتِ اللِّسَانِ .

اللغة

(غفر) الله له ذنبه غفرا و غفرا نامن باب ضرب صفح عنه و ستر عليه ذنبه و غطاء ،
و أصلا. الغف السنته يقال الصنته أغف لله سخره ، استر له و (الوأي) الوعد الذي يوثقه

الرَّجُلِ عَلَى نَفْسِهِ وَيَعَزِّمُ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ ، وَمِنْهُ وَأَيْتَهُو أَيَا وَعَدْتَهُ وَ (الرَّمْزُ) هُوَ تَحْرِيكُ الشَّفَتَيْنِ فِي اللَّفْظِ مِنْ غَيْرِ اثْبَاتِهِ بِصَوْتٍ وَقَدْ يَكُونُ إِشَارَةً بِالْعَيْنِ وَالْحَاجِبِ وَ (اللَّحْظُ) النَّظْرُ بِمَوْخَرِ الْعَيْنِ وَ (السَّقَطُ) بِالتَّحْرِيكِ رَدَى الْمَتَاعَ وَالْخَطَاءُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَ (الْمَهْفُوتَةُ) الزَّلَّةُ .

الاعراب

قوله ما وأبت كلمة ما موصول اسمى بمعنى الذي ، و وأبت صلته و العايد محذوف و قول البحراني إن ما هنا مصدرية لا أرى له وجها ، و من في قوله من نفسى نشوية ، و جملة ولم تجد في محلّ النصب على الحال ، والباء في قوله تقربت به سببية ، و في قوله بلساني استعانة .

المعنى

اعلم أن المطلوب بهذا الكلام هو غفران الله سبحانه له ، و مغفرة الله للعبد عبارة عن صفحه عما يؤدى إلى الفضاحة في الدنيا والهلكة في الآخرة و ستره عليه عيوباته الباطنة والظاهرة و أن يوفقه لأسباب السعادة الرادعة عن متابعة الشيطان والنفس الأمارة ، و هذا كله في حق غيره عَلَيْهِ السَّلَامُ و أما طلبه سلام الله عليه و آله للمغفرة و كذلك استغفار ساير المعصومين من الأنبياء و أئمة الدين سلام الله عليهم أجمعين فقد قد منا تحقيقه بما لا مزيد عليه في التنبيه الثالث من تنبيهات الفصل الثالث عشر من فصول الخطبة الأولى فليتذكر .

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى شرح ما يؤدبه ظاهر كلامه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فأقول : قوله : (اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني فان عدت فعد علي بالمغفرة) طلب للمغفرة مما هو عند الله معصية و سيئة في حقه و هو لا يعلمها في فعلها أو يعلمها لا يعلم الله سبحانه إن كان صيغة التفضيل على معناها الأصلي و طلب لتكرار المغفرة لما يعاوده و يكرره كذلك .

فان قلت : الطاعة والمعصية عبارة عن امثال التكليف ومخالفته و هو فرع العلم به و مع الجهل و عدم العلم لأمر و لانهى و لا خطاب و لا طاعة و لا معصية و لا نواب و لا عقاب إذ الناس في سعة مما لا يعلمون و لا يكلف الله نفساً إلا ما آتتها .

قلت : الجهل بالتكليف قد يكون ناشئاً عن التصور وقد يكون ناشئاً من التقصير

في تحصيل العلم فحينئذ لا يقبح المؤاخذة عليه كما لا يقبح المؤاخذة عن النسيان إن نشأ عن قلة المبالاة و عن التقصير في المقدمات ، و لذلك قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطانا ، مع أن المؤاخذة عليه مرفوعة عن الأمة بحكم حديث رفع التسعة هذا .

مع أن العلم بأن ما وقع عن الجهل والنسيان معفو عنه و غير مؤاخذ عليه لا يمنع من حسن طلب العفو عنه بالدعاء ، فربما يدعو الداعي بما يعلم أنه حاصل قبل الدعاء من فضل الله تعالى إما لاعتداد تلك النعمة و إما لاستدانتها أو لغير ذلك كقوله تعالى :

« قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ » و قول إبراهيم « وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ »

(اللهم اغفر لي ما وأبت من نفسي وام تجدله وفاء عندي) وهو استغفار مما وعده من نفسه و عاهد عليه الله فعلا أو تركا زجراً أو شكر أتم لم يف به ، و ذلك لأن حنت اليمين و نقض العهد موجب للخذلان و معقب للخسران كما صرح عليه في غير آية عن القرآن ، قال تعالى في سورة البقرة :

« وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ

أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ »

و في سورة بني إسرائيل : « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً »

و في سورة النحل : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا

الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ »

قال الطبرسي في تفسير الآية الأخيرة : قال ابن عباس : الوعد من العهد ، و قال المفسرون : العهد الذي يجب الوفاء به والوعد هو الذي يحسن فعله وعاهد الله ليفعله فإنه يصيروا جبا عليه ، ولا تنتقوا الإيمان بعد توكيدها ، هذا نهى منه سبحانه عن

حدث الايمان و هو أن ينقضها بمخالفة موجبها و ارتكاب ما يخالف عقدها ، و قوله :
بعدتوكيدها أى بعد عقدها و ابرامها و توثيقها باسم الله تعالى و قيل: بعد تشديدها
وتغليظها بالعزم والعقد على اليمين بخلاف لغو اليمين.

(اللهم اغفرلى ما تقربت به اليك) اى ما عملته لك (بلسانى) و يدى و رجلى
و بصرى و ساير جوارحى (ثم خالفه قلبى) و جعله مشوبا بالرِّيا و السمعة المنافى
للقرية (اللهم اغفرلى رمزات الألفاظ) أى اشارات اللحاظ لتعييب شخص و هجائه
و نحو ذلك (و قطات الالفاظ) أى رديتها و ساقطتها عن مناط الاعتبار بأن لا يكون
له مبالاة فى قوله و كلامه،

روى عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا
رأيتم الرجل لا يبالي ما قال، ولا ما قيل له فهو شرك شيطان (و شهوات الجنان) أى
مشتبهات القلوب المخالفة للشرع.

و روى فى الوسائل عن الكليني باسناده عن أبى محمد الوابشى قال : سمعت أبا
عبدالله عليه السلام يقول: احذروا أهوائكم كما تحذرون أعدائكم فليس بشيء أعدى للرجال
من اتباع أهوائهم و حصائد أسنتهم.

و عن عبدالرحمن بن الحجاج قال : كان أبو الحسن عليه السلام يقول : لاتدع النفس
و هواها فإن هواها فى رداها و ترك النفس و ماتهوى إذاها ، و ترك النفس عما
تهوى دواؤها ، هذا.

و فى بعض النسخ سهوات القلوب بالسین المهملة فالمراد بها غفلاتها كما فى

قوله سبحانه:

« فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ » .

أى غافلون عنها تاركين لها أو تحمل سهواتها على سهواتها الناشئة عن ترك التحفظ
و قلة المبالاة فأنها لاتقبح المؤاخذة عليها حينئذ كما أشرنا إليه آنفا فى شرح
قوله اللهم اغفرلى ما أنت أعلم به منى ، فإن السهو والنسيان متقاربان و كلاهما من

الشیطان بهما يقطع العبد عن سلوك ههبل الجنان والرضوان كما قال أمير المؤمنين في رواية الكافي «في القلب ظلمتان لمة من الشيطان ولمة من الملك فلمة الملك الرقة والفهم ولمة الشيطان السهو والقسوة هذا.

و ذكر قوله : (و هفوات اللسان) بعد سقطات الألفاظ إما من قبيل التأكيد أو ذكر الخاص بعد العام لمزيد الاهتمام بأن يكون المراد بسقطات الألفاظ ما ليس فيها ثمرة اخروية سواء كانت حراما و مضرة في الآخرة أو لا يكون فيها نفع ولا ضرر كالكلام اللغو ، و هفوات اللسان خصوص ما يوجب المؤآخذة في الآخرة كالغيبة والبهت والنميمة والسعاية والاستهزاء والتهمة والسب والكذب إلى غير ذلك ، فان كل ذلك مباين لمكارم الأخلاق و حسن الشيمة مناف لمقتضى الايمان والتقوى والمرورة و معقب للخسران والندامة في الآخرة.

ولذلك قال رسول الله ﷺ طوبى لمن انفق فضلات ماله وأمسك فضلات لسانه.

و قال أيضاً إن مقعد ملكيك على نبيك (١) لسانك قلمهما و ريقك مدارهما و أنت تجرى فيما لا يعنك (٢) ولا تستحي من الله ولا منهما.

و عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ يعذب اللسان بعذاب لا يعذب به شيء من الجوارح فيقول : أى رب عذبتنى بعذاب لا تعذب به شيئاً من الجوارح قال فيقال له : خرجت منك كلمة فبلعت مشارق الأرض و مغاربها فسفك بها الدم الحرام و أخذ بها المال الحرام و انتهك بها الفرج الحرام فوعزتي لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئاً من جوارحك ، رواه في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام عن رسول الله ﷺ نحوه .

و من غريب ما وقع لأبي يوسف و هو من أكابر علماء الأديبة و عظماء الشيعة و هو من أصحاب الجواد والهادي عليه السلام أنه قال في التحذير من عثرات اللسان.

يصاب الفتى من عثرة بلسانه
وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

١- أى تبايا الاسنان .

٢- أى لا يهتك .

فعرته في القول تذهب رأسه و عثرته في الرجل تذهب عن مهل
فاتفق أن المتوكل العباسي أزمه تأديب ولديه المعتز والمؤيد، فقال له يوماً: أيا
أحب إليك ابني هذان أم الحسن والحسين؟ فقال: والله إن قبر الخادم خادم علي
خير منك و من ابنيك، فقال المتوكل لعنه الله لا تراكه: سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا
فمات رحمة الله عليه.

و روى عن سيد الساجدين عليه السلام قال: لسان ابن آدم يشرف كل يوم على
جوارحه فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركنا و يقولون: الله الله فينا
و يناشدونه ويقولون: إنما نثاب ونعاقب بك.

إلى غير هذه من الأخبار الواردة في مدح الصمت و ذم التكلم و يأتي إنشاء
الله جملة منها في شرح الخطبة المائة والثالثة والتسعين، فاللزام على العاقل الصمت
والسكوت بقدر الامكان كي يسلم عن زلات اللسان وعثرات البيان و فضول الكلام
و ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد.

الترجمة

از جمله کلمات آن امامست که دعا میکرد بآنها و میگفت:

بار خدایا بیمار از برای من آن چیزی را که تو دانتری بآن از من پس
اگر من باز کردم بسوی آن پس باز گرد تو از برای من بآمرزیدن، خداوند
بیمار از برای من آن چیزی را که من وعده کردم از نفس خود از برای تو
و نیافتی مر اورا وفا در نزد من بار خدایا بیمار از برای من عملهای که تقرب
جستم با آنها بسوی تو پس مخالفت نمود آنرا قلب من. بار خدایا بیمار از برای
من اشارتهای گوشه های چشم بیدیها و بیهوده های گفتارها و شهوات قلب و لغزشات
زبان را، و لنعم ما قیل:

زبان بسیار سر بر باد داد است	زبان سر را عدوی خانه زاد است
عدوی خانه خنجر تیز کرده	تو از خصم برون پرهیز کرده
نشد خاموش کبک کوهساری	از آن شد طعمه باز شکاری

اگر طوطی زبان می بست در کام نه خود را در قفس دیدی نه در دام
خموشی برده پوش راز باشد نه مانند سخن غمّاز باشد

و من کلام له علیه السلام و هو الثامن و السبعون
من المختار فی باب الخطب

و هو مروی فی غیر واحد من الکتب المعتمدة باختلافات کثیرة علی ما استطع
علیها، و فی الاحتجاج مثل الکتاب قاله عَلَيْهِ السَّلَامُ لبعض أصحابه لمّا عزم علی المسیر
إلی الخوارج فقال له بعض أصحابه : یا امیر المؤمنین إن سرت فی هذا الوقت خشیت
أن لا نظفر بمرادک من طریق علم النجوم فقال :

تَرَعْمُ أَنْكَ تَهْدِي إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي مِنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ السُّوءُ
وُتَخَوَّفَ السَّاعَةَ الَّتِي مِنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ الضَّرُّ ، فَمَنْ صَدَّقَكَ بِهَذَا فَقَدْ
كَذَّبَ الْقُرْآنَ وَاسْتَفْنَى عَنِ الْإِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ فِي نَيْلِ الْمَحْبُوبِ وَ دَفَعَ
الْمَكْرُوهَ ، وَ يَنْبَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُؤَلِّكَ الْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ ،
لِأَنَّكَ بِزَعْمِكَ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى السَّاعَةِ الَّتِي نَالَ فِيهَا النِّفْعَ وَ أَمِنَ الضَّرَّ ،
ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ أَيَاكُمْ وَ تَعَلَّمُوا النُّجُومَ إِلَّا مَا
يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى الْكِبَايَةِ ، الْمَنْجِمُ كَالْكَاهِنِ ،
وَ الْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ ، وَ السَّاحِرُ كَالْكَافِرِ ، وَ الْكَافِرُ فِي النَّارِ سِيرُوا
عَلَى اسْمِ اللَّهِ .

اللفظة

(حاق به الضر) أحاط قال تعالى : ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ، والضر بالضم وفي بعض النسخ بالفتح ضد النفع أو بالفتح مصدر وبالضم اسم أو بالفتح ضد النفع وبالضم سوء الحال قال تعالى : رب إني مسني الضر ، و (يوليک) مضارع باب الافعال أذن باب التفعيل يقال أوليته الأمر وليته إياه أي جعلته والياله ومتسلطاً عليه و (كهن) له من باب نصر ومنع وكرم كهانة بالفتح وتكهنن تكهنناً قضى له بالغيب فهو كاهن والجمع كهنة وكهان وحرفته الكهانة بالكسر .

الاعراب

الفاء في قوله فمن صدقك فصيحة أي أنت إذا زعمت هذا فمن صدقك بهذاه ، وقوله : وينبغي في قولك أي على قولك أو بسبب قولك أوهى للظرفية المجازية ، وقوله ودون ربه ، ظرف مستقر متعلق بمحذوف وقع حالاً من فاعل يولى أي متجاوزاً ربه ودون مما يتوسع فيه ويستعمل في كل مجاوز حد إلى حد وتخلى أمر إلى أمر ، وقوله أنت هديته ، لفظ أنت إما تأكيد لكاف أنك أو ضمير فصل بين الاسم والخبر على حد قوله : إنك أنت السميع العليم .

وقوله أيها الناس كلمة أي اسم وضع للتوصل إلى نداء ما فيه أل استكراها لاجتماع آلتها التعريف أعني النداء وحرف التعريف فحاولوا أن يفصلوا بينهما بشيء فطلبوا اسما مبهما غير دال على ماهية معينة محتاجاً بالوضع في الدلالة عليها إلى شيء آخر يزيل عنه الإبهام يقع النداء في الظاهر على ذلك الاسم المبهم وفي الحقيقة على ذلك المخصص الراجع للإبهام عنه .

فوجدوا الاسم المتصرف بهذه الصفة أيًا بشرط قطعه (١) عن الإضافة و اسم الإشارة حيث وضعها مبهمين مشروطاً بإزالة إبهامها بشيء ، أما اسم الإشارة فبالإشارة الحسية و أما أي فباسم آخر بعده إلا أن أي لما كان أدخل في الإبهام من اسم

١- وإنما شرطوا ذلك لأن الإضافة يخصمه نحو أي رجل، منه

الإشارة وأحوج إلى الوصف منه لأن زوال ابهامه إنما هو باسم بعده بخلاف اسم الإشارة فإنه قد يزول ابهامه بالإشارة الحسية حسبما ذكرنا ، ولهذا جاز ياهذا ولم يجزياً أي لا جرم خصوا الفصل بين حرف النداء واللام التعريف به وجعلوا المعرف باللام المزيل عنه الإبهام وصفا له .

فأى في قوله أيها الناس منادى مفرد معرفة مبني على الضم وها حرف تنبيه والناس صفة لأي وقال الأخفش في يأيها الرجل : إن أيأ لا تكون وصلة وإنما هو موصول و ذواللام بعده خبر سبتداه محذوف والجملة صلة أي وإنما وجب هذا المبتداه لمناسبة التخفيف للمنادى ولا سيما إذا زيد عليه كلمتان أعنى أيها فالمعنى يامن هو الرجل .

قال الرضي ويصح تقوية مذهبه بكثرة وقوع أي موصولة في غير هذا الموضع وندور كونها موصوفة وقوله : إياكم وتعلم النجوم تحذير وقال ابن الحاجب في الكافية التحذير معمول بتقدير اتق تحذيراً مما بعده أو ذكر المحذد منه مكرراً نحو إياك والأسد وإياك وأن تحذف والطريق الطريق .

وقال نجم الأئمة الرضي في شرحه : قال المصنف : كان أصل إياك والأسد اتقك ثم أنهم لما كانوا لا يجمعون بين ضمير الفاعل والمفعول لواحد إذا اتصلوا جازوا بالنفس مضافاً إلى الكاف فقالوا اتق نفسك ثم حذفوا الفعل لكثرة الاستعمال ، ثم حذفوا النفس لعدم الاحتياج إليه لأن اجتماع الضميرين زال بحذف الفاعل مع الفعل فرجع الكاف ، ولم يجز أن يكون متصلاً لأن عامله مقدم كما يجيء في باب المضمر فصار منفصلاً .

قال الرضي : وأرى أن هذا الذي ارتكبه تطويل مستغنى عنه و الأولى أن يقال هو بتقدير إياك باعد أوتج باضمار العامل بعد المفعول وإنما جاز اجتماع ضميري الفاعل والمفعول لواحد لكون أحدهما منفصلاً كما جاز ما ضربت لإياك وما ضربت لإيأي ، إلى أن قال و إنما وجب حذف الفاعل في نحو إياك لأنه

في معنى المكرر الذي ذكرنا (١) انه يجب حذف فعله لأن معنى إيتاك أي بعد نفسك من الأسد .

وفحوى هذا الكلام احذر الأسد ومعنى الأسد أي بعد الأسد عن نفسك وهو أيضاً بمعنى احذر الأسد لأن تبعيد الأمد عن نفسك بأن تتباعد عنه فكأنك قلت : الأسد الأسد .

فان قلت المعطوف في حكم المعطوف عليه و إيتاك محذّر والأسد المحذّر منه وهما متخالفان فكيف جاز العطف؟

فالجواب أنه لا يجب مشاركة الاسم المعطوف للمعطوف عليه إلا في الجهة المنتسب بها المعطوف عليه إلى عامله وجهة انتساب إيتاك إلى عامله كونه مفعولاً به أي مبعداً وكذا الأسد إذ المعنى إيتاك بعد وبعد الأسد .

المعنى

اعلم أن هذا الكلام قاله (لما عزم إلى المسير إلى) حرب (الخوارج فقال له بعض أصحابه) و هو عفيف بن قيس أخوأشعث بن القيس الكندي الملعون رأس المناققين و مشير الفتن في أيام خلافة أمير المؤمنين و لا سيما وقعة صفين حسبما عرفت فيما سبق .

و كيف كان فقال له عفيف (يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك) الذي هو الغلبة على أهل النهر (من طريق علم النجوم) فقال له على سبيل الاستفهام التقريرى أ (تزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء) لسعود الساعة (وتخوف) من (الساعة التي من سار فيها حاق به الضر) و أحاط به سوء الحال بملاحظة نسوس الساعة (فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن) أي من صدقك بدعواك العلم بالساعتين فقد كذب كتاب الله لأن الله

١- و هو ما ذكره سابقاً بقوله وحكمة اختصاص وجوب العطف بالمحذّر منه المكرر كون تكريره دالاً على مقارنة محذّر منه للمحذّر بحيث يضيّق الوقت الآ عن ذكر محذّر منه على ابلغ ما يمكن وذلك بتكريره ولا يتسع بذكر العامل مع هذا المكرر انتهى

تعالى يقول :

« وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا » و « قُلْ لَا يَسْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ » « وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ » .

إلى غير ذلك مما أفاد انحصار العلوم الغيبية في الله سبحانه .

وقال العلامة المجلسي (ره): ويمكن حمل الكلام على وجه آخر وهو أن قول المنجم بأن صرف السوء ونزول الضرر تابع للساعة سواء قال إن الأوضاع العلوية مؤثرة تامة في السفليات ولا يجوز تخلف الآثار عنها أو قال بأنها مؤثرات ناقصة ولكن باقى المؤثرات أمور لا يتطرق إليها التغيير أو قال بأنها علامات تدل على وقوع الحوادث حتما فهو مخالف لما ثبت من الدين من أنه سبحانه يمحو ما يشاء ويثبت وأنه يقبض و يبسط ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، و لم يفرغ من الأمر و هو تعالى كل يوم في شأن .

و الظاهر من أحوال المنجمين السابقين و كلماتهم جلهم بل كلهم أنهم لا يقولون بالتخلف وقوعاً أو إمكاناً فيكون تصديقهم مخالفاً لتصديق القرآن و ما علم من الدين و الايمان من هذا الوجه .

ولو كان منهم من يقول بجواز التخلف ووقوعه بقدره الله واختياره وأنه نزول نحوسة الساعة بالتوكل والدعاء والتوسل والتصديق وينقلب السعد نحساً والنحس سعداً و بأن الحوادث لا يعلم وقوعها إلا إذا علم أن الله سبحانه لم تتعلق حكمته بتبديل أحكامها ، كان كلامه ﷺ مخصوصاً بمن لم يكن كذلك ، فالمراد بقوله صرف عنه السوء وحق به الضرر أى حتما هذا .

ولمأنه على فساد زعم المنجم بكون تصديقه موجبا لتكذيب كلام الله سبحانه نبه على فساده ثانياً بقوله (واستغنى) أى مصداقك و متبعك (عن الاستعانة بالله) تعالى (في نيل المحبوب و دفع المكروه) لأنك إذا كنت عارفاً بالساعة السعد

والساعة النحس وهادياً إليهما فيهتدى بك التابعون لك والمصدقون بك و يتراقبون بعد الساعات فينالون الخير والسعادة ويتقون نحسها فيسلمون من النحوسة والكراهة فيلزم على ذلك استغنائهم بك عن الله وغناهم برأيك عن اللجأ إلى الله و الفزع إليه سبحانه .

(و) أيضاً (ينبغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليكَ الحمد دون ربّه لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وآمن فيها الضر) فكنت أنت المنعم عليه بتلك النعمة فلا بد أن تستحق الحمد والشنا، بذلك ولزم أن يكون حمده على تلك النعمة راجعاً إليك .

(ثم) إنه بعد التنبيه على فساد زعم المنجم بالوجوه الثلاثة (أقبل على الناس) ونهاهم عن الأخذ بالنجوم وحثهم عن تعلّمها (فقال أيها الناس إياكم وتعلّم النجوم) قال الشارح البحراني : الذي يلوح من سرّ نهي الحكمة النبوية عن تعلّم النجوم أمران الأول اشتغال متعلّمها بها واعتماد كثير من الخلق السامعين لأحكامها فيما يرجون و يخافون عليه فيما يسندوه إلى الكواكب و الأوقات و الاشتغال بالفزع إليه وإلى ملاحظة الكواكب عن الفزع إلى الله والغفلة عن الرجوع إليه فيما يهيم من الأحوال وقد علمت أن ذلك يضادّ المطلوب الشارع إذ كان غرضه ليس إلاّ دوام التفات الخلق إلى الله وتذكّركم لمعبودهم بدوام حاجتهم إليه .

الثاني أن الأحكام النجومية اخبارات عن امور سيكون وهي تشبه الاطلاع على الامور الغيبية وأكثر الخلق من العوام و النساء و الصبيان لا يميزون بينها وبين علم الغيب و الأخبار به فكان تعلّم تلك الأحكام و الحكم بها سبباً لضلال كثير من الخلق وموهناً لاعتقاداتهم في المعجزات أو الاخبار عن الكائنات منها وكذلك في عظمة بارئهم ويشكّكهم في عموم الآيات الدالة على اختصاص علم الغيب بالله سبحانه ، وكان هذين الوجهين هما المقضيان لتحريم الكهانة والسحر والعزائم ونحوهما .

وكيف كان فلما نهي الناس عن تعلّم النجوم بالوجهين الذين عرفت استثنى عن ذلك قوله (إلاّ ما يهتدى به في برّ أو بحر) لعدم استلزام ذلك الجهتين المذكورتين

وقد نصَّ على جواز الاهتداء بها الآيات الكريمة مضافة إلى الأخبار الكثيرة قال تعالى
 « هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ
 فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » وقال تعالى : « وَعَلَامَاتٌ وَبِالنَّجْمِ هُمْ
 يَهْتَدُونَ » .

قال الطبرسي لأنَّ من النجوم ما يكون بين يدي الانسان ومنها ما يكون خلفه
 ومنها ما يكون عن يمينه ومنها ما يكون عن يساره ويهتدى بها في الاسفار وفي
 البلاد وفي القبلة وأوقات الليل وإلى الطرق في مسالك البرارى والبحار ، وقيل أراد
 الاهتداء به في القبلة ، قال ابن عباس : سألت رسول الله ﷺ عنه فقال : الجدى
 علامة قبلكم وبه تهتدون في برِّكم وبحركم .

أقول : وهذه الرواية موافقة لما رواه الصدوق مرسلاً قال : قال رجل للصادق
 ﷺ : أنا اكون في السفر ولا اهتدي إلى القبلة بالليل قال أتعرف الكوكب الذي
 يقال له جدى ؟ قلت : نعم قال : اجعله على يمينك و إذا كنت في طريق الحج فاجعله
 بين كتفيك .

و روى أيضاً محمد بن سنان عن أحدهما ﷺ قال : سألت عن القبلة قال : ضع الجدى
 في قفاك وصلِّ هذا .

ولا ينحصر جواز تعلمها فيما ذكر بل ربما يجوز التعلم لما يترتب عليها من
 الأحكام الشرعية المتعلقة بها في أبواب العبادات والمعاملات بل قد يجب لوجوب
 الحكم المرتب عليها فيجب معرفتها من باب المقدمة مثلا لوجوب معرفة الأوقات
 الخمسة للصلاة ومعرفة الحول المضروبة للزكاة وإتيان الحج والعمرة في الأشهر المعلومات
 وضبط عدد الحولين لرضاع الحاملات و تعيين أيام العدة للمتوفى عنها زوجها
 وللحامل و سائر المطلقات ، والعلم بما ضربت للدين المؤجل من الأوقات كما اشير
 إلى ذلك في غير واحدة من الآيات قال تعالى :

« أقمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ » وقال « يَسْأَلُونَكَ

عَنِ الْإِهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ» وقال «هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»

وقد مضى في سادس تنبيهات الفصل الثامن من فصول الخطبة الأولى ما يوجب ازدياد بصيرتك في المقام فذكر ، وقوله (فانها تدعو الى الكهانة) تليل للنهي عن النجوم والكهانة بالكسر.

قال في البحار هي عمل يوجب طاعة بعض الجان له بحيث يأتيه بالأخبار الغاية وهو قريب من السحر قيل : قد كان في العرب كهنة كشق و سطيح وغيرهما فمنهم من يزعم أن له تابعا من الجن و دئبا يلقي إليه الأخبار ، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدّمات و أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله وهذا يخصونه باسم العراف كالذي يدعى معرفة الشيء المسروق و مكان الضالة ونحوهما .

و دعوة علم النجوم إلى الكهانة إما لأنه ينجر أمر النجم إلى الرغبة في تعلم الكهانة والتكسب به أو ادعاء ما يدعيه الكاهن ، ثم إنه شبه المنجم بالكاهن وقال (المنجم كالكاهن) ووجه الشبه إما الاشتراك في الاخبار عن الغايات أوفى الكذب والاخبار بالظن والتخمين والاستناد إلى الامارات الضعيفة والمناسبات السخيفة أوفى العدل والانحراف عن سبيل الحق والتمسك في نيل المطالبو درك المآرب بأسباب خارجة عن حدود الشريعة وصدّهم عن التوسل إلى الله بالدعاء والصدقة وسائر أصناف الطاعة ، أوفى البعد عن الرحمة و المغفرة

و يجري بعض هذه الوجوه في التشبيهين في قوله : (والكاهن كالساحر والساحر كالكافر) والمشبه به في التشبيهات أقوى.

والسحر على ما قيل كلام أو كتابة أو رقية أو أقسام وعزائم ونحوها يحدث بسببها ضرر على الغير ، و منه عقد الرجل عن زوجته والقائه بغضه بين الناس ، و منه استخدام الملائكة والجن و استنزال الشياطين في كشف الغايات و علاج المصاب

واستحضارهم وتلبسهم ببدن صبي أو امرئة وكشف الغايات على لسانه انتهى.
والظاهر أنه لا يختص بالضرر بل ربما يفعل لعباً أو لإبداء أمر غريب وعن
صاحب العين السحر عمل يقرب إلى الشياطين ومن السحر الاخذة التي تأخذ العين
حتى تظن أن الأمر كما ترى، وليس الأمر كما ترى فالسحر عمل خفي لغفاه سببه بصور
الشيء بخلاف صورته ويقلبه من جنسه في الظاهر ولا يقبله من جنسه في الحقيقة إلا
ترى إلى قوله تعالى:

« يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى » .

و قال: الشيخ في محكي كلامه عن التبيان قيل في معنى السحر
أربعة أقوال:

أحدها أنه خدع ومخارق وتمويهات لا حقيقة بخيل إلى المسحور أنها حقيقة .
والثاني أنه اخذ بالعين على وجه الحيلة.
والثالث أنه قلب الحيوان من صورة إلى صورة وإنشاء الاجسام على وجه
الاختراع فيمكن السحار أن يقلب الانسان حماراً وينشئ أجساماً.
والرابع أنه ضرب من خدمة الجن وأقرب الأقوال الأول لأن كل شيء
خرج عن العادة الجارية فإنه سحر لا يجوز أن يأتي من السحار، ومن جوز شيئاً
من هذا فقد كفر لأنه لا يمكن مع ذلك العلم بصحة المعجزات الدالة على النبوة
لأنه أجاز مثله على جهة الحيلة والسحر وفي الرياض والسحر عرف تارة بما في
الكتاب قال تعالى:

« فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجِهِ » .

و في الاحتجاج من أكبر السحر النميمة يفرق بها بين المتحايين ويجلب العداوة
بين المتصادقين، قيل: ومنه استخدام الجن وعرف بأنه عمل يستفاد منه حصول ملكة
نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة واخرى لوجه يدخل فيه العلم الطلسمات والنيرنجات
وغير ذلك، وذلك أن يقال هو استحداث الخوارق إما بمجرد التأثيرات النفسانية

وهو السحر أو بالاستعانة بالفلكيات فقط وهو دعوة الكواكب ، أو على تمزيج القوى السماوية بالقوى الأرضية وهو الطلسمات ، أو على سبيل الاستعانة بالأرواح الساذجة وهو العزائم قيل : والكل حرام في شريعة الاسلام.

و ظاهره اجماع المسلمين عليه وهو الحجة مضافا إلى النصوص المستفيضة منها ، ويدخل فيه النيران على ماورد في الساحران دم الساحر حلال وأن تعلم السحر آخر العهد بالله تعالى وحده القتل ونحو ذلك ، و ظاهرها التحريم مطلقا وقد استثنى منه السحر للتوقى و دفع المتنبى وربما وجب كفاية.

و روى في العيون في تفسير آية هاروت و ماروت أنه كان بعد نوح قد كثرت السحرة والموهون فبعث الله ملكين إلى نبي ذلك الزمان يذكر ما يسحر به السحرة و ذكر ما يبطل به سحرهم و يرد به كيدهم فتلقاه النبي من الملكين و أداه إلى عبادة الله بأمر الله أن يفتقوا به على السحر وأن يبطلوه و نهاهم أن يسحروا به الناس ، وربما خصت روايات الحل بغير السحر كالقرآن والذكروا التعويذ ونحوها جمعا وهو أحوط . ثم إنه بعد تشبيه المنجم بالكاهن والكاهن بالساحر والساحر بالكافر أشار بقوله (والكافر في النار) إلى نتيجة الجميع وهو دخول النار إما على وجه الخلود كما في الكافر أولا كما في غيره ، ولما فرغ من تنفير أصحابه عن تعلم النجوم و قبول أحكامها أمرهم بالمسير بقوله : (سيروا على اسم الله) وعونه .
و ينبغي تذييل المقام بأمور مهمة

الأدلة علم أن هذا الكلام مما اشتهرت روايته بين الخاصة والعامة وقد روى بطرق مختلفة مع اختلاف كثير في متنه ولا بأس بالإشارة إلى بعض تلك الطرق استبصاراً و اطلاعاً منك على مواقع الاختلاف و استظهاراً و استنباطاً لما أورد السيد في الكتاب فأقول :

منها ما في شرح المعتزلي عند شرح الخطبة السادسة والثلاثين قال : روى ابن ويزيل قال : عزم على الخروج من الكوفة إلى الحرورية و كان في أصحابه منجم فقال له يا أمير المؤمنين لانسرفي هذه الساعة و سر على ثلاث ساعات مضين من النهار

فانك إن سرت في هذه الساحة أصابك و أصاب أصحابك أذى و ضرر شديد ، و إن سرت في ساعة التي أمرتك بها ظفرت (١) و ظهرت و أصبت ما طلبت .
فقال له علي أتدري ما في بطن فرسي هذه أذكر هو أم انثى ؟ قال : إن حسبت علمت ، فقال من صدقك بهذا فقد كذب القرآن قال الله تعالى: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث و يعلم ما في الأرحام الآية .

ثم قال إن محمداً ما كان يدعى علم ما ادعى علمه ، أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها و تصرف عن الساعة التي يحيق (٢) السوء لمن سار فيها فمن صدقك فقد استغنى عن الاستعانة بالله جل ذكره في صرف المكروه عنه و ينبغي للمؤمن بأمرك أن يوليكَ الحمد دون الله جل جلاله لأنك بزعمك هديته إلى الساعة التي يصيب النفع من سار فيها ، و صرفته عن الساعة التي يحيق السوء بمن سار فيها فمن آمن بك في هذا الم امن عليه أن يكون كمن اتخذ من دون الله ضدأ و ندأ ، اللهم لا طير إلا طيرك ولا ضير إلا ضيرك ولا إله غيرك .

ثم قال : نخالف و نسير في الساعة التي نهيتنا عنها ، ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس إياكم و التعلم للنجوم إلا ما يهتدى به في ظلمات البر و البحر إنما المنجم كالكاهن و الكاهن كالكافر و الكافر في النار، أما والله لان بلغنى أنك تعمل بالنجوم لأخلدك في السجن أبداً ما بقيت و لأحرمتك العطاء ما كان لي من سلطان .

ثم سار في الساعة التي نهاه عنها المنجم فظفر بأهل النهر و ظهر عليهم ، ثم قال ^{علي} لو سرنافي الساعة التي أمرنا بها المنجم لقال الناس سار في الساعة التي أمر بها المنجم فظفر و ظهر أما أنه ما كان لمحمد ^{صلى الله عليه و آله} منجم ولا لنا من بعده حتى فتح الله علينا بلاد كسرى و قيسر أيها الناس توكلوا على الله و اتقوا الله فإنه يكفي ممن سواه .

ومنها ما في البحار من مجالس الصدوق عن محمد بن علي ماجيلويه عن محمد

١- ظفر بطلوبه ناز، لفة

٢- حاق به السوء لزمه .

ابن أبي القاسم عن محمد بن علي القرشي عن نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن يوسف بن يزيد عن عبدالله بن عوف بن الأحمر .

قال : لما أراد أمير المؤمنين المسير إلى النهر و ان أتاه منجم فقال له : يا أمير المؤمنين لا تسرف في هذه الساعة و سرفي ثلاث ساعات مضين من النهار ، فقال أمير المؤمنين : ولم ذلك ؟ قال : لأنك إن سرت في هذه الساعة أصابك و أصاب أصحابك أذى و ضرراً شديداً و إن سرت في الساعة التي أمرتك ظفرت و ظهرت و أصبت كما طلبت .

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام) تدري ما في بطن هذا الدابة ذكر أم انثى ؟ قال : إن حسبت علمت ، قال له أمير المؤمنين (عليه السلام) من صدقك على هذا القول كذب بالقرآن قال الله تعالى : إن الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما في الأرحام و ما تدري نفس ماذا تكسب غداً و ما تدري نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير .

ما كان محمد يدعى ما ادّعت أنتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه سوء و الساعة التي من سار فيها حاق به الضر من صدقك بهذا استغننى بقولك عن الاستعانة بالله عز وجل ، و في ذلك الوجه و أحوج إلى الرغبة إليك في دفع المكروه عنه و ينبغى له أن يوليكَ دون ربه عز وجل فمن آمن لك بهذا فقد اتخذك من دون الله نداً و ضدّاً .

ثم قال : اللهم لا طير إلا طيرك ولا ضير إلا ضيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك بل نكذبك و نخالفك و نسير في الساعة التي نهيت عنها .

قال المحدث المجلسي بعد ما أورد الرواية : قوله : من صدقك على هذا القول فقد كذب بالقرآن لأدعائه العلم الذي أخبر الله سبحانه أنه مختص به إذ ظاهر قوله تعالى عنده الاختصاص .

فان قيل : فقد أخبر النبيُّ فالأئمة بالخمس المذكورة في الآية في مواطن كثيرة

فكيف ذلك ؟

قلنا : المراد أنه لا يعلمها أحد بغير تعليمه سبحانه و ما أخبروه من ذلك فانما كان بالوحى والالهام أو التعلّم من النبي الذي علمه بالوحى .
 لا يقال : علم النجوم أيضاً من هذا القبيل لما سيأتى من الأخبار الدالة على أن له أصلاً و أنه ممّا علمه الله أنبياءه فكيف يكون تصديق المنجم تكذيباً بالقرآن ؟

لأننا نقول الذي سيظهر من الأخبار أن نوعاً من هذا العلم حقاً يعلمه الأنبياء والأوصياء و أمّا أن ما في أيدي الناس من ذلك فلا .
 وقوله أن يوليكم الحمد ؛ على بناء الأفعال أو التفعيل أى يقربك من الحمد من الولي بمعنى القرب أو من قولهم و لاه الأمير عمل كذا أى قلده إياه أى يجعلك ولياً لمحمد «للحمد» و أهلاً له أو من قولهم أوليته معروفاً أى أنعمت عليه لا طير إلا طيرك الطير من الطيرة وهى التشام بالشىء أى لاثناير للطيرة إلا طيرك أى قضاؤك و قدرك على المشاكلة و يدل على أن ضرر النجوم من جهة الطيرة ، والضير الضرر .

الثانى

قال السيد الجليل علي بن طاووس (ره) في محكيّ كلامه عن كتاب النجوم بعد ما أورد هذا الكلام له عَلَيْهِ السَّلَامُ نقلاً عن الرضى (ره) في الكتاب :
 إنني رأيت فيما وقفت عليه في كتاب عيون الجواهر تأليف أبي جعفر محمد بن بابويه (ره) حديث المنجم الذى عرض لمولانا علي عَلَيْهِ السَّلَامُ عند مسيره إلى النهروان مسنداً عن محمد بن علي ماجيلويه عن عمه محمد بن أبي القاسم عن محمد بن علي القرشي عن نصر بن مزاحم المقرئ عن عمر بن سعد عن يوسف بن يزيد عن عبد الله بن عوف ابن الأحمر قال : لما أراد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ المسير إلى النهروان أتاه منجم ، ثم ذكر حديثه .

قال : فأقول إن في هذا الحديث عددٌ قَرَجال لا يعمل علماء أهل البيت عليهم السلام على روايتهم و يمنع من يجوز العمل بأخبار الآحاد من العمل بأخبارهم و شهادتهم وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقاص مقاتل الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ فان أخباره و رواياته مهجورة

ولا يلتفت عارف بحاله إلى ما يرويه أو يسند إليه .

ثم طعن في الرواية بأنها لو كانت صحيحة لكان للمصنف قد حكم في هذا على صاحبه الذي قد شهد مصنف نهج البلاغة أنه من أصحابه أيضاً بأحكام الكفار إما بكونه مرتد أعن الفطرة فيقتله في الحال أو برده عن غير الفطرة فيتوبه أو يمتنع من التوبة فيقتل لأن الرواية قد تضمنت أن المنجم كالكافر أو كان يجري عليه أحكام الكهنة أو السحرة لأن الرواية تضمنت أنه كالكاهن و الساحر وما عرفنا إلى وقتنا هذا أنه حكم على هذا المنجم أحكام الكفار ولا السحرة ولا الكهنة ولا أبعد ولا عزّره بل قال : سيروا على اسم الله والمنجم من جملتهم لأنه صاحبه .

و هذا يدل على تباعد الرواية من صحة النقل أو يكون لها تأويل غير ظاهر موافق للعقل .

ثم قال : ومما نذكره من التنبيه على بطلان ظاهر الرواية بتحريم علم النجوم قول الراوي فيها إن من صدقك فقد كذب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله ونعلم أن الطامع للحروب مديون على السلامة من هجوم الجيش و كثير من النحوش و يبشرون بالسلامة وما لزم من ذلك أن يوليمهم الحمد دون ربهم ثم أننا وجدنا في الدعوات الكثيرة التعوذ من أهل الكهانة والسحرة فلو كان المنجم مثلهم كان قد تضمن بعض الأدعية التعوذ منه وما عرفنا في الأدعية التعوذ من النجوم والمنجم إلى وقتنا هذا .

و من التنبيه على بطلان ظاهر هذه الرواية أن الدعوات تضمن كثير منها وغيرها من صفات النبي صلى الله عليه وآله أنه لم يكن كاهناً ولا ساحراً وما وجدنا إلى الآن ولا كان عالماً بالنجوم ، فلو كان المنجم كالكاهن و الساحر ما كان يبعد أن يتضمنه بعض الروايات و الدعوات في ذكر الصفات انتهى كلامه رفع مقامه .

وأورد عليه المحدث المجلسي (ره) بعد نقل كلامه في البحار بقوله : وأقول : أما قدحه في سند الرواية فهي من المشهورات بين الخاصة والعامة ولذا أوردته السيد (ره) في النهج إذ دأبه فيه أن يروي ما كان مقبول الطرفين وضعف سند الرواية

التي أورده الصدوق لا يدل على ضعف ساير الأسانيد .

وعمر بن سعد الذي يروي عنه نصر بن مزاحم ليس الملعون الذي كان معارب الحسين عليه السلام كما يظهر من كتابه كتاب الصّفين الذي عندنا، فإن أكثر ما رواه فيه رواه عن هذا الرجل وفي كثير من المواضع عمر و مكان عمر ، و لم يكن الملعون من جملة رواة الحديث وحملة الأخبار حتى يروي عنه هذه الأخبار الكثيرة وأيضاً رواية نصر عنه بعيد جداً فإن نصر كان من أصحاب الباقر عليه السلام و الملعون لم يبق بعد شهادة الحسين عليه السلام إلا قليلاً ، و الشواهد على كونه غيره كثيرة لانخفي على المتدرب في الأخبار العارف بأحوال الرجال وهذا من السيد غريب وأما قوله إنه لم يحكمم بكفر المنجم فيرد عليه أن ظاهر التشبيه بالكافر أنه ليس بكافر وإنما يدل على اشتراكه معه في بعض الصفات لا في جميع الأحكام كقتله في الحال أو بعد امتناعه من التوبة على أنه عليه السلام لم يشبهه بالكافر بل بالمشبه بالكافر .

وأما قوله ولا بعده ولا عزّه ، ففيه أنه قد ظهر مما رواه ابن أبي الحديد الأبعاد بالحبس المؤبد والتحرير من العطاء ، و لم يعلم أنه أصر المنجم على العمل بالنجوم بعد ذلك حتى يستحق تعزيراً أو نكالا وعدم اشتمال رواية السيد على هذه الزيادة لا يدل على عدمها ، فإن عادة السيد الاختصار على ما اختاره من كلامه عليه السلام بزعمه استيفاء النقل والرواية مع عدم النقل في مثل هذا لا يدل على العدم .

وكونه من أصحابه عليه السلام وبينهم لا يدل على كونه مرضياً فإن جيشه عليه السلام كان مشتملاً على كثير من الخوارج والمناققين كالأشعث أخي هذا المنجم على ما ذكره السيد وغيره أنه كان عفيف بن قيس أخا الأشعث رأس المناققين و مشير أكثر الفتن . و أما قياسه على طلائع الحروب فالفرق بين الأمرين بين ، فإن ما يهدي إليه الطلائع و نحوهم ليست أموراً يترتب عليها صرف السوء و نيل المحبوب حتماً بل يتوقف على اجتماع أمور كوجود الشرائط وارتفاع الموانع وكل ذلك لا يتيسر الظفر بها إلا بفضل مسبب الأسباب بخلاف ما ادّعاء المنجم من أن الظفر يترتب حتماً على

على الخروج في الساعة التي اختاره .

وأما عدم التعوُّذ من النجوم والمنجم فلا ن المنجم إنما يعود ضرره إلى نفسه بخلاف السّاحر و الكاهن فإنه يترتب منهما ضرر كثير على الناس ، مع أنّ الدّعاء الذي رواه السيد في كتاب الاستخارات وأوردناه في هذا الباب يتضمّن البرائة إلى الله من اللّجاء إلى العمل بالنّجوم وطلب الاختيارات منها .

و أما عدم وصف النبيّ بأنة لم يكن منجماً لأنّ الكفار إنما كانوا يصفونه بالسحر والكهانة والشعر فورد برائته عنها رداً عليهم ولم يكونوا يصفونه بالنجوم مع أنه كان عالماً بما هو الحق من علم النجوم وكان من فضائله عليه السلام

الثالث

روى في الاحتجاج و البحار قصة المنجم معه عليه السلام بنحو آخر مشتمل على مطالب غريبة و أحكام عجيبة أحببت ايراد ذلك ضمناً منى أن يخلو الشرح عن ذلك فأقول .

في الاحتجاج عن سعيد بن جبیر قال استقبل أمير المؤمنين دهقان من دهاقين الفرس فقال له بعد التهنية : يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطالعات و تناحست السعود بالنحوس وإذا كان مثل هذا اليوم و جب على الحكيم الاختفاء ويومك هذا يوم صعب قد انقلب فيه (كو كيان خ ل) و انقدح من برجك النيران وليس الحرب لك بمكان .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام ويعك يا دهقان المنبي، بالآثار المحذّر من الأقدار ماقصة صاحب الميزان وقصة صاحب السرطان ؟ وكم المطالع من الأسد والساعات من المحركات وكم بين السراى والدراى ؟

قال : سانظروأوما بيده إلى كمة وأخرج منه اسطر لابانظر فيه ، فتبسّم عليه السلام فقال أتدرى ماحدث البارحة ؟ وقع بيت بالصين ، وانفرج برج ماجين ، وسقط سور سرانديب ، وانهزم بطريق الروم بارميه (بارمينية خ ل) ، و فقد ديّان اليهودي بايلة ، وهاج النمل بوادى النمل ، وهلك ملك أفريقية أكنت عالما بهذا ؟

قال : لا يا أمير المؤمنين .

فقال عليه السلام : البارحة سعد سبعون ألف عالم ، و ولد في كلِّ عالم سبعون ألفاً والليلة يموت مثلهم وهذا منهم ، و أوما بيده إلى سعد بن مسعدة الحارثي لعنه الله و كان جاسوسا للخوارج في عسكر أمير المؤمنين ، فظنَّ الملعون أنه يقول خذوه فأخذ بنفسه فمات ، فخرَّ الدَّهقان ساجداً .

فقال أمير المؤمنين ألم أروك من عين التوفيق ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام أنا وصاحبي لاشرقى ولا غربى نحن ناشئة القطب وأعلام الفلك أماقولك انقذ من برجك النيران ، فكان الواجب أن تحكم به لي لاعلي ، وأما نوره وضيأؤه فعندي و أما حريقه ولهبه فذهب عني فهذه مسألة عميقة احسبها إن كنت حاسبا .

قال المحدث المجلسي في شرحه بعد ما أورده في البحار : « ماقصة صاحب الميزان » أي الكواكب التي الآن في برج الميزان أو الكواكب المتعلقة بتلك البرج المناسبة لها ، وكذا صاحب السرطان و « كم المطالع » أي كم طلع من ذلك البرج الآن و « الساعات » أي كم مضى من طلوع الساعات من طلوع ساير المعرَّكات . ولعل المراد « بالسراري » الكواكب الخفية تشبيها لها بالسريرة « والدَّراري » الكواكب الكبيرة المضيئة أو اصطلاحان في الكواكب لا يعرفهما المنجمون ، والغرض أنه لو كان هذا العلم فأنما يمكن الحكم به بعد الاحاطة بجميع أوضاع الكواكب و أحوالها و خواصها في كلِّ آن و زمان و المنجمون لم يرصدوا من الكواكب إلا أقلها ومناط أحكامهم أوضاع السيارات فقط مع عدم احاطتهم بأحوال تلك أيضاً .

ثم نبهه عليه السلام على عدم احاطته بذلك العلم أو عدم كفايته للعلم بالحوادث بجهله بكثير من الامور الحادثة ، و في القاموس « البطريق » ككبريت القايد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل انتهى و « ديان اليهود » عالمهم و في بعض النسخ بالنسوخ جمع دن وهو الجبَّ العظيم « وصاحبي » أي النبي « لاشرقى ولا غربى » ايما إلى قوله سبحانه لا شرقية ولا غربية ، والغرض لنا كساير الناس

حتى تحكم علينا بأحكامهم كالنجوم المنسوبة إلى العرب أو إلى الملوك أو إلى العلماء والأشراف فانا فوق ذلك كله .

« نحن ناشئة القطب » أي الفرقة الناشئة المنسوبة إلى القطب أي حقيقة لثباتهم واستقرارهم في درجات العز والكمال أو كناية عن أنهم غير منسويين إلى الفلك والكواكب بل هي منسوبة إليهم وسعادتها بسببهم ، وأدانتهم قطب الفلك إذ الفلك يدور ببركتهم « و » هم « أعلام الفلك » بهم يتزين ويتبرك ويسعد .

ثم ألزم عليه السلام عليه في قوله « انقذح من برجك النيران » بأن للنار جهتين جهة نور وجهة إحراق فنورها لنا وإحراقها على عدونا ، ويحتمل أن يكون المراد به أن الله يدفع ضررها عنا بتوسلنا به تعالى وتوكلنا عليه « فهذه مسألة عميقة » أي كوننا ممتازين عن ساير الخلق في الأحكام أو كون النيران خيراً لنا وشرّاً لعدونا وأن التوسل والدعاء يدفع النحوس والبلاء مسألة عميقة خارجة عن قانون نجومك وحسابك ويبطل جميع ما تظن من ذلك .

وفي البحار روينا باسنادنا إلى الشيخ سعيد عنه بن رستم بن جرير الطبري الامامي عن الحسين بن عبدالله الجرمي وعنه بن هارون التلعكبري عن عنه بن أحمد ابن محروم عن أحمد بن القاسم عن يحيى بن عبدالرحمن عن علي بن صالح بن حمي الكوفي عن زياد بن المنذر عن قيس بن سعد قال :

كنت كثيراً أساير أمير المؤمنين عليه السلام إذا سار إلى وجهه من الوجوه فلما قصد أهل النهروان وصرنا بالمدائن وكنت يومئذ مسائراً له إذ خرج إليه قوم من أهل المدائن من دهاقينهم معهم براذين قد جاؤوا بها هدية إليه فقبلها ، وكان فيمن تلقاه دهقان من دهاقين المدائن يدعى سرفيل ، وكانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى وترجع إلى قوله فيما سلف فلما بصر بأمر المؤمنين قال له :

يا أمير المؤمنين لترجع عما قصدت قال ولم ذلك يا دهقان ؟ قال : يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطوالع فنحس أصحاب السعود وسعد أصحاب النحوس ولزم الحكيم

في مثل هذا اليوم الاستخفاء والجلوس ، وأن يومك هذا يوم مميت قد اقترن فيه كوكبان قتالان ، وشرف فيه بهرام في برج الميزان ، وانقدهح «وانفذتخ» من برجك النيران وليس الحرب لك بمكان.

فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام ثم قال : أيتها الدهقان المنبئ ، بالاخبار والمحذّر من الاقدار ما نزل البارحة في آخر الميزان وأي نجم حل في السرطان ؟ قال : سأنظر ذلك وأخرج من كفه اسطرلاباً وتقويماً ، قال له أمير المؤمنين : أنت مسير الجاريات ؟ قال : لا قال : فأنت تقضى على الثابتات ؟ قال لا : قال : فاخبرني عن طول الأسد وتباعده من المطالع والمراجع و ما الزهرة من التوابع والجوامع ؟ قال : لاعلم لي بذلك.

قال عليه السلام : فما بين السوارى إلى الدرارى وما بين الساعات إلى المعجزات وكم قدر شعاع المبدرات وكم تحصل الفجر في الغدوات ؟ قال : لاعلم لي بذلك ، قال : فهل علمت يا دهقان أن الملك اليوم انتقل من بيت إلى بيت بالصين وانقلب برج ماجين و احترق دور بالزنج و طفح جب سرانديب و تهدم حصن الاندلس و هاج نمل الشيح وانهمز مراق الهندي و فقدديان اليهود بايلة و هزم بطريك الروم برومية و عمى راهب عمودية و سقطت شرفات القسطنطينية أفعا لم أنت بهذه الحوادث وما الذي أحدثها شريقها أو غريبها من الفلك ؟ قال : لاعلم لي بذلك.

قال وبأى الكواكب تقضى في أعلى القطب وبأيتها تنحس من تنحس ؟ قال : لاعلم لي بذلك قال : فهل علمت أنه سعد اليوم اثنان و سبعون عالماً في كل عالم سبعون عالماً ، منهم في البرّ و منهم في البحر و بعض في الجبال و بعض في الغياض و بعض في العمران و ما الذي أسعدهم ؟ قال : لاعلم لي بذلك .

قال يا دهقان أظنك حكمت على اقتران المشتري و زحل لما استنار لك في الغسق و ظهر تلال اشعاع المريخ و تشريقه في السحر و قدسار فاتصل جرمه بجرم تريبع القمر ، و ذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر كلهم يولدون اليوم والليلة و يموت مثلهم و أشار بيده إلى جاسوس في عسكره لمعاوية فقال : و يموت هذا فانه منهم.

فلما قال ﷺ ذلك ظن الرجل أنه قال : خذوه فأخذه شيء بقلبه و تكسرت نفسه في صدره فمات لوقته.

فقال : يا دهقان ألم أرك عين «غيرخل» التقدير في غاية التصوير ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين قال : يا دهقان أنا مخبرك إني وصحبي هؤلاء لاشرقيون ولاغربيون إنما نحن ناشئة القطب و ما زعمت أنه انقذح البارحة من برجى النيران فقد كان يجب أن تحكم معه لى لأن نوره و ضيائه عنده فلهبه ذاهب عسى .

يا دهقان هذه قضية عيص فاحسبها و ولدها ما إن كنت عالما بالأكواد و الأدوار ، فقال : لو علمت ذلك لعلمت تحصي عقود القصب في هذه الاجمة .
و مضى أمير المؤمنين فهزم أهل النهروان و قتلهم و عاد بالغنيمة و الظفر ، فقال الدهقان ليس هذا العلم بما في أيدي أهل زماننا هذا علم مادته في السما.

قال المجلسي أكثر السؤالات المذكورة في الرواية على تقدير صحتها وضبطها مبنية على اصطلاحات معرفتها مختصة بهم اوردھا لبيان عجزه و جهله و عدم إحاطة علمه بما لا بد منه في هذا العلم « و كم تحصل الفجر في الغدوات » يحتمل أن يكون المراد به زمان ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فان ذلك يختلف في الفصول و « طفح جب سرانديب » امتلاء و ارتفاع ، و منه سكران طافح و « الشيخ » نبت معروف و يحتمل أن يكون المراد هنا الوادي الذي هو منبته .

و « العمودية » ماء للتصاري يغمسون فيه اولادهم و « ما الذي أحدثها » أي بزعمك « شرقيا » أي الكواكب « ألم أرك غير التدبير » بكسر الغين و فتح الياء أي التغيرات الناشئة من تقديرات الله تعالى و في بعض النسخ عين التدبير أي أصله « هذه قضية عيص » بالاضافة إى الاصل في القاموس العيص بالكسر الاصل و في بعض النسخ عويصة أي صعبة شديدة و « ولدها » بصيغة الأمر و تشديد اللام أي استنتج منها .

الرابع

في تحقيق الكلام في علم النجوم و جواز العمل بأحكامه ، و قد اختلف في

ذلك الأخبار ككلمات علمائنا الأخيار والبحث في مقامات ثلاثة.

المقام الاول

في بطلان ما زعمه قدماء المنجمين من أن الكواكب تفعل في الأرض ومن عليها أفعالا يسندونها إلى طباعها.

فأقول: إن اعتقاد ذلك كفر و زندقة و الحادلت على امتناع الأدلة النقلية والبراهين العقلية.

قال الشيخ إبراهيم بن نوبخت في كتاب الياقوت: قول المنجمين يبطله قدم الصانع و اشتراط اختياره ويلزم عليهم أن لا يستقر الفعل على حال من الأحوال وقول أهل الطبائع يبطل بمثل ذلك.

وقال العلامة في شرح ذلك: اختلف قول المنجمين على قسمين: أحدهما قول من قال إن الكواكب السبعة حية مختارة، والثاني قول من قال إنها موجبة والقولان باطلان أما الأول فلا، لأنها أجسام محدثة فلا تكون آلهة، ولأنها محتاجة إلى محدث غير جسم فلا بد من القول بالصانع، و أما الثاني فلا، لأن الكواكب المعين كالمربخ مثلا إذا كان مقتضيا للحرب لزم دوام وقوع الهرج والمرج في العالم وأن لا يستقر أفعالهم على حال من الأحوال و لما كان ذلك باطلا كان ما ذكره باطلا، و أما القائلون بالطبائع الذين يسندون الأفعال إلى مجرد الطبيعة فيبطل قولهم بمثل ذلك أيضا فإن الطبيعة قوة جسمانية في كل جسم محدث فكل قوة حالة فهي محدثة تفتقر إلى محدث غير طبيعة وإلزم التسلسل فلا بد من القول بالصانع سبحانه.

و قال أيضا في محكي كتاب المنتهى: التنجيم حرام و كذا تعلم النجوم مع اعتقاد أنها مؤثرة أو أن لها مدخلا في التأثير بالنفع والضرر وبالجملة كل من يعتقد ربط الحركات النفسانية والطبيعية بالحركات الفلكية و الاتصالات الكوكبية كافر و أخذ الاجرة على ذلك حرام.

و قال علم الهدى في كتاب الفرر والدرر: وقد فرغ المتكلمون من الكلام في أن الكواكب لا يجوز أن تكون فينا فاعلة و تكلمنا نحن أيضا في مواضع على ذلك

و بيننا بطلان الطبايع التي يهذون بذكرها و إضافة الأفعال إليها و بيننا أن الفاعل لا بد أن يكون حياً قادراً وقد علمنا أن الكواكب ليست بهذه الصفة فكيف تفعل و ما يصحح الأفعال مفقود فيها .

وقد سطر المتكلمون طرفاً كثيرة في أنها ليست بحية ولا قدرة أكثرها معترض و اشف (١) ما قيل في ذلك أن الحياة معلوم أن الحرارة الشديدة كحرارة النار تنفيها ولا تثبت معها و معلوم أن حرارة الشمس أشد و أقوى من حرارة النار بكثير لأن الذي يصل إلينا على بعد المسافة من حرارة الشمس بشعاعها يمانل أو يزيد على حرارة النار و ما كان بهذه الصفة من الحرارة يستحيل كونه حياً .

و أقوى من ذلك كله في نفى كون الفلك و ما فيه من شمس و قمر و كوكب أحياء السمع و الأجماع و أنه لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة عن الفلك و ما يشتمل عليه من الكواكب و أنها مسخرة مدبرة مصرفة ، و ذلك معلوم من دين رسول الله ضرورة و إذا قطعنا على نفى الحياة و القدرة عن الكواكب فكيف تكون فاعلة .

و على أننا قد سلمنا لهم استظهاراً في الحجة أنها قادرة قلنا إن الجسم و إن كان قادراً قادراً فإنه لا يجوز أن يفعل في غيره إلا على سبيل التوليد ، و لا بد من وصلة بين الفاعل و المفعول فيه ، و الكواكب غير هماسة لنا و لا وصلة بيننا و بينها فكيف تكون فاعلة فينا ، فإن ادعى أن الوصلة بيننا الهواء فالهواء أو لا لا يجوز أن يكون آلة في الحركات الشديدة و حمل الانتقال ، ثم لو كان الهواء آلة تحركنا بها الكواكب لوجب أن نحس بذلك و نعلم أن الهواء يحررنا و يصرفنا كما نعلم في غيرنا من الأجسام إذا حررنا بالآلة على أن في الحوادث الحادثة فينا ما لا يجوز أن يفعل بالآلة و لا يتولد عن سبب كالارادات و الاعتقادات و أشياء كثيرة فكيف فعلت الكواكب ذلك فينا .

وهي لا يصح أن تكون مخترعة للأفعال لأن الجسم لا يجوز أن يكون قادرة إلا

بقدره والقدره لا يجوز لأمر يرجع إلى نوعها أن تخترع بها الأفعال فأما الادمه (١) فليس تؤثرها الشمس على الحقيقة في وجودها وأبدانها وإنما الله تعالى هو المؤثر لها وفاعلها بتوسط حرارة الشمس كما أنه تعالى هو المحرق على الحقيقة بحرارة النار والهاشم لما يهشمه الحجر بثقله وحرارة الشمس مسودة الأجسام من جهة معقولة مفهومة كما أن النار تحرق الاجسام على وجه معقول فأى تأثير للكواكب فينا يجرى هذا المجرى في تمييزه و العلم بصحته فليشر إليه فان ذلك لاقدرة عليه.

و مما يمكن أن يعتمد في إبطال أن تكون الكواكب فاعلة و مصرفة لنا أن ذلك يقتضى سقوط الأمر والنهى والمدح والذم عنا ، و نكون معذورين في كل إساءة تقع منا و نجيتها بأبدينا و غير مشكورين على شيء من الاحسان والافضال و كل شيء نفسد به قول المجبرة فهو مفسد لهذا المذهب.

الثانى

في أنه بعد ما تحقق بطلان كون الكواكب علامات مؤثرة مدبرة لهذا العالم السفلى موجودة لما فيه فهل يمكن كونها أمارات و علامات على وقوع بعض الحوادث في هذا العالم مما يوجد الله تعالى بقدرته، و هل يمكن الاطلاع بالحوادث الاستقبالية من أشكال الكواكب و اتصالاتها و ما يعرض لها من الأوضاع والهيئات بقرب بعضها من بعض أو بعده بأن يجرى عادة الله سبحانه على فعل كذا عند كذا.

الحق إمكان ذلك وفاقا لاكثر الأصحاب لما سمعنا وشاهدنا من إصابة كثير من المنجمين في أحكامهم النجومية و إن كان خطائهم فيها كثيراً أيضاً ، و يبعد بأن تكون تلك الإصابة كلها من باب البخت والاتفاق.

وقد خالف في ذلك المرتضى و بالغ كل المبالغة في إنكار أصل هذا العلم و زعم أن جميع ما اتفق من اخبار المنجمين من باب الاتفاق والتخمين نحو ما يقوله القوالون.

قال في كتاب الفرر والدرر ما ملخصه : إن جريان عادة الله بأن يفعل أفعالا مخصوصة عند طلوع كوكب أو غروبه أو اتصاله أو مفارقتة وإن كان جازماً لكن لا طريق إلى العلم بأن ذلك قد وقع و ثبت من أين لنا بأن الله تعالى قد أجرى العادة بأن يكون زحلا والمرئخ إذا كان في درجة الطالع كان نحساً ، و أن المشتري إذا كان كذلك كان سعداً ، و أى سمع مقطوع به جاء بذلك وأى نبي خبر به و استفيد من جهته.

فان عولوا في ذلك على التجربة باننا جربنا ذلك و من كان قبلنا فوجدناه على هذه الصفة و إذا لم يكن موجباً و جب أن يكون معتاداً.

قلنا و من سلم لكم صحة هذه التجربة و انتظامها و اطرادها و قدر أينسا خطائكم فيها أكثر من صوابكم و صدقكم أقل من كذبكم فالأ نسبتهم الصحة إذا اتفقت منكم إلى الاتفاق الذي يقع من المخمن والمرجم ، فقد رأينا من يُصيب من هؤلاء أكثر ممن يخطئ و هو غير أصل معتمد ولا قاعدة صحيحة.

فاذا قلت : سبب خطأ المنجم زلل دخل عليه في أخذ الطالع أو تسيير الكواكب ، قلنا ولم لا كانت اصابته سببها التخمين وإنما كان يصح لكم هذا التأويل والتخريج لو كان على صحة احكام النجوم دليل قاطع هو غير اصابة المنجم ، فاما إذا كان دليل صحة الاحكام الاصابة فالأ كان دليل فسادها الخطاء فما أحدهما في المقابلة إلا كصاحبه إلى أن قال .

و بعض الرؤساء بل الوزراء ممن كان فاضلا في الأدب والكتابة و مشعورا بالنجوم عاملا عليها قال لي يوما وقد جرى حديث يتعلق بأحكام النجوم و رأى من مخايلي التعجب ممن يتشاغل بذلك و يفنى زمانه به : اريد أن أسألك عن شيء في نفسي ، فقلت : سل عما بدالك ، فقال : اريد أن تعرفني هل بلغ بك التكذيب باحكام النجوم إلى أن لا تختار يوماً لسفر و لبس ثوب جد يبدو توجه في حاجة ؟ فقلت : قد بلغت إلى ذلك والحمد لله و زيادة عليه و ما في داري تقويم ولا انظر فيه و ما رأيت مع ذلك إلا خيراً.

ثم أقبلت عليه فقلت ندع ما يدل على بطلان احكام النجوم مما يحتاج إلى ظن دقيق و روية طويلة و ههنا شيء قريب لا يخفى على أحد ممن علت طبقته في الفهم او انخفضت .

خبرني لو فرضنا جادة مسلوكة و طريقا يمشى فيه الناس ليلا و نهاراً و في محبته آبار متقاربة و بين بعضها و بعض طريق يحتاج سالكه إلى تأمل و توقف حتى يتخلص من السقوط في بعض تلك الآبار هل يجوز أن يكون سلامة من يمشى في هذا الطريق من العميان كسلامة من يمشى من البصراء ، و قد فرضنا أنه لا يخلو طرفة عين من المشاة فيه بصراء و عميان و هل يجوز أن يكون عطب البصراء يقارب عطب العميان أو سلامة العميان مقاربة بسلامة البصراء ؟
فقال : هذا ممّا لا يجوز بل الواجب أن تكون سلامة البصراء أكثر من سلامة العميان ولا يجوز في مثل هذا التقارب .

قلت : إذا كان هذا محالاً فاحيلوا نظيره وما لا فرق بينه وبينه وأتمّ تجيزون شبيه ما ذكرناه و عديله ، لأن البصراء هم الذين يعرفون أحكام النجوم و يميزون سعدها من نحسها و يتوقون بهذه المعرفة مضار الزمان و يتحفظونها و يعتمدون منافعها و يقصدونها ، و مثال العميان كل من لا يحسن تعلم النجوم ولا يلتفت إليه من الفقهاء و الفهماء و أهل الديانات و العبادات ثم ساير العوام و الأعراب و الأكراد و هم أضعاف أضعاف من يراعى عدد النجوم ، و مثال الطريق الذي فيه الآبار الزمان الذي يمضى عليه الخلق أجمعون ، و مثال آباره مصائبه و نوائبه و محنته .

و قد كان يجب لو صح العلم بالنجوم و أحكامها أن تكون سلامة المنجمين أكثر و مصائبهم أقل لأنهم يتوقون المحن لعلمهم بها قبل كونها و تكون محن كل من ذكرناه من الطبقات الكثيرة أوفر و أظهر حتى تكون السلامة هي الطريقة الغربية و قد علمنا خلاف ذلك أن السلامة و المحن متقاربة غير متفاوتة .

فقال : ربما اتفق مثل ذلك ، فقلت له : فيجب أن نصدق من خبرنا في ذلك الطريق المسلوكة الذي فرضناه بأن سلامة العميان كسلامة البصراء ، و نقول لعل

ذلك اتفق ، وبعد فإن الاتفاق لا يستمر بل ينقطع وهذا الذي ذكرناه مستمر غير منقطع إلى أن قال :

ومن أدلّ الدليل على بطلان أحكام النجوم إنما قد علمنا أن من جملة معجزات الأنبياء عليهم السلام الاخبار عن الغيوب وعد ذلك خارقاً للعادات كاحياء الميت و ابراء الأكمه والأبرص ، و لو كان العلم بما يحدث طريقاً نجومياً لم يكن ما ذكرناه معجزاً ولا خارقاً للعادة ، و كيف يشتهه على مسلم بطلان أحكام النجوم . وقد أجمع المسلمون قديماً و حديثاً على تكذيب المنجمين والشهادة بفساد مذاهبهم و بطلان احكامهم ، و معلوم من دين الرسول ﷺ ضرورة التكذيب بما يدعيه والازراء عليهم والتعجيز لهم و في الروايات عنه عليه السلام من ذلك ما لا يحصى كثرة و كذلك عن علماء أهل بيته عليهم السلام و خيار أصحابه فما زالوا يبرون من مذاهب المنجمين و يعدونها ضلالاً و محالاً و ما اشتهر هذه الشهرة في دين الاسلام كيف يفتى بخلافه منتسب إلى الملة و مصل إلى القبلة .

فأمّا إصابتهم في الاخبار عن الكسوفات فلاجل أن الكسوفات واقتران الكواكب وانفصالها طريقة الحساب وتسيير الكواكب، وله اصول صحيحة وقواعد سديدة، وليس كذلك ما يدعونه من تأثيرات الكواكب في الخير و الشر و النفع و الضر ، انتهى كلامه رفع مقامه .

ومثله شيخ المتكلمين محمود بن علي الحمصي قال في محكي كلامه في البحار : إنما لاند عليهم فيما يتعلق بالحساب في تسيير النجوم واتصالاتها التي يذكرونها فإن ذلك مما لا يهمننا ولا هو مما يقابل بانكار ورد ثم قال :

فان قيل : كيف تنكرون الاحكام وقد علمنا أنهم يحكمون بالكسوف ورؤية الأهلّة و يكون الأمر على ما يحكمون في ذلك ، و كذلك يخبرون عن امور مستقبلية تجرى على الانسان وتجري تلك الامور على ما أخبروا عنها فمع وضوح الأمر فيما ذكرناه كيف تدفع الأحكام؟

قلنا إن إخبارهم عن الكسوف والخسوف ورؤية الأهلّة فليس من الأحكام

و إنما هو من باب الحساب إنما الحكم أن يقولوا إذا كان كسوف أو خسوف كان من الحوادث كذا وكذا ، فأمّا الامور المستقبلة التي يخبرون عنها فأكثرها لا تقع على ما يخبرون عنه و إنما يقع قليل منه بالاتفاق و مثل ذلك يتفق لأصحاب الفال والزجر الذين لا يعرفون النجوم بل للعجائز اللواتي يتفأ لن بالأحجار والذي قد يخبر المصروع و كثير من ناقصي العقول عن أشياء فيتفق وقوع ما يخبرون عنه انتهى .

ونحوهما الشيخ محمد بن الحسين الكيدري قال في شرحه على الكتاب على ما حكى عنه في البحار : كيف يمكن أن يكون الانسان يعرف الحوادث و أسبابها في الحال حتى يعرف المسببات في المستقبل كما في الجزر والمد ، و من ادعى أنه يعرف أسباب الكائنات فمقدّماته ليست برهانية و إنما هي تجريبية أو شعرية أو خطائية مؤلفة من المشهورات في الظاهر أو المقبولات والمظنونات .

و مع ذلك فلا يمكنه أن يتعرض إلا لجنس من أجناس الأسباب و هو تعرض بعض الأسباب العلوية ولا يمكنه أن يتعرض لجميع الاسباب السماوية والقوابل وإذا تغيرت القوابل عن احوالها تغير أثر الفاعل فيها فان النار في الحطب اليابس مؤثرة تأثيراً لا تؤثر في الرماد وكذلك معرفة بقائها على استعداد القبول شرط و يمكن أن يكون القوابل عوائق فلا يعلم تلك الأسباب والمسببات إلا الله تعالى .

و أيضاً فإن المنجم يحكم على مفردات الكواكب ولا يحكم على جميعها همتزجة و كما أن أحكام مفردات الترياق و ساير المعاجين غير أحكام المركب الذي حصلت له صورة نوعية ، كذلك حكم الكواكب المركوذة في الأفلاك غير حكم أفرادها ، و إذا لم يمكن المنجم الحكم إلا على المفردات كان الحكم ناقصاً غير موثوق به .

ثم إنه ربما يحصل التوأمان في غشاء فيكشف عنهما فإذا فيه صيانتان حيّان و على قوانين الاحكاميين يجب أن يكونا مثلين في الصورة والعمر و الحركات حتى لا يجوز أن يختلفا في شيء من الأشياء ولا يجوز أن يسكت أحدهما في وقت كلام

الآخر ولا يقوم في وقت قعود الآخر ولا ينام في وقت لا ينام فيه الآخر، وإذا دخلا بيتا فيه باب ضيق فلا يمكنهما الدخول فإنه لا بد ههنا من التقدم والتأخر، ولا يجوز أن يمس الإنسان أحدهما دون الآخر، ولا يجوز أن يكون في التزويج امرأة أحدهما غير امرأة الآخر ولا أن يكون مكان أحدهما غير مكان الآخر في الأرض وهذا مما لا يخفى فساد.

وأيضاً فإن الحكم الكلي عند أكثرهم يغلب الجزئي الأتري أن طالع ناحية أو بلد إذا كان فاسداً فإنه لا يفيد عطية الكدخداه لانسان فكيف يعتمد على الطوالع والاختيارات مع نفي العلم بالكليات.

و من شنيع قولهم أنهم يقولون إذا ولد للملك في حال ولد ولسوقى ولد، فإن الكواكب تدلّ لابن الملك بخلاف ما يدلّ لابن السوقى مع اتفاقهما في كمية العمر لأن حيلاجهما و كدخداهما لا يختلفان، فإذا جاز دلالة النجوم مختلفة في سعادة هذين الولدين فما أنكروا أن يكون مقادير أعمارهما أيضاً مختلفة.

و اختلفوا في تقويم الكواكب باختلاف الزيجات ولا برهان على فساد بعضها و صواب بعضها فر بما يوجد في تقويم الشمس من التفاوت خمس درج و تختلف درج الطوالع و بروج التحاويل بسبب ذلك فتفسد الاحكام.

ثم أورد عليهم كثيراً من الاختلافات و التناقضات لا نطيل الكلام بايرادها .

اقول : و ما ذكره هؤلاء الأفاضل من الاختلافات و التناقضات و الاستبعادات كلها مسلم إلا أن دلالتها على بطلان علم النجوم من أصله ممنوعة ، ونحن لانضيق من كثرة خطأ المنجمين و خبطهم في أحكامهم إلا أن إصابتهم فيها أيضاً غير عزيز و دعوى أن كل هذه الاصابة على كثرتها من باب الاتفاق كما ترى ، و سرّ كثرة وقوع الخطأ فيها أن ما في أيدي الناس من هذا العلم غير تام و تامه إنما هو عند أئمة الدين الذين هم خزّان العلم واليقين.

و يشهد بما ذكرناه من صحة هذا العلم في الجملة و على أن له أصلاً الأخبار

و الاعتبار.

اما الاخبار فهي كثيرة لاتحصى.

منها روايتا الاحتجاج والبحار السالفتان في التنبيه الثالث.

و منها ما رواه في الكافي باسناده عن معلى بن خنيس قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم أحقّ هي؟ قال: نعم إن الله عز وجل بعث المشتري إلى الأرض في صورة رجل فأخذ رجلا من العجم فعلمه النجوم حتى ظن أنه قد بلغ، ثم قال له: انظر أين المشتري، فقال: ما أراه في الفلك وما أدري أين هو، قال: فنحاه وأخذ بيد رجل من الهند فعلمه حتى ظن أنه قد بلغ، وقال: انظر إلى المشتري أين هو فقال: إن حسابي ليبدل على أنك أنت المشتري، وقال فشبهه شهقة فمات وورث علمه أهله فالعلم هناك.

و منها ما في البحار من كتاب النجوم عن الريان بن الصلت، و ذكر اجتماع العلماء بحضرة المامون و حضور الصباح بن نصر الهندي عند مولانا الرضا عليه السلام و سؤاله عن مسائل كثيرة منها سؤاله عن علم النجوم فقال عليه السلام ما هذا لفظه:

هو علم في أصل صحيح ذكروا أن أول من تكلم في النجوم إدريس و كان ذوالقرنين بها ماهراً و أصل هذا العلم من عند الله عز وجل و يقال إن الله بعث النجم الذي يقال له المشتري إلى الأرض في صورة رجل فأتى بلد العجم فعلمهم في حديث طويل فلم يستكملوا ذلك، فأتى بلد الهند فعلم رجلا منهم فمن هناك صار علم النجوم بها وقد قال قوم هو علم من علم الأنبياء خصصوا به لأسباب شتى فلم يستدرك المنجمون الدقيق منها فشاابوا الحق بالكذب.

هذا آخر لفظ مولينا علي بن موسى الرضا عليه السلام في هذه الرواية الجليلة الأسناد و قوله عليه السلام حجة على العباد، و قوله عليه السلام ذكروا و يقال فإن عادته عند التقية من المخالفين والعامية يقول نحو هذا الكلام و تارة يقول كان أبي يقول وتارة روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

و منها ما فيه أيضاً من كتاب النجوم و جادة في كتاب عتيق عن عطا قال: قيل لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: هل كان للنجوم أصل؟ قال: نعم نبيّ من الأنبياء قال له قومه إننا لانؤمن بك حتى تعلمنا ببدء الخلق و آجاله فأوحى الله عزّ وجلّ إلى غمامة فأمرتهم و استنقع حول الجبل ماء صافياً ، ثمّ أوحى الله عزّ وجلّ إلى الشمس والقمر والنجوم أن تجرى في ذلك الماء، ثمّ أوحى الله عزّ وجلّ إلى ذلك النبيّ أن يرتقى هو و قومه على الجبل فارتقوا الجبل فقاموا على الماء حتى عرفوا ببدء الخلق و آجاله بمجاري الشمس والقمر والنجوم و ساعات الليل والنهار.

و كان أحدهم يعلم متى يموت و متى يمرض و من ذا الذي يولد له و من ذا الذي لا يولد له فبقوا كذلك برهة من دهرهم.

ثمّ إن داود عليه السلام قاتلهم على الكفر فاخرجوا إلى داود في القتال من لم يحضر أجله و من حضر أجله أخلفوه في بيوتهم فكان يقتل من أصحاب داود ولا يقتل من هؤلاء و احد ، فقال داود عليه السلام ربّ أقاتل على طاعتك و يقاتل هؤلاء على معصيتك فيقتل أصحابي ولا يقتل من هؤلاء أحد؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إنى كنت علمتهم ببدء الخلق و آجاله إنّما أخرجوا إليك من لم يحضر أجله و من حضر أجله خلفوه في بيوتهم فمن ثمّ يقتل من أصحابك ولا يقتل منهم أحد قال داود: ياربّ على ما ذاعلمتهم؟

قال تعالى: على مجاري الشمس والقمر والنجوم و ساعات الليل والنهار.

قال عليه السلام فدعا الله عزّ وجلّ فحبس الشمس عليهم فزاد في النهار و اختلط الزيادة بالليل والنهار فلم يعرفوا قدر الزيادة فاختلط حسابهم قال عليّ عليه السلام فمن ثمّ كره النظر في علم النجوم، و رواه فيه أيضاً عن الدر المنثور ، نعم زاد فيه أن النبيّ المذكور كان يوشع بن نون.

و منها ما رواه يونس بن عبد الرحمن قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك أخبرني عن علم النجوم ما هو؟ قال عليه السلام هو علم من علم الأنبياء ، قال قلت: كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يعلمه؟ فقال: كان أعلم الناس به .

والاخبار في هذا المعنى كثيرة لانطيل بذكرها و من أراد الزيادة فليراجع

إلى كتاب السماء و العالم من البحار ، فقد عقد المجلسي «ره» فيه بابا على ذلك و استوفى الكلام فيه.

و اما الاعتبار فهو إما قد سمعنا تظافرا بل تواتراً و حصل لنا العلم وجداناً بأن من المنجمين من حصل له العلم بجملة من الحوادث الاستقبالية في موارد شتى من طريق النجوم و حكموا فيه فكان حكمه مطابقاً للواقع ولا بأس بالإشارة إلى بعض تلك الموارد تاييداً و استظهاراً.

فمنها دلالة النجوم على نبوة نوح فقد رواه في البحار من كتاب التجميل باسناده عن جميل عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام عن ذكره قال : قد كان علم نبوة نوح بالنجوم .

و منها دلالتها على إبراهيم ففي البحار أيضاً من كتاب النجوم من كتاب التجميل إن آذر أبا إبراهيم كان منجماً لنمرود ولم يكن يصدر إلا عن أمره فنظر ليلة في النجوم فأصبح و هو يقول لنمرود لقد رأيت في النجوم عجباً ، قال : و ما هو ؟ قال : رأيت مولوداً يولد في زماننا يكون هلاكنا على يديه ولا يلبث إلا قليلاً حتى يحمل به قال : فتعجب من ذلك ثم قال : هل حملت به النساء بعد ؟ قال : لا ، فحجب الرجال عن النساء ولم يدع امرأة إلا جعلها في المدينة ولا يخلص إليها بعلمها .

قال فوق آذر على أهله فحملت بابراهيم فظن أنه صاحبه فأرسل إلى قوايل ذلك الزمان وكن أعلم الناس بالجنين ولا يكون في الرحم شيء إلا عرفته و علمن به ، فنظرن فالزم ما في الرحم الظهر فقلن ما نرى في بطنها شيئاً ، قال و كان ممسكاً اوتي من العلم أن المولود سيحرق بالنار ولم يؤت علماً أن الله سينجيها منها .

قال المجلسي وقد روى هذا الحديث علي بن إبراهيم في كتاب تفسير القرآن بأبسط من هذه الرواية و رواه أيضاً أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في الجزء الأول من تاريخه ، و رواه أيضاً سعيد بن هبة الله الراوندي في كتاب قصص الأنبياء ، و رواه الثعلبي في تفسيره و غيره من العلماء .

و منها دلالتها على نبوة موسى عليه السلام و كتب التواريخ مشحونه بذلك و قدروى

المجلسي من كتاب العرايس للعلمي قال إن فرعون رأى في منامه أن ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرق القبط و تركت بني اسرائيل ، فدعى فرعون السحرة والكهنة والمعبرين والمنجمين وسألهم عن رؤياه فقالوا له : إن الله يولد في بني اسرائيل غلاماً يسلبك ملكك ويفلقك على سلطانك ، و يخرجك و قومك من أرضك و يذل دينك و قد اطلق زمانه الذي يولد فيه .

و منها دلالتها على نبوة عيسى عليه السلام روى في البحار من كتاب النبوة لابن بابويه في باب سياقه حديث عيسى بن مريم فقال ما هذا لفظه : و قد علمها وفد من علماء المجوس زائر بن معظمين لامر ابنها وقالوا إنا قوم ننظر في النجوم فلما ولد ابنك طلع بمولده نجم من نجوم الملك فنظرنا فيه فاذا ملكه ملك نبوة لا يزول عنه ولا يفارقه حتى يرفعه إلى السماء و يجاور ربه عز وجل ما كانت الدنيا مكانها ثم يصير إلى ملك هو أطول و أبقى مما كان فيه .

فخرجنا من قبل حتى رفعنا إلى هذا المكان فوجدنا النجم متطلعا عليه من فوقه فبذلك عرفنا موضعه و قد اهدينا له هدية جعلناها له قرباناً لم يقرب مثله لأحد قط و ذلك إنا وجدنا هذا القربان يشبه أمره و هو الذهب والمر و اللبان لأن الذهب سيد المتاع كله و كذلك ابنك سيد الناس ما كان حياً ، و لأن المر جبار الجراحات والعاهات كلها لأن اللبان يبلغ دخانه السماء ولن يبلغها دخان شيء غيره و كذلك ابنك يرفعه الله عز وجل إلى السماء و ليس يرفع من أهل زمانه غيره .

و منها دلالتها على النبي صلى الله عليه وآله ففي البحار و جاده في كتاب دلائل النبوة جمع أبي القاسم الحسين بن محمد السكوني باسناده عن حسان بن ثابت قال إني والله لغلام يافع يقوا بن سبع أو ثمان سنين أعقل كلما سمعت إذ سمعت يهودياً و هو على أكمة يشرب يصرخ يا معشر اليهود فلما اجتمعوا قالوا و بلك مالك ؟ قال : طلع نجم أحمد الذي يبعث به الليلة .

قال : و وجدت كتاباً عندنا الآن اسمه كتاب اليد الصيني عمله كشيئنا ملك

الهند يذكر فيه تفصيل دلالة النجوم على نبوة نبيِّنا محمد ﷺ
 و منها موارد متفرقة ذكر السيد بن طاووس (ره) في رسالته التي دونها في
 النجوم و ذكر جماعة من العلماء المعتمدين بهذا العلم العارفين به تأييداً لصحته.
 قال المجلسي : والسيد الجليل النزيل عليُّ بن طاووس (ره) لانس قليل له بهذا
 العلم عمل في ذلك رسالة و بالغ في الإنكار على من اعتقد أن النجوم ذات إرادة
 فاعلة أو مؤثرة استدل على ذلك بدلائل كثيرة و أيده بكلام جم غفير من الأفاضل
 إلا أنه أنكر على السيد الأجل المرتضى (ره) في تحريره و ذهب إلى أنه من
 العلوم المباحات و أن النجوم علامات و دلالات على الحوادث لكن يجوز للقادر
 الحكيم أن يغيرها بالبر و الصدقة والدعاء و غير ذلك من الأسباب والدواعي وفق
 إرادته و حكمته، و جوز تعليم علم النجوم و تعلمه والنظر فيه والعمل به إذالم يعتقد
 أنها مؤثرة ، و حمل أخبار النهي والذم على ما إذا اعتقد ذلك.
 ثم ذكر تأييداً لصحة هذا العلم أسماء جماعة من الشيعة كانوا عارفين به فقال:
 إن جماعة من بني نوبخت كانوا علماء بالنجوم و قدوة في هذا الباب و وقفت على
 عدة مصنفات لهم في النجوم و أنها دلالات على الحوادث .
 منهم الحسن بن موسى النوبختي .
 و من علماء المنجمين من الشيعة أحمد بن محمد بن خالد البرقي و ذكر النجاشي
 في كتبه كتاب النجوم .
 و منهم أحمد بن محمد بن طلحة ، فقد عد الشيخ والنجاشي من كتبه كتاب النجوم
 والشيخ النجاشي كان له تصنيف في النجوم .
 و من المذكورين بعلم النجوم الجلودي البصري .
 و منهم عليُّ بن محمد بن العددي والشمشاطي فإنه ذكر النجاشي أن له رسالة
 في إبطال أحكام النجوم .
 و منهم عليُّ بن محمد العباس فإن النجاشي ذكر في كتبه كتاب الرِّدِّ علي المنجمين
 كتاب الرِّدِّ علي الفلاسفة .

و منهم محمد بن أبي عمير.

و منهم محمد بن مسعود العياشي فإنه ذكر في تصانيفه كتاب النجوم.

و منهم موسى بن الحسن بن عباس بن اسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت قال النجاشي كان حسن المعرفة بالنجوم و له مصنّفات فيه و كان مع ذلك حسن العبادة و الدين .

و منهم الفضل بن أبي سهل بن نوبخت وصل إلينا من تصانيفه ما يدل على قوة معرفته بالنجوم و ذكر عن العيون ما أورده في أبواب تاريخ الرضا عليه السلام من أنه أخبر المأمون بخطاه المنجمين في السّاعة التي اختاروها لولاية العهد ، فزجره المأمون و نهاه أن يخبر به أحداً فعلم أنه تعمد ذلك.

أقول : والظاهر أن المراد بهاهي ما رواها في العيون عن البيهقي عن الصّولي عن عون بن محمد قال : حدّثني الفضل بن أبي سهل النوبختي أو عن أخ له قال : لما عزم المأمون على العقد للرّضا عليه السلام بالعهد قلت والله لأعتبر ما في نفس المأمون من هذا الأمر أوجبّ تمامه أو هو تصنع به ، فكتبت إليه على يد خادم له كان يكتبني بأسراره على يده :

قد عزم ذوالرّياستين على عقد العهد و الطالع السرطان و فيه المشتري و السرطان و إن كان شرف المشتري فهو برج منقلب لا يتم أمر يعقد فيه و مع هذا فإن المربخ في الميزان في بيت العاقبة و هذا يدل على نكبة المعقود له و عرفت أمير المؤمنين ذلك لثلايغب عليّ إذا وقف على هذا من غيري .

فكتبت إلىّ إذا قرأت جوابي إليك فاردده إلىّ مع الخادم و نفسك أن يقف أحد على ما عرفتيه أو أن يرجع ذوالرّياستين عن عزمه فإنه إن فعل ذلك الحقت الذّنب بك و علمت أنك سبيه ، قال فضاقت عليّ الدنيا و تمنيت أني ما كنت كتبت إليه .

ثم بلغني أن الفضل بن سهل ذوالرّياستين قد تنبّه على الأمر و رجع عن

عزمه و كان حسن العلم بالنجوم فخفت والله على نفسي و ركبت إليه فقلت له: أتعلم نجما في السماء أسعد من المشتري؟ قال: لا قلت: أفتعلم أن في الكواكب نجما تكون في حال أسعد منها في شرفها؟ قال: لا، قلت: فامض العزم على رأيك إذ كنت تعتقد أن الفلك في أسعد حالاته فامض الأمر على ذلك فما علمت أنتى من أهل الدنيا حتى وقع العقد فزعا من المأمون

قال: و منهم السيد الفاضل علي بن أبي الحسن العلوي المعروف بابن الأعلم و كان صاحب الزيج.

و منهم أبو الحسن النقيب الملقب بأقيراط.

و منهم الشيخ الفاضل الشيعي علي بن الحسين بن علي بن المسعودي مصنف كتاب مروج الذهب.

و منهم أبو القاسم ابن نافع من أصحابنا الشيعة.

و منهم إبراهيم الفرازى صاحب القصيدة في النجوم و كان منجما لمنصور.

و منهم الشيخ الفاضل أحمد بن يوسف بن إبراهيم المصرى كاتب آل طولون.

و منهم الشيخ الفاضل محمد بن عبد الله بن عمر الباز يار القمي تلميذ أبي معشر.

و منهم الشيخ الفاضل أبو الحسين بن أبي الخضيب القمي.

و منهم أبو جعفر السقاء المنجم ذكره الشيخ في الرجال.

و منهم محمد بن أحمد بن سليم الجعفي مصنف كتاب الفاخر.

و منهم محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك المعروف بكشاجم ذكر ابن شهر آشوب أنه كان شاعرا منجما متكلمًا.

و منهم العفيف بن قيس أخو الأشعث ذكره المبرد، وقد مر أنه قيل إنه هو الذي

أشار إلى أمير المؤمنين بترك قتال الخوارج في الساعة التي أراد.

ثم قال (ره) و ممن أدر كنهه من علماء الشيعة العارفين بالنجوم و عرفت بعض إصاباته

الفقيه العالم الزاهد الملقب خطير الدين محمود بن محمد.

وَمِمَّن رَأَيْتَهُ الشَّيْخَ الْفَاضِلَ أَبُو نَصْرٍ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيِّ الْقَمِّيِّ ، ثُمَّ عَدُّ مِنْ اِشْتَهَرَ بِعِلْمِ النُّجُومِ وَ قِيلَ أَنَّهُ مِنَ الشَّيْخَةِ فَقَالَ :

مِنْهُمْ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ السَّنَجَرِيِّ ، وَالشَّيْخَ الْفَاضِلَ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ الْعِمْرَانِيَّ ، وَالْفَاضِلَ إِسْحَاقَ بْنَ يَعْقُوبَ الْكِنْدِيَّ .

قال و ممن اشتهر بالنجوم من بني العباس محمد بن عبدالعزيز الهاشمي و علي بن القاسم القصري ، و قال وجدت فيما وقفت عليه أن علي بن الحسين بن بابويه القمي كان ممن أخذ طالع في النجوم و أن ميلاده بالسنبلة ، ثم قال روى الشيخ في اختيار الكشي في بيان حال أبي خالد السجستاني حمدويه و إبراهيم عن محمد بن عثمان قال: حدثنا أبو خالد السجستاني أنه لما مضى أبو الحسن عليه السلام وقف عليه ثم نظر في نجومه فزعم أنه قدمات فقطع على موته و خالف أصحابه .

ثم قال : ففى هذا عدة فوايد منها أن هذا أبو خالد كان واقفياً يعتقد أن أبا الحسن موسى عليه السلام إماماً فدلله الله تعالى بعلم النجوم على موته وقد كان هذا العلم سبب هدايته . ومنها أنه كان من أصحاب الكاظم عليه السلام و لم يبلغنا أنه عليه السلام أنكر عليه علم النجوم و منها أنه لو علم أبو خالد أن علم النجوم منكر عند إمامه لما اعتمد عليه في عقيدته و منها اختيار جدِّي الطوسى لهذا الحديث و تصحيحه و قد تقدم ثناؤه على جماعة من العلماء بالنجوم ثم قال :

و مِمَّن اِشْتَهَرَ بِعِلْمِهِ مِنْ بَنِي نُوَيْبِخْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَهْلٍ .

و من العلماء بالنجوم محمد بن إسحاق النديم كان منجماً للعلوي المصري . و من المذكورين بالتصنيف في علم النجوم حسن بن أحمد بن محمد بن عاصم المعروف بالعاصمي المحدث الكوفي ثقة سكن بغداد فمن كتبه الكتب النجومية ذكر ذلك ابن شهر آشوب في كتاب معالم العلماء

و ممن اشتهر بعلم النجوم من المنسويين إلى مذهب الامامية الفضل بن سهل وزير المأمون فروى محمد بن عبدوس الجهمشيارى وغيره ما معناه أنه لما وقع بين الأمين والمأمون ما وقع و اضطربت خراسان و طلب جند المأمون أرزاقهم و توجه علي بن

عيسى بن ماهان من العراق لحرب المأمون و صعد المأمون إلى منظره للخوف على نفسه من جنده ومعه الفضل وقد ضاق عليه مجال التدبير و عزم على مفارقة ما هو فيه أخذ الفضل طالعه و رفع اسطرلاباً و قال ما تنزل من هذه المنزلة إلا خليفة غالباً لأخيك الأمين فلا تعجل و ما زال يسكنه و يشته حتى ورد عليهم في تلك الساعة رأس علي بن عيسى وقد قتله طاهر و ثبت ملكه و زال ما كان يخافه و ظفر بالامان و روى خبراً آخر مثل ذلك.

ثم قال و ممن كان عالماً بالنجوم من المنسويين إلى الشيعة الحسن بن سهل ثم ذكر ما أخرجنا من العيون في أبواب تاريخ الرضا عليه السلام من حديث الحمام و قتل الفضل فيه.

أقول: الرواية في العيون بسنده عن ياسر الخادم يذكر فيها خروج الرضا عليه السلام و المأمون و ذي الرياستين من مرو إلى المدينة وفيها : و خرج المأمون و خرجنا مع الرضا عليه السلام فلما كان بعد ذلك بأيام و نحن في بعض المنازل ورد على ذي الرياستين كتاب عن أخيه الحسن بن سهل إنني نظرت في تحويل هذه السنة في حساب النجوم فوجدت فيه أنك تذوق في شهر كذا يوم الأربعاء الحديد و حر النار و أرى أن تدخل أنت و الرضا عليه السلام و أمير المؤمنين الحمام في ذلك اليوم فاحتجم أنت فيه و تصب الدم ليزول نحسه عنك.

فبعث الفضل إلى المأمون و كتب إليه بذلك و سأله أن يدخل الحمام معه و سأل أبا الحسن عليه السلام أيضاً ذلك فكتب المأمون إلى الرضا عليه السلام رقعة في ذلك فسأله أن يدخل الحمام معه فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام لست بدخل غداً الحمام ولا أرى لك يا أمير المؤمنين أن تدخل الحمام غداً ولا أرى الفضل أن يدخل الحمام غداً فأعاد إليه مرتين فكتب إليه أبو الحسن عليه السلام لست بدخل غداً الحمام فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم في هذه الليلة يقول لي يا علي لا تدخل الحمام غداً فكتب إليه المأمون: صدقت يا سيدي وصدق رسول الله لست بدخل غداً الحمام و الفضل فهو أعلم وما فعله.

قال ياسر فلما أمسينا و غابت الشمس فقال لنا الرضا عليه السلام قولوا نعوذ بالله من

شرَّ ما ينزل في هذه الليلة فأقبلنا نقول ذلك فلما صلى الرضا عليه السلام الصبح قال لنا: قولوا نعوذ بالله من شرِّ ما ينزل في هذا اليوم فمازلنا نقول ذلك.

فلما كان قريبا من طلوع الشمس قال لي الرضا عليه السلام اصعدا السطح فاستمع هل تسمع شيئا فلما صعدت سمعت الصيحة «الضجة خل» والنسجيب وكثرة ذلك فاذا بالمأمون قد دخل من الباب الذي كان إلى داره من دار أبي الحسن عليه السلام يقول يا سيدي يا أبا الحسن آجرك الله في الفضل و كان دخل الحمام فدخل عليه قوم بالسيف و اخذ من دخل عليه في الحمام و كانوا ثلاثة نفر أحدهم ابن خالة الفضل ذو العلمين قالوا و اجتمع القواد والجند و من كان من جند ذي الرياستين على باب المأمون فقالوا اغتاله و قتله فلنطلبين بدمه.

فقال المأمون للرضا عليه السلام يا سيدي ترى أن تخرج إليهم فتفرقهم قال : ياسر فركب الرضا عليه السلام و قال لي اركب فلما خرجنا من الباب نزل الرضا عليه السلام إليهم و قد اجتمعوا و جاءوا بالنيران ليحرقوا الباب فصاح بهم و أومى إليهم بيده تفرقوا ، فتفرقوا قال ياسر فأقبل الناس والله يقع بعضهم على بعض و ما اشار إلى أحد إلا ركض و مر و لم يقف به.

ثم قال السيد رأيت في كتاب الوزراء جمع عبدالرحمن بن المبارك أنه ذكر محمد بن سعيد أنه وجد على كتاب من كتب ذي الرياستين بخطه هذه السنة الفلانية التي تكون فيها النكبة و إلى الله نرغب في رفعها و إن صحَّ من حساب الفلك شيء فالأمر واقع فيها لامحالة و نسأل الله أن يختم لنا بخير بمنه، و كان يعمل لذي الرياستين تقويم في كل سنة فيوقع عليه هذا يوم يصلح لكذا و يجنب في هذا اليوم كذا ، فلما كان في السنة التي قتل فيها عرض عليه اليوم فجعل يوقع فيه ما يصلح حتى انتهى إلى اليوم الذي قتل فيه فقال : أف لهذا اليوم ما أشروه على و رمى بالتقويم .

و روى عن اخت الفضل قالت : دخل الفضل إلى امه في الليلة التي قتل في صبيحتها فقعد إلى جانبها و أقبل يعظها و يعزبها عن نفسه و يذكرها حوادث الدهر

و تقضى أمور العباد ، ثم قبّل صدرها و ثديها و ودعها وداع المفارق ، ثم قام فخرج و هو قلق منزعب لما دلّه عليه الحساب ، فجعل ينتقل من موضع إلى موضع و من مجلس إلى مجلس و امتنع عليه النوم .

فلما كان السحر قام إلى الحمام و قدر أن يجعل غمه و حرارته و كربه هو الذي دلت عليه النجوم ، و قدمت له بغلة فركبها و كان الحمام في آخر البستان فكبت به البغلة فسره ذلك و قدر أنها هي النكبة التي كان يتخوفها ، ثم مشى إلى الحمام ولم يزل حتى دخل الحمام و اغتسل فيه فقتل .

قال : و من المذكورين بعلم النجوم بوران بنت الحسن بن سهل ، وجدت في مجموع عتيق أن بوران كان في المنزلة العليا بأصناف العلوم لاسيما في النجوم فانها برعت فيه و بلغت أقصى نهايته و كانت ترفع الاسطرلاب كل وقت و تنظر إلى مولد المعتصم فعثرت يوما بقطع عليه سببه الخشب .

فقال لوالدها الحسن انصرف إلى أمير المؤمنين و عرفه أن الجارية فلانة قد نظرت إلى المولد و رفعت الاسطرلاب فدلّ الحساب والله أعلم أن قطعاً يلحق أمير المؤمنين من خشب في الساعة الفلانية من يوم بعينه .

قال الحسن : يا قرة عيني يا سيّدة الحرير إن أمير المؤمنين قد تغير علينا و ربّما أصغى إلى شيء بخلاف ما يقتضيه وجه المشورة و النصيحة ، قالت يا أبه و ما عليك من نصيحة إمامك لأنّه خطر بروح لاعوض منها ، فان قبلها و إلا كنت قد أدّيت المفروض عليك .

قال : فانصرف الحسن إلى المعتصم و عرفه ما قالت بوران ؛ قال المعتصم : أيها الحسن أحسن الله جزائها و جزائك انصرف إليها و خصّها عنى بالسلام و أسألها ثانياً و احضر عندي اليوم الذي عينت عليه و لازمني حتى بنصرم النوم و يذهب فلست اثار كك في هذه المشورة و التدبير أحداً من البشر .

قال فلما كان صباح ذلك اليوم دخل عليه الحسن فأمر المعتصم حتى خرج كل من في المجلس و خلا إليه و أشار عليه أن ينتقل عن المجلس الشقي إلى مجلس

ابن ادخى «رازجى كذا فى الاصل» لا يوجد فيه وزن درهم واحد من الخشب، وما زال الحسن يحدثه والمعتصم يمازحه و ينشطه حتى أظهر النهار وضربت نوبة الصلاة فقام المعتصم ليتوضأ فقال الحسن لانخرج أمير المؤمنين عن هذا المجلس ويكون الوضوء والصلاة وكل ما تريد فيه حتى ينصرم اليوم.

فجاءه خادم و معه المشط والمسواك فقال الحسن للخادم امشط بالمشط واستك بالمسواك فامتنع ، قال وكيف أتناول آلة أمير المؤمنين ، قال المعتصم و يلك امثل قول الحسن ولا تخالف ففعل فسقطت ثناياه و انتفخ دماغه و خر مغشياً عليه و رفع ميتاً ، و قام الحسن ليخرج فاستدعاه المعتصم إليه . واحتضنه ولم يفارقه حتى قبل عينيه ورد على بوران أملاكاً و ضياعاً ، و كان ابن الزيات سلبها عنها و ذكر مثله برواية اخرى.

و روى من كتاب الوزراء لمحمد بن عبدوس عن إسماعيل بن صبيح قال: كنت يوماً بين يدي يحيى بن خالد البرمكى فدخل عليه جعفر بن يحيى فلما رآه صاح و اعرض بوجهه عنه و قطب و كره رؤيته فلما انصرف قلت له : أطال الله بقائك تفعل هذا بابنك و حاله عند أمير المؤمنين حالة لا يقدم عليه ولدأ و لا وليا ، فقال : إليك عنى أيتها الرجل فوالله لا يكون هلاك أهل هذا البيت إلا بسببه.

فلما كان بعد مدة من ذلك دخل عليه أيضاً جعفر و أنا بحضورته ففعل مثلما فعل الأول و أكدت عليه القول فقال : ادن منى الدوات ، فأدنيتهما و كتب كلمات يسيرة في رقعة و ختمها و دفعها إليّ و قال : بلى ليكن عندك فاذا دخلت سنة سبع و ثمانين و مائة و مضى النجوم فانظر فيها ، فلما كان في صفر أوقع الرشيد بهم فنظرت في الرقعة فكان الوقت الذي ذكره ، قال اسماعيل: وكان يحيى أعلم الناس بالنجوم.

و روى أيضاً عن محمد بن عبدوس صاحب كتاب الوزراء عن موسى بن نصر الوصيف عن أبيه قال : غدوت إلى يحيى بن خالد في آخر أمرها اريد عيادته من علة كان يجدها ، فوجدت في دهليزه بغلامسرجاً فدخلت إليه فكان يأنس بي و يفضى إلى بسرّه ، فوجدته مفكراً مهموماً و رأيت مستغلاً مشتغلاً بحساب النجوم و هو

ينظر فيه فقلت له:

إني لما رأيت بغلا مسرجاً سرّني لأنني قدرت انصراف العلة و أن عزمك
الرُّكوب ، ثم قد غمّني ما أرا من همك قال : فقال لي : إن لهذا البغل قصة إنني
رأيت البارحة في النوم كأنني راكبة حتى وافيت رأس الجسر من الجانب الأيسر
فوقفت فاذا بصايح يصيح من الجانب الآخر:

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا انيس و لم يسمر بمكة سامر

قال فضربت يدي على قربوس السروج و قلت:

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي و الجود العواتر

ثم انتبهت فلجأت إلى أخذ الطالع فأخذته و ضربت الأمر ظهراً لبطن فوقف على أنه
لا بد من انقضاء مدتنا و زوال أمرنا ، قال : فما كان يكاد يفرغ من كلامه حتى
دخل عليه مسرور الخادم بخوانة مغطاة و فيها رأس جعفر بن يحيى و قال له : يقول
لك أمير المؤمنين : كيف رأيت نعمة الله في الفاجر فقال له يحيى قوله يا أمير المؤمنين
أرى أنك أفسدت عليه ديناه و أفسد عليك آخرتك .

ثم قال : و من رأيت ذكره في علماء النجوم و إن لم أعلم مذهبه إبراهيم بن
السندی بن شاهك و كان منجماً طيباً متكلماً .

و من العلماء بالنجوم عضد الدولة بن بويه و كان منسوباً إلى التشيع و لعله

كان يرى مذهب الزيدية .

و منهم الشيخ المعظم محمود بن علي الحمصي كما حكينا عنه .

و منهم جابر بن حيان صاحب الصادق عليه السلام و ذكره ابن النديم في
رجال الشيعة .

و ممن ذكر بعلم النجوم من الوزراء أبو أيوب سليمان بن مخلد المورياتي .

و ممن ظهر فيه العمل على النجوم البرامكة ذكر عبد الله الرحمن في الأصل بن المبارك

أن جعفر الماعز م على الانتقال إلى قصره الذي بناه و جمع المنجمين لاختيار وقت ينتقل فيه
فاختار والده وقتاً من الليل ، فلما حضر الوقت خرج على حمار من الموضع الذي

ينزل على قصره والطرق خالية والناس ساكنون فلما وصل إلى سوق يحيى رأى رجلاً يقول :

يدبر بالنجوم و ليس يدري
و رب النجم يفعل ما يريد
فاستوحش و وقف و دعا بالرجل فقال له : أعد علي ما قلت فأعاده فقال : ما أردت بهذا ؟ قال : والله ما أردت به معنى من المعاني لكنّه عرض لي و جاء علي لساني فأمر له بدنانير .

ثم ذكر أصابات كثيرة من المنجمين نقلها من كتبهم ، ونقل من كتاب ربيع الأبرار أن رجلاً دخل أصبعه في حلقتي مقرض و قال لمنجم : ايش ترى في يدي؟ فقال : خاتمي حديد .

و قال : فقدت في دار بعض الرؤساء مشربة فضة فوجه إلى ابن همام يسأله فقال : المشربة سرقت نفسها ، فضحكت منه و اغتاض و قال : هل في الدار جارية اسمها فضة أخذت الفضة فكان كما قال .

و قال : سعى بمنجم فأمر بصلبه فقيل له هل رأيت هذا في نجومك ؟ فقال : رأيت ارتفاعاً ولكن لم أعلم أنه فوق خشبة .

و قال : من الملوك المشهورين بعلم النجوم و تقرب أهله المأمون ، و ذكر محمد بن اسحاق أنه كان سبب نقل كتب النجوم من بلاد الروم و نشرها بين المسلمين .

و ذكر المسعودي في حديث وفات المأمون قال : فأمرنا باحضار جماعة من أهل الموضع فسألهم ما تفسير التديون فقالوا : تفسيره مدّ رجلك ، فلما سمع المأمون بذلك اضطرب و تطير بهذا الاسم و قال سلوهم ما اسم هذا الموضع بالعربية قالوا : اسمه بالعربية الرقة ، و كان فيما عمل من مولد المأمون أنه يموت بالبرقة ، فلما سمع اسم الرقة عرفه أنه الموضع الذي ذكر في مولده و أنه لا يموت إلا برقة فمات به كما اقتضت دلالة النجوم ، انتهى ما أردنا إيرادَه من كلام السيد .

فقد بان و ظهر منه و مما قد منا أن الاصابة في النجوم غير عزيزة و إن كان الخطاء فيها كثيراً أيضاً إلا أن وقوع الخطاء لا يدل على بطلانها من أصلها و سر كثرة الخطاء هو ما أشرنا إليه سابقاً من عسر الضبط و الاحاطة بأقطارها .

و إليه الاشارة في خبر عبد الرحمن بن السيابة قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك إن الناس يقولون إن النجوم لا يحل النظر فيها فان كان يضر بديني فلا حاجة لي في شيء يضر بديني ، وإن كان لا يضر بديني فوالله إنني لأشتهيها و أشتهي النظر إليها ، فقال عليه السلام ليس كما يقولون لا يضر بدئك ، ثم قال عليه السلام : إنكم تنظرون في شيء كثيره لا يدرك و قليله لا ينفع .

و في خبر هشام قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام كيف بصرك في النجوم ؟ قلت : ما خلفت بالعراق أبصر بالنجوم ثم سأله عن أشياء لم يعرفها ، ثم قال عليه السلام : فما بال العسكريين يلتقيان في هذا و في ذلك فيحسب هذا لصاحبه بالظفر و يحسب هذا لصاحبه بالظفر فيلتقيان فيهزم أحدهما الآخر فأين كانت النجوم ؟ قال : فقلت : والله ما أعلم ذلك ، فقال عليه السلام : إن أصل الحساب حق ولكن لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق .

الامر الخامس

في الحكم الشرعي للعمل بالنجوم و أنه هل يجوز تعليمه و تعلمه و استنباط الأحكام منه و الاخبار عن الحوادث الاستقبالية على وجه القطع أو الظن من طريق النجوم

المستفاد من السيد بن طاووس (ره) في كلامه الذي قد منا ذكره في المقام الثاني هو الجواز بحمل الأخبار الناهية على ما إذا اعتقد التأثير .

ومثله شيخنا البهائي (ره) في محكي كلامه وما يدعيه المنجمون من ارتباط بعض الحوادث السفلية بالأجرام العلوية إن زعموا أن تلك الأجرام هي العلة المؤثرة في تلك الحوادث بالاستقلال أو أنها شريكة في التأثير فهذا لا يحل للمسلم اعتقاده ، و علم النجوم المبتني على هذا كفر و العياذ بالله ، و على هذا حمل ما ورد في

الحديث من التحذير عن علم النجوم والنهي عن اعتقاد صحته .

وإن قالوا إن اتصالات تلك الاجرام وما يعرض لها من الاوضاع علامات على بعض حوادث هذا العالم مما يوجد الله سبحانه بقدرته وإرادته كما أن حركات النُبض و اختلافات أوضاعه علامات يستدل بها الطبيب على ما يعرض للبدن من قرب الصحة واشتداد المرض ونحو ذلك ، وكما يستدل باختلاج بعض الأعضاء على بعض الأحوال المستقبلية، فهذا الامنع منه ولا حرج في اعتقاده ، وما روي من صحة علم النجوم وجواز نقله معمول على هذا المعنى .

ثم قال : الأمور التي يحكم بها المنجمون من الحوادث الاستقبالية أصول بعضها مأخوذة من أصحاب الوحي سلام الله عليهم ، وبعضها يدعون فيها التجربة ، وبعضها مبتن على أمور منشعبة لانفي قوة البشرية في الأغلب بضبطها والاحاطة بها كما يؤمى إليه قول الصادق عليه السلام : كثيره لا يدرك وقليله لا ينتج ، فلذلك وجد الاختلاف في كلامهم وتطرق الخطاء إلى بعض أحكامهم ومن اتفق له الجرى على الأصول الصحيحة صح كلامه و صدقت أحكامه لا محالة كما نطق به كلام الصادق عليه السلام في الرواية المذكورة قبيل هذا الفصل يعني رواية ابن سيابة ، ولكن هذا أمر عزيز المنازل لا يظفر به إلا القليل والله الهادي إلى سواء السبيل .

أقول : ولقد أجاد (ره) فيما أفاد إلا أن في الأخبار الناهية ما يأتي عن الحمل الذي ذكره مثل خبر المنجم الذي عرض لأمير المؤمنين عليه السلام عند المسير إلى النهروان على ما تقدم روايته من السيد (ره) في المتن ، فإن الظاهر منها أن المنجم المذكور لم يكن معتقداً للتأثير في النجوم ومع ذلك فقد نهى عليه السلام عنه بمحض حكمه المستند إليه فافهم .

ويظهر من شيخنا صاحب الجواهر الميل إلى الجواز أيضاً حيث قال : والتحقق أنه لا بأس بالنظر في هذا العلم وتعلمه وتعليمه والاخبار عما يقتضيه مما وصل إليه من قواعده لا على جهة الجزم بل على معنى جريان عادة الله بفعل كذا عند كذا وعدم اطّراد غير قاذح ، فإن الله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ، بل قد يتوقف

في الكراهة فضلاً عن الحرمة ، بل يمكن حصول زيادة العرفان بمعرفته والترقي إلى بعض درجات الايمان بممارسته .

و دعوى أن فيه تعريضاً للوقوع في المحذور من اعتقاد التأثير فيحرم لذلك أو لأن أحكامه تخمينية كما ترى خصوصاً الثاني ضرورة عدم حرمة مراعات الظنون في أمثال ذلك بل لعلّ المعلوم من سيرة الناس وطريقتهم خلافه في الطب وغيره والتعريض المزبور مع أنه ممنوع لا يكفي في الحرمة وإلا لحرّم النظر في علم الكلام الذي خطره أعظم من ذلك فلا ريب في رجحان ما ذكرناه بل لا يبعد أن يكون النظر فيه نحو النظر في علم هيئة الأفلاك الذي يحصل بسببه الاطلاع على حكمة الله وعظم قدرته .

نعم لا ينبغي العزم بشيء من مقتضياته لاستيثار الله بعلم الغيب ، انتهى .
 وذهب المرتضى (ره) إلى الحرمة ، وهو ظاهر المحدث المجلسي بل صريحه في البحار حيث قال بعد بسط الكلام في علم النجوم ونقل الأخبار و أقوال العلماء فيه ما لفظه : وأما كونها امارات وعلامات جعلها الله دلالة على حدوث الحوادث في عالم الكون و الفساد فغير بعيد عن السداد وقد عرفت أن كثيراً من الأخبار تدلّ على ذلك .

وهي إمامفيدة للعلم العادي لكنّه مخصوص ببعض الأنبياء و الأئمة عليهم السلام و من أخذها منهم لأنّ الطريق إلى العلم بعدم ما يرفع دلالتها من وحى أو إلهام و الاحاطة بجميع الشرايط و الموانع و القوابل مختصة بهم .
 أو مفيدة للظن ، و وقوع مدلولاتها مشروط بتحقيق شروط و رفع موانع ، و ما في أيدي الناس ليس ذلك العلم أصلاً أو بعضه منه لكنّه غير معلوم بخصوصه ولا يفيد العلم قطعاً ؛ و افادته نوعاً من الظن مشكوك فيه .

وأما تعليمه وتعلمه و العمل به و الاخبار بالأمر الخفية و المستقبلية و أخذ الطوالع و الحكم بها على الأعمار و الأحوال الظاهر حرمة ذلك لشمول النهي له ، و ما ورد أنّها دلالات و علامات لا يدلّ على التجويز لغير من أحاط علمه بجميع

ذلك من المعصومين وما دلّ على الجواز فأخبار أكثرها ضعيفة .

ويمكن حملها على التّقية لشيوع العمل بها في زمن خلفاء الجور والسلطين في أكثر الأعصار وتقرّب المنجمين عندهم وربما يؤمى بعض الأخبار إليه ، ويمكن حمل أخبار النهى على الكراهة الشديدة والجواز على الإباحة أو حمل أخبار النهى على ما إذا اعتقد التأثير والجواز على عدمه كما فعله السيّد ابن طاووس وغيره ولكن الأوّل أظهر وأحوط .

أقول : والأظهر عندي هو الجواز مع الكراهة ، أمّا الجواز فللأخبار المجوّزة وأمّا الكراهة فمخروجا عن خلاف من منعه ولوجود أخبار النهى المحمولة عليها .

فان قلت : أخبار النهى ظاهرة في الحرمة فلم لا تحملها على ظاهرها . قلت : إبتاؤها على ظواهرها موجب لطرح الأخبار الأخر والجمع بقدر الامكان أولى ، فلا بدّ من صرفها عن الظاهر بحملها على الكراهة أو بالحمل على صورة اعتقاد التأثير وذلك إنّما يجرى في بعضها حسبما أشرنا ، وأمّا حمل الأخبار المجوّزة على التّقية فبعيد لاشتهار العمل بها بين الخاصّة كالعامّة كما عرفت في المقام الثالث (١) وعمل بعض أصحاب الأئمة عليهم السلام بها مع عدم منعهم عن ذلك حسبما قدّمنا .

و إلى ذلك ذهب المحقّق الكركي (ره) حيث قال بعد الحكم بحرمة اعتقاد التأثير وكونه كفراً : أمّا التنجيم لاعلى هذا الوجه مع التحرز عن الكذب فانه جازئ فقد ثبت كراهية التزويج وسفر الحج في العقب و ذلك من هذا القبيل ، نعم هو مكروه ولا ينجر إلى الاعتقاد الفاسد وقد ورد النهى عنه مطلقاً حسماً للمادة وهو أيضاً مذهب شيخنا العلامة الأنصاري في المكاسب ، قال بعد ذكر الأخبار الدالّة على أنّ التنجيم أصلاً و الأخبار الدالّة على كثرة خطاه المنجمين ما هذا لفظه : و من تتبّع هذه الأخبار لم يحصل له ظنّ بالأحكام المستخرجة عنها فضلاً

١- لا يخفى أنّ المقام الثالث لم يتقدّم ذكره فيما قبل ، نعم ذكر المصنف (قده) فيما سبق ما أشار إليه هنا في ضمن المقام الثاني فتذكر « المصحح »

عن القطع ، نعم قد يحصل من التجربة خلفاً عن سلف الظنّ بل العلم بمقارنة حادث من الحوادث لبعض الأوضاع الفلكية ، فالأولى التجنّب عن الحكم بها ومع الارتكاب فالأولى الحكم على سبيل التقريب وأنه لا يبعد أن يقع كذا عند كذا ، والله المسدّد

الترجمة

از جمله کلام هدایت نظام آن حضرتست که فرموده است آن را از برای بعض اصحاب خود در حینی که عزم فرموده بود بر رفتن بسوی خوارج نهران ، پس گفت آن حضرت را بعض اصحاب او ای امیر مؤمنان اگر سیر بفرمائی در این وقت می ترسم که نرسی بمقصود خویش از طریق و قاعده علم نجوم پس فرمود او را که :

آیا گمان میکنی که تو راه می یابی بساعتی. که هر که سفر کند در آن بگردد از او بدی و میتسانی از ساعتی که هر که سیر نماید در آن احاطه کند با ضرر هر که تصدیق کند تو را باین سخنان پس بتحقیق که تکذیب نموده است برقرآن و مستغنی شده است از یاری جستن بخدا در رسیدن بأمر محبوب و در دفع کردن مکروه و سزاوار است در گفتار تو اینکه تو را حمد نماید نه پروردگار خود را از جهت اینکه تو بگمان خود راه نما شدی او را بساعتی که رسیده در آن بمنفعت ، خواطر جمع شد در آن از مضرت ، بعد از آن توجه فرمود آنحضرت بمردمان پس فرمود که

ای مردمان حذر نمائید از تعلم علم نجوم مگر آن چیزی که هدایت یابید بآن در بیابان یا در دریا پس بدرستی که معرفت نجوم داعی میشود بر کاهنی و منجم همچو کاهن است و کاهن همچو ساحر است و ساحر همچو کافر است و کافر در آتش است ، بعد از آن حضرت فرمود بأصحاب خود که : سیر کنید بسوی دشمن بر نام خداوند و یاری او .

و من كلام له عليه السلام و هو التاسع
والسبعون من المختار في باب الخطب
بعد حرب الجمل في ذم النساء

مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنْ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ ، نَوَاقِصُ الْحُطُوظِ ، نَوَاقِصُ
الْعُقُولِ ، فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ فَفَعُوْدُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَ الصِّيَامِ فِي أَيَّامِ
حَيْضِهِنَّ ، وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ
وَأَمَّا نُقْصَانُ حُطُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الْإِنصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرَّجَالِ ،
فَاتَّقُوا بَشَارَهُنَّ وَ كُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ ، وَ لَا تُطِيعُوهُنَّ فِي
الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعَنَّ فِي الْمُنْكَرِ .

اللغة

(المعاشر) جمع المعشر و هي الجماعة من الناس و (الانصاف) بفتح
الهمزة و كسرهما و قد يضم كما في القاموس جمع النصف بثلاث النون وهو أحد
جزئي الشيء .

الاعراب

الفاء في قوله فأما نقصان إيمانهن عاطفة قال الرضي (ره) في مبحث فاء العطف
و إن عطفت الفاء جملة على جملة أفادت كون مضمون الجملة التي بعدها عقيب
مضمون التي قبلها بالانفصال ، نحو قام زيد فقعد عمرو ، وقد تفيد فاء العطف في الجمل
كون المذكور بعدها كلاماً مرتباً في الذكّر على ما قبلها لأن مضمونه عقيب مضمون

ما قبلها في الزمان كقوله تعالى:

« أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ »

وقوله « وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ نَتَبَوَّءُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ »

فإن ذكر ذم الشيء أو مدحه يصح بعد جرى ذكره، قال ومن هذا الباب عطف تفصيل المجلد على المجمع كقوله:

« وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي مِنْ أَهْلِي » .

و تقول: أجبته فقلت لييك انتهى، و كلام الامام عليه السلام من هذا القبيل لأنه بعد الاشارة إلى نقصان ايمانهم وعقولهم وحظوظهم اجمالاً نبه على تفصيل جهة النقصان بقوله فأما نقصان ايمانهم اه، و نظيرها الفاء في قوله:

« هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ

وَأُخَرَ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ »

وفي قوله « إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْسِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا قَوْحَهَا فَأَمَّا

الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ

مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا » .

فافهم والفاء في قوله: فمعود هن رابطة للجواب و في قوله فاتقوا شرارهن فصيحة .

المعنى

اعلم أن الغرض من هذا الكلام التعريض على عايشة و توبيخها و ذم من تبعها و ارشاد الناس إلى ترك طاعة النساء والانتقاء منهن لكونهن ناقصات في أنفسهن ولا ينبغي للكامل إطاعة الناقص والایتمام به و وجوه النقصان ثلاثة كما نبه عليها بقوله (معاشر الناس إن النساء نواقص الايمان نواقص المحظوظ نواقص العقول) ولها

نبه على نقصانهم بهذه الوجوه الثلاثة أشار إلى علة جهات النقص بقوله (فأما نقصان إيمانهم فمعهن عن الصلوة والصيام في أيام حيضهن) وقعودهن عنها وإن كان بأمر الله سبحانه إلا أن سقوط التكليف لنوع من النقص فيهن و سبب النقص هو حالة الاستقذار والحدث المانعة من القرب المعنوي المشروط في العبادات و في كلامه دلالة على كون الأعمال اجزاء الايمان.

و يشهد به ما رواه في الكافي باسناده عن أبي الصباح الكناني عن أبي جعفر عليه السلام قال : قيل لأبي المير المؤمنين عليه السلام : من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله كان مؤمناً؟ قال : فأين فريض الله؟ قال : وسمعته يقول : لو كان الايمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام.

(وأما نقصان عقولهم فشهادة امرئتين كشهادة الرجل الواحد) قال تعالى :
« فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ » .

روى في الوسائل عن تفسير العسكري عليه السلام عن آباءه عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية قال : عدلت امرئتان في الشهادة برجل واحد فإذا كان رجلاً أو رجلاً وامرئتان أقاموا الشهادة قضى بشهادتهم .

قال عليه السلام و جاءت امرئة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت : ما بال امرئتين برجل في الشهادة وفي الميراث؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن ذلك قضاء من ملك عدل حكيم لا يجوز ولا يهين أيتها المرئة لأنك ناقصات الدين والعقل إن إحداهن اكن تقعد نصف دهرها لا تصلي بحضنة، وأنك تكثرن اللعن وتكفرن العشير تمكث إحداكن عند الرجل عشر سنين فصاعداً يحسن إليها وينعم عليها فإذا ضاقت يده يوماً أو ساعة خاصمته وقالت : ما رأيت منك خيراً قط .

و فيه عن محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي قال مر رسول الله صلى الله عليه وآله على نسوة فوق عليهن ثم قال صلى الله عليه وآله : يا معاشر النساء ما رأيت نواقص عقول و دين

أذهب بقول ذوى الألباب منكنّ، إني رأيت أنكُنْ أكثر أهل النار عذاباً فتقرّ بن
إلى الله ما استطعتنّ، فقالت امرأة منهنّ: يا رسول الله ما نقصان ديننا و عقولنا ؟
فقال: أما نقصان دينكنّ فالحيض الذي يصيبكنّ فتمكث إحداكنّ ماشاء الله
لاتصلّي ولا تصوم، و أما نقصان عقولكنّ فشهادتكنّ إنّما شهادة المرأة نصف
شهادة الرجل.

و قال وهب بن منبه قد عاقب الله النساء بعشر خصال: بشدّة النفاس والحيض
و جعل ميراث اثنتين ميراث رجل و شهادتهما شهادة واحد و جعلها ناقصة الدين
و العقل لاتصلّي أيام حيضها ولانسلم على النساء وليس عليها جمعة ولا جماعة ولا يكون
منها نبيّ ولاتسافر إلاّ بوليّ هذا .

و قوله (و أما نقصان حظوظهنّ فمواريثهنّ على الانصاف من مواريث الرجال)
قد مرّ في ثالث تذييلات الفصل الثّاني عشر من فصول الخطبة الأولى علّة زيادة حظّ
الذكر على الانثى في الميراث و نقول هنا مضافاً إلى ما سبق: إنّهُ قد ذكر لها في
بعض الأخبار علل و أسرار اخرى .

و هو ما في الوسائل عن ثقة الاسلام الكليني باسناده عن الأحول قال قال ابن
أبي العوجا: ما بال المرأة المسكينة الضعيفة تأخذ سهماً واحداً و يأخذ الرجل
سهمين؟ قال: فذكر ذلك بعض أصحابنا لأبي عبد الله عليه السلام فقال: إنّ المرءة ليس عليها
جهاد ولا نفقة ولا معقلة و إنّما ذلك على الرجل فلذلك جعل للمرأة سهماً واحداً
و للرجل سهمين .

و فيه عن الصدوق باسناده عن محمد بن سنان أنّ الرضا عليه السلام كتب إليه فيما
كتب من جواب مسأله: علّة إعطاء النساء نصف ما يعطى الرجل من الميراث لأنّ
المرءة إذا تزوجت اخذت الرجل يعطى فلذلك وفرّ على الرجال، و علّة أخرى في
إعطاء الذكر مثلى ما تعطى الأنثى لأنّ الأنثى في عيال الذكر إن احتاجت و عليه أن
يعولها و عليه نفقتها، و ليس على المرأة أن تعول الرجل ولا تؤخذ بنفقته إن احتاج

فوفّر على الرجال لذلك و ذلك قول الله عزّ وجل :

« الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ » .

و عنه أيضاً باسناده عن عبد الله بن سنان قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : لاي علة صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين ؟ قال : لما جعله الله لها من الصّدق .

و باسناده عن علي بن سالم عن أبيه قال سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت له : كيف صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين ؟ فقال ، لأنّ الحبات التي أكل آدم و حواء في الجنة كانت مائة عشر حبة أكل آدم منها اثني عشر حبة و أكلت حواء ستاً فلذلك صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين .

ثمّ إنه عليه السلام بعد التّنبيه على جهة النّقصان في النّساء أمر بقوله (فاتقوا شرارهنّ) على التّجنّب والهرب من الشرار ، و بقوله (و كونوا من خيارهنّ) على الحذر من الخياري ، قال البحراني : و يفهم من ذلك أنّه لا بدّ من مقاربتهنّ (١) و كان الانسان إنّما يختار مقاربة الخيرة منهنّ فينبغي أن يكون معها على تحرّز و تثبّت في سياستها و سياسة نفسه معها إذالم تكن الخيرة منهنّ خيرة إلا بالقياس إلى الشريرة .

روى في الفقيه عن جابر بن عبد الله الانصاري قال : كنّا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله قال فتذاكرنا النساء و فضل بعضهنّ على بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ألا أخبركم بخير نساءكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله فأخبرنا ، قال : إنّ من خير نساءكم الولود اللود السستيرة العفيفة العزيزة في أهلها الذليلة مع بعلمها المتبرجة مع زوجها الحصان مع غيره التي تسمع قوله و تطيع أمره و إذا خلا بها بذلت له ما أراد منها ولم تبذل له تبذل الرجال .

قال و قال رسول الله صلى الله عليه وآله ألا أخبركم بشرّ نساءكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله فأخبرنا

قال : من شرّ نسائكُم الذليلة في أهلها العزيزة مع بعلمها العقيم الحقود التي لا تتورع عن قبيح المتبرجة إذا غاب عنها زوجها الحصان معه إذا حضر التي لا تسمع قوله ولا تطيع أمره فإذا خلابها تمتعت تمتع الصعبة عند ركوبها ولا تقبل له عذراً ولا تغفر له ذنباً و رواه في الكافي عن جابر بن عبدالله نحوه في كتاب النكاح في باب خيسر النساء و شرار النساء ، و روى فيه أخباراً أخرى في معنى الخير و الشر .

و قوله (ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر) من قبيل المثل السائر : لا تعط عبدك كراعاً فياً أخذ راعاً قال العلامة المجلسي : و ترك طاعتهم في المعروف إما بالعدول إلى فرد آخر منه أو فعله على وجه يظهر أنه ليس لطاعتهم بل لكونه معروفاً أو ترك بعض المستحبات و يكون الترك حينئذ مستحباً كما ورد تركها في بعض الأحوال كمال الهلال هذا .

وقد ورد الحديث على ترك طاعتهم في غير واحد من الأخبار مثل ما في الفقيه عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في النساء : لا تشاؤوهن في النجوى ولا تطيعوهن في ذيق رابة إن المرأة إذا كبرت ذهب خير شرطيتها و بقي شرهما ، ذهب جمالها و احتد لسانها و عقم رحمها ، و إن الرجل إذا كبر ذهب شر شرطيه و بقي خيرهما ثبت عقله و استحکم رأيه و قل جهله .

و فيه أيضاً قال علي عليه السلام : كل امرء تدبره امرأة فهو ملعون ، و قال : في خلافهن البركة ، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد الحرب دعى نساءه فاستشارهن ثم خالفهن . و في بعض الروايات العامة قال أمير المؤمنين عليه السلام لا تطيعوا النساء على حال ولا تأمنوهن على مال ، ولا تذروهن لتدبير العيال ، فانهن إن تركن و ما يرون أوردن المهالك ، و أذلن الممالك ، لادين لهن عند لذتهن ، ولا ورع لهن عند شهوتهن ، ينسين الخير و يحفظن الشر ، يتهافتن بالبهتان و يمارين للطغيان يتصدّين للشيطان .

و من طريق العامة أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وآله شاؤوهن خالفوهن .

تنبيه ظريف

ينبغي لنا أن نذكر هنا شطراً من أوصاف النساء وأخبارهن و بعض مكابدهن من طريق الأخبار و غيرها ، والمقصود بذلك التحذير عنهن والتنبيه على كيدهن ، حيث وصفه الله سبحانه في كتابه العزيز بالعظمة مع أنه جعل كيد الشيطان ضعيفاً حيث قال :

« إِنَّهُ مِنْ كَيْدِ كُنَّ إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ » و قال : « إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا » .

و لذلك قال بعض أهل العرفان : إنا من النسوان أحذر من الشيطان فأقول : قال رسول الله شاوروهن و خالفوهن و قيل : إياك و موافقة النساء فرأيهن

إلى أفن (١) و عزمهن إلى وهن ، و قيل :

أكثروا لهن من لا ، فان نعم بغيرهن بالمثلثة قال الشاعر :

تعيّرني بالغزو عرسى و هادرت بأنتى لها في كل ما أمرت ضدّ

و رأى سقراط امرأة تحمل ناراً فقال نار تحمل ناراً والحامل شرّ من المحمول وقيل له : أى السباع شرّ قال : المرأة وقيل : المرأة إذا أحببتك آذتك و إذا أبغضتك خانتك فحبّها أذى و بغضها داء وقيل المرأة سبع معاشر وقيل حيوان شرير .

و في الحديث أنه لما خلقت المرأة نظر إليها إبليس فقال أنت سؤلى وموضع سرى و نصف جندى و سهمى الذى ارمى به فلا اخطى و إذا اختصمت هى وزوجها فى البيت قام فى كل زاوية من زوايا البيت شيطان يصفق و يقول فرح الله من فرحنى حتّى إذا اصطلمها خرجوا عمياً يتعادون يقرآن : أذهب الله نور من ذهب بنورنا .

و فى الفقيه عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام فى حديث إن إبراهيم

١- قال فى مجمع البحرين فى حديث النساء فان رأيهن الى الافن و عزمهن الى الوهن الافن بالتحريك ضعف الراى قتاله الجوهرى و قال غيره : الافن النقص و راى أفن و مأفون ناقص منه .

خليل الرحمن شكى إلى الله خلق سارة فأوحى الله عز وجل إليه إن مثل المرأة مثل الضلع إن أقمتها انكسر وإن تركته استمعت به .

وفي حديث إبليس مع يحيى بن زكريا على نبيينا وعليهما السلام المروي في المجلد السماء والعالم من البحار وجادة في كتاب الترمذي قال أي إبليس : يا نبي الله فأول ما أصيد به المؤمن من قبل النساء « إلى أن قال » يا نبي الله إن أرجى الأشياء عندي وأدعمه لظهوري وأقره لعيني النساء ، فانتهاجباتي ومصائدي وسهمي الذي به لا أخطئ بآبائي هن لولم يكن هن ما اطعت (١) اضلال أدنى آدمي ، قررت عيني بهن أظفر بمقراتي و بهن أوقع في المهالك إذا اغتممت ليشت (٢) على النساء والعباد والعلماء غلبوني بعد ما أرسلت عليهم الجيوش فانهمزوا وبعدها ركبت وقهرت ذكرت النساء طابت و سكنت غضبي و اطمأن كظمي وانكشف غيظي وسلمت كأبتي و قررت عيني واشتد أزري ، ولولاهن من نسل آدم لسجدتهن فهن سيداتي وعلى عنقي سكنهن وعلى تمامهن ما اشتبهت امرأة من حباتي حاجة إلا كنت أسعى برأسها دون رجلي في اسعافها بحاجتها ، لأنهن رجائي و ظهري و عصمتي و سندي و نقطي و غوثي ، الحديث .

أقول : النسخة كانت سقيمة جداً فأثبتته كما وجدت .

وفي الأ نوار النعمانية للسيد نعمه الله الجزائري و من أسباب الدنيا والميل إليها النساء و إطاعتهم .

روى أن رجلاً من بني اسرائيل رأى في المنام أنه خير ثلاث دعوات مستجابات بأن يصرفها حيث شاء ، فشاورة امرأته في محل الصرف فرأت أن يصرف واحدة منها في حسنها و جمالها ليزيد حسن المعاشرة بينهما فصرفها في ذلك فصارت جميلة فيما بين بني اسرائيل فاشتهرت فاشتهر أمرها إلى أن غضبها ملك ظالم فدعا الرجل غيره بأن يصيرها الله تعالى على صورة كلب فصارت كلباً أسود وجاءت إلى باب زوجها

١- هكذا في البحار والظاهر ان المجرى بمعنى المزيد أى ما استطعت أو أنه من تصحيف

الناسخ والاصل أطلقت بالقاف بمعنى قدرت وهو الاظهر، منه ٢- ايش واش فرح

وتضرعت إليه مدة حتى رق قلبه فدعابان بصيرها لله على صورتها الأولى ، فضاعت الدعوات الثلاث فيها وهي كما كانت بشوم مشاورة المرأة .

و حكى أن خسرو الملك أتى إليه رجل بسمكة كبيرة فأمر له بأربعة آلاف درهم فقالت شيرين فكيف تصنع إذا احتقر من اعطيته شيئاً من حشمك وقال : أعطاني ما أعطى الصياد أو أقل ، فقال خسرو الملك إن الرجوع عن الهبة قبيح خصوصاً من الملوك فقالت شيرين : التدبير أن تدعوه وتقول له هذه السمكة ذكر أو انثى ، فإن قال ذكر فتقول له إنما أردت انثى ، وإن قال انثى فتقول له إنما أردت ذكراً فاستدعاه فسأله عن ذلك فقال : أيها الملك إنها خنثى لا ذكر ولا انثى ، فاستحسن جوابه وأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى ، فلما تسلّم الصياد ثمانية آلاف درهم من الخزان ورجع سقط منها في الطريق درهم فاشتغل بأخذ الدرهم الساقط فقالت شيرين للملك : انظر إلى خستته و غلبة حرصه ، فاستدعاه وسأله عن غرضه في اشتغاله بأخذه فقال أيها الملك : كان عليه اسمك و حكمك فخفت أن يطأه أحد برجله غافلاً عنه ، فاستحسن أيضاً جوابه و أمر له بأربعة آلاف درهم أخرى وذهب الصياد بانثى عشر ألف درهم .

وفي موضع آخر منه أن كل فتنة وقعت في العالم فأنما جاءت من قبلهن وذلك :

إن الفتنة الأولى وهي اكل آدم من الشجرة واخراجه إلى الأرض إنما جاء من قبل حواء ، لأن آدم لما لم يقبل وساوس الشيطان وسوس إلى حواء فجاءت إلى آدم وكلمته في أمر الأكل من الشجرة حتى حملته عليه .

وأما الفتنة الأخيرة التي نشأ منها خراب العالم وهي غصب خلافة أمير المؤمنين عليه السلام واستظهارهم واتفاقهم على عداوته فأنما جاء من قبل عايشة وعداوتها وحسدها لفاطمة عليها السلام بسبب أن النسبي عليه السلام كان يظهر المحبة لها ولولديها ففارت من هذا عايشة وأضمرت العداوة لها ثم أظهرتها فتخطت تلك العداوة من النساء إلى الرجال فقبض علياً عليه السلام أبوبكر وعمر ففعلا ما فعلا و فعلت عايشة بعدهما ما فعلت .

أقول: وشهادة أمير المؤمنين عليه السلام بسبب قطام وسم جمدة للحسن بن علي عليه السلام غير خفي.

وفي البحار روى عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: كان في بني اسرائيل رجل صالح و كان له مع الله معاملة حسنة و كان له زوجة و كان ظنيناً بها و كانت من أجمل أهل زمانها مفرطة في الجمال والحسن، و كان يقفل عليها الباب فنظرت يوماً شاباً فهوته وهوها فعمل لها مفتاحاً على باب دارها و كان يخرج ويدخل ليلاً ونهاراً متى شاء وزوجها لم يشعر بذلك.

فبقيا على ذلك زماناً طويلاً فقال لها زوجها يوماً و كان أعبد بني اسرائيل وأزهدهم: إنك قد تغيرت عليّ و لم أعلم ما سببه و قد توسوس قلبي عليّ و كان قد أخذها بكراً، ثم قال و اشتهى منك أنك تحلفي لي أنك لم تعرفي رجلاً غيري، و كان لبني اسرائيل جبل يقسمون به ويتحاكمون عنده و كان الجبل خارج المدينة عنده نهر جار و كان لا يحلف أحد عنده كاذباً إلا هلك، فقالت له و يطيب قلبك إذا حلفت لك عند الجبل؟ قال: نعم، قالت: متى شئت فعلت.

فلما خرج العابد لقضاء حاجته دخل عليها الشاب فأخبرته بما جرى لها مع زوجها و أنها تريد أن تحلف له عند الجبل و قالت ما يمكنني أن أحلف كاذبة ولا أقول لزوجي فيبهت الشاب و تحير و قال فما تصنعين؟ فقالت بكر غداً والبس ثوب مكار وخذ حماراً واجلس علي باب المدينة فاذا خرجنا فأنا أدعه يكثرى منك العمار فاذا اكتره منك بادر و احملني و ارفعني فوق العمار حتى احلف له و أنا صادقة أنه مامسني أحد غيرك وغير هذا المكاري، فقال: حباً وكرامة.

و أنه لما جاء زوجها قال لها قومي إلى الجبل لتحلفي به قالت مالي طاقة بالمشي فقال: اخرجي فان وجدت مكارياً أكثر من لك فقامت ولم تلبس لباسها فلما خرج العابد و زوجته رأيت الشاب ينتظرها فصاحت به يا مكاري اكترى كذا حمارك بنصف درهم إلى الجبل قال: نعم.

ثم تقدم و رفعها على العمار و ساروا حتى وصلوا إلى الجبل فقالت للشاب

انزلني عن الحمار حتى أصدع الجبل ، فلما تقدم الشاب إليها ألقت بنفسها إلى الأرض فانكشفت عورتها فشتمت الشاب فقال : والله مالي ذنب .

ثم مدت يدها إلى الجبل وحلفت له أنه لم يمسها أحد ولا نظر إنسان مثل نظرك إلى مذعرتك غيرك وهذا المكاري ، فاضطرب الجبل اضطراباً شديداً وزال عن مكانه وانكرت بنو إسرائيل فذلك قوله تعالى :

« وَإِنْ كَانَ مَسْرُومٌ لَتَرْؤُمُ اللَّيْلُ مِنْهُ الْجِبَالَ » .

وفي زهر الربيع كان في الهند رجل شجاع غيور وله امرأة جميلة فاتفق أنه سافر عنها ، فجلست يوماً على قصرها فرأت برهمن من براهمة الهند شاباً فحصل بينهما عشق و وصال و كان يأتي إليها متى ما أراد ، فخرجت يوماً إلى بيت جاراها وأتى ذلك الشاب إلى منزلها فلم يجدها فخرج في طلبها فلما دخلت أخذ الشاب الهندي سوطاً كان معه وضربها .

وكان في تلك الحالة أتى زوجها من السفر فقال لها برهمن : هذا زوجك أتى فكيف الحيلة ؟ فقالت : اضربني بهذا السوط فإذا دخل زوجي وسألك فقل إن هذه المرأة فيها صرع أتى إليها بعد سفرك و طلبوني لاعوذ بها بالأسماء و أقره عليها وأضربها حتى يخرج منها الجن ، فتكذرت على زوجها عيشه وخرج الشاب الهندي و بعد هذا صارت كلما اشتبهت وصال الشاب الهندي صرعت نفسها ومضى زوجها يلتمس من الهندي و الهندي يمن عليه ويأخذ منه حق الجعالة حتى يأتي إلى منزله لأجل أن يعوذها مما عنده فصار الرجل الغيور قواداً ديوناً .

وفي حكمة آل داود امرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجونها إلا من رضى الله عنه والمرأة السوء غل يلقيه الله في عنق من يشاء .

وقال داود عليه السلام المرأة السوء كالحملة الثقيل على الشيخ الكبير ، والمرأة الصالحة كالسراج المرصع بالذهب كلما رآها قررت عينه .

وعن مولينا أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى :

« رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً » قال عليه السلام : المرثة الحسنات الصالحة

« وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ » حورية من حور العين « وَفِي عَذَابِ النَّارِ »
امرأة السوء .

قال بعضهم .

لقد كنت محتاجاً إلى موت زوجتي و لكن قرين السوء باق معمر
فيايتها صارت إلى القبر عاجلاً و عذبها فيه نكير و منكر
أقول ، وحيث انجر الكلام إلى هذا المقام فينبغي أن نختمه بحديث المتكلمة بالقرآن
تذكرة للعاقلين وتنبيهاً للغافلين وإشارة إلى أن الأخبار المطلقة في مذمة النساء
محمولة على الأفراد الغالبة و إلا ففيها من لا يوجد مثلها في الرجال زهداً و ورعاً
و صلاحاً .

قال عبدالله بن المبارك : خرجت حاجباً إلى بيت الله الحرام فبينما أنا في بعض
الطريق فإذا أنا بسواد يلوح فاذا هي عجوز فقلت : السلام عليك ، فقالت : سلام
قولاً من ربِّ و حيم ، فقلت لها : يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان؟ قالت : ومن
يضلل الله فلا هادي له ، فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها: أين تريدين ؟ قالت :
سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، فعلمت أنها
قضت حجتها وتريد بيت المقدس .

فقلت لها : أنت منذكم في هذا الموضع ؟ فقالت : ثلاث ليال سوياً ، قلت : ما
أرى معك طعاماً تأكلين قالت : هو يطعمني ويسقين ، قلت : فبأي شيء تتوضين ؟ قالت :
فإن لم تجدوا ماء فتيتموا صعيداً طيباً قلت : إن معي طعاماً فهل تأكلين ؟ قالت :
و أتموا الصيام إلى الليل ، قلت : ليس هذا شهر رمضان قالت : ومن تطوع خيراً
فهو خير له ، قلت : قد ابيح لنا الأفاطار في السفر قالت : وأن تصوموا خير لكم
قلت : فلم لا تتكلمين مثل كلامي ؟ قالت : ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب
عتيد ، قلت : من أي الناس أنت ؟ قالت : و لا تقف ما ليس لك به علم إن السمع
و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ، قلت : قد أخطأت فاجعلني في حل .

قالت : لا تثرىب عليكم اليوم يغفر الله لكم ، قلت : فهل لك أن أحملك علي ناقتي فتدركني القافلة ؟ قالت : وما تفعلوا من خير يعلمه الله .

فأنخت ناقتي : فقالت : قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ، فغضضت بصرى عنها فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت : وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ، فقلت لها : اصبرى حتى أعقلها ، قالت : ففهمناها سليمان .

فشدوت لها الناقة فقلت : اركبي ، فركبت فقالت : سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، قال : فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسمى واصيح ، فقالت : واقصد في مشيك واغضض من صوتك ، فجعلت أمشى رويداً وترنم بالشعر فقالت : فاقراوا ماتيسر من القرآن ، فقلت لها : لقد اوتيت خيراً كثيراً ، قالت : وما يتذكر إلا أولوا الألباب .

فلما مشيت بها قليلاً قلت : ألك زوج ؟ قالت : يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبدلكنم تسوءكنم ، فسرت حتى أدركت القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها ؟ قالت : المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، فعلمت أن لها أولاداً قلت : وما شأنهم في الحج ؟ قالت : وعلامات وبالنجم هم يهتدون ، فعلمت أنهم أولاد الركب فقصدت بها القباب والعماريات (١) .

وقلت : : هذه القباب فمن لك فيها ؟ قالت : واتخذ الله إبراهيم خليلاً وكلم الله موسى تكليماً يا يعقوب خذ الكتاب بقوة ، فنادت يا إبراهيم يا موسى يا يحيى فاذا بشبان كأنهم الذنابير قد أقبلوا .

فلما استقر بهم الجلوس قالت : فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم بزرق منه ، فمضى أحدهم و اشتري طعاماً فقدموه فقالت كلوا و اشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية فقلت الآن طعامكم حرام على حتى تخبروني بأمرها فقالوا : إنها أمنا و لها منذ أربعين سنة لا نتكلم إلا بالقرآن مخافة أن نزل فيسخط عليها الرحمن .

تنبيه وتحقيق

قال الشارح المعتزلي في شرح هذا الكلام له عليه السلام: و هذا الفصل كله رمز إلى عايشة ولا يختلف أصحابنا في أنها أخطأت فيما فعلت ثم تابت و ماتت تائبة و أنها من أهل الجنة.

قال قال كل من صنّف في السير والأخبار إن عايشة كانت من أشدّ الناس على عثمان حتى أنها اخرجت ثوباً من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله فنصبتة في منزلها وكان تقول للدّاخلين إليها هذا ثوب رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبيل و عثمان قد أبلى سنته. قالوا أول من سمى عثمان نعثلاً عايشة و النعثل الكثير شعر اللحية والجسد، و كانت تقول اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً.

و روى المدائني في كتاب الجمل قال: لما قتل عثمان كانت عايشة بمكة وبلغ قتله إليها وهي بشراف فلم تشك في أن طلحة هو صاحب الأمر و قالت بعداً لنعثل و سحقاً ايه ذا الاصبع ايه أباشبل ايه يابن عم (١) لكأنتى انظر إلى اصبعه و هو يبايع له حثوا الابل و دعدعتها (٢) ثم قال و قال أبو مخنف: إن عايشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة أقبلت مسرعة وهي تقول ايه ذا الاصبع لله أبوك أما أنتم وجدوا طلحة لها (٣). كفواً

١- أراد به طلحة لأنّ طلحة و عايشة كلاهما من بنى تيم و لذلك كانت هواها في كون الامر بطلحة منه (ره).

٢- في نسخة ابن ابي الحديد التي عندي حثوا الابل بالناء المثلثة و دعدتها بالبدال المهملة و على ذلك فلفظ حثوا الابل من كلام عايشة امر بسوق الابل وحثها على السير و لفظه دعدعتها من كلام الراوى اى حركت عايشة ابلها للمدو و قال في القاموس والدعدع عدو في بطوء. ولكن في البعاز عن ابن ابي الحديد حثوها لابل و دعدعوها قال المجلسي (ره) في تفسيره اى جعلوا اصبعه منحنية للبيعة لابل و دعدعوها اى كسروها و بدوها لهجومهم على البيعة انتهى فعلى ما ذكره حثوها بالنون المهملة و دعدعوها بالذالين المعجمتين من الدعدع منه (ره).

٣- اى للخلافة.

فلما انتهت إلى شراف استقبلها عبيد بن أبي سلمة الليثي فقالت له : ما عندك ؟ قال : قتل عثمان قالت : ثم ماذا ؟ قال : ثم جاز بهم الامور إلى خير مجاز بايعوا علياً ، فقالت : لوددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تم هذا ويحك انظر ماذا تقول قال : هو ما قلت لك يا أم المؤمنين فولولت ، فقال لها : ما شأنك يا أم المؤمنين والله ما أعرف بين لابتيها أحداً أولنى بها منه ولا أحق ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته ، فلما ذا تكرهين ولايته؟ قال : فما ردت عليه جواباً .

وفي روضة الصفا وقال عبيدة بن أبي سلمة في هذا المعنى أياتنا منها قوله :

فمنك البدار ومنك المفر و منك الرياح و منك المطر

و أنت أمرت بقتل الامام و قاتله عندنا من أمر

قال أبو مخنف : وقد روى من طرق مختلفة أن عايشة لما بلغها قتل عثمان وهي بمكة قالت : أبعده الله ذلك بما قدمت يداه وما الله بظلام للعبيد .

قال : وقد روى قيس بن أبي حازم أنه حج في العام الذي قتل فيه عثمان

و كان معه عايشة لما بلغتها قتلته فتحمل إلى المدينة قال فسمعها تقول في بعض الطريق : ايد ذالاصبع و إذا ذكرت عثمان قالت : أبعده الله حتى أتتها خبربيعة عليّ فقالت : لوددت إن هذه وقعت على هذه ، ثم أمرت برد ركايبها إلى مكة فردت معها و رأيتها في مسيرها إلى مكة تخاطب نفسها كأنها تخاطب أحداً : قتلوا ابن عفان مظلوما .

فقلت لها : يا أم المؤمنين ألم اسمعك آنفاً تقول أبعده الله وقد كنت قبل أشدّ

الناس عليه و أقبحهم فيه قولاً فقالت : لقد كان ذلك ولكنني نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتى تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقتلوه .

ثم قال : قال أبو مخنف جاءت عايشة إلى أم السلمة تخادعها على الخروج للطلب

بدم عثمان ، فقالت لها : يا بنت أبي أمية أنت أول مهاجرة في أزواج رسول الله ﷺ و أنت

كبيرة أمهات المؤمنين و كان رسول الله ﷺ يقسم لنا من بيتك و كان جبرئيل أكثر

ما يكون في منزلك فقالت : أم السلمة : لأمر ما قلت هذه المقالة ؟ فقالت عايشة :

إنَّ عبد الله أخبرني أنَّ القوم استتابوا عثمان فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام وقد عزمتم الخروج إلى البصرة و معي الزبير و طلحة فاخرجي معنا لعَلَّ الله أن يصلح هذا الأمر على أيدينا و بنا.

فَقَالَتْ انا ام سلامة إنك كنت بالأمس تحرضين على عثمان و تقول فيه أخبت القول و ما كان أسمعه عندك إلا نعثلا و إنك لتعرفين منزلة علي بن أبي طالب عليه السلام كانت عند رسول الله ﷺ فاذكرك؟ قالت: نعم.

قالت: أتذكرين يوم أقبل عليه السلام ونحن معه حتى إذا هبط من قديد ذات الشمال خلا بعلي عليه السلام يناجيه فأطال فأردت أن تهجمين عليهما فنهيتك فعصيتني فهجمت عليهما فما لبثت أن رجعت باكية فقلت: ما شأنك؟ فقلت: إني هجمت عليهما وهما يتناجيان، فقلت لعلي: ليس لي من رسول الله ﷺ إلا يوم من تسعة أيام أفما تدعني يا بن أبي طالب و يومي فأقبل رسول الله ﷺ علي وهو غضبان محمر الوجه فقال: أرجعي و راءك والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلا هو خارج من الايمان، فرجعت نارمة ساقطة.

فقالت عايشة: نعم اذكر ذلك.

قالت و اذكرك أيضاً كنت أنا و أنت مع رسول الله ﷺ و أنت تغسلين رأسه و انا احيس له حيساً (١) و كان الحيس يعجبه فرفع ﷺ رأسه و قال: ليت شعري أيتكن صاحب صاحبته؟ الجمل الاذن (٢) تنبجها كلاب الحوئب فتكون ناكبة عن الصراط فرفعت يدي من الحيس فقلت أعود بالله و برسوله ﷺ من ذلك، ثم ضرب علي ظهره و قال ﷺ إياك أن تكونيها، ثم قال: يا بنت أبي أمية إياك أن تكونيها، يا حميراء أما

١- الحيس تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه و ربما جعل فيه السويق.

٢- في نسخة ابن ابي الحديد التي عندي لفظ الاذن بالذال والنون و لعله تصحيف والصحيح

ما في القاموس قال و الادب الجمل الكثير الشعر و باظهار التضعيف جاء في الحديث صاحبته الجمل الادب منه.

أنى فقد أنذرتك.

قالت عايشة : نعم اذكر هذا .

قالت واذكرتك أيضاً كنت أنا و أنت مع رسول الله ﷺ في سفر له و كان عليّ يتعاهد نعلي رسول الله ﷺ فيخصفها و يتعاهد أثوابه فيغسلها ، فبقيت له نعل يومئذ يخصفها و بعد في ظل سمره (١) و جاء أبوك و معه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى العجائب و دخلا يعادناه فيما أرادا ، ثم قالا : يا رسول الله إنا لاندري قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا من يستخلف علينا ليكون بعدك لنا مفرعاً ، فقال لهما : أما أنتى أرى مكانه ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو اسرائيل عن هارون بن عمران ، فسكتنا ثم خرجا ، فلما خرجنا إلى رسول الله قلت له : و كنت أجزء عليه منامن كنت يا رسول الله مستخلفا عليهم؟ فقال ﷺ : خاصف النعل ، فنزلنا ولم نر أحداً إلا علياً ، فقلت : يا رسول الله ما نرى إلا علياً ، فقال : هو ذاك .

فقال عايشة : نعم اذكر ذلك .

فقال فأتى خروج تخرجين بعد هذا ؟ فقال : إنما أخرج للإصلاح بين الناس و أرجو فيه الأجر إن شاء الله ، فقالت : أنت و رأيك فانصرفت عايشة عنها فكبت أم سلمة ما قالت و قيل لها إلى علي .

قال الشارح بعد نقل هذه الرواية : فان قلت فهذا نص صريح في إمامة عليّ عليه السلام فما تصنع أنت و أصحابك المعتزلة فيه؟

قلت : كلاً إنه ليس بنص كما ظننت لأنه لم يقل قد استخلفت و إنما قال لو استخلفت أحد الاستخلفته ، و ذلك لا يقتضي حصول الاستخلاف و يجوز أن يكون مصلحة المسلمين متعلقة بالتعب عليه لو كان النبي مأموراً بأن ينص عليّ إمام بعينه من بعده فيكون من مصلحتهم أن يختاروا لأنفسهم من شاؤوا إذا تركهم النبي و أراهم ولم يعين أحداً .

ثم قال : قال أبو مخنف : و أرسلت إلى حفصة تسألها الخروج والمسير فبلغ

ذلك عبدالله بن عمر فأتى اخته فعزم عليها فاقامت و حطت الرّجال بعد ما همّت .
قال : و كتب الأشر من المدينة إلى عايشة وهي بمكة : أمّا بعد فانك ظعينة
رسول الله وقد أمرك أن تقري في بيتك فان فعلت فهو خير لك ، فان أبيت إلاّ أن
تأخذ منسئتك (١) و تلتى جلبابك و تبدي للناس شعيراتك قاتلتك حتى أردك إلى
بيتك والموضع الذى يرضاه لك ربك .

فكتبت إليّ في الجواب أما بعد فانك أوّل العرب شبّ الفتنة ودعا إلى الفرقة
و خالفت الأئمة وقد علمت أنك لن تعجز الله حتى يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك
للخليفة المظلوم ، وقد جئني كتابك و فهمت ما فيه و سيكفينك و كلّ من أصبح
ممانلا لك في ضلالك و غيك إنشاء الله .

قال ابو مخنف : لما انتهت عايشة في مسيرها إلى الحوئب و هو ماء لبني عامر
ابن صعصعة نبحتها الكلاب حتى نفرت صعاب إبلها فقال قائل من أصحابها الأترو
ما أكثر كلاب الحوئب و ما أشد نباحها ، فأمسكت زمام بعيرها و قالت : و إنّه
لكلاب الحوئب ردّ و نى ردّ و نى فأتى سمعت رسول الله ﷺ يقول ، و ذكرت الخبر ،
فقال قائل . يرحمك الله فقد جزنا ماء الحوئب فقالت فهل من شاهد ؟ فلفقواها خمسين
أعرابيا جعلوا لهم جعلًا فحلفوا أن هذا ليس بماء الحوئب فسارت لوجهها .
انتهى ما أهمنا نقله من كلامه هبط مقامه .

أقول لا يخفى على الناقد البصير والذكيّ الخبير المراقب للعدل والانصاف
والمجانب للتعصب والاعتساف وجوه الدلالة فيما أورده الشارح و رواه على مطاعن
عايشة أمّ الفاسقين و فضايح المتخلّفين الذينهم أئمة النار و جنود ابليس اللعين ،
ولا يخفى عليه أيضا عصبية الشارح و من هذا حذوه من أصحاب المعتزلة في حقّ
الخاطئة و أوليائهم الثلاثة ولا بأس بالتنبيه على بعض تلك الوجوه فأقول :

اولا أن ما ذكره من خطاه الخاطئة مسلم و ما عقبه به من توبتها و كونها من
أهل الجنة ممنوع ولا بدّ للمدعى لها من الاثبات و أتى لهم بذلك ، بل الظاهر من

حالات عايشة و فرط بغضها و شدة عداوتها لعلّي هو العدم و يؤيد ذلك أنها كانت في مقام اللجاجة و العداوة مع خليفتهم عثمان حتى سمته نعلًا ، و التعلل على ما في القاموس الشيخ الأحمق و يهودي كان بالمدينة و رجل لحياني كان يشبه به عثمان إذا نيل منه و كانت تقول : اقتلوا نعلًا قتل الله نعلًا ، و كانت باقية على عداوتها بعد وفاته أيضاً حيث إنها كانت تقول بعداً لنعل و سحقاً و تقول أبعده الله ذلك بما قدمت يداها و ما ربك بظالم للعبيد ، و كذلك نار غضبها و نيرة حسدها لأمر المؤمنين عليهم السلام لم تكن بحيث تطفى .

بدلك على ذلك ما رواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين أن ابن الزبير دخل على عايشة في مرضها فقالت له إنني قاتلت فلانا و سمت المقاتل برجل قاتلته و قالت لوددت أني كنت نسيًا منسيًا ، فإن تعبيرها عنه عليه السلام بالرّجل و بفلان من دون أن يذكر لقبه الشريف أو اسمه السامي مقرونًا بالتعظيم تدلّ على فرط عصيبتها و استنكافها من التصريح بالاسم و اللقب .

و أظهر من ذلك ما رواه الشّراح في هذا المقام من أنه لما بعث أمير المؤمنين ابن عباس بعد انقضاء حرب الجمل إلى عايشة يأمرها بالرّحيل إلى المدينة قال لها : إن أمير المؤمنين عليه السلام أرسلني إليك بأمرك بالرّحيل إلى المدينة فقالت : و أين أمير المؤمنين ذلك عمر ، فقال : عمر وعلّي ، قالت : اثبت إلي أن قالت إنّي معجلة الرّحيل إلى بلادى انشاء الله و الله ما من بلد أبغض من بلد أنتم فيه .

فإن استكراهها من إطلاق لفظ أمير المؤمنين عليه الذي لقبه الله تعالى به و أمر رسوله بأن يأمر أصحابه على السلام عليه بامرة المؤمنين ، على ما ورد في غير واحد من الروايات ، دليل على كراهتها لحكم الله و إنكارها لأمر رسوله و ما ذلك إلا من فرط الحقد و الحسد .

و ببالي أني رأيت في بعض الروايات (١) أنها سمّت بعد وفات أمير المؤمنين

١- وهو رواية مسروق المروية في البحار من تلخيص الشافعي قال روى عن مسروق انه قال

و شهادته أحد غلمانه عبدالرحمن أخذاً من اسم عبدالرحمن قاتل أمير المؤمنين شعفاً بقتله و تيمناً باسمه .

و هنا لطيفة وهي أن بهلول العاقل مربيوما بجماعة يذاكرون الحديث ويروون عن عايشة أنها قالت : لو أدركت ليلة القدر لما سألت ربي إلا العفو و العافية ، فقال بهلول : و الظفر بعلي بن ابيطالب ، يعني أنها كانت أهم مسئولاً لأنها الظفر عليه عليه السلام . هذا كله مضافاً إلى أن توبتها لا يمكن أن تحصل بمجرد الندم على الخروج من البيت و الحرب بل يتوقف على التفضي عما أراقها من دماء المسلمين من الأنصار و المهاجرين و ما نهبت من بيت مال المسلمين إلى غير ذلك من المفساد و المظالم ، ولم يتحقق منها شيء من ذلك و أنى لها بذلك . و ثانياً أنها إن كانت صادقة في قولها أن عثمان قد أبلى سنة رسول الله ﷺ فعليه لعنة الله ، و إن كانت كاذبة فعليها غضب الله .

و ثالثاً أن اللازم عليها أن تكون سالماً لمن سالمه رسول الله ﷺ و حرباً لمن حاربه محبةً لمن أحبه و مبغضة لمن أبغضه و شعفاً بكون الخلافة لطلحة و استنكافها من كونها لأمر المؤمنين يدل على عكس ذلك . و ذلك لأن رسول الله ﷺ توفي وهو ساخط على طلحة للكلمة التي قالها يوم نزلت آية الحجاب على ما قدّمنا روايتها في تذييل الثاني من تذييلات الفصل الثالث من فصول الخطبة الثالثة ، وفي الطعن الثالث عشر من مطاعن عثمان التي أوردنا في التذييل الثاني من تذييلات كلامه الثالث و الأربعين و مات وهو راض عن أمير المؤمنين عليه السلام فكانت عايشة ساخطة لأمر المؤمنين راضية عن طلحة مؤذية لرسول الله مخالفة لرأيه طارحة للغيرة و الحمية .

و رابعاً أن هجومها على رسول الله و علي حين ما يتناجيان و قولها لعلي

دخلت على عايشة فجلست إليها فعدتني و استدعت غلاماً لها اسود يقال له عبدالرحمن فجاء حتى وقف فقالت يا مسروق اتدري لم سميت عبدالرحمن فقلت لا فقالت جأمتي بعد الرحمن بن ملجم منه .

ليس لي من رسول الله إلا يوم من تسعة أيام أفماتدعني يا بن أبي طالب ويومي ، يدل على قلة حيايتها وعدم مباليتها .

وخامسا أن قول رسول الله لها وهو غضبان محمرا الوجه : ارجعي ورائك والله لا يبغيه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلا وهو خارج من الايمان ، تدل على كونها مغيضة لأمر المؤمنين (عليهم السلام) خارجة من الايمان ورجوعها بعد إلى الايمان محتاج إلى البينة والبرهان ولم يثبت بالبديهة والعيان .

و سادسا أن سؤال رجلين عن رسول الله من الخليفة والخلافة في حال السفر مع عدم اقتضاء الحال والمقام لذلك لما عليهم من تعب السفر ووصيته إما أن يكون رعاية لمصلحة الاسلام وإشفاقاً للامة وشدة في الدين والايان أم استخباراً من وقت وفات الرسول وتحصيلاً للعلم بأنهما متى يكونان مطلقي العنان ، أم طمعاً منهم في الخلافة وحرصاً في الولاية ورجاء لأن ينص على أحدهما ويبدى البيان .

لا سبيل إلى الأول حتماً زعمه الشارح المعتزلي وصرح به في كلامه الذي حكيناه في أواخر المقدمة الثانية من مقدمات الخطبة الشنشقية وفي غيره من كلماته أيضاً في تضاعيف الشرح إذ لو كان غرضهما الرعاية لجانب الدين و الشفقة على الامة كان اللزم عليهما الاصرار على السؤال والاكمال في الكلام حتى يسفر لهما وضح الحق ، وكان ينبغي لهما بعد ما اجاب لهما رسول الله بقوله : إنني قد أرى مكانه ولو فعلت لتفرقتم عنه أن يقولوا : دلنا يا رسول الله على مكانه نعرفه ونلازمه و كيف يمكن أن تتفرق عنه بعد تعيينك إياه وأمرك باتباعه ، فلما لم يصر على السؤال ولم يتفوها بشي ، من ذلك وسكتا وخرجا بمجرد أن قال لهما رسول الله : أرى مكانه علم أن غرضهما لم يكن الاشفاق على الامة لحاظ مصلحة الاسلام وإنما كان الطمع في الخلافة فلما قال أرى مكانه بأسامنهما وعلمنا أن الخليفة غيرهما فسكتا وخرجا وسابعا أن قوله : لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو اسرائيل عن هارون ، لا يخفى ما في هذا التشبيه من النكتة ، فإن هارون كان وصي موسى و بنو اسرائيل قد تفرقوا عنه و اتخذوا عجلاً جسداً له خوار ، لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً فأظهر

صلوات الله عليه بهذا الكلام ما في قلبهما من النفاق و أعلمهم أنهم يتفرقون عن وصيته ولا يطيعون أمره كما خالف بنو اسرائيل موسى وتفرقوا عن هارون .

وثامنا أن إنكار الشارح لدلالة الرواية على خلافة أمير المؤمنين لا معنى له ، إذ قوله : لو فعلت لتفرقتم و إن لم يكن مستلزماً لوقوع الفعل إلا أن الضمير في أرى مكانه راجع إلى المسئول عنه وقد سألت عن المستخلف والمفزع فقال: أرى مكانه فيدل على أن المستخلف والمفزع كان موجوداً عين السؤال و إلا لزم أن يكون كلامه غير مطابق للواقع ونعوذ بالله من ذلك .

وهذا كله بعد الغض عن صحة الرواية و عن تصحيح العامة فيها و إلا فقد قدّمنا هذه الرواية من الاحتجاج في التنبيه الثاني من تنبيهات الكلام الثالث عشر وفيها أنهم قالوا : يا رسول الله فهل استخلفت أحداً ؟ قال : ما خليفتي فيكم إلا خاصف النعل فمرّ عليّ وهو يخرصف نعل رسول الله ، وعليه فالرواية ناصّة على خلافته من هذه الجهة أيضاً .

و تاسعا ما زعمه الشارح من جواز كون المصلحة في اختيار الأمة لأنفسهم من شأوا و ترك النبي لهم آرائهم فاسد جداً ، إذ قد أثبتنا في المقدمة الثانية من مقدمات الخطبة الشششقية وجوب عصمة الامام ، والعصمة ملكة خفية لا يمكن أن يبلغها الجهال و الضلال و يدركوها بأوهامهم فيقيموا إماما بآرائهم .

و قد مرّ في شرح الخطبة الثانية إبطال الرضا عليه السلام لهذا الزعم الفاسد والرأي الكاسد حيث قدّمنا هناك منه رواية شريفة في معرفة شأن الامام و قوله عليه السلام فيها : إن الامامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانبا وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماما باختيارهم إلى آخر ما قاله ، وفيه كفاية لمن له علم ودراية هذا .

وقد مرّ في شرح الكلام الثالث عشر بعض مطاعن عايشة و شطر من الكلام فيها فليراجع نعمة .

الترجمة

از جمله خطبه‌های آن حضرتست بعد از انقضاء حرب جمل در مذمت زنان میفرماید و مقصود آن حضرت طعن بر عایشه بود و توییح باهل بصره که تابع آن خاطئه بودند :

جماعة مردمان بدرستی که طایفه زنان ناقص‌الایمانند و ناقص‌النصیبند و ناقص‌العقلند اما نقص ایمان ایشان پس نشستن ایشان است از نماز و روزه در ایام حیضشان ، و اما نقصان عقل ایشان پس شهادت دو زن مثل شهادت یک مرد است ، و اما ناقص بودن نصیب ایشان پس میرانهای ایشان بر نصفهاست از میراث مردان ، پس بترسید از بدترین زنان و بباشید از خوبترین آنها بر حذر ، و اطاعت نکنید آنها را در کارهای پسندیده تا اینکه طمع نمایند در کارهای ناپسندیده ، و نعم ماقیل :

زن بد در سرای مرد نکو هم‌درین عالمست دوزخ او
زینهار ازقرین بد زینهار و قنا ربنا عذاب النار

و من خطبة له عليه السلام وهي الثمانون من المختار

فی باب الخطب

أَيُّهَا النَّاسُ الزَّهَادَةُ قَصْرُ الْأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النَّعْمِ، وَالْوَرَعُ عِنْدَ
الْمَحَارِمِ، فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ، فَلَا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ، وَلَا
تَنْسَوُا عِنْدَ النَّعْمِ شُكْرَكُمْ، فَقَدْ أَعَدَّ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ وَكُتُبٍ
بَارِزَةٍ الْعُذْرَ وَاضِحَةٍ.

اللفظة

(الزَّهَادَةُ) كسعادة والزهد بمعنى وهو ترك الميل إلى الشيء، وفي الاصطلاح

إعراض النفس عن الدنيا وطيباتها ، وقيل : هو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة
و (عزب) الشيء بالعين المهملة والزاء المعجمة غاب و ذهب و (أعذر الله إليكم)
أظهر عذره و الأظهر أن يكون الهمزة للسلب كما قيل في الحديث : أعذر الله إلى
من بلغ من العمر ستين سنة ، أى أزال عذره قال في النهاية أى لم يبق فيه موصفا
للاعتذار حيث أمهله طول هذه المدة ولم يعتذر.

الاعراب

الواو في قوله و الشكر و الورع عاطفة تفيد الجمع مع المصاحبة ، قوله :
و كتب بارزة العذر واضحة ، اعلم أنه قد حقق في الأديبية أن النعت لا بد أن يطابق
منعوته في وجوه الاعراب الثلاثة الرفع والنصب و الجر و في التعريف و التنكير
تقول جاء زيد الفاضل بالرفع فيهما و جائني رجل فاضل كذلك وهكذا .
و أن يطابقه في الافراد و التثنية و الجمع و التذكير و التأنيث أيضا إن اسند
النعت إلى ضمير المنعوت حقيقة أو تأويلا و نعى بالاسناد الحقيقي ان يجرى النعت
على من هو له ، تقول جائتني امرأة كريمة و رجل كريم ورجلان كريمان و رجال
كرام وهكذا ، ففي الوصف في الجميع ضمير مستتر عايد إلى الموصوف باعتبار حاله
في التأنيث و نقيضه و الافراد و نقيضيه ، و نعى بالاسناد التأويلي أن يجرى النعت على
غير من هو له إذا حوّل الاسناد عن الظاهر إلى ضمير المنعوت .

و جرّ الظاهر بالاضافة إن كان معرفة و نصب على التمييز إن كان نكرة تقول
جائتني امرأة كريمة الاب بالاضافة أو كريمة أبا بالتمييز و جائني رجلان كريما الاب
أو كريمان ابا و رجال كرام الآباء أو كرام آباء فإن الوصف في جميع ذلك رافع
ضمير الموصوف تحويلا و تأويلا .

و ان اسند النعت إلى الاسم الظاهر أو إلى الضمير البارز لا يلاحظ حال
المنعوت في الافراد و نقيضيه و التذكير و نقيضه بل يعطى الوصف حكم الفعل تقول :
مررت برجل قائمة امه و بامرئة قائم أبوها كما تقول قامت امه و قام أبوها و هكذا
تقول أيضا جائني غلام امرئة ضاربة هي و أمة رجل ضاربها هو ، كما تقول ضربته هي

وضربه هو وهكذا .

إذا عرفت ذلك فأقول : إنَّ قوله ﷺ بارزة العذر صفة للكتب مسند إلى ضمير موصوفه تأويلاً ، وقوله واضحة صفة أيضاً لكنها مسندة إلى الضمير حقيقة أو محذوفة الفاعل بقرينة المذكور ، ولذلك وافقتا مع الموصوف في الأعراب والتأنيث والتنكير وإنما أتى بهما مفرداً إما باعتبار فاعلهما أو باعتبار تأويل الموصوف بالمفرد فافهم .

المعنى

اعلم أنَّ مقصوده بهذه الخطبة بيان معنى الزهد والتنبيه على لزومه لكونه من عظام مكارم الصالحين وجلال صفات المتقين وعمدة مقامات السالكين إلى الله تعالى بقدمي الطاعة واليقين ، والرغبة ضدّه والأول من جنود العقل والتساني من جنود الجهل وقد فسره بقوله (أيها الناس الزهادة قصر الأمل والشكر عند النعم والورع عن المحارم) وهذه الثلاثة من لوازم الزهد فيكون تعريفاً بالخاصة المركبة وإنما قلنا إنها من لوازمه لأنَّ الزهد في الحقيقة عبارة عن أعراض النفس عن الدنيا وإقبالها إلى الآخرة ، ومن هنا قيل إنّه جعل القلب حياً بمشا هدة أحوال الآخرة وميتاً في طمع الدنيا ، ومن المعلوم أن أعراض النفس عن الدنيا مستلزم قصر الأمل فيها ، والإقبال إلى الآخرة مستلزم للشكر إذ الكفران موجب للعذاب باعث للسخط والعقاب كما قال تعالى :

« وَ لَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّا عَذَابِي لَشَدِيدٌ » .

وكذلك يلزمه الورع عن المحارم والكف عنها إذ لا ينال ما عند الله إلا بالورع قال الصادق ﷺ في رواية الوسائل : عليكم بالورع فإنه الدين الذي تلازمه وندب الله تعالى به ونريده ممن يوالينا لاتعمبونا بالشفاعة

وفي حديث أبي ذر قال رسول الله ﷺ : يا أبا ذر من لم يأت يوم القيامة بثلاث فقد خسر ، قلت : وما الثلاث فذاك أبي وأمي ؟ قال : ورع يحجزه عما حرم الله عز وجل عليه ، وحلم يرد به جهل السفيه ، وخلق يدارى به الناس ، هذا .

و لما كان ملازمة هذه الأمور الثلاثة بأجمعها شاقّة صعبة في حقّ الأغلب من الناس لاجرم رخص لهم في طول الأمل بقوله (فان عزب) و بعد (ذلك عنكم فلا يقلب الحرام صبركم ولا تنسوا عند النعم شكركم) يعني أنكم إن لم تتمكنوا من الاتيان بالامور الثلاثة فلامحالة لاتركوا الاثنين إذ ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه، وإنما رخص في ترك طول الأمل ولم يرخّص في ترك الشكر أو الورع لأنّ طول الأمل ليس محرماً بالذات و إن كان ينجر إلى المحرم أحياناً بخلاف الكفران والتفحم في المعاصم ، فانهما محصرمان بالذات والترخيص فيهما موجب للانغراء بالقبیح. ثمّ اكد ملازمة الزّهادة و علل لزومها بقوله (فقد أعذر الله اليكم بحجج مسفرة و كتب بارزة العذر واضحة) يعني أظهر عذره إليكم في تعذيبكم لو خالفتم تكاليفه باقامة الحجج الظاهرة المضيئة و إنزال الكتب الواضحة التي أبرز فيها عذره ، ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حی عن بينة ، و لتلايكون للناس على الله حجة بعد الرّسل.

أو أنّه سبحانه أزال عذره باقامة البراهين العقلية والنقلية والحجج الباطنية والظاهرية فلم يبق لكم مقام للاعتذار وأن تقولوا يوم القيامة ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذلل ونخزي .

تبصرة

ينبغي أن نشير الى بعض ما ورد في فضيلة صفة الزّهادة و ذمّ نقيضها أعني الرغبة من الآيات و الأخبار و نردف ذلك بذكر اقسام الزهد .
فأقول قال سبحانه:

« فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا

يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ، وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ وَ يَلْمُوكُمْ • ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا وَ لَا يُلْقِيهَا إِلَّا

الصَّابِرُونَ».

فنسب الزَّهْدَ إِلَى الْعُلَمَاءِ وَوَصَفَ أَهْلَهُ بِالْعِلْمِ ، وَهُوَ غَايَةُ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ وَقَالَ :

« وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ » وَقَالَ « مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ
الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ
فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ » .

وَأَمَّا الْأَخْبَارُ فَقَالَ الْكَافِي فِي بَابِ ذَمِّ الدُّنْيَا وَالزَّهْدِ فِيهَا بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْمَيْثَمِ بْنِ
وَاقِدِ الْحَرَبِيِّ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا أَثْبَتَ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فِي
فِي قَلْبِهِ وَأَنْطَقَ بِهَلسَانِهِ وَبَصَّرَهُ بِعُيُوبِ الدُّنْيَا دَائِمًا وَدَوَائِمِهَا وَأَخْرَجَهُ مِنَ الدُّنْيَا
سَالِمًا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ .

وَعَنْ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : سَمِعْتَهُ يَقُولُ جَعَلَ الْخَيْرَ كُلَّهُ فِي
بَيْتٍ وَجَعَلَ مِفْتَاحَهُ الزَّهْدَ فِي الدُّنْيَا .

وَعَنْ أَبِي حَمْزَةَ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ مِنْ أَعْوَنِ الْأَخْلَاقِ
عَلَىٰ الدُّنْيَانِ الزَّهْدَ فِي الدُّنْيَا .

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ هَاشِمٍ بْنِ الْبَرِيدِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا
السَّلَامُ عَنِ الزَّهْدِ فَقَالَ : عَشْرَةُ أَشْيَاءَ فَأَعْلَىٰ دَرَجَةُ الزَّهْدِ أَدْنَىٰ دَرَجَةِ الْوَرَعِ ، وَأَعْلَىٰ
دَرَجَةُ الْوَرَعِ أَدْنَىٰ دَرَجَةِ الْيَقِينِ ، وَأَعْلَىٰ دَرَجَةِ الْيَقِينِ أَدْنَىٰ دَرَجَةِ الرِّضَا أَلَا وَإِنَّ
الزَّهْدَ فِي آيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :

« لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَيْكُمْ » .

وَعَنْ سَفِيَانَ بْنِ عَيْنَةَ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَقُولُ : كُلُّ قَلْبٍ فِيهِ
شَكٌّ أَوْ شَرِكٌ فَهُوَ سَاقِطٌ ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا بِالزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا لِنُفْرَاقِ قُلُوبِهِمْ فِي الْآخِرَةِ

و عن محمد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام إن علامة الرّاعب في نواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الحياة الدنيا ، أما إن زهد الزّاهد في هذه الدنيا لا ينقصه ممّا قسم الله عزّ وجلّ له فيها وإن زهد ، وإن حرص الحرّص على عاجل زهرة الدنيا لا يزيد به فيها و إن حرص ، فالمغبون من حرّم حفظه من الآخرة .

الى غير ما في هذا المعنى من الروايات ، وقد عقد في الكافي بابها ومضى شرط منها في شرح الخطبة الثامنة والعشرين اذا عرفت ذلك فلنذكر اقسام الزّهد . فأقول أنّه ينقسم على ما ذكره أبو حامد الغزالي في احياء العلوم ، تارة بالنظر الى نفسه ، و اخرى بالنظر الى المرغوب فيه ، و ثالثة بالنظر الى المرغوب عنه . اما الاول فهو أنّه يتفاوت بحسب الشدّة والضعف والكمال والنقصان على مراتب ثلاث .

المرتبة الأولى وهي السفلى أن يزهد في الدنيا و هو لها راعب والقلب اليها مايل و نفسه لها مشتبهة و لكنّه يجاهدها و يكفّها و هذا يسمى المتزهد . المرتبة الثانية ترك الدنيا طوعا لاستحقاقه إيّاها بالاضافة إلى ما طمع فيه كالذي يترك درهمين لأجل درهمين فانه لا يشقّ عليه ذلك و إن كان يحتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا الزّاهد لا محالة يرى زهده و يلتفت إليه و يكون معجباً بنفسه و يزهد و يظن في نفسه أنّه ترك شيئاً له قدر لما هو أعظم قدراً منه . المرتبة الثالثة وهي العليا الزّهد طوعا و الزّهد في الزهد بأن لا يرى زهده إذ لا يرى أنّه ترك شيئاً لمعرفته بأن الدنيا لا شيء كمن ترك قنطرة و أخذ جوهرة فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركاً شيئاً إذا لدنيا بالنسبة الى الآخرة أحسن من قدرة بالنسبة إلى الجوهرة فهذا هو الكمال في الزّهد و سببه كمال المعرفة .

و اما الثاني فهو أنّه ينقسم بالنسبة إلى المرغوب فيه أيضا على ثلاث مراتب . المرتبة الاولى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار و من ساير الآلام

كعذاب القبر و طول الحساب و خطر الصراط و ساير ما بين يدي الانسان من الأهوال على ماوردت في الأخبار.

المرتبة الثانية أن يكون المرغوب فيه اللذايذ الموعودة والنعم الموجودة في الجنة من الحور والقصور والأ نهار والأ نمار وسائر ما أعدت للمتقين وهذا زهد الراجين فانهم لم يتركوا الدنيا قناعة بالعدم و خلاصا من الألم و إنما تركوها رغبة في وجود دائم و طمعا في نعمة غير منقطعة.

المرتبة الثالثة أن لا يكون له رغبة إلا في الله و في لقائه فلا يكون له توجه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ، ولا التفات إلى النعم ليقصد الفوز بها ، بل هو مستغرق اللهم بالله و هو الذي أصبح و همته هم واحد ، و هو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله إذ طلب غيره سبحانه لا يخلو من شرك خفي .

و هذه المرتبة مختصة بالتأمين في المحبة والكمالين في مقام الرضا ، وليس غرضهم إلا تحصيل الرضوان والالهم نظر إلى الحور والقصور وسائر اللذايذ الموجودة في الجنان لأن لذايذ الجنة كلها عندهم بالنسبة إلى لذة الاستغراق و الفناء مثل لذة اللعب بالعصفور والاستيلاء عليه بالنسبة إلى لذة الملك والاستيلاء على أطراف الأرض و رقاب الخلق ، والطالبون للنعيم الجنة عند أهل المعرفة والكمال كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة السلطنة والملك من حيث قصوره عن ادراك هذه اللذة و إلى هذه أشير في قوله:

« وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . »

اي الرضوان من الله اكبر من جميع ما في الجنات من اللذات و هو الفوز العظيم اذ هو غاية كل لذة و منتهى كل سعادة يستحققونه كل بهجة.

وأما الثالث أعنى الانقسام بالنسبة إلى المرغوب عنه فنقول : إن الأقسام بالنسبة إلى ذلك كثيرة غير محصورة إلا أن هناك مجامع محيطية بها إجمالاً وهي أيضاً متفاوتة المراتب بعضها أجمل و بعضها أشرح لآحاد الأقسام و أقرب إلى التفصيل .

أما الاجمال في الدرجة الأولى فهو كل ما سوى الله فينبغي أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه أيضاً .

و أما الاجمال في الدرجة الثانية فهو أن يزهد في كل صفة للنفس فيها تمتع و شهوة ، وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها .

و أما الاجمال في الدرجة الثالثة فهو أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النفس .

و أما الاجمال في الدرجة الرابعة فهو أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه إذ الأموال و إن كثرت أصنافها فيجمعها الدينار والدرهم ، والجاه و إن كثرت أسبابه فيرجع إلى العلم والقدرة و أعنى به كل علم و قدرة يتعلق بملك القلوب فإن المقصود بالجاه ملك القلوب والقدرة والاستيلاء عليها مع الشعور بذلك كما أن المقصود بالمال ملك الأعيان والقدرة عليها ، فان جاوزنا عن هذا التفصيل الاجمالي إلى شرح و تفصيل أبلغ من ذلك يكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر ، وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها فقال :

« زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْهَابِ » .

ثم ردها في آية اخرى إلى خمسة فقال عز وجل:

« إِنَّا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي

الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ . . »

ثم ردها في موضع آخر الى اثنين فقال تعالى:

« إِنَّا الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهْوٌ . . »

ثم رد الكلد الى واحد فقال:

« وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ »

فالهوى لفظ جامع لجميع حظوظ النفس في الدنيا فينبغي أن يكون الزهد فيه ، فأعلى مراتب الزهد بالنسبة إلى المرغوب عنه هو الزهد عن ماسوى الله ، وبعدها الزهد عن حظوظ النفس وادناسها الزهد عن المحرمات الشرعية ، والله ولي التوفيق .

الترجمة

از جمله خطب آن مقتدای عالمیان است که ترغیب فرموده مردم را بآن بورع و زهدات و شکر و سپاس حضرت عزت باین نحو که:

أی مردمان زاهد بودن کوتاهی آرزوهاست و شکر کردن است بر نعمتها و پرهیز کاریست از حرامها ، پس اگر بعید باشد اجتماع این امور از شما پس لازم است که غالب نشود حرام صبر شما را و فراموش ننمایید نزد نعمتها شکر گذاری خود را ، پس به تحقیق که اظهار فرمود حضرت کرد کار عذر خود را بسوی شما در تعذیب شما بحجتهای روشن و نمایان و کتابهای سماویه که عذر آن ظاهر است و عیان در میان مردمان .

و من كلام له عليه السلام في صفة الدنيا
وهو الحادي والثمانون من المختار في
باب الخطب

مَا أَصْفُ مِنْ دَارٍ أَوْ لَهَا عَنَاءٌ ، وَ آخِرُهَا فَنَاءٌ ، فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ ،
وَ فِي حَرَامِهَا عِقَابٌ ، مَنْ اسْتَعْنَى فِيهَا فُتِنَ وَ مَنْ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ ، وَ مَنْ
سَاعَاهَا فَاتَتْهُ ، وَ مَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَ اتَتْهُ ، وَ مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصْرَتَهُ ، وَ مَنْ
أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتَهُ .

قال السيد: أقول: و إذا تأمل المتأمل قوله عَلَيْهَا: من أبصر بها بصيرته ،
و جد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا يبلغ غايته ولا يدرك غوره ، ولا
سيما إذا قرن إليه قوله: و من أبصر إليها أعمته، فإنه يجد الفرق بين أبصر بها وأبصر إليها
واضحاً نيراً وعجيباً باهراً.

اللغة

(العناء) بالمدّ التّعب والمشقة و (فتن) بالبناء على المجهول من الفتنة بمعنى
الضلالة و (حزن) بالبناء على المعلوم من باب فرح (واتته) من المواتاة قال الطريحي:
و هو حسن المطاوعة والموافقة و أصله الهمزة خفف و كثر حتى يقال بالو أو الخالصة
و منه الحديث: خير النساء المواتية لزوجها، و في المصباح اتيته على الأمر و افقته و في لغة
لأهل اليمن تبدل الهمزة و أوأ فيقال و اتيته على الأمر مواتاة و هي المشهورة على السنة
الناس و (الغور) بالفتح من كل شيء قره.

الاعراب

الضمير في قوله فاتته منصوب المحل بنزع الخافض أي فاتت منه ، و الباء في قوله من أبصر بها للاستعانة أعني الداخلة على آلة الفعل ، وتعدية أبصر بالحرف في قوله و من أبصر إليها مع كون الفعل في أصله متمدياً بنفسه إما من أجل تضمينه معنى التوجه و الالتفات ، أو من أجل تضمين معنى النظر و الأول أنسب و أقرب لزيادة ظهور الفرق الذي أشار إليه السيد بين الفعلين أعني الجملتين على ذلك ، وإن كان الثاني صحيحاً أيضاً ، و غايته و غوره إما بالرفع على النيابة عن الفاعل و إما بالنصب على كون الفعلين مبنياً للمعلوم و فاعلهما الضمير المستتر الرجوع إلى المتأمل .

المعنى

اعلم أن هذا الكلام له ^{فصل} مسوق للتفسير عن الدنيا والذم لها وقد ذكر من أوصافها أموراً عشرة .

الأول قوله (ما أصف من دار أو لها عناء) أي مشقة و تعب و ذلك لأن مبدئه نشور الانسان على ما حقق في الطب هو الماء الدافق يخرج من بين الصلب و الترائب ، و ذلك الماء إذا وقع في الرحم اختلط بماء المرأة ودمها وغلظ ثم الريح يمحض ذلك الماء حتى يتركه كالرائب الغليظ ، ثم يقسمه في الأعضاء ، فإن كان ذكراً فوجهه قبل ظهور أمه ، وإن كان أنثى فوجهها قبل بطن أمها و ذقنه على ركبتيه ويداه على جنبيه مقبض في المشيمة كأنه مصرور في صرة و يتنفس من متنفس شاق و ليس منه عضو إلا كأنه مغموط (١) فوقه حر البطن و تحته ما تحته ، وهو منوط بمعاها من سرته إلى سرة أمه و منها يمتص و يعيش من طعام أمه و شرابها .

فهو بهذه الحالة في الغم و الظلمات والضيق حتى إذا كان وقت ولادته سلط الله الريح على بطن أمه و قوى عليه التحريك فتصوب رأسه قبل المخرج فيجد من ضيق المخرج و عصره ما يجده صاحب الرهق ، فإذا وقع على الأرض فأصابته ريح أمهسته

١ - هو من القماط وهي الغرقة العريضة التي يقط أي يشدها الصبي، لنة

يدوجد من ذلك من الألم مالا يجده من سلخ جلده .

ثم هو في ألوان من العذاب إن جاع فليس له استطعام وإن عطش فليس له استسقاء ،
أو وجع فليس له استغائة مع ما يلقاه من الرفع والوضع واللف والحل إذا أُنيم على
ظهره لا يستطيع تقلباً أو أقعد لا يستطيع تمدداً .

فلا يزال في أصناف هذا العذاب مادام رضيعاً فإذا أفلت من ذلك أخذ بعذاب
الأرب فأذيق منه ألواناً ، وإذا أدرك فهم المال والأولاد والشره والحرص ومخاطرة
الطلب والسعي .

و كل هذا يتقلب فيها معه أعدائه الأربعة : المرأة والبلغم والدم والريح ،
والسم المميت والحيات اللاذعة مع خوف السباع والناس و خوف البرد والحر ثم
ألوان أوصاب الهرم إن بلغه .

(و) الثاني إن (آخرها فناء) إذ كلُّ نفس ذاتقة الموت ، مشرفة على الفوت
ومفارقة للأهل والأولاد مهاجرة عن الوطن والبلاد ، و كلُّ شيء هالك إلا وجهه
و كلُّ إنسان ملاق ربه .

والثالث أنه (في حلالها حساب) قال سبحانه:

« إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ » وقال أيضاً « وَإِنْ كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَنْتِنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ » وقال « وَوَجَدَ اللَّهُ
عِنْدَهُ فَوْقَ يَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ »

قال الطبرسي لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الجميع على أفعالهم في حالة واحدة
وسئل أمير المؤمنين (عليه السلام) كيف يحاسبهم في حالة واحدة؟ فقال: كما يرزقهم في
حالة واحدة .

واعلم أن الحساب في القيامة مما يجب أن يؤمن به وأما أن المحاسب عليه
والمسئول عنه ماذا فقد اختلف فيه الأخبار فبعضها كالاتي واردة على نحو العموم
أد الاطلاق و بعضهم مخصوصة أو مقيدة .

ففي النبوي المعروف بين الخاصة والعامة قال رسول الله ﷺ لا يزال قدم عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأل عن أربع خصال: عمرك فيما أفنيته وجسدك فيما أبليتة ، و مالك من أين اكتسبته وأين وضعته ، و عن حبنا أهل البيت ، فقال عمر بن الخطاب : و ما علامة حبكم يا رسول الله ﷺ ؟ فقال : محبة هذا ، و وضع يده على رأس أمير المؤمنين عليّ.

و روى الصدوق بإسناده عن ابراهيم بن العباس الصولي قال : كنا بين يدي عليّ بن موسى الرضا عيها السلام فقال : ليس في الدنيا نعيم حقيقي ، فقال له بعض الفقهاء ممن بحضرة : قول الله عز وجل :

« ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ »

أما هذا النعيم في الدنيا و هو الماء البارد ، فقال له الرضا عيها السلام و علاصوته؛ هكذا فسرتموه أنتم و جعلتموه على ضرب فقالت طائفة : هو البارد من الماء ، وقال غيرهم هو الطعام الطيب ، و قال آخرون : هو النوم الطيب .

ولقد حدثني أبي عن أبيه أبي عبد الله عيها السلام إن أقوالكم هذه ذكرت عنده في

قوله تعالى :

« لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ »

ففضب و قال : إن الله تعالى لا يسأل عباده عما تفضل عليهم به ولا يمن بذلك عليهم والامتنان مستقبح من المخلوقين فكيف يضاف إلى الخالق عز وجل ما لا يرضى به للمخلوقين ، ولكن النعيم حبنا أهل البيت و موالاتنا يسأل الله عنه بعد التوحيد و النبوة لأن العبد إذا وافى بذلك أداه الى نعيم الجنة الذي لا يزول .

ولقد حدثني بذلك أبي عن محمد بن عليّ عن أبيه عن الحسين بن عليّ عن أبيه عليهم

السلام أنه قال له و قال قال رسول الله ﷺ : يا عليّ أول ما يسأل عنه العبد بعد موته شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله و أنك وليّ المؤمنين بما جعله الله فجعلته خلك فمن أقرّ

بذلك و كان معتقده صار إلى النعيم الذي لازواله.
 و في جامع الأخبار و غيره عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة أمر
 الله تعالى منادياً فينادى أين الفقراء ؟ فيقوم عنق من الناس فيؤمر بهم إلى الجنة فيقول
 خزنة الجنة بقبل الحساب. فيقولون ما اعطونا شيئاً فيحاسبونا عليه ، فيقول الله تعالى :
 صدقوا عبادي ما أقفرتكم هو انابكم ولكن ادخرت بهذا لكم بهذا اليوم ، انظروا و اتصفحوا
 وجوه الناس فمن أتى إليكم معروفاً فخذوا بيده و ادخلوا الجنة.
 و عن الارشاد عن النبي صلى الله عليه وآله و آله و صحبه و التابعين تدخل الفقراء على الجنة قبل الأغنياء بنصف
 يوم و مقداره خمسمائة عام هذا .

و قال المحدث المجلسي في كتاب حق اليقين : إنَّ المعلوم من الآيات والأخبار
 أنَّ الحساب والسؤال حق و أما الخصوصية في المسئول والمسئول عنه والمحاسب
 والمحاسب عليه فغير معلومة .

فذهب جمع إلى أن السؤال من جميع النعم والأموال الدنيوية ، و يدل
 عليه الأخبار الخاصة والعامة الدالة على أن في حلالها حساباً و في حرامها
 عقاباً ، والمستفاد من طائفة من الروايات أن المؤمن لا حساب عليه ، و في بعضها
 أنه لا حساب في المأكول والملبوس والمنكوح ، و يستفاد من بعض الأخبار أن قوماً
 يدخلون الجنة بغير حساب كما مر في رواية جامع الأخبار و من بعضها أن بعض
 الأعمال الصالحة يوجب دخول صاحبه على الجنة بلا حساب ، فهذه مخصوصة لعمومات
 أدلة الحساب .

و يمكن الجمع بين الروايات بوجهين .

أحدهما حمل الأخبار النافية للحساب على انتفائه في حق المؤمن والأخبار

المثبتة على ثبوته في حق غير المؤمن .

والثاني حمل الأخبار الأولية على عدمه في الأمور الضرورية مثل الثلاثة

السابقة و حمل الأخبار الثانية على وجوده في غير الأمور الضرورية كالاسراف

والتبذير والصرف في المحرمات والكسب من غير الوجوه المشروعة أو زبداً على

قدر الحاجة الموجب تحصيله لتضييع العمر و تنويت الزمان فافهم .

(د) الرابع أنه (في حرامها عقاب) و هو واضح لاغبار عليه ، و إلى هذا

الوصف وسابقه نظر الشاعر في قوله:

الدَّهْرُ يَوْمَانِ فِيَوْمٍ مَضَى عنك بما فيه و يوم جديد
حلالٌ يَوْمِيكَ حَسَابٌ وَ فِي حرام يوميك عقاب شديد
تَجْمَعُ مَا يَأْكُلُهُ وَ ارْتِ و أنت في القبر وحيد فريد
أَنْبَى لَغَيْرٍ وَاعْظُ تَارِكٌ نفسى و قولى من فعالى بعيد
حِلَاوَةُ الدُّنْيَا وَ لَذَاتِهَا تكلف العاقل مالا يريد

الخامس ان (من استغنى فيها فتن) لأن الاستغناء شاغل عن ذكر الله مضل

عن سبيل الله فهو بلاه ابتلاه الله به كما نطق به انقرآن الكريم .

« إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ » .

(د) السادس ان (من افتقر فيها حزن) لظهور أن الافتقار فيها لطالبها موجب لشدة

المحنة ومنتهى الحزن و الكآبة .

و في جامع الأخبار قال النبي صلى الله عليه وآله الفقر أشد من القتل ، و قال أوحى الله

إلى إبراهيم فقال يا إبراهيم خلقتك و ابتليتك بنازمرود فلو ابتليتك بالفقر و رفعت

عني الصبر فما تصنع ؟ قال إبراهيم : يا رب الفقر إلى أشد من نار نمرود قال الله

تعالى : فبغزتي و جلالي ما خلقت في السماء و الأرض أشد من الفقر الحديث .

و قال صلى الله عليه وآله الفقر الموت الأكبر ، و قال لولا رحمة ربي علي فقراء امتي كاد

الفقر أن يكون كفراً هذا .

و لشدة دعا سيد العابدين و زين الساجدين سلام الله عليه و على آباءه

الطاهرين أن يصرفه الله عنه ولا يبتليه به حيث قال:

اللهم لا طاقة لي بالجهد ولا صبر لي على البلاء ولا قوة لي على الفقر فلا تخطر

علي رزقي ولا تكني إلي خلقك بل تفرّد بحاجتي و تولّ كفايتي وانظر الي و انظر لي في جميع

اموري فانك إن وكلتني إلى نفسي عجزت عنها ولم اقم ما فيه مصلحتها وإن وكلتني إلى خلقك توجهموا لي و إن الجأنتي إلى قرابتي حرمني و إن أعطوني اعطوني قليلا نكدأ و منوا على طويلا و ذموا كثيراً بفضلك اللهم فأغني و بعظمتك فانهشني ، و بسعتك فابسط يدي و بما عندك فاكفني .

(و) السابع ان (من ساعاها فاته و) الثامن ان (من قعد عنها و انته) و عللها السارح البحراني بأن أقوى أسباب هذا الفوات أن تحصيلها أكثر ما يكون بمنازعة أهلها عليها و مجازبتهم (١) إيتاها وقد علمت ثوران الشهوة والغضب والحرص عند المجاذبة للشيء ، و قوة منع الانسان له و تجاذب الخلق للشيء ، و عزته عندهم سبب لتفويت بعضهم له على بعض ، و القعود عنها و تركها و إن كان الغرض منهما المواتاة سبب لمواتاتها كما يفعله أهل الزهد الظاهري المشوب بالرأيا الذي ترك الدنيا للدنيا ، فان الزهد الظاهري أيضاً مطلوب الشارع إذ كان وسيلة إلى الزهد الحقيقي كما قال الرسول ﷺ : الرأياقنطرة الاخلاص .

أقول والأظهر عندي غير هذا المعنى و هو أن يكون المراد بفواتها في حق الساعين لها عدم بقائها في حتم لسرعة زوالها و فنائها فيصبحون مع شدة رغبتهم إليها و طلبهم إياها و أيديهم عارية من حطامها خالية من زبرجها و زخرفها المحلول الموت و نزول الفوت .

و يحتمل إرادة فواتها عنهم في حال الحياة فيكون كلامه ﷺ محمولاً على الغالب فان أكثر الناس و أغلبهم مع كونهم تابعين للدنيا راغبين عن الآخرة لا يقع الدنيا في أيديهم و إن خلعوا عن أعينهم الكرى و طال لهم السهر ، و هذا بخلاف التاركين لها و الزاهدين فيها زهداً حقيقياً ، فان الدنيا مطيعة لهم مقبلة إليهم وهم معرضون عنها غير ناظرين إليها .

ألا ترى إلى قول أمير المؤمنين ﷺ يا دنيا إليك عنى أبي تعرضت أم إلى تشوقت لاحان حينك هيهات غري غيرى لاحاجة فيك قد طلقتك نلانا لارجعة فيها .

وفي النبويّ قال رسول الله ﷺ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ أَوْحَى إِلَى الدُّنْيَا أَنْ
اتعبي من خدمك و اخدمي من رفضك.
و في رواية أخرى الزاهد في الدنيا يريح قلبه و بدنه ، والرأغب فيها يتعب
قلبه و بدنه.

التاسع والعاشر ما أشار إليه بقوله (و من أبصر بها بصّرتة و من أبصر إليها
أعمته) يعني من جعلها آلة لا بصاره و مر آتالوصول إلى الغير يجعلها الدنيا صاحب
بصيرة و من كان نظره و توجهه إليها و همته معطوفا عليها يجعلها الدنيا أعمى .
توضيح ذلك أن النظر إلى الدنيا يتصور على وجهين .

أحدهما أن يكون المطلوب بالذات من ذلك النظر هو الدنيا نفسها ولاشك
أن الدنيا حينئذ تكون شاغلة له عن ذكر الله صارفة عن سلوك سبيل الحق ، فيكون
ضالاً عن الصراط المستقيم ناكباً عن قصد الهدى ، و هو المراد بكونه أعمى يعني أن
الدنيا حينئذ تكون موجبة لعماء عين قلبه عن إدراك المطالب الحقمة و عن الاهتداء
إلى سلوك سبيل الآخرة و لذلك خاطب الله سبحانه النبي ﷺ ظاهراً و أراد أعمته
باطناً بقوله:

« وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مٰمَ تَعْنٰ بِهٖ اَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيْهٖ » .

والثاني أن يكون الغرض بالنظر إلى الدنيا هو التبصر بها والاهتداء إلى المبدء
والمعاد إذما من شيء فيها إلا و هو من آثار الصنع و أدلة القدرة و علامة العزة
و السلطنة.

ففي كل شيء له آية تدلُّ على أنه واحد

و سريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم فبالنظر إلى الأ نفس والآفاق يحصل البصيرة
والكمال ، و يتمكن من المعرفة والوصول إلى حضرت ذي الجلال كما يهتدى إلى
الآخرة و يرغب عن الدنيا بالنظر إلى الامم الماضية والقرون الفانية و الملوك

العناية كيف انتسفتهم الأيام فأفناهم الحمام فامتحت من الدنيا آثارهم و بقيت فيها أخبارهم.

تكملة

يستفاد من كشف الغمة أن هذا الكلام له عليه السلام ملقط من كلام طويل أسقط السيد بعض فقراته على عادته قال : قال علي عليه السلام يوماً وقد أحدق به الناس :
أحذركم الدنيا فانها منزل قلعة و ليست بدار نجعة هانت على ربها فخلط شرها بخيرها و حلوها بمرها ، لم يصفها الله لأوليائه و لم يرض بها على أعدائه ، و هي دار ممر لا دار مستقر ، و الناس فيها رجالان : رجل باع نفسه فأدبها و رجل ابتاع نفسه فأعتقها ، إن اعدو ذب جانب منها فحلاً أمر منها جانب فأوبى ، أو لها عناء و آخرها فناء ، من استغنى فيها فتن و من افتقر فيها حزن ، و من ساعا فاته و من قعد عنها و اتته و من أبصر بها بصرتة و من أبصر إليها أعمته ، فالانسان فيها غرض المنايا مع كل جرعة شرق ، و مع كل اكلة غصص ، لا ينال منها نعمة إلا بفراق أخرى .

الترجمة

از جمله کلام آن حضرتست در مقام ذمّ دنیا و تنفیر از آن که میفرماید :
چه تعریف کنم سرائی را که اول آن رنج است و عناء ، و آخر آن فوتست و فنا ، در حلال آن حسابست و در حرام آن عذاب ، هر کس غنی شد در آن مبتلا شد بانواع بلا و افتاد در فتنه و ضلال ، و هر کس محتاج گردید در او گرفتار شد باندوه و ملال ، و هر که سعی نمود و شتافت بسوی آن فوت شد از آن بسبب حلول موت ، و هر که قدم پس نهاد و ترک کرد آنرا موافقت نمود او را و مساعدت ، و هر که دنیا را آلت بصیرت و واسطه معرفت خود گردانید دنیا او را صاحب بصیرت نمود ، و هر که نظر همت خود را بدنیا مصروف داشت کور نمود دنیا او را .

و من خطبة له عليه السلام عجيبة وهي الثانية والثمانون من المختار في باب الخطب

و شرحها في ضمن فصول و بعض فصولها مروى في البحار بتفاوت و اختلاف
لما في الكتاب تطلع عليه عند الفراغ من شرح الخطبة في التكملة الآتية فانظر.

الفصل الاول

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ، وَ دَنَا بِطَوْلِهِ، مَا نَحِجُّ كُلَّ غَنِيمَةٍ وَ فَضْلٍ
وَ كَاشِفٍ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَ أَزَلٍ، أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ، وَ سَوَابِغِ
نِعَمِهِ، وَ أَوْمِنُ بِهِ أَوْلَا بَادِيًا، وَ أَسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًا، وَ أَسْتَعِينُهُ قَاهِرًا
قَادِرًا، وَ أَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا، وَ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَ رَسُولُهُ،
أَرْسَلَهُ لِإِنْفَازِ أَمْرِهِ، وَ إِنْهَاءِ عُدْرِهِ، وَ تَقْدِيمِ نُذْرِهِ.

اللغة

(الحول) القوة و (الطول) الفضل و السعة و (منحه) إعطاء و (الأزل) بفتح الهمزة
و مسكون الزاء المعجمة الشدة والضيق و (عظفته) عطفًا نسيته و (أسبع نعمه) عليكم
أى أتمه و (البادى) الظاهر و منه قوله تعالى: بادي الرأى، أى ظاهره يقال بدايبدو
بدوا أى ظهر فهو باد أو من البداية مقابل النهاية (و الانهاء) الابلاغ و (العدر)
و (النذر) فى قوله تعالى عذراً أو نذراً، أى حجة و تخويفاً أو إعداراً و إنذاراً، أى
تخويفاً و وعيداً.

الاعراب

أولاً و بادياً إما منصوب على الظرفية فتكون متعلماً بأو من وعليه فيكون

باديا من البدائة أى أو من به ابتداء قبل كل شيء أو منصوبان على الحالية من الضمير في به فيكونان في المعنى و صفيين لله سبحانه ، وهذا هو الأظهر من حيث السياق لأن المنصوبات الستة بعدهما من أوصاف الله تعالى إلا أن الأول أقرب من حيث المعنى فافهم و تأمل.

المعنى

اعلم أن هذه الخطبة له (عليه السلام) كما ذكره السيد من الخطب العجيبة مشتملة على نكات بدیعة ومطالب أنيقة حسبما تعرف إليها الاشارة ، وهذا الفصل منها مسوغ للثناء على الله سبحانه باعتبار نعوت جلاله و صفات كماله.

فقوله (الحمد لله الذي علا بحوله) إشارة إلى علوه عز وجل على كل شيء لكن لا بالمعنى المتعارف في الخلق من الفوقية الحسية والخيالية بل العلو بالغبلة والقهر والاستعلاء بالقدرة والقوة ، و قوله (و دنا بطوله) إشارة إلى قربه من كل شيء لكن لا بالمعنى المتعارف في الأجسام المتقارنة بل القرب بالفضل والسعة والدنو بالاحسان والعطية.

وقد قدّمنا الكلام في علوه سبحانه و دنوه بما لا مزيد عليه في شرح الفصل الخامس والسادس من فصول الخطبة الأولى ، و في شرح الخطبة التاسعة والأربعين أيضاً ، و لئن رجعت إلى ما حققناه هناك عرفت أن علوه سبحانه على الأشياء لا ينافي قربه منها ، و أن قربه بها لا ينافي بعده عنها ، فهو تعالى في كمال علوه على خلقه منهم قريب ، و في منتهى قربه إلى الخلق عنهم بعيد.

و هو سبحانه (مانح كل غنيمة و فضل و كاشف كل) داهية (عظيمة و أذل) لأن كل نعمة مبدئها وجوده ، و كل عطية منشؤها كرمه وجوده ، فهو منزل النعم الجسم و منفس الكرب العظام ، و هو الصارف لطارق البلاء و الدافع للبأساء والضراء و هو مجيب المضطر إذا دعاه و كاشف السوء عنه حين ناداه.

« وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ،

ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (١) .

(أحمدته على عواطف كرمه) والكريم من أسمائه تعالى وهو الجواد المعطى الذى لا ينفد عطاؤه، و يفيض الخير عنه من غير بخل و منع على كل قابل بقدر قابليته، و عواطف كرمه سبحانه عبارة عن فيوضاته العائدة إلى العباد مرة بعد اخرى و عن خيراته النازلة إليهم ترى فانه تعالى لا يفتقر عن كثرة العطاء ولا تعجز عن الجزاء، وجوده يعلو كل جواد و به جاد كل من جاد:

« وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّا نَشْكُرْ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ

حَمِيدٌ (٢) .

(و) نشكره على (سوابغ نعمه) أى نعمه التامة الكاملة وآلائه الظاهرة والباطنة كما قال عز من قائل:

« أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ

عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا

هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ (٣) .

قال الطبرسي: النعمة الظاهرة ما لا يمكنكم جمعه من خلقكم وإحيائكم وإقذاركم و خلق الشهوة فيكم وغيرها من ضروب النعم، و الباطنة ما لا يعرفها إلا من أمعن النظر فيها.

و عن ابن عباس الباطنة مصالح الدين و الدنيا مما يعلمه الله و غاب عن

العباد علمه.

١ - الآية في سورة النحل .

٢ - اقتباس من الآية في سورة لقمان

٣ - في سورة لقمان .

و عنه قال سألت النبي ﷺ عنه فقال : يا بن عباس أَمَا ظَهَرَ فَا لاسلام وسوى الله من خلقك و ما أفاض عليك من الرزق ، و أَمَا بطن فستر مساوي عملك ولم يفضحك به يا بن عباس إنَّ الله تعالى يقول ثلاثة جعلتهنَّ للمؤمن ولم تكن له : صلاة المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله ، و جعلت له ثلث ماله يكفر خطاياهم ، و الثالثة سترت مساوي عمله فلم افضحه بشيء منه ولو أبديتها عليه لنبذها أهله فمن سواهم .

و قيل الظاهرة تخفيف الشرايع و الباطنة الشفاعة و قيل الظاهرة نعم الدنيا و الباطنة نعم الآخرة و قيل الظاهرة ظهور الاسلام و النصر علي الأعداء و الباطنة الامداد بالملائكة و قيل الظاهرة نعم الجوارح و الباطنة نعم القلب .
و قال الرازي في التفسير الكبير : الظاهرة هي ما في الأعضاء من السلامة ، و الباطنة ما في القوى فانَّ العضو ظاهر و فيه قوَّة باطنة الأتري أن العين و الأذن شحم و غضروف ظاهر و اللسان و الأنف لحم و عظم ظاهر و في كل واحد معنى باطن من الابصار و السمع و الذوق و الشم و كذلك كل عضو و قد تبطل القوَّة و يبقى عضو قائما .

أقول و الكل لا بأس به إذ الجميع من نعم الله على عباده ، و في تفسير أهل البيت عليهم السلام النعمة الظاهرة الرسالة ، و النعمة الباطنة الولاية (و أو من به أولا باديا) أي أُصدق به و أعتقد بالهيته و وحدانيته أو لا و ابتداء قبل الاستهداء و الاستعانة منه و مقدا على التوكل عليه إذ ما لم يؤمن به ولم يصدق لا يمكن الاستهداء و الاستعانة و التوكل ، لأن ذلك كله فرع المعرفة و الايمان و هو ظاهر بالعيان ، و على جعل انتصاهما على الحال فالإشارة بهما إلى الجهة التي هي مبدئ الايمان إذ باعتبار أولية و جب وجوده و باعتبار كونه باديا أظهر الموجودات و ظهر منه الآيات في الأنفس و الآفاق ، فكان ظاهراً باديا في العقل بظهور آثاره و وضوح آياته فباعتبار ظهوره مع أولية يجب الايمان بوجوده و وجوده و الاذعان بالهيته .

(و أستهد به قريبا هادياً) و الإشارة بهذين الوصفين كما في سابقهما إذ من لا يتصف بالهداية كيف يتصور الاستهداء منه و من كان بعيداً كيف يطلب منه الارشاد

إلى الرشاد والدلالة على السداد (وأستعينه قاهراً قادراً) والكلام فيهما كما في سوابقهما إذ العاجز والضعيف لا يتمكّن من نفسه فكيف يكون معاوناً للغير أو يطلب منه الاعانة (و أتوكل عليه كافياً ناصراً) والكلام فيهما أيضاً كما فيما تقدّم إذ التوكل عبارة عن الوكول والاعتماد فيما يخاف و يرجى على الغير فلا بدّ من اتصاف المعتمد عليه بالكفاية والنصرة ليكفي المعتمد فيما رجاه و ينصره فيما يخاف.

و إليه يرجع ما عن معاني الأخبار مرفوعاً إلى النبي ﷺ وهو أنه جاء جبرئيل إليه فقال له : يا جبرئيل وما التوكل ؟ قال : العلم بأنّ المخلوق لا يضّر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع واستعمال اليأس من الناس ، فإذا كان العبد كذلك لم يعتمد على أحد سوى الله و لم يرج و لم يخف سوى الله ، و لم يطمع على أحد سوى الله و قال سبحانه :

« وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ».

يعني من يفوض أمره إليه سبحانه ووثق بحسن تدييره فهو كافيه يكفيه أمر الدنيا والآخرة أنه يبلغ أمره وما أراد من قضاياه وتدبيره على ما أراد ولا يقدر أحد على منعه ممّا أراد ، لا راد لقضائه ولا مبدل لحكمه ، وقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ التوكل من شئون الإيمان و من فروع المعرفة ، و لذلك وصف سبحانه المؤمنين بذلك حيث قال :

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ».

(وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ عبده ورسوله) قد تقدم الكلام في ثواب الشهادة بالرسالة في شرح الخطبة الثانية ومضى تحقيق معنى العبد والرسول في شرح الخطبة الحادية والسبعين فليراجع .

ثم أشار إلى بعض دواعي الرسالة بقوله (أرسله لافعال أمره) يعني أرسله الله سبحانه لاجراء أحكامه الشرعية واحكام قوانينه العادلة في الخلق ليقرّوا له بالعبودية ولیمحضوا له بالطاعة (وانها عذره) أي اعلام معذرتة وابلأغ عذره إلى الخلق في تعذيبهم إن عصوه ، و قد مضى تحقيق ذلك في شرح الخطبة الثمانين (وتقديم نذره) أي ليقدم انذار الله إلى الخلق وتخويفه لهم من عقابه وليبلغهم ذلك قبل يوم لقائه ليكون ذلك جاز بالهم إلى الطاعة رادعاً لهم عن المعصية .

الترجمة

از جمله خطبه های عجبیه آن حضرتست : حمد و ثنا مرعبود بحق را سزاست که بلند است بر همه خلق باقدرة و قوّة ، و نزدیک است از همه بافضل و عظمت ، و عطا کننده هر منفعت است و ذایل سازنده هر بلای بزرگ و شدت .

حمد می نمایم او را بر متکرات کرم او و بر تمامهای نعم او ، و ایمان می آورم باو سبحانه در حالتی که او لست و هویدا ، و طلب هدایه می کنم از او در حالتی که نزدیکست و راهنما ، و طلب یاری میکنم از او در حالتی که غالب است و قادر ، و توکل میکنم باو در حالتی که کفایه کننده است و ناصر ، و گواهی میدهم باینکه محمد بن عبدالله ﷺ بنده برگزیده اوست و رسول پسندیده او که فرستاد او را بجهت اجراء امر شریعت او و اعلام عذر و معذرت او و مقدم داشتن ترسانیدن از عقوبت او پیش از لقاء روز آخرت

الفصل الثاني

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي صَرَبَ لَكُمْ الْأَمْثَالَ ، وَوَقْتَ

لَكُمْ الْآجَالَ ، وَابْسَمُ الرِّيشَ ، وَأَرْفَعُ لَكُمْ الْمَعَاشَ ، وَأَحَاطُ بِكُمْ
 الْإِحْصَاءَ ، وَأَرْصِدُ لَكُمْ الْجَزَاءَ ، وَأَثْرُكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ ، وَالرَّفْدِ
 الرَّوَابِغِ ، وَأَنْذَرُكُمْ بِالْحُجْبِجِ الْبَوَالِغِ ، فَأَحْصَاكُمْ عَدَدًا ، وَوَضَفَ
 لَكُمْ مَدَدًا ، فِي قَرَارِ خُبْرَةٍ ، وَدَارِ عِبْرَةٍ ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا ،
 وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ الدُّنْيَا رِنَقٌ مَشْرُبُهَا ، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا ، يُونِقُ
 مَنْظَرُهَا ، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا ، غَرُورٌ حَائِلٌ ، وَضَوْءٌ آفِلٌ ، وَظِلٌّ زَائِلٌ ،
 وَسِنَادٌ مَائِلٌ ، حَتَّى إِذَا أُنْسَ نَافِرُهَا ، وَاطْمَنَّ نَاكِرُهَا ، قَمَصَتْ
 بِأَرْجُلِهَا ، وَقَنَصَتْ بِأَحْبِلِهَا ، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا ، وَأَعْلَقَتْ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ
 الْمَنِيَّةِ ، قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجِيعِ ، وَوَحْشَةَ الْمَرْجِيعِ ، وَمُعَايِنَةَ
 الْمَحَلِّ ، وَثَوَابِ الْعَمَلِ ، وَكَذَلِكَ الْخَلْفُ بِعَقِبِ السَّلْفِ ، لَا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ
 اخْتِرَامًا ، وَلَا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَامًا ، يَحْتَدُونَ مِنْسَالًا ، وَيَنْضُونَ
 أَرْسَالًا ، إِلَى غَايَةِ الْإِنْتِهَاءِ ، وَصَيُورِ الْفَنَاءِ .

اللغة

(الرِّيشُ) و الرِّيشُ واحد قال تعالى : و ريشاً و لباس التقوى ، و هو ما ظهر
 من اللباس الفاخر ، و في المصباح الرِّيشُ الخير و الرِّيشُ بالكسر المال و الحالة
 الجميلة .

أقول : و منه قولهم ارتاش فلان أى حسنت حاله و (ارفع) بالفين المعجمة من
 الرِّفْعِ و هو السعة و النصب يقال رفع عيشه بالضم رفاعة اتسع و (الرِّفْدُ) جمع

رفدة وهي العطية والصلة و(والتوظيف) التعيين و (القرار) والقرارة ما قر فيه
والمطمئن من الأرض و (الخبرة) بالضم والكسر اسم من الاختبار كالعبرة من
الاعتبار يقال اختبرت فلانا واعتبرته امتحنته ، قال ويكون الاعتبار بمعنى الاتعاظ ومنه
قوله تعالى « فاعتبروا يا أولي الأبصار » قال الخليل العبيرة والاعتبار بما مضى أي
الاتعاظ والتذكير (رنق) الماء من باب فرح ونصر رنقا ورنقا ورنقا كدر فهو رنق
ورنق ورنق كسدل وكتف و جبل و مكان (ردغ) ككتف كثير الوحل و (يونق)
مضارع باب الافعال يقال آتقنى الشيء أعجبني والمجرد أنق كفرح يقال انق الشيء
انقا أي راق حسنه وأعجب و (يوبق) من باب الافعال أيضاً والمجرد و بق من باب
وعد ووجل وورث يقال و بق الرجل ويبق ويوبق وبوقا هلك و (المخبر) كالمنظر
مصدر أو اسم مكان و (الغرور) بالفتح من غرته الدنيا غرورا من باب قعد خدعته
بزينتها فهي غرور مثل رسول اسم فاعل مبالغة و (الحائل) المتغير اللون و (أفل)
أفولا من باب ضرب ونصر وعلم غاب و (السناد) والسند بفتحين ما استندت إليه
من حايط ونحوه .

و (انس) به انسا من باب علم و في لغة من باب ضرب و الانس بالضم اسم
منه و استأنست به وتأنست به إذا سكن القلب ولم ينفر ورجل (ناكر) ونكر فاعل
من نكر الأمر من باب فرح أي انكره و (قدص) الفرس وغيره عند الركوب قمصاً
من باب ضرب وقتل وهو أن يرفع يديه معاً ويضعهما معاً و (قنصه) يقنصه صاده فهو
قانص وقنيص وقناص و (أفصد) السهم أصاب فقتل مكانه و فلانا طعنه فلم
يخطئه و (الادهاق) جمع وهق محركة ويسكن وهو الحبل يرمى في عنق الشخص
يؤخذ به و يوثق وأصله للدواب و يقال في طرفه النشطة، وهي بالضم ربطة دون
العقدة إذا مدت بأحد طرفيها انفتحت .

و (الضنك) بسكون النون الضيق و (ضجع) ضجعاً وضجوعاً من باب منع
وضع جنبه بالأرض كاضطجع والمضجع كمقعد موضع الضجع و(المرجع) كمنزل مصدر
من رجع رجوعاً كالمرجعة وهما شاذان لأن المصادر من فعل يفعل بالفتح

و كذلك الخلف بعقب السلف (العقب) بكسر القاف وبسكونها للتخفيف يقال جائني عقبه وأصل الكلمة جاء زيد يطأ عقب عمرو ، والمعنى كلما رفع عمرو قدماً وأوضع زيد قدمه مكانها ، ثم كثر حتى قيل جاء عقبه ثم كثر حتى استعمل بمعنيين :

أحدهما المتابعة و الموالاتة فإذا قيل جاء في عقبه فالمعنى في اثره قال ابن السكيت بنو فلان يسقى ابلهم عقب بني فلان أى بعدهم ، وقال ابن فارس فرس ذو عقب أى جرى بعد جرى ، وذكر تصارييف الكلمة ثم قال والباب كله يرجع إلى اصل واحد وهو أن يجيء الشيء بعقب الشيء أى متأخراً عنه ومنه قولهم خلف فلان بعقبى أى أقام بعدي وعقبت زيدا عقباً وعقوباً من باب قتل جئت بعده

والمعنى الثاني إدراك جزء من المذكور معه يقال جاء في عقب شهر رمضان إذا جاء و قد بقي منه بقية و يقال إذا برأ المريض و قد بقي شيء من المرض هو في عقب المرض .

إذا عرفت ذلك فمعنى قوله **تَأَخَّرَ** (وكذلك الخلف بعقب السلف) كذلك جاء الخلف متأخراً عن السلف وبعدهم أو جاؤوا و قد بقي منهم بقية ، وفي بعض النسخ يعقب السلف بصيغة المضارع أى يجيء بعد السلف و يتأخر عنهم أو مع بقاء بقية منهم و (قلعه) قلعاً من باب منع انتزعه من أصله و الاقلاع عن الأمر الكف عنه و (اخترمه) المنية أخذته و القوم استأصلتهم و اقتطعتهم و (ارعوى) عن القبيح ارتدع و (الاجترام) اكتساب الجرم و الذنب و (احتذيت) به إذا اقتديت به في اموره و أصله من حذوت النعل بالنعل قدرتها بها و قطعها على مثالها و قدرها و (الأرسال) جمع رسل بفتحيتين مثل سبب و أسباب وهو القطيع من الأبل و شبه به الناس فقيل جاؤوا أرسالاً أى متتابعاً و (صير) الأمر بالكسر و يفتح مسيره و عاقبته كالصبيور و الصبيورة .

الاعراب

قوله **تَأَخَّرَ** و أحاط بكم الاحصاء قال الشارح المعتزلي يمكن أن ينصب الاحصاء على أنه مصدر فيه اللام و العامل فيه غير لفظه ، و يجوز أن ينصب بأنه مفعول به ويكون

ذلك على وجهين :

أحدهما أن يكون من حاط ثلاثيا تقول حاط فلان كرمه أي جعل عليه حائطاً فكأنه جعل الاحصاء والعدّ كالحائط المدار عليهم لا أنهم لا يعدونه ولا يخرجون عنه الثاني أن يكون من حاط يحوط بالواو بمعنى جمع فادخل الهمزة كأنه جعل الاحصاء يحوظهم ويجمعهم تقول ضربت زيداً واضرته أي جعلته ذا ضرب كأنه جعل الاحصاء ذا تحويط عليهم بالاعتبار الاولي أو جعله ذا جمع لهم بالاعتبار الثاني ويمكن فيه وجه آخر وهو أن يكون الاحصاء مفعولاً له ويكون في الكلام محذوف تقديره و أحاط بكم حفظته و ملائكته للاحصاء ودخول اللام في المفعول له كثير انتهى .

و الأظهر هو الانتصاب بالمصدر ، و مثله قوله ^{تعالى} وأحصاكم عدداً فإنه أيضاً مصدر بغير لفظة الفعل على ما ذهب إليه الزجاج من تجويز كون العدد مصدراً مستدلاً بقوله تعالى سنين عدداً و على هذا فيكون أصل كلامه أحصاكم و عدكم عدداً على حدّ قوله تعالى : لقد أحصيهم وعدهم عدداً .

وأما على مذهب المشهور وهو الحق من كون العدد كالعديد اسم مصدر فهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى : و فجرنا الأرض عيوناً ، و الأصل أحصا عدركم ، و يمكن أن يكون حالاً أي أحصاكم معدوداً محصوراً .

وجوز هذا الوجه مع الوجه الأول صاحب الكشاف في قوله و أحاط بالديهم و أحصى كل شيء عدداً حيث قال : عدداً حال أي و ضبط كل شيء معدوداً محصوراً أو مصدر في معنى الاحصاء .

قوله و أعلقت المرء أوهاق المنية بنصب المرء والأوهاق على المفعولية والفاعل الضمير الرجوع إلى الدنيا و الباء في قوله بعقب السلف بمعنى في كما في قوله بالبكاء الكثير بالاطلال ، و اختراما و اجتراما منصوبان بنزع الخافض أي لا تكف عن اخترام ولا يرتدون عن اجترام ، و أرسالا منتصب على الحال .

المعنى

اعلم أن هذا الفصل من الخطبة مسوق للوصية بالتقوى والخشية من الله ومتضمن للتفكير عن الدنيا بذكر معائبها ومثالبها فأمر أولاً بالتقوى بقوله (أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال) أي ضربها لكم في القرآن للتذكرة والموعظة كما قال تعالى :

« وَ لَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ »

أي ليتذكروا بتلك الأمثال ويتدبروا فيها فيعتبروا ، والأمثال التي ضربها لهم فيه كثيرة منها قوله تعالى بعد الآية السابقة .

« ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَابِهُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا

لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .

فإنه مثل ضربه سبحانه لعبدة الأصنام وللمخلصين بتوحيده ، ويعني بقوله رجلاً فيه شركاء أنه يعبد آلهة مختلفة وأصناماً ، وهم متشاجرون متعاسرون هذا يأمره وهذا ينهيه ويريد كل واحد منهم أن يفرضه بالخدمة ثم يكل كل منهم أمره إلى الآخر وبكل الآخر إلى آخر فيبقى هو خالياً من المنافع وهذا حال من يخدم جماعة مختلفة الآراء والأهواء وهو مثل الكافر .

وأما مثل المؤمن الموحد فرجل سلم أي خالص يخدم مالكاً واحداً لا يشوب بخدمته خدمة غيره ولا يأمل سواه ومن كان بهذه الصفة نال ثمرة خدمته لاسيما إذا كان المخدم قادراً كريماً حكيماً .

ومنها قوله تعالى في سورة يونس :

« إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتٌ

الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا
وَأَزْيِنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَنِّيهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا
حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»

فإن هذا مثل ضربه الله للتزهد في الدنيا والترغيب في الآخرة فقد قيل إن المقصود
بهذه الآية تشبيه الحياة الدنيا بالماء فيما يكون به من الانتفاع ثم الانقطاع وقيل
إن المشبه به النبات على ما وصفه من الاغترار به ثم المصير إلى الزوال وقيل
إن المقصود تشبيه الحياة الدنيا بحياة مقدره على هذه الأوصاف.

و على أى تقدير فمعنى الآية أن مثل الحياة الدنيا مثل الماء النازل من
السماء المختلط بسببه نبات الأرض بعضه ببعض حتى إذا أخذت الأرض حسننها
وبهجتها و تزيينت في نظر أهلها و ظن مالكتها أنهم قادرون على الانتفاع بها باقتطاعها
و حصادها أنها أمر الله سبحانه أى عذابه و بلاؤه من برد أو برد فصارت محصودة
مقلوعة يابسة كأن لم تقم على تلك الصفة بالأمس.

و نحوه في سورة الكهف : « وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ
أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ
وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا » .

و نحوها قوله سبحانه في سورة الحديد : « اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

لَعِبٌ وَنَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ
غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَ فتراهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي

الْآخِرَةَ عَذَابٌ شَدِيدٌ» .

ومنها قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ » .

فانه تعالى شبه الكلمة الطيبة أعنى شهادة أن لا إله الا الله أو كل كلام أمر به الله بالشجرة الطيبة التي أصلها ثابت راسخ في الأرض وأغصانها في السماء، و أراد به المبالغة في الارتفاع تخرج هذه الشجرة ما يؤكل منها في كل سنة أشهر أو في كل سنة أو كل غدوة وعشيّة .

و شبه الكلمة الخبيثة وهي كلمة الكفر والشرك أو كل كلام في معصية الله بالشجرة الخبيثة اقتلعت جثتها من الأرض مالها من ثبات يعنى أن الكلمة الطيبة مثل الشجرة الطيبة ينتفع بها صاحبها عاجلا وآجلا، والكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة لا ينتفع بها صاحبها ولا يثبت له منها نفع ولا نمر .

و في تفسير أهل البيت عليهم السلام (١) أن الشجرة الطيبة رسول الله ﷺ و فرعها علي عليه السلام و عنصر الشجرة فاطمة و ثمرتها أولادها و أغصانها و أوراقها شيعةنا ثم قال : إن الرجل من شيعةنا يموت فيسقط من الشجرة ورقة وإن المولود من شيعةنا ليولد فيورق مكان تلك الورقة ، و على هذا فالمراد بقوله سبحانه : تؤتي أكلها كل حين ما يفتى به الأئمة من آل محمد شيئهم في الحلال والحرام .

و في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : كلمة خبيثة كشجرة خبيثة ، إن هذا مثل بني أمية ، وكيف كان فإن المقصود من هذه الأمثال المضروبة في القرآن و نحوها مما هي فوق حد الاحصاء هو تنبيه الخلق و تذكيرهم

١- هذه الرواية مروية في تفسير مجمع البيان عن ابن عقدة عن أبي جعفر (ع) منه .

وايقاظهم من نوم الغفلة والجهالة وحثهم و ترغيبهم على ملازمة المعرفة والتقوى والطاعة .

ولذلك قال ﷺ أوصيكم بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال ، فإن في التعبير بهذه اللفظة إشارة إلى أن ضربها للتقوى مما يجرى أن يتقيه الخلق ، وكذلك المقصود بالأوصاف التي يذكرها بعد ذلك هو الجذب إليه (١) والحث عليه أعني قوله (و وقت لكم الآجال) أي عينها لكم و كتبها بقلم القضاء في أم الكتاب كما قال تعالى :

« وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » .

فمن علم أن له أجلاً إذا جاء لا يؤخر وأن له إياباً إلى ربه الذي يؤخذ بما قدم وأخر فأجدر أن يخاف منه و يحذر (و ألبسكم الریش و أرفع لكم المعاش) أي أنزل عليكم لباساً يوارى سواآتكم و ريشاً ولباس التقوى (٢) و أوسع عيشكم و رزقكم من الطيبات لتطعموه في السر والاعلان ولا تجاهروه بالكفر والعدوان كمال قال :

« لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » .

(و أحاط بكم الاحصاء و أرصد لكم الجزاء) يعني أنه سبحانه محيط بكم عالم بعدد نفوسكم لا يشده منكم أحد ، و هو تعالى أعد لكم جزاء أعمالكم من جاء بالحسنة فله خير منها وهم (٣) من فزع يومئذ آمنون ، و من جاء بالسئية فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون (و آثركم بالنعم السوابغ والرغد

١- أي التقوى .

٢- اقتباس من الآية في سورة الأعراف و هو قوله تعالى يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سواآتكم و ريشاً و لباس التقوى ذلك غير ذلك من آيات الله لهمم يتذكرون منه .

٣- اقتباس من الآية .

الروافع) أي أنه تعالى اختاركم بنعمه التامة الكاملة وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة (١) وأعطاكم الصلوات الجليلة الرفيعة العالية (وأندركم بالحجج البوالغ) ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة (٢) ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (٣) وكان الله عزيز حكيم (فأحصاكم عدداً وظف لكم مدداً) يعني أنه أحصا عدركم وعين مدة عمركم.

وإنما أعاد تعالى ذكر هذين الوصفين مع اغناء قوله: ووقت لكم الآجال وأحاط بكم الإحصاء عنه، للتأكيد والمبالغة، لأن ذكر توقيت المدد وتوظيف الآجال من أشد الجوازب إلى التقوى، وكذلك المعرفة بأحاطة علمه بجزئيات النفوس وعدم شذوذ شيء منها عنه رادعة لها عن المهالك والمعاطب. فان قيل: أي نكتة في الاتيان بالتمييز أعنى عدداً بعد لفظ الإحصاء مع أنه لا ابهام فيه ولا خفاء بل هو مغن عنه؟

قلت: السر في ذلك كما في قوله تعالى: وأحصى كل شيء عدداً، وهو بيان أن علمه تعالى بالأشياء ليس على وجه اجمالي بل على وجه تفصيلي، فإن الإحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما قال تعالى: وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، أي لا تقدرها وأعلى حصرها إجمالاً فضلاً عن التفصيل.

وذلك لأن أصل الإحصاء أن الحاسب إذ بلغ عدداً معيناً من عقود الأعداد كالعشرة والمائة والألف وضع حصة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فينبى على ذلك حسابه وقوله (في قرار خبرة ودار عبرة) أراد به أنه سبحانه عين لكم المدد في مقرر البلاء والاختيار ودار الاعتاظ والاعتبار.

وهي الدار التي (أتمم مختبرون فيها) بما أعطاكم الله فيها ليميز الله الخبيث من الطيب والمفسد من المصلح حتى يزيد في إحسان المحسن ويؤاخذ بعضيان المسيء

١- اقتباس من الآية.

٢- اقتباس من الآية.

٣- اقتباس من الآية في سورة النساء.

(و محاسبون عليها) أى على نعيمها كلاً أو بعضاً على ما مضى تحقيقاً و تفصيلاً في شرح كلامه الثمانين ومضى هناك أيضاً توضيح الانعاظ بالدنيا والاعتبار فيها فليراجع ثمة. ثم إنه عليه السلام لما وصى بالتقوى وأمر بلزومه بذكر بعض الجوازب إليه أكده و علّله بقوله: (فان الدنيا رنق مشربها) و هو كناية من كدر لذاتها من حيث شوبها بالتعب والمصائب والمهموم والأحزان (ردغ مشرعها) لأن مواردتنا ولها والشروع فيها من مزلق الاقدام عن سواء الصراط إلى طرفي التفريط والافراط، و ذلك لكثرة الشبهات و غلبة المشتبهات (يونق منظرها) لما في ظاهرها من الحسن و البهجة والرّدغ والنضرة الموجبة لاعجاب الناظرين إليها والتذاذهم بها (و يوبق مخبرها) لما في باطنها من السمّ القاتل الباعث على وبوق المتناولين لها و هلاك المفتتين بها، و وقوعهم في الخزي العظيم والعذاب الأليم.

وهي (غرور حائل) لأنها تغر الخلق و تخدعهم بزخرفها و زبرجها فيتوهمون دوامها و ثباتها ثم تنتقل عنهم و تتغير في زمان يسير وهدّة قليلة (وضوء آفل) استعار لفظ الضوء لما يظهر منها من الحسن في عيون الغافلين من قولهم على فلان ضوء إذا كان حسن المنظر يعنى إنّها ذو حسن و ضياء إلا أنّ حسنها قليل لا يدوم و يغيب فلا يبقى (و ظلّ زائل) أى يستريح فيها أهلها و يستظلّون بها إلا أنّها في معرض الفناء والزوال (و سناد هائل) يستند إليها الغافلون و يعتمدون عليها مع أنّها لا نبات لها ولا قرار.

(حتى إذا أنس نافرها واطمئنّ ناكرها) أى إذا استأنس بها من كان باقتضاء عقله نافرأ عنها و سكن إليها من كان بمقتضى فطرته منكرأ لها (قمصت بأرجلها) كالدابة القامصة الممتنعة عن ركوب الانسان المولّية عنه.

و قمصها كناية عن امتناعها على الانسان حين حضور أجله كأنّها تدفعه برجليها مثل الدابة الموصوفة، والانيان بصيغة الجمع مع أنّ الدابة لها رجلان من باب التغليب و اعتبار اليدين و إنّما عبر بالرجل دون اليد لكون القمص إلى الرجل أنسب.

(و قنصت بأحبلها) كالقنص الذي يقنص الصيد و يصيده بشركه و حباله و هو كناية عن تمكن العلايق الدنيوية و حبال محبتها و الهيات الرديّة المكتسبة عنها في عنقة بحيث لا يتمكّن من الامتناع و التجنّب عنها كالصيد الواقع في الشّرك (و أقصدت بأسهمها) كلرّ أهي الذي يرمي بسهامه فيصيب الغرض و لا يخطئه و أسهمها كناية عن الأمراض و أسباب الموت.

(و أعلقت المرء أرهاق المنية) أي أعلقت حبالها يعني ما تجذب بها إلى الموت من سائر أسبابه أيضا (قائدة) بتلك الحبال (له إلى ضنك المضجع) وضيق القبر (و وحشة المرجع) و هو إشارة إلى ما يجده أهل الدنيا من الوحشة عند مفارقة الأموال والأولاد والأحبة (و معاينة المحلّ) أي مشاهدة الموضع الذي يحلّ به بعد الموت و هو دار الآخرة (و ثواب العمل) أي جزائه من خير أو شرّ لا الجزاء بالمعنى الأخصّ الذي هو عوض الطاعة.

(و كذلك الخلف بعقب السلف) أي هكذا حال الخلف بعد السلف يفعل الدنيا بهم مثل ما فعلت بأسلافهم ، و كذلك هم في الدنيا يعملون مثل ما عمله آباؤهم (فلانقلع المنية) منهم (اختراماً و لا يرعوي الباؤون اجتراما) يعني لا يكفّ المنية عن إهلاكهم و استئصال نفوسهم و لا يرتدع الباؤون منهم عن جرمهم و جرايرهم بل (يحتذون مثالا) و يقتدون بأمثالهم الماضين في الأعمال والأفعال (و يمضون) على ذلك (أرسالا) و متتابعاً (إلى غاية الانتهاء و صدور الفناء) أي إلى هنتهى ما يسرون إليه بمطايا الأبدان و عاقبة ما يكون أمرهم عليه من الفناء و العرض على الملك الديان أقول : و نرجو من الله سبحانه عند ذلك الرحمة و الغفران بالكرم و الامتنان.

الترجمة

وصيت ميكنم شما را أي بند كان خدا بتقوى و پرهیز کاری خدا چنان خدای که بیان فرمود از برای شما مثل ها ، و معین کرد از برای شما أجل ها و بیوشانید شما را لباس های فاخر و وسعت داد بشما با طعام های طیب و طاهر ، و احاطه کرد بشما احاطه کردنی و مهیا نمود از برای شما جزای عمل های شما را و برگزید

شما را بنعمت های تامه کامله و عطاياي جليله عاليه ، و ترساند شما را با حجت های واضحه بالغه و شمرد شما را شمردنی و تعیین نمود از برای شما مدت های اعمار در مقرر امتحان و اختبار و در سراي اعتبار .

شما امتحان شدگانید در دار فانی و حساب کرده شدگانید در آن بنعمت ها و زندگانی ، پس بدرستی دنیا ناصاف است محل آبخوردن آن گل آلود است محل آب برداشتن آن تعجب می آورد در نظر جاهلان تماشاگاه آن و هلاک می سازد محل آزمایش آن در وقت التذاذ بلذات آن ، و آن فریبنده است تغییر یابنده ، و صاحب حسن است فرورونده ، و سایه ای است زائل شونده و تکیه گاهی است میل نماینده .

تا زمانی که انس گیرد باو نفرت کننده از او و خواطر جمع شود باو انکار کننده او ، بر جهد پياهاي خود که بیندازد او را بر زمین مذلت ، و شکار کند او را بدام های خود تا گرفتار شود به مشقت و محنت ، و برساند باو تیرهای مرگ و هلاکت در حالتی که کشنده باشد او را بضیق و تنگی خوابگاه و وحشت بازگشت و به مشاهده کردن جای جزا و ثواب کردار .

و همچنین است حال پس آیندگان بعد از پیش رفتگان و رحلت نمایندگان نه امساک می کند مرگ از استیصال نمودن ، و نه باز می ایستند باقی ماندگان از جرم و گناه کردن ، بلکه اقتدا می کنند بر مثال گذشتگان و میگذرند پیاپی تا بغایت نهایت که عبارتست از موت و عاقبت امر که عبارتست از فنا و فوت .

الفصل الثالث

حَتَّىٰ إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ ، وَ تَقَصَّتِ الدُّهُورُ ، وَ أَزِفَ النُّشُورُ ،
أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ ، وَ أَوْكَارِ الطُّيُورِ ، وَ أَوْجِرَةِ السَّبَّاحِ ،
وَ مَطَارِحِ الْمَهَالِكِ ، سِرَاعًا إِلَىٰ أَمْرِهِ ، مُهْطِعِينَ إِلَىٰ مَعَادِهِ ، رَعِيلاً صُمُوتًا ،

قِيَامًا صُفُوفًا، يَنْفَذُهُمُ الْبَصْرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، عَلَيْهِمُ لُبُوسُ الْإِسْتِكَانَةِ،
وَضَرَعُ الْإِسْتِسْلَامِ وَالذَّلَّةِ، قَدْ ضَلَّتِ الْحَيْلُ، وَأَنْقَطَعَ الْأَمَلُ،
وَهَوَّتِ الْأَفِيدَةُ كَاطِمَةً، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيَّنَةً، وَأَلْجَمَ الْعَرَقُ،
وَعَظَّمَ الشَّفَقُ، وَأَرْعَدَتِ الْأَسْمَاعُ لِرَبْرَبَةِ الدَّاعِي إِلَى فِصْلِ الْخُطَابِ،
وَمُقَايَصَةِ الْجَزَاءِ وَنَكَالِ الْعِقَابِ، وَنَوَالِ الثَّوَابِ.

اللغة

(صرمت) النخل قطعته وانصرم الليل وتصرم ذهب و (قض) الشيء يقضه
قطعه و (أرف) شخوص فلان يأرف أرفا من باب تعب قرب ودنا ومنه قوله : أرفت
الآرفة ، أى قربت القيامة و دنت ، سميت بذلك لأن كل ما هو آت قريب و (نشر)
الموتى نشورا من باب قعدحيوا ونشرهم الله يتعدى ولا يتعدى ، وقد بتعدى بالمهزة يقال
أنشرهم الله وقال تعالى : وإذ أشاء أنشره ، أى أحياه بعد إمامته .

و (الضريح) الشق في وسط القبر في جانب فعيل بمعنى مفعول و (اوجرة)
السباع جمع وجار بالكسر وهو جحرها الذي تأوى إليه و (هطع) بهطع من باب
منع أسرع مقبلا وأهطع في عدوه أسرع ومنه قوله تعالى : مهطعين إلى الداع ، أى
مسرعين إليه في خوف .

و (الرعيل) القطعة من الخيل والجماعة من الناس و (الصموت) جمع
صامت كالصمت والصمات مصدر بمعنى السكوت من صمت يصمت من باب قتل
و (اللبوس) بفتح اللام ما يلبس قال تعالى : و علمناه صنعة لبوس ، يعنى
الدرع و (الاستكانة) الخضوع و (ضرع) له يضرع من باب منع ضراعة ذل و خضع ،
و ضرع ضرعا من باب تعب لغة و ضرع ضرعا و زان شرف ضعف ، و تضرع إلى الله
ابتهل و (كظم) يكظم كظما من باب ضرب و سكت و رجل كظيم و مكظوم
مكروب .

و (الهيمنة) الصّوت الخفى و (الجم العرق) بلغ الفم فصار كاللجم و (الشفق) الخوف و (ارعدت الاسماع) بالبناء على المجهول أخذتها الرعدة و (الزبرة) من زبره زبراً من باب ضرب زجره ونهره و (قايضته) به بالياء المثناة التحتانية عارضته عرضاً بعرض و (نكل) به تنكيلاً صنع به صنعا يحذر غيره ، والنكل اسم منه أو هو العقوبة و (النوال) العطا .

الاعراب

سراعا ، منتصب على الحال من مفعول أخرج وكذلك المنصوبات بعده ، ولبوس الاستكانة مرفوع على الابتداء قدّم عليه خبره للتوسّع ، و قوله إلى فصل الخطاب متعلق بالداعي .

المعنى

اعلم أن هذا الفصل من الكلام قد ساقه ﷺ لبيان ما يحلّ على الناس بعد الموت ويلحق بهم من شدايد القيامة وأهوالها وأشار به إلى النشور و المعاد فقال (حتى إذ انصرفت الامور وتقضت الدهور) أى تعطلت امور الناس بموتهم وانقضت الازمان وتقطعت (و أزف النشور) أى دنى وقرب وقت احيائهم بعد إمامتهم أمر الله سبحانه بنفخ الصور فنشرهم وحشرهم .

و (أخرجهم من ضرايح القبور) ان كانوا مدفونين فيها (وأوكار الطيور) ان كانوا أكيل طير (وأوجرة السباع) ان كانوا فريسة سبع (و مطارح الممالك) ان قتلوا فى معركة حرب ونحو ذلك وبالجملة ينشرهم الله يأتى بهم جميعاً أينما كانوا (سراعا إلى أمره) وقضائه غير لاثنين (مهطعين الى معاده) غير مماكسين كما قال تعالى فى سورة ق «يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ»

أى يسرعون إلى أمره بلا مكث و تأخير ، وفى سورة القمر :

«يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا

يومٍ عسيرٍ .

(رعيلا صموتا قياما صفوفا) أى جماعة ساكتين قائمين صافين لا يقدرّون على الكلام ولا يرخص لهم في القعود كما قال تعالى في سورة النبأ

« يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ » أي بنو آدم على أحد التفسير « وَالْمَلَائِكَةُ صَفًا

لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرُّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا » وفيها أيضاً « يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا » .

روى في المجمع عن النبي صلى الله عليه وآله أنه سئل عن هذه الآية فقال: يحشر عشرة أصناف من امتي أشتاناً قد ميزهم الله من المسلمين وبئد صورهم فبعضهم على صورة القردة ، وبعضهم على صورة الخنازير ، وبعضهم منكوسون أرجلهم من فوق ووجوههم من تحت ثم يسحبون عليها ، وبعضهم عمى يترددون ، وبعضهم صمّ بكم لا يعقلون ، وبعضهم يمضغون السننهم بسيل القيح من أفواههم لعاباً يتقدّرهم أهل الجمع ، وبعضهم مقطّعة أيديهم وأرجلهم ، وبعضهم مصلّبون على جذوع من النار ، وبعضهم أشدّ نتنا من الجيف ، وبعضهم يلبسون جباباً سابعة من قطران لازقة بجلودهم .

فأما الذين على صورة القردة فالقتاة من الناس ، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت ، وأما المنكوسون على رؤوسهم فأكلة الرّبا ، والعمى الجائرون في الحكم ، والصمّ البكم المعجبون بأعمالهم ، والذين يمضغون السننهم العلماء والقضاة الذين خالف أعمالهم أقوالهم ، والمقطّعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران ، والمصلّبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان ، والذين أشدّ نتنا من الجيف فالذين يتمتّعون بالشهوات واللذات ويمنعون حقّ الله في أموالهم ، والذين هم يلبسون الجباب فأهل الفخر والخيلاء

(ينفذهم البصر) بصر الجبار تعالى أى لا يخفى أحدهم مع كثرتهم عن ادراكه

سبعائه ولا يعزب عن علمه كما قال في سورة الحاقة: يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا يَخْفَى مِنْكُمْ

خَافِيَةً (ويسمعهم الداعي) يعني أنهم مع هذه الكثرة أيضاً يشملهم ويحيط بهم عموم دعاء الداعي إلى فصل الخطاب ويسمع آخرهم كما يسمع أولهم نداه المنادي إلى الموقف والحساب ، وإليه الإشارة بقوله تعالى في سورة ق

« يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ

ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ » .

قال الطبرسي : وإنما قال من مكان قريب لأنه يسمعه الخلايق كلمهم على حدّ واحد فلا يخفى على أحد قريب ولا بعيد فكأنهم نودوا من مكان يقرب منهم (عليهم لبوس) الخضوع والخشوع و (الاستكانة و ضرع) التذلل و (الاستسلام والذلة) من هول هذا اليوم وفزع ، كما قال سبحانه في سورة طه :

« وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا »

قال الطبرسي أي خضعت و ذلك خضوع الأسير في يد من قهره والمراد خضع أرباب الوجوه واستسلموا للحكم للحَيِّ الذي لم يمّت ولا يموت ، وإنما اسند الفعل إلى الوجوه لأنّ أثر الذلّ يظهر عليها ، وقيل المراد بالوجوه الرؤساء والقادة والملوك أي يذلّون وينسلخون عن ملكهم وعزّهم ، وفي سورة المعارج :

« يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُؤْفُضُونَ

خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ »

أي يخرجون من القبور مسرعين كأنّهم يسعون إلى علم نصب لهم خاضعة أبصارهم لا يستطيعون النظر من هول ذلك اليوم وتغشيمهم المذلة (قد ضلّت الحيل) أي الحيل الدنيوية فلا يستطيعون الخلاص ممّا هم فيه بالحيلة والتدبير كما كانوا يخلصون من بعض آلام الدنيا بها (وانقطع الأمل) أي أملهم في الدنيا بالامتناع عودهم إليها وانقطاع طمعهم عنها (وهوت الأفتدة كاظمة) أي خلت من الفرح والسرور بل ومن كلّ شيء حال كونها ساكنة أو مكروبة ومحزونة وهو مأخوذ من قوله تعالى

في سورة إبراهيم :

« مُهْطِينَ مُقْنِي رُؤْسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْتَدْتَهُمْ هَوَاهُ ».

قال الطبرسي: مهطعين أى مسرعين وقيل يريد دائمى النظر إلى ما يرون لا يطفون مقنعي رؤوسهم أى رافعي رؤوسهم إلى السماء حتى لا يرى الرجل مكان قدمه من شدة رفع الرأس وذلك من هول يوم القيامة وقال مورج، معناه ناكسي رؤوسهم بلغة قريش لا يرن إليهم طرفهم أى لا يرجع إليهم أعينهم ولا يطبقونها ولا يغمضونها وإنما هو نظردائم وأفتدتهم هواء أى قلوبهم خالية من كل شيء وقيل خالية من كل سرور و طمع في الخير لشدة ما يرون من الأهوال كالهواء الذي بين السماء والأرض وقيل معناه وأفتدتهم زائلة عن مواضعها قد ارتفعت إلى حلوقهم لا تخرج ولا تعود إلى أماكنها بمنزلة الشيء الذاهب في جهات مختلفة المتردد في الهواء وقيل معناه خالية عن عقولهم (وخشعت الأصوات مهيمنة) أى حال كونها ذات هيمنة وخفاء قال :

« وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا » .

قال في مجمع البيان : أى خضعت الأصوات بالسكون لعظمة الرحمن، والهمس هو صوت الاقدام أى لا تسمع من صوت الاقدام أى لا تسمع من صوت أقدامهم إلا صوتاً خفياً كما يسمع من أخفاف الأبل عند سيرها وقيل الهمس إخفاء الكلام وقيل معناه إن الأصوات العالية بالأمر والنهى في الدنيا ينخفض وينذل أصحابها فلا يسمع منهم إلا الهمس (والمجم العرق) أى بلغ أفواههم ، قال الشارح المعتزلي : وفي الحديث أن العرق ليجرى منهم حتى أن منهم من يبلغ ركبته ، ومنهم من يبلغ صدره ، ومنهم من يلجمه وهم أعظمهم مشقة .

أقول : وعن الارشاد عن الصادق عليه السلام في حديث إن الغنى ليقف للحساب ويسيل منه العرق حتى لو شرب منه أربعون بعبراً لصدر ، و يأتي لهذا مزيد تفصيل في شرح المختار المائة والتاسع والثمانين إنشاء الله (وعظم الشفق) وفي بعض الروايات أن شعر رأس الناس و بدنهم يبيض من شدة الخوف والاشفاق بعد ما

كان أسود (١) (و اردت الاسماع لزبرة الداعي إلى فصل الخطاب) أى أخذتها الرعدة والاضطراب من زجر الداعي ونهره وهيبه صوته قال الطبرسي في تفسير قوله « و أَسْتَمِعُ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ . »

قيل إنه ينادى المنايا من صخرة بيت المقدس أيتها العظام البالية والأوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة قومي لفصل القضاء وما أعد الله لكم من الجزاء وقيل إن المنادى هو إسرئيل يقول يامعشر الخلائق قوموا للحساب (ومقايضة الجزاء) مبادلتها ومعاضتها (و نكال العقاب) إن كسبت يداه في الدنيا سيئة (و نوال الثواب) إن اقترف فيها حسنة .

« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ »

تنبیه و تحقیق

اعلم أن هذا الفصل من الخطبة كـ بعض الخطب الآتية نص صريح في نبوت المعاد الجسماني وعليه قد دلت الآيات القرآنية مما ذكرناها وما لم يذكر ، والسنة

١- روى في الكافي بإسناده عن يزيد الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام قال : إن فتية من أولاد ملوك بني إسرائيل كانوا متعبدين وكانت العبادة في أولاد ملوك بني إسرائيل وأنهم خرجوا يسبرون في البلاد ليعتبروا فمروا بقبر على ظهر الطريق قد سقى عليه السافي ليس منه الأرسمة فقالوا لودعونا الله الساعة فينشر لنا صاحب هذا القبر فسايلنا كيف وجد طعم الموت فدعوا الله تعالى قال فخرج من ذلك القبر رجل أبيض الرأس واللحية ينفذ رأسه من التراب فز عاشا خصا بصره الى السماء ، فقال لهم : ما يوقفكم على قبري فقالوا : دعوناك لنسألك كيف وجدت طعم الموت فقال لهم : لقد سكنت في قبري تسعة وتسعون سنة ما ذهب عني ألم الموت وكربه ولا خرج مرارة طعم الموت من حلقي

فقال «لواظ» له : مت يوم مت وأنت على ما ترى أبيض الرأس واللحية ؛ قال : لا ، ولكن لاسمعت الصبيجة اخرج اجتمعت تربة عظامي الى روعي فبقيت فيه فخرجت فزعا شاخصاً بصري مهبطاً الى صوت الداعي فايض لذلك رأسى ولحيتى منه

التبوية المتواترة بل هو ضروري الدين وعليه إتفاق المسلمين ومع ذلك كله لا يعاب
 بخلاف الحكماء ومنعم منه بناء على امتناع إعادة المعدوم من حيث امتناع عود أسبابه
 بعينها من الوقت والدورة الفلكية المعيّنة وغيرهما وربما قال بعض الحكماء أي حكماء
 الاسلام بجواز عود المثل وربما قلّد بعضهم ظاهراً الشريعة في أمر المعاد الجسماني،
 وإنبات السعادة والشقاوة البدنية مع الروحانية

قال الصدر الشيرازي في شرح الهداية للمبيدي : و اعلم أنه قد زعمت
 الفلاسفة الطبيعيون و اوساخ الدهرية الذين لا اعتداد بأقوالهم و آرائهم في الملة ولا
 في الفلسفة انكار المعاد مطلقاً للانسان زعماً منهم أنه متكوّن من مزج و امتزاج
 لهذا الهيكل المحسوس بما له من القوى والأعراض وذلك يفنى بالموت ولا يبقى فيه
 إلا المواد العنصرية ولا إعادة للمعدوم فمهما فسد لا يرجي له عابدة فحكموا بأنه إذا
 مات مات و نيل سعادته أو شقاوته قدفان كما حكى الله عنهم في كتابه المجيد :
 « مَا هِيَ إِلَّا حَيْوَتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيِي »

مثل العشب والمرعى فيصير غناء أهوى فلهذا السبب أنكروا النبوة المنذرة بالبعث
 و فوايدها و أصروا صريحاً على منع نشرها يدها ، و في هذا تكذيب العقل
 على ما يراه المحققون من أهل الفلسفة و الشرع على ما قرره المحققون من
 أهل الملة .

و اتفق المحققون من الفلاسفة و الملمين على ثبوت المعاد و حقيقته لكنهم
 اختلفوا في كفيته .

فذهب جمهور المسلمين على أنه جسماني فقط ، لأن الروح عندهم جسم
 سار في البدن سريان الزيت في الزيتون و ماء الورد في الورد و النار في الفحم .
 و ذهب جمهور الفلاسفة إلى أنه روحاني فقط ، لأن البدن ينعدم بصورة
 و أعراضه فلا يعاد النفس جوهر مجرد باق لا سبيل إليه للفساد .

و ما تزيّن به كثير من علماء الاسلام كأصحابنا الامامية و الشيخ الغزالي

والكعبي والحلي والرأغب الاصفهاني هو القول بالمعادين : الروحاني والجسماني جميعاً ذهاباً إلى أن النفس جوهر مجرد يعود إلى البدن ، وهذا رأى كثير من الصوفية والكرامية و به يقول جمهور النصارى والتناسخية .

قال الامام الرازي إلا أن الفرق أن المسلمين يقولون بحدوث الأرواح و ردها إلى البدن لا في هذا العالم بل في الآخرة ، والتناسخية يقدمها و ردها إليه في هذا العالم و ينكرون الآخرة والجنة والنار .

أقول : و ممن قال بالمعادين الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا قال في محكي كلامه من الشفا : يجب أن يعلم أن المعاد منه ما هو مقبول من الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلا من طريق الشريعة و تصديق خبر النبوة و هو الذي للبدن عند البعث و خيرات البدن و شروره معلومة لاحتاج أن تعلم ، و قد بسطت الشريعة الحقبة التي أتانا بها سيدنا و مولينا محمد ﷺ حال السعادة و الشقاوة اللتين بحسب البدن .

و منه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني و قد صدقه النبوة و هو السعادة و الشقاوة البالغتان الثابتتان بالمقاييس اللتان للأفئس و إن كانت الأوهام منسأ تقصر عن تصورهما الآن ، لما نوضح من الدلل و الحكماء الالهيون رغبتهم في اصابة هذه السعادة أعظم من رغبتهم في اصابة السعادة البدنية بل كأنهم لا يلتفتون إلى تلك و ان اعطوها ولا يستعظمونها في جنب هذه السعادة التي هي مقاربة الحق الأول انتهى كلامه .

و قال المحقق الشيرازي أيضا في شرح الهداية : اعلم أن إعادة النفس إلى بدن مثل بدننا الذي كان لها في الدنيا مخلوق من سنخ هذا البدن بعد مفارقتها عنه في القيامة كما نطقت به الشريعة من نصوص التنزيل و روايات كثيرة متظافرة لأصحاب العصمة و الهداية غير قابلة للتأويل كقوله تعالى :

(قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ

مَرَّةً وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) (فَأِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ)
 (أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَّنْ نَّجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ)

أمر ممكن غير مستحيل فوجب التصديق بها لكونها من ضرورات الدين وإنكاره كفر مبین ولا استبعاد أيضاً فيها بل الاستبعاد والتعجب من تعلق النفس إليه في أول الأمر أظهر من تعجب عوده إليه إلى أن قال : ولا يضرنا أيضاً كون البدن المعاد غير البدن الأول بحسب الشخص لاستحالة كون المعدوم بعينه معاداً و ما شهد من النصوص من كون أهل الجنة صرداً مرداً ، و كون ضرس الكافر مثل جبل أحد ، و كذا ما روى من قوله يحشر بعض الناس يوم القيامة على صورة يحسن عندها القردة و الخنازير ، يعضد ذلك ، و كذا قوله : كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها .

فان قيل فعلى هذا يكون المثاب والمعاقب باللذاة والآلام الجسمانية غير من صدرت منه الطاعات والخيرات و ارتكبت المعاصي والشرور .

قلنا : العبرة في ذلك الجوهر المدرك وهو النفس ولو بواسطة الآلات وهي باقية بعينها و كذا المادة و السنخ كالأجزاء الأصلية في البدن أو غيرها و لهذا يقال للشخص مع انتقاله من الصبا إلى الشيخوخية والتجددات والاستحالات الواقعة فيما بين أنه هو بعينه و إن تبدلت الصور والهيئات و كثير من الأعضاء و الآلات ولا يقال لمن جنى في الشبَاب و عوقب في المشيب أنه عقاب بغير الجاني انتهى . و أنت إذا أحطت خبراً بالأقوال في المسألة فلا بأس بالإشارة إلى بعض شبه المنكرين مع إبطال شبههم حسبما اشير إليه في الكتاب العزيز قال سبحانه :

(أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ،
 وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ

يُخَيِّبَهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ
مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ .

روى أن أمية بن خلف أو العاص بن وائل السهمي أدأبي بن خلف وهو المرودي
عن الصادق عليه السلام أيضاً جاءه بعظم بال متفتت وقال : يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا؟ فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم و يدخلك جهنم فنزلت الآية ، وهو المراد بالانسان في الآية
و إن كان الحكم جارياً في حق كل من ينكر البعث والحشر إذ العبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب على ما تقرر في الاصول فالمعنى :

أولم يعلم الانسان أنا خلقناه من نطفة ، ثم نقلناه من النطفة إلى العلقه ، ومن
العلقه إلى المضغه ، ومن المضغه إلى العظام ، وكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقاً آخر
كامل العقل والفهم ، فاذا اكمل عقله وفهمه صار متكلماً مخلصاً ، فمن قدر
على مثل هذا فكيف لا يقدر على الاعادة و الاحياء مع أنها أسهل من الانشاء
والابتداء ؟

ثم أكد سبحانه الانكار عليه فقال : و ضرب لنا مثلاً ، أى ضرب المثل في إنكار
البعث بالعظم البالي وفتة بيده ، و نسي خلقه ، أى ترك النظر في خلق نفسه مع
أنه من أدل الدلائل على جواز البعث و إمكانه ، لما ذكرناه من أنه مخلوق من
نطفة متشابهة الأجزاء مع كونه مختلف الأعضاء إذ لو كان خلقه من أشياء مختلفة
الصور لأمكن أن يقال العظم خلق من جنس صلب واللحم من جنس رخو وكذلك الحال
في كل عضو ، و لما كان خلقه من متشابهة الأجزاء مع اختلاف صورته كان ذلك دليلاً
على كمال الاختيار والقدرة .

مضافاً إلى القوة العاقلة والفاهمة والناطقة التي أعطاه الله له وأبدعها فيه فقدر
معها على المخاصمة والاحتجاج مع أن تلك القوة لم تكن في النطفة أصلاً ولم تكن
من مقتضياتها و دلالة ذلك على الاختيار والاقترار أقوى .

ثم إن المنكرين للبعث منهم من لم يذكر فيه دليلاً ولا شبهة وإنما اكتفى

بمجرد الاستبعاد و ادعى الضرورة والبدهة في استحالة المعاد وهم الأكثرون ويدل عليه ما حكاه تعالى عنهم في غير موضع كما قال : وقالوا ، منذ اظلمنا في الأرض ، إنا لفي خلق جديد ، فإذا متنا و كنا تراباً و عظاماً ، إنا لمبعثون ، إنا لك لمن المصدقين ، إذ امتنا و كنا تراباً و عظاماً ، إنا لمدينون إلى غير ذلك .

و مثلها ما حكاه هنا بقوله : قل من يحيى العظام و هي رميم ، على طريق الاستبعاد ، و هو المراد بالمثل الذي ضربه الانسان المذكور ولما كان استبعاده من جهة التفتت و التفرق اختار العظم للذكر لبعده عن الحياة لعدم الاحساس فيه و وصفه بما يقوى جانب الاستبعاد من البلا و التفتت و قال : هي رميم ، وقد دفع الله سبحانه بقوله : و نسي خلقه ، إذ لو كان تدبر في خلقه و عرف قدرة خالقه و اختياره و علمه لما استبعد ذلك .

و منهم من ذكر شبهة و إن كان مرجعها بالأخرة إلى الاستبعاد أيضاً و هي على وجهين :

أحدهما أنه بعد العدم لا يبقى شيء فكيف يصح على المعدوم الحكم بالوجود و دفعها بقوله . قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ، يعني كما خلق الانسان ولم يكن شيئاً مذكوراً كذلك يعيده و إن لم يبق شيئاً مذكوراً .

وثانيهما أن من تفرق أجزاءه في مشارق الأرض و مغاربها و صار بعضه في أبدان السباع ، و بعضه في جدران الرباع و بعضه في ضرايح القبور و بعضه في أوكار الطيور كيف يجمع . و أبعد من ذلك أنه قد يأكل الانسان سبع و يأكل السبع طائر و يأكل الطائر إنسان آخر ، و من المعلوم أن أجزاء المأكول يصير جزءه بدن الآكل فإذا حشر الانسان و الحيوان على ما هو المذهب الصحيح فتلك الأجزاء المفروضة إما أن تعاد في بدن الآكل أو في بدن المأكول أوهما معاً ، فإن أعيدت في بدن الآكل لزم أن لا يعاد المأكول ، و إن أعيد المأكول لزم أن لا يعاد الآكل و إن كان الثالث لزم للمحال ، لأن الجزء الواحد لا يكون في موضعين .

فقال تعالى في إبطال هذه الشبهة : و هو بكل خلق عليم ، و توضيحه أن في

بدن الآكل أجزاء أصلية و أجزاء فضلية ، و في المأكول كذلك ، فإذا أكل الانسان سبع صار الأضلى من أجزاء المأكول فضلياً من أجزاء الآكل و الأجزاء الأصلية للآكل هي ما كان له قبل الإكل ، والله بكل خلقٍ عليم ، يعلم الأضلى من الفضلي فيجمع الأجزاء الأصلية للآكل و ينفخ فيها روحه ، و يجمع الأجزاء الأصلية للمأكول فينفخ فيها روحه ، و كذلك يجمع الأجزاء المتفرقة من البقاع و الأصقاع بحكمته الشاملة و قدرته الكاملة .
 ثم بالغ سبحانه في إبطال إنكارهم بقوله : الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون ، و وجه المبالغة هو أن الانسان مشتمل على جسم يحس به و حياة سارية فيه وهي كحرارة جارئة فيه ، فان استبعدتم وجود حرارة و حياة فيه فلا تستبعدوه فان النار في الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء أعجب و أغرب و أنتم تشهدونه حيث إنكم منه توقدون .

و إذا حققت ما ذكرناه و وضحت لك صحة المعاد الجسماني و وضوح الشمس في رابعة النهار :

ظهر لك فساد ما رتبنا ما قيل أو يقال : من أن الآيات المشعرة بالمعاد الجسماني ليست أكثر و أظهر من الآيات المفيدة للتجسس و التشبه و الجبر و القدر و نحو ذلك و قد وجب تأويلها قطعاً و صرفها عن ظواهرها .

قلنا دل هذه الآيات أيضاً إلى بيان المعاد الروحاني و أحوال سعادة النفس و شقاوتها بعد مفارقة الأبدان و الأجسام على وجه يفهمه العوام ، فان الأنبياء مبعوثون إلى كافة الخلق للإرشاد بقدر الاستعداد إلى سبيل الحق و تكميل النفوس بحسب القوة النظرية و العملية و تبقية النظام المفضى إلى صلاح الكل .

و ذلك بالتأريض و الترهيب بالوعد و الوعيد و البشارة بما يعتقدونه لذة و كمالاً و الإنذار عما تعدونه ألماً و نقصاناً و أكثرهم عوام تقصر عقولهم لا يفهمون عالم الأشباح و المحسوسات عن ذات المبدء الأول و الشريعة تحاكيها بمثلاتها المأخوذة من المبادئ الجسمانية و تحاكي الأفعال الإلهية بأفعال المبادئ المدنية من الملوك و السلاطين القهارين و هكذا .

فوجب أن يخاطبهم الأنبياء في باب المعاد بما هو مثال للمعاد الحقيقي ترغيباً و ترهيباً للعوام و تتميماً للنظام و لهذا قيل إن الكلام مثل و أشباح للفلسفة. و وجه ظهور الفساد أن الذهاب إلى المعجاز إنما هو عند تعذر إرادة الحقيقة و المصير إلى التأويل عند عدم إمكان الظاهر كما في آيات الجبر و القدر و التجسيم ، و ما نحن فيه ليس من هذا القبيل إذ لا تعذر ههنا سماع على قول من يقول بكون البدن المعاد مثل الأول لا عينه .

و حمل كلام الشريعة و نصوص الكتاب على الأمثال و الأشباح و الإشارة إلى معاد النفس و الرعاية لمصلحة العامة التوجب توجب ظهراً نسبة المتصدعين للشرع إلى الكذب فيما يتعلق بالتبليغ و القصد إلى تضليل أكثر الخلائق و التعصب طول العمر لترويج الباطل و إخفاء الحق لأنهم لا يفهمون من الكلام إلا ظاهره الذي لا حقيقة له على ما زعمه هذا القائل ، و ما هذه إلا فرية بيئة و بهتان عظيم .

و بذلك كله ظهر أن ما حكاه في شرح البحراني من تأويل بعض الفضلاء كلام الامام عليه السلام في هذا الفصل على ما يناسب مذهب القائلين بالمعاد الروحاني مما لا طائل تحته بل تطويل الكتاب بمثل تلك التأويلات الباردة الفاسدة موجب لتفويت الوقت و تضيع القوة القدسية .

عصمنا الله سبحانه من هفوات الجنان ، و عثرات اللسان بحق محمد و آله البررة الكرام عليه و عليهم السلام إلى يوم البعث و القيام .

هداية و ارشاد

في الإشارة إلى معنى الحشر على ما حققه صدر المتأهلين في كتابه المسمى بمفاتيح الغيب و ايراد بعض الأخبار الواردة في ذلك و ما يناسب ذلك فاعلم أن الزمان علّة التغير و التعاقب و الاحتجاب بوجهه ، و المكان علّة التفرق و التكثر و الاعتباب بوجهه ، فهما سببان لاختفاء الموجودات و احتجاب بعضها عن بعض ، فإذا ارتفعا في القيامة ارتفع الحجب بين الخلائق فيجتمع الخلائق كلهم و الأولون و الآخرون قل إن الأولين و الآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم فهي يوم الجمع

ذلك يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن .
 و بوجه آخر ، ذلك يوم الفصل لأن الدنيا دار مغالطة و اشتباه يتشابك فيها
 الحقّ و الباطل و يتعانق فيها الوجود و العدم و الخير و الشرّ و النور و الظلمة و في الآخرة
 يتقابل المتخاصمان و يتفرّق المتخالفان ، و يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرّقون .
 و فيها يتميّز التشابهان ، ليميز الخبيث من الطيّب ؛ و يفصل الخصمان ، ليحقّق
 الحقّ و يبطل الباطل ، ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حيّ عن بينة
 و لا منافاة بين هذا الفصل و ذلك الجمع بل هذا يوجب ذلك ، هذا يوم الفصل
 جمعناكم و الأولين ، و الحشر أيضاً بمعنى الجمع ، و حشرناهم فلم نغادر منهم أحداً
 إذا عرفت ذلك فأقول قال سبحانه :

« وَ نَفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا
 مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ، وَ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ
 بِنُورٍ رَبَّهَا وَ وُضِعَ الْكِتَابُ وَ جِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَ الشُّهَدَاءُ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ
 بِالْحَقِّ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ ، وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا
 يَفْعَلُونَ . »

قال الطبرسي في تفسير الصور : و هو قرن ينفخ فيه إسرافيل و وجه الحكمة في ذلك
 أنها علامة جعلها الله ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم في دار التكليف ثم تجديد الخلق
 فشبّه ذلك بما يتعارفونه من بوق الرحيل و النزول و لا يتصوره النفوس بأحسن من هذه
 الطريقة ، و قوله : فصعق من في السموات و من في الأرض ، أي يموت من شدة تلك
 الصيحة التي تخرج من الصور جميع من السموات و الأرض يقال : صعق فلان إذا
 مات بحال هائلة شبيهة بالصيحة العظيمة .

و اختلف في المستثنى بقول إلا من شاء الله ، و في المجمع روى مرفوعاً هم
 جبرئيل و ميكايل و إسرافيل و ملك الموت و في رواية أن النبي ﷺ سأل جبرئيل

عن هذه الآية من ذا الذي لم يشاء الله أن يصعقهم؟ قال: هم الشهداء متقلدون أسيافهم حول العرش.

وقوله: ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون، أراد النفخة الثانية و يسمى النفخة الأولى بنفخة الصعق، والثانية بنفخة البعث أي ثم نفخ فيه نفخة أخرى فاذا هم قائمون من قبورهم يلقبون أبصارهم في الجوانب، وقال الطبرسي أي ينتظرون ما يفعل بهم وما يؤمرون به.

وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي باسناده عن ثوير بن أبي فاخته عن علي بن الحسين عليه السلام قال:

سئل عن النفختين كم بينهما؟ قال: ما شاء الله، فقليل له فأخبرني يا بن رسول الله كيف ينفخ فيه؟ فقال: أما النفخة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الأرض ومعه الصور وللصور رأس واحد و طرفان وبين رأس كل طرف منهما إلى الآخر ما بين السماء والأرض، فاذا رأته الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء.

قال: فهبط إسرافيل بحظيرة القدس وهو مستقبل الكعبة فاذا راوه أهل الأرض قالوا: قد أذن الله عز وجل في موت أهل الأرض، فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذر روح إلا صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماوات، فلا يبقى في السماوات ذر روح إلا صعق ومات إلا إسرافيل.

قال: فيقول الله لا إسرافيل يا إسرافيل مات، فيموت إسرافيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله، ثم يأمر السماوات فتمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله:

«يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا».

يعني يبسط ويبدل الأرض غير الأرض يعني بأرض لم تكسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مرة ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة.

مستقلاً بعظمته وقدرته .

قال : فعند ذلك ينادي الجبار جلّ جلاله بصوت من قبله جوهرى (جهورى خ ل) يسمع أقطار السماوات والأرضين : لمن الملك اليوم ؟ فلا يجبه مجيب ، فعند ذلك يقول الجبار عز وجلّ مجيباً لنفسه : لله الواحد القهار ، وأنا قهرت الخلاق كلهم وأمتهم إنى أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير وأنا خلقت خلقي بيدي وأنا أمتهم بمشيئتي وأنا أحياهم بقدرتي .

قال : فينفخ الجبار نفخة أخرى فى الصور فيخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلى السماء فلا يبقى فى السموات أحد إلا حياً وقام كما كان ، ويعود حملة العرش ، ويحضر الجنة والنار ويحشر الخلاق للحساب .

قال الرأوى : فرأيت علي بن الحسين يبكى عند ذلك بكاءً شديداً .

فان قلت إذا فنت الأجساد وانعدمت الأجسام فما الفائدة فى خطاب لمن

الملك ؟

قلنا : ما يصدر عن الحكيم العليم لا بد وأن يكون متضمناً للحكمة والمصلحة وإن كانت مختفية عندنا ، ويمكن أن يكون فيه اللطف بالنسبة إلى المكلفين من حيث إن المخبر الصادق إذا أخبرهم بوقوع ذلك الخطاب يوجب ذلك حقارة الدنيا فى نظرهم وعدم اغترابهم بملكها وسلطنتها ويوجب زيادة علمهم بقدرته الله وعزته وبفردته فى تدبير العالم ، تعالى علواً كبيراً هذا .

وروى علي بن إبراهيم أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال : وأتى جبرئيل رسول الله وأخذ بيده وأخرجه إلى البقيع فأنهى به إلى قبر فصوت بصاحبه فقال : قم باذن الله فخرج منه رجل أبيض الرأس واللحية يمسح التراب عن وجهه وهو يقول : الحمد لله والله أكبر ، فقال جبرئيل : عد باذن الله تعالى ، ثم انتهى به إلى قبر آخر فقال : قم باذن الله ، فخرج منه رجل مسود الوجه وهو يقول : يا حسرتاه يا نبوراه ، ثم قال له جبرئيل : عد إلى ما كنت فيه باذن الله تعالى ، فقال : يا محمد هكذا يحشرون يوم القيامة ، فالمؤمنون يقولون هذا القول وهؤلاء يقولون ماترى .

وفي الأنوار النعمانية للسيد الجزائري قال روى شيخنا الكليني قدس الله روحه وتغمده الله برحمته في الصحيح عن يعقوب الأحمر قال : دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام نغزبه باسماعيل فترحم عليه ثم قال : إن الله تعالى نعى إلى نبيه نفسه فقال : إنك ميت وإنهم ميتون ، وكل نفس ذائقة الموت ثم أنشأ عليه السلام يحدث فقال :
إنه يموت أهل الأرض حتى لا يبقى أحد ، ثم يموت أهل السماء حتى لا يبقى أحد إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل

قال : فيجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله تعالى فيقول له ، من بقي ؟ وهو أعلم ، فيقول : يارب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش وجبرئيل وميكائيل فيقال له قل لجبرئيل وميكائيل فليموتا فنقول الملائكة عند ذلك يا رب رسوليك وأمينيك ، فيقول تعالى : إنني قضيت على كل نفس فيها الروح الموت .
ثم يجيء ملك الموت حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيقول له : من بقي ؟ وهو أعلم ، فيقول : يارب لم يبق إلا ملك الموت وحملة العرش ، فيقول : قل لحملة العرش فليموتا ، ثم يجيء كئيباً حزينا لا يرفع طرفه فيقول له من بقي ؟ وهو أعلم ، فيقول : يارب لم يبق إلا ملك الموت ، فيقول له : مت يا ملك الموت ، فيموت ثم يأخذ الأرض يمينه والسموات شماله فيقول : أين الذين كانوا يدعون معي شريكا ؟ أين الذين يجعلون معي لها آخر ؟

وفي الأنوار أيضاً إن النفخة الأولى هي اللآتي للمهلك تأتي الناس بغتة وهم في أسواقهم وطلب معاشهم فاذا سمعوا صوت الصور تقطعت قلوبهم وأكبدهم من شدته فيموتوا دفعة واحدة ، فيبقى الجبار جل جلاله فيأمر عاصفة فتقلع الجبال من أماكنها وتلقاها في البحار وتفور مياه البحار وكما في الأرض وتسطح الأرض كلها للحساب فلا يبقى جبل ولا شجر ولا بحر ولا هدة ولا تلمة فتكون أرضاً بيضاء حتى أنه ردى لو وضعت بيضة في المشرق رأيت في المغرب ، فيبقى سبحانه على هذا الحال مقدار أربعين سنة .

فاذا أراد أن يبعث الخلق قال مولينا الصادق عليه السلام أطر السماء على الأرض

أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم و يأمر الله تعالى ريحا حتى تجتمع التراب الذي كان لحما و اختلط بعضه ببعض وتفرق في البراري والبحار وفي بطون السباع فتجمعه تلك الريح في القبر .

فعند ذلك يجيء إسرافيل وصوره معه ويأمره بالنفخة الثانية ، وينفخ فيه النفخة الثانية فإذا نفخ تركبت اللحوم والأعضاء وأعيدت الأرواح إلى أبدانها وانشقت القبور فخرج الناس خائفين من تلك الصيحة ينفضون التراب عن رؤوسهم ، فيجيء إلى كل واحد ملكان عند خروجه من القبر يقبض كل واحد منهما عضداً منه فيقولان له : أجب رب العزة ، فيتحير من لقاؤهما يأخذنه الخوف والفرع حتى أنه في تلك الساعة يبيض شعر رأسه وبدنه بعد ما كان أسود .

وعند ذلك يكثر في الأرض الزلزال حتى يخرج ما فيها من الأثقال و يشيب كل الأطفال و تضع كل ذات حمل حملها و ترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

وفي روضة الكافي بإسناده عن ثوير بن أبي فاختة قال : سمعت علي بن الحسين عليه السلام يحدث في مسجد رسول الله ﷺ فقال : حدثني أبي أنه سمع أباه علي بن أبي طالب عليه السلام يحدث الناس .

قال إذا كان يوم القيامة بعث الله تبارك وتعالى الناس من حفرهم عزلاً مهلاً جرداً في صعيد واحد يسوقهم النور ويجمعهم الظلمة حتى يقفوا على عقبه المحشر ، فيركب بعضهم بعضاً ويزدحمون دونها فيمنعون من المضي فيشتد أنفاسهم ويكثر عرقهم ويضيق بهم أمورهم ، ويشتد ضجيجهم ويرتفع أصواتهم .

قال عليه السلام وهو أول هول من أهوال القيامة قال : فتشرف الجبار تبارك وتعالى عليهم من فوق عرشه في ظلال من الملائكة فيأمر ملكاً من الملائكة فينادي فيهم : يا معشر الخلائق انصتوا و استمعوا مناد الجبار ، قال : فيسمع آخرهم كما يسمع أولهم .

قال : فتتكسر أصواتهم عند ذلك و يخشع أبصارهم و يضطرب فرايضهم وتفرع

قلوبهم ويرفعون رؤوسهم إلى ناحية الصوت مهطعين إلى الداعي قال : فعند ذلك يقول الكافر : هذا يوم عسر .

قال : فيشرف الجبار عز ذكره عليهم فيقول : أنا الله لا إله إلا أنا الحكم العدل الذي لا يجوز اليوم أحكم بينكم بعدلى و قسطي لا يظلم اليوم عندى أحد، اليوم آخذ للضعيف من القوي بحقه واصحاب المظلمة بالمظلمة بالقصاص من الحسنات والسيئات و أئيب على الهبات ولا يجوز هذه العقبة عندى ظالم ولا أحد عنده مظلمة إلا المظلمة يهبها لصاحبها و أئيبه عليها و آخذله بها عند الحساب فتلازموا أيها الخلاق واطلبوا بمظالمكم عندهم ظلمكم بهافي الدنيا ، و أنا شاهد لكم عليهم و كفى لي شهيداً .
قال : فيتعارفون و يتلازمون فلا يبقى لأحد له عند أحد مظلمة أو حق إلا لزمه بها .

قال : فيمكنون ما شاء الله فيشتد حالهم و يكثر عرقهم و يشتد غمهم ويرفع أصواتهم بضجيج شديد فيتمنون المخلص منه بترك مظالمهم لأهلها .

قال : و يطلع الله عز وجل على جهدهم فينادى مناد من عند الله تبارك يسمع آخرهم كما يسمع أولهم : يا معشر الخلاق انصتوا لداعي الله تبارك و تعالى و اسمعوا إن الله تبارك و تعالى يقول : أنا الوهاب إن أحببتم أن توهبوا فواهبوا إن لم توهبوا أخذت لكم بمظالمكم .

قال : فيفرحون بذلك لشدة جهدهم و ضيق مسلكهم و تراحمهم .
قال ^{عليهم} فيهب بعضهم مظالمهم رجاء أن يتخلصوا مما هم فيه و يبقى بعضهم فيقول : يا رب مظالمنا أعظم من أن نهبها .

قال ^{عليهم} فينادى مناد من تلقاء العرش أين رضوان خازن الجنان جنان الفردوس قال : فيأمر الله عز وجل أن يطلع من الفردوس قصر من فضة بما فيه من الآنية والخدم قال : فيطلعه عليهم في حفاة القصر الوصايف والخدم .

قال فينادى مناد من عند الله تبارك و تعالى : يا معشر الخلاق ارفعوا رؤوسكم فانظروا إلى هذا القصر ، قال : فيرفعون رؤوسهم فكلمهم يتمناه ، قال : فينادى مناد

من عند الله يا معشر الخلاق هذا لكلّ من عفى عن مؤمن ، قال : فيعفون كلّهم إلا القليل.

قال : فيقول الله عزّ وجلّ لا يجوز إلى جنّتي اليوم ظالم ولا يجوز إلى ناري اليوم ظالم ، ولا أحد من المسلمين عنده مظلمة حتّى يأخذها منه عند الحساب أيّها الخلاق استعدّ والحساب.

قال : ثمّ يخلّي سيّلتهم فينطلقون إلى العقبة يلود بعضهم بعضاً حتّى ينتهوا إلى العرصة والجبار تبارك و تعالی على العرش قد نشرت الدواوين ونصبت الموازين احضر النبيون والشهداء وهم الأئمة يشهد كلّ إمام على أهل عالمه بأنّهم قد قام فيهم بأمر الله عزّ وجلّ ودعاهم إلى سبيل الله.

قال : فقال له رجل من قريش : يا بن رسول الله إذا كان للرجل المؤمن عند الرجل الكافر مظلمة أيّ شيء يأخذ من الكافر وهو من أهل النار ؟ قال : فقال له عليّ بن الحسين عليهما السلام : تطرح من المسلم من سيئاته بقدر ما له على الكافر فيعذب الكافر بها مع عذابه بكفره عذاباً بقدر ما للمسلم قبله من مظلمة.

قال : فقال له القرشيّ فاذا كانت المظلمة لمسلم عند مسلم كيف يؤخذ مظلمته من المسلم ؟ قال : يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حقّ المظلوم فيزاد على حسنات المظلوم.

قال : فقال له القرشيّ : فان لم يكن للظالم حسنات ، قال : للمظلوم سيئات يؤخذ من سيئات المظلوم فيزاد على سيئات الظالم.

الترجمة

تا آنکه چون بریده شود کارها و بسر آید روز گارها و نزدیک شود زنده شدن مردها ، خارج مینماید ایشانرا خدای تبارک و تعالی از میانهای قبرها و از آشیان های مرغ ها و ماواهای درندها و محل افتادن و هلاک شدن آنها ، در حالتیکه شتابان باشند بسوی امر پروردگار سرعت کننده باشند بمعاد آفریدگار جمع شوند کان ساکت شد کان ایستاد کان صف کشید کان.

نافذ می شود در ایشان نظر ربّ الارباب میشنوندایشانرا خواننده بسوی فصل
 خطاب ، بر ایشانست لباس خضوع و فروتنی و زاری تسلیم و خواری بتحقیق که
 کم شده باشد در آنروز حیلها بریده شود آرزوها
 و خالی می شود قلبها از فرح و سرور در حالتی که ساکت باشند و ترسان
 باشد صوتهای در حالتی که نهان باشند و رسیده شود عرق بدهان و بزرگ شود ترس
 از گناهان و مضطرب می باشد گوشها بجهت زجر و هیبت صوت ندا کننده بسوی
 حکم و خطاب فاصل در میان حق و باطل و به عوض دادن جزا بآنچه کرده اند
 از خیر و شر در دنیا ، و گرفتار شدن حدزنانک عذاب و عقاب و عطا کردن
 اصناف ثواب.

الفصل الرابع

عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اِقْتِدَارًا ، وَمَرْبُوبُونَ اِقْتِسَارًا ، وَ مَقْبُوضُونَ
 اِحْتِضَارًا ، وَمُضْمَنُونَ اُجْدَانًا ، وَ كَائِنُونَ رُفَاتًا ، وَ مَبْعُوثُونَ اَفْرَادًا ،
 وَ مَدِينُونَ جَزَاءً ، وَ مُمَيِّزُونَ حِسَابًا ، قَدْ اَمَّهَلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ ،
 وَ هَدُّوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ ، وَ عَمَّرُوا مَهْلَ الْمُسْتَعْتَبِ ، وَ كَشَفَتْ عَنْهُمْ
 سُدْفَ الرِّيبِ ، وَ خُلُوا لِضَهَارِ الْجِيَادِ ، وَ رَوَّيَةَ الْاِرْتِيَادِ ، وَ اَنَاةَ الْمُقْتَبِسِ
 الْمُرْتَادِ ، فِي مُدَّةِ الْاَجْلِ ، وَ مُضْطَرَبِ الْمَهْلِ ، فَيَا هَا اُمْتَالًا صَابِيَةً ،
 وَ مَوَاعِظَ شَافِيَةً ، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوبًا زَاكِيَةً ، وَ اَسْمَاعًا وَاَعْيَةً ، وَ اَرَآءَ
 عَازِمَةً ، وَ اَلْبَابَ اِحْزَامَةً ، فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةً مِّنْ سَمِيعٍ فَخَشَعٌ ، وَ اقْتَرَبَ
 فَاَعْتَرَفَ ، وَ وَجَلَ فَعَمِلَ ، وَ حَاذَرَ فَبَادَرَ ، وَ اَيَّقَنَ فَاَحْسَنَ ، وَ عُبِّرَ

فَاعْتَبَرَ ، وَحُذِرَ فَازْدَجَرَ ، وَأَجَابَ فَأَنَابَ ، وَرَاجَعَ فَتَابَ ، وَأَفْتَدَى
فَاحْتَدَى ، وَأَرَى فَرَأَى ، فَأَسْرَعَ طَالِبًا ، وَنَجَاهَارِبًا ، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً ،
وَأَطَابَ سَرِيرَةً ، وَعَمَرَ مَعَادًا ، وَاسْتَظَهَرَ زَادًا ، لِيَوْمِ رَحِيلِهِ ، وَوَجِهَ
سَبِيلِهِ ، وَحَالَ حَاجَتِهِ ، وَمَوْطِنِ فِاقَتِهِ ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ ، فَاتَّقُوا
اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ جَهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ ، وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ ،
وَاسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ ، وَالْحَذَرَ مِنْ
هُوْلِ مَعَادِهِ .

اللغة

(قصره) على الأمر قسراً من باب ضرب قهره واقتصره كذلك و (حضره) الموت
و احتضره اشرف عليه فهو في النزع و هو محضور و محاضر بالفتح.
قال الطريحي : وفي الحديث ذكر الاحتضار وهو السوق سمّي به قيل لحضور
الموت والملائكة الموكلين به وإخوانه و أهله عنده ، و فلان محاضر أى قريب من
الموت و منه إذا احتضر الانسان وجه يعنى جهة القبلة و (الاجداث) جمع الجدث
كأمباب و سبب و هو القبر و هذه لغة أهل تهامة و أما أهل نجد فيقولون جدف بالفاء
و (الرفات) كالفتات بالضم لفظاً و معناً و هو ما تناثر من كل شيء و (المنهج) كالنهج
و المنهاج الطريق الواضح و (العتبي) بالضم الرضا و استعبته أعطاه العتبي كأعبته
و طلب إليه العتبي من الأضداد.

قال الفيومي عتب عليه عتياً من بابي ضرب و قتل لامة في تسخط و أعتبني المهمة
للسبب أى أزال الشكوى والعتاب و استعتب طلب الاعتاب و العتبي اسم من الاعتاب
و (السدف) جمع سدفة ، كزفرة و غرف وهي الظلمة و (ضمر) الفرس ضموراً من

باب قعدو ضمير ضمير آمن باب قرب قل لحمه وهزل، وضميرته وأضرته أعدته للسباق وهو أن تعلفه قوتا بعد السمن أي يعلف حتى يسمن ثم يرد إلى قوته الأول ليخف لحمه وذلك في أربعين يوماً، و المضمار. الموضع الذي تضر فيه الخيل.

و (الرؤية) الفكر والتدبير وهي كلمة جرت على ألسنتهم بغيرهمز تخفيفاً وهي من رأت في الأمر بالهمز أي نظرت فيه و (الارتداد) الطلب و (تأني) في الأمر تمكث ولم يعجل والائاة و زان حصة اسم منه و (المقتبس) كلقابس هو طالب العلم والنار و (صاب) السهم الغرض عوباً من باب قال و صابه يصيبه من باب باع كأصابه وصل الغرض و ما أخطاه، و في المثل و في الخواطي سهم صائب و (حزم) فلان رأيه حزمًا أتقنه و (التقية) كالتقوى اسم من اتقى الله اتقاء و (اقترف) لأهله اقترافاً اكتسب من مال حلال أو حرام و (حذر) الشيء، و حاذره خافه.

و يحتمل أن يراد من حاذر كثرة الخوف بناء على أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى و (عبر) أي أرى العبر كثيراً بناء على أن التشديد دليل المبالغة و (زجره) زجرًا منعه ونهاه كازجر فانزجر وازجر فازجر يستعمل مطاوع ازجر و هو غريب و (أفاد) المال استفاده و أعطاه و هو من الأضداد و (استظهرت) به استعنت و (المقام) بضم الميم مصدر كالاقامة يقال قام بالمكان اقامة و مقاما و (كنه) الشيء حقيقته وغايته و نهايته يقال عرفته كنه المعرفة .

و (نجز) الوعد نجزاً من باب قتل تعجل والنجز مثل قفل اسم منه و يهدى بالهمزة والحرف فيقال أنجزته و نجزت به إذا أعجلته واستنجز حاجته و تنجزها طلب قضاءها ممن وعده إياها .

الاعراب

عباد خبر مبتداء محذوف، و اقتداراً و اقتساراً منصوبان على التمييز، واحتضاراً منصوب على الحال المؤكدة من قبيل قوله ولّى مدبراً فيؤل بالمشتق أي مقبوضون محتضرين، مثل قولهم اجتهد وحدك أي منفرداً، و أجداناً مفعول فيه و هو وإن لم يكن من ظروف المكان المبهمة أعني الجهات الست و ما أشبهها من عند ولدي

و نحوهما إلا أنه قد انتصب بفي مقدرة لما في الكلام من معنى الاستقرار كما قال الرضِيُّ .

و أما انتصاب نحو قعدت مقعده و جلست مكانه و نمت مبيته فلكونه متضمناً لمصدر معناه الاستقرار في ظرف فمضمونه مشعر بكونه ظرفاً لحدث بمعنى الاستقرار كما أن نفسه ظرف لمضمونه بخلاف نحو المضرب والمقتل فلاجرم لم ينصبه على الظرفية إلا ما فيه معنى الاستقرار اه ، و إفراداً منصوب على الحال كانتصاب فرداً في قوله تعالى:

« وَ كَلَّمَهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا » .

و جزاء مصدر على غير لفظ فعله و حساباً بمنصوب بنزع الخافض وما قاله البحراني من انه مصدر منصوب بغير فعله ليس بشيء ، و في طلب المخرج في للظرفية المجازية كما في قولهم في نفس المؤمنة مأة من الابل أي في قتلها ، فالسبب الذي هو القتل متضمن للدية تضمن الظرف للمظروف ، وهذه هي التي يقال إنها للسببية .
و مهمل المستعجب بحذف الموصوف مفعول مطلق مجازي من غير المصادر أي امهلوا و عمروا مثل مهمل المستعجب ، وما توهمه الشارح البحراني من أنه مصدر فاسد ، و قوله في مدة الأجل متعلق بقوله خلوا ، و قوله فيالها أمثالا صائبة منادي تفخيم و تعجب ، و انتصاب أمثالا على التمييز من الضمير المبهم .

قال الرضِيُّ في باب التمييز من شرح الكافية : وقد يكون الاسم في نفسه تاماً لالشيء آخر أعنى لا يجوز إضافته فينصب عنه التمييز و ذلك في شيئين : أحدهما الضمير و هو الأكثر و ذلك في الأغلب فيما فيه معنى المبالغة والتفخيم كمواضع التعجب نحو يا له رجلا و يالها قصة و يا لك ليلا إلى آخر ما قال ، و ذخيرة و سريرة منصوبان على المفعول به .

و قوله : جهة ما خلقكم اه قال الشارح المعتزلي نصب جهة بفعل مقدرة تقديره و اقصدا جهة ما خلقكم له يعنى العبادة فحذف الفعل و استغنى عنه بقوله

فاتَّقُوا اللَّهَ لَأَنَّ التَّقْوَى مَلَازِمَةٌ لِقَصْدِ الْمَكَلَّفِ الْعِبَادَةَ فَدَلَّتْ عَلَيْهِ وَاسْتغْنَى بِهَا
عَنْ إِظْهَارِهِ.

قيل و يجوز انتصابها على الظرفية أى اجعلوا تقواكم فى تلك الجهة أى نظراً
إلى تلك الجهة لا للرّياء والسمعة ، والحذر بالجرّ عطف على التّنجيز .

المعنى

اعلم أن هذا الفصل مسوق لشرح حال النّاس والكشف عن
أوصافهم و التّنبيه على ما خلقوا لأجله و ما بصبر أمرهم إليه واستدرج ذلك بمواعظ
شافية ونصائح وافية ، والمقصود بذلك كلّ تنبيههم عن نوم الغفلة و الجهالة و افاقتهم
من سكر الحيرة والضلالة .

فقوله (عباد مخلوقون اقتداراً) يعنى أن النّاس الذين شرحنا حالهم وذكرنا
كيفية حشرهم و معادهم هم عباد خلقهم الله سبحانه من قدرته التامة الكاملة
وحكمته الجامعة البالغة وليس خلقهم لذواتهم و من اتصف بذلك لايجوز له العصيان
لخالقه و بارئه .

(و مربوبون اقتساراً) أى مملوكون من قهر و غلبة و ربّاهم الله سبحانه من
صغرهم إلى كبرهم لاعتبارهم حتى يكون لهم الخيرة فى معصية ربّهم و مالكمهم
(و مقبوضون احتضاراً) أى مقبوضون بالموت محتضرين إلى حضرة ذي العزة فى جازيمهم
بالحسنة و السيئة (و مضمّنون أجداناً) أى فى قبورهم هي دار الوحدة و الوحشة
(و كائنون رفاتاً) و عظاما فتاناً أى أجزاء شتاناً (و مبعوثون افراداً) أى وحداناً لآمال
لهم ولا ولد كما فسّر بذلك قوله تعالى :

« وَ لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ
وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَ مَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ
لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ وَ وَصَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَرَعُمُونَ » .

قال في مجمع البيان : أي جئتمونا وحداناً لا مال لكم ولا اخول ولا ولد ولا حشم وقيل واحداً واحداً عليه وحده وقيل كل واحد منكم منفرداً من شريكه في الغي وشقيقه كما خلقناكم أو لمرّة أي خلقناكم في بطون امتهاتكم لا ناصر لكم ولا معين وقيل معناه ما روي عن النبي ﷺ أنه قال : تحشرون حفاتنا عرانا عزلاً ، و العزل هم الغلف .

وروي إن عائشة قالت لرسول الله ﷺ حين سمعت ذلك : و اسوأناه ينظر بعضهم إلى سوءة بعض من الرجال والنساء قال ﷺ : لكل امرء منهم يومئذ شأن يغنيه ويشغل بعضهم عن بعض .

وتركتهم ماخولناكم وراء ظهوركم ، معناه تركتم ما ملكناكم في الدنيا مما كنتم تتباهون به من الأموال خلف ظهوركم ، والمراد تركتم الأموال في الدنيا وحملتكم من الذنوب الأحمال واستمتع غيركم بما خلفتم وحوسبتم عليه فيالها حسرة (ومدينون جزاء) أي مجزيون بأعمالهم جزاء إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً .

« مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمْثَلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ » .

(ومميزون حساباً) أي في حساب يعني بتمييز المؤمن من المجرم و النقي من الشقي والجيد من الردي في يوم الحساب ومقام المحاسبة كما قال سبحانه :

« وَامْتَاذُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ » .

أي اعتزلوا من أهل الجنة وكونوا فرقة على حدة

نقل أنه إذا جمع الله الخلق يوم القيامة بقوا قيامه على أقدامهم حتى يلجمهم العرق فينادون يا ربنا حاسبنا ولو إلى النار فيبعث الله رياحا فتضرب بينهم وينادي مناد : وامتازوا اليوم أيها المجرمون ، فتميز بينهم فصار المجرمون إلى النار و من كان في قلبه ايمان صار إلى الجنة .

(قد اهلوا في طلب المخرج) يعنى أن الله سبحانه أهلهم في دار الدنيا لطلب نجاتهم و خلاصهم من الظلمات إلى النور و خرجهم من الضلالة إلى السداد و من الغواية إلى الرشاد (و هدوا سبيل المنهج) أى هداهم الله تعالى بما جعل لهم من العقول و بعث إليهم من الأنبياء و الرسل إلى المنهج القويم و الصراط المستقيم الموصل لسالكه إلى حظيرة القدس و جنة الفردوس .

(و عمر و اهل المستعتب) يعنى أعطاهم الله العمر و أهلهم في الدنيا مثل مهل من يطلب رضائه و اعتابه أى إزالة الكوم و الشكوى عنه و لما كان من يطلب إزالة الكوم عنه و يقصد رجوعه عن غيئه بمهل طويلاً و يداري شبهه ^{بإزالة} مهلة الله لخلقه مدة أعمارهم ليرجعوا إلى طاعته و يعملوا صالحاً بذلك فافهم جيداً .

(و كشفت عنهم سدف الرب) أى أزيلت عنهم ظلمات الشكوكات و الشبهات بما منحهم الله من العقول مؤيداً بالرسل (و خلّو المضاير الجياد) أى خلاهم الله و تركهم في الدنيا ليضمرّوا أنفسهم و يستعدوا السباق في الآخرة كما يترك الجياد من الخيل في المضمار و تضرر ليحصل لها الاستعداد للمسابقة و يحاز بها قصب السبق و يؤخذ بها السبق .

و في الايتان بلفظة الجياد تنبيه على أن يكونوا من جياد مضمارهم و قد مرّ توضيح تشبيه الدنيا بالمضمار في شرح الخطبة السابعة و العشرين فليراجع (و) كذلك خلّوا (روية الارتياذ و أناة المقتبس المرتاد) أى للتفكر في طلب الحق و ليتأنوا أناة المتعلم للعلوم الحقّة المحتاج في تعلمه إلى التأنى و المهلة الطالب للأنوار الإلهية ليهتدى بها في ظلمات الجهل و الغفلة (في مدة الأجل) الذي عينه سبحانه لهم (و مضطرب المهل) الذي قدر في حقهم .

ثم نبّه ^{عليه} على كمال كلامه و فضل موعظته و عرض على عدم القلوب العاملة لها بقوله (فيألها أمثالا صائبة و مواعظ شافية) أى أمثالا مطابقة لممثلاتها متصفة بالصواب خالية عن الخطأ و مواعظ شافية لأمرض الجهل مبرئة عن آلام الهوى (لو صادفت) تلك الأمثال و المواعظ (قلوباً) طاهرة (زاكية و أسماعا) حافظة

(واعية) أي قلوبا مستعدة لقبول الهداية و أسماءا قابلة لحفظ النصيحة (و آراء عازمة) قاصدة على الرشد و السداد (و ألبابا حازمة) متقنة لما فيه الصلاح و الرشاد .

وعن معاني الأخبار : الحزم أن تنتظر فرصتك وتعاجل ما أمكنك .

وفي الحديث: الحزم بضاعة والتواني اضاعه وفيه :الظفر بالحزم والحفر الحزم ظهرا
باجالة الرأي والرأي بتحسين الأسرار .

قال بعض شراح الحديث أشار إلى أسباب الظفر القريب والمتوسط والبعيد فالحزم أن تقدم العمل للحوادث الممكنة قبل وقوعها بما هو أبعد عن الغرور وأقرب إلى السلامة ، و هو السبب الأقرب للظفر بالمطالب ذ المتوسط هو إجماله الرأي وإعماله في تحصيل الوجه الأحزم و هو سبب أقرب للحزم ، والأبعد هو اسرار ما يطلب و هو سبب أقرب للرأي الصالح إذ قل ما يتم رأي و يظفر بمطلوب مع ظهور إرادته ، هذا .

وفي رواية الحزم في القلب والرحة والغلاظ في الكبد ، والحياء في الرية .
ثم إنه عليه السلام بعد التنبيه على فضل موعظته والاشارة إلى أسباب قبول الموعظة حث على التقوى أيضاً و رغب فيها لكونها الغرض الأصلي من هذه الخطبة فقال .
(فانتقوا الله) تقيّة مثل (تقيّة من سمع) نداء الله (فخشع) قلبه لله (واقترف) الاثم و الشتماء (فاعتبر) بالتقصير و الخطاء (و وجل) العقبى (فعمل) الحسنى (وحاذر) العقوبة (فبادر) المثوبة (وأيقن) أجله (فأحسن) عمله (وعبر) بما فيه اتعاظ واعتبار (فاعتبر) وحصل له اناة و انزجار (وحذر) بالسخط و النكال (فازدجر) وانزجر عن سوء الأعمال (وأجاب) دعوة الداع إذا دعاه (فأناب) إلى ربه حين ناداه (وراجع) عقله وتفكر (فتاب) عما فرط وقصر (واقتدى) بالأنبياء والمرسلين (فاحتذى) حذ وعباد الله المتقين (وارى) الآيات في الآفاق والأفانفس (فرأى) الحقيقة ببيان الحس .

(فأسرخ) إلى الخير (طالبا) راغبا (ونجى) من الشر (هادبا) راهبا

(فافاد ذخيرة) لسلك سبيل الرحمن (وأطاب سريرة) من الرّجس وودس الشيطان
 (وعمر معاداً) بصالح الأعمال (واستظهر زاداً) من التقى ومكارم الخصال (ليوم رحيله)
 من الدنيا (ووجه سبيله) إلى العقبى (وحال حاجته) في الحشر والمعاد (ومواطن
 فاقته) يوم التّسار (وقدم) التقوى (أمامه) ليكون عدّة (لدار) مقيله و (مقامه
 فاتقوا الله) سبحانه يا (عباد الله) واقصدوا (جهة ما خلقكم له) من تحصيل العرفان
 واليقين وتكميل الاخلاص في الدين كما قال عز من قائل
 « وَ مَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » « وَ مَا أَمِرُوا
 إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » .

(واخذروا منه كنه ما حذركم من نفسه)

بقوله: « فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ » وقوله: « كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ
 لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ثُمَّ لَتَسْتَأْنِفْنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ » .

(واستحقوا منه) تعالى (ما أعدّه) (لكم) وهياه في حثكم ويشير به بقوله
 « لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ » .

واستحقاق ذلك إمّا (بالتجنّز لصدق ميعاده) أي بطلب انجاز وعده الصادق والتماس
 وفائه بالجزاء اللائق ، وذلك الطلب إنّما هو بعد الاقبال بالطاعات والاجتهاد في إتيان
 الصّالحات (و) إمّا با (الحذر من هول معاده) وهو إنّما يكون بالارتداع من
 الخطيئات والازدجار عن السيئات ، وفقنا الله سبحانه للاقبال و الابتهاج و للانتهاج
 و الانزجار و أنسى لنا بذلك مع مانحن عليه من الاغترار بالدنيا ولذاتها والافتتان

بشهواتها .

كاننا نرى أن لا نشور وأننا
 ألا لاولكننا نفرّ نفوسنا
 وكيف يلذ العيش من هو موثق
 سدى مالنا بعد الفناء بصائر
 وتشغلنا اللذات عما نحاذر
 بموقف عدل حين تبلى السرائر

الترجمة

ایشان بندگانند مخلوق شده از روی قدرت فاعل مختار ، و مملوک از روی قهر و جبر بی اختیار ، و قبض کرده شده درحالتی که محضزند و مرتحل بدادرقرار ، و نهاده شده اند در درون قبور و گردیده اند اجزاء متفرقه چون هباه منشور ، و مبعوث شده اند در حالتی که منفردند از اهل و مال ، و جزاداده شده اند جزا دادنی بحسب اعمال ، و تمیز داده شده اند در مقام حساب ربّ الأرباب .

بتحقیق که مهلت داده شده اند در دنیا بجهة طلب خروج از ظلمت جهالت و راه نموده شده اند براه راست رشادت و معمر شده اند و مهلت داده شده همچو مهلت کسی که طلب کننده باشد رضا و ازاله ملامت حضرت عزّت را از خود بتوبه و انابت و زایل گردانیده شده است از ایشان ظلمات شك و گمان بایسته و برهان ، و وا گذاشته شده اند در دنیا از برای ریاضت دادن نفس آماده بواسطه حمل کردن بأسباب تقوی و انتقال طاعت چون ریاضت دادن و لاغر نمودن اسبهای خوب از برای سبقت در میدان مسابقت .

و همچنین وا گذاشته شده اند از برای تفکر در طلب حق و از برای تائبی کردن همچو تائبی کردن طالب نور الهی بتحصیل سعادت و جوینده آن بکسب کمالات در مدت اجلی که معین شده است برایشان و محل اضطراب مهلتی که مقدر شده است در حق ایشان ، پس ایقوم تعجب نمائید از این پندها از حیثیت مثلهای موصوفه بدرستی و صواب و نصیحتهای شفا دهنده بأمراض نادانی و جهالت اگر برسد بقلوب متصفه بحدودت و ذکاوت ، و بگوشهای حفظ کننده نصیحت ، و برآیهای صاحب عزم و علو همت ، و بعقلهای صاحب حزم و بلند مرتبت .

پس پرهیزید از خدا همچو پرهیز نمودن کسی که شنید امر خدا را پس فروتنی نمود بخدا و کسب گناه کرد پس اعتراف بتقصیر نمود و ترسید از آخرت پس عمل شایسته نمود و حذر نمود از عقوبت پس بشتافت بسوی طاعت، و یقین کرد بأجل پس نیکو کرد عمل را و عبرت داده شد پس قبول عبرت نمود و ترسانیده شد از عذاب و سخط پس منزجر شد از معصیت و إجابات نمود دعوت را پس رجوع نمود بزبان معذرت، و مراجعه نمود به عقل خود پس توبه کرد از خطیئت و اقتدا نمود بأئیمیا و مرسلین پس تابع شد بسلف صالحین.

و نموده شد به وی آیات قدرت پس معرفت رساند بحقیقت پس سرعت کرد بسوی خیر در حالتیکه طالب و راغب بود و نجات یافت از شر در حالتیکه گریزان و هارب بود، پس کسب نمود ذخیره را از برای سلوک سییل رحمان، و پاکیزه نمود باطن خود را از رجس و شرک شیطان، و معمور نمود معاد خود را بصلاح اعمال، و پشت قوی کرد بتوشه بر داشتن از تقوی و محاسن خصال از برای رحلت خود در دنیا و جهت راه خود به عقبی و برای حال احتیاج خود و موضع درویشی خود و فرستاد پیش از خود توشه طاعت از برای سرای اقامت

پس پرهیزید از خدا ای بندگان خدا، و قصد نمائید جهت آنچه را که خلق نمود شما را از برای آن که عبارت است از تحصیل معرفت و عبادت با اخلاص نیت، و برسید از خدا بنهایت آنچه ترسانید شما را از نفس خود و استحقاق پیدا کنید از او آنچه را که مهیا کرده است از برای شما با طلب وفا نمودن مروعه صادق او را و با حذر نمودن از هول معاد او.

و معلوم است که این طلب وفا داین حذر متصور نمی شود مگر با اقبال بطاعات، و با ارتداع از سیئات، اللهم وفقنا بحق محمد سید السادات.

الفصل الخامس

جَمَلَ لَكُمْ أَسْمَاعًا لِيَتَعَيَّ مَا عَنَّا، وَأَبْصَارًا لِيَتَجَلَّوْا عَنْ عَشَاهَا، وَأَشْلَاءَ

جامعة لأعضائها، ملائمة لأحوائها، في تركيب صورها، ومدد عمرها،
 بأبدان قائمة بأزفاقها، وقلوب رائدة لأرزاقها، في مجلات تبعه،
 وموجبات منبه، وحوارج عافيته، وقدر لكم أعماراً سترها عنكم،
 وخلف لكم عبراً من آثار الماضين قبلكم من مستمتع خلائقهم،
 ومسنفسح خفافهم، أرهقتهم المنايا دون الآمال، وشذبهم عنها تخرم
 الآجال، لم يمهّدوا في سلامة الأبدان، ولم يعتبروا في أنف الأوان،
 فهل ينتظر أهل بضاعة الشباب إلا حواني الهرم، وأهل غضارة الصحة
 إلا نوازل السقم، وأهل مدة البقاء إلا آونة الفناء مع قرب الزيال،
 وأزوف الإيقال، وعز القلق، وألم المضض، وغصص الجرض،
 وتلف الاستغاثة بنصرة الحفدة والأقرباء، والأعزة والقرناء،
 فهل دفعت الأقارب؟ أو تفتت النواحب؟ وقد غودر في محلة الأموات
 رهيناً، وفي ضيق المضجع وحيداً، قد هتكت الهوام جلدته، وأبليت
 النواهيك جدته، وعفت العواصف آثاره، وحى الحداث معالمه،
 وصارت الأجساد شعبة بعد بضتها، والعظام نخرة بعد قوتها،
 والأرواح مرهنة بئقل أعبائها، موقنة بغيب أنبائها، لا تستزاد
 من صالح عملها، ولا تستغتب من سيئ زليها، أو لستم أبناء القوم

وَالْآبَاءُ؟ وَإِخْوَانُهُمْ وَالْأَقْرَبَاءُ؟ تَحْتَدُونَ أَمِثْلَتَهُمْ، وَتَرَكَبُونَ قَدَّهُمْ
وَتَطَاوَنَ جَادَتَهُمْ، فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا، لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا، سَالِكَةٌ
فِي غَيْرِ مِضَارِهَا، كَانَ الْمَعْنَى سِوَاهَا، وَكَانَ الرُّشْدُ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا.

اللغة

(عنيته) عنيا من باب رمى قصدته و عناه الأمر أهمه و (عشى) عشا من باب
تعب ضعف بصره و أبصر نهاراً ولم يبصر ليلاً فهو أعشا والمرئة عشواه و(الأشلاء) جمع
الشلوى مثل أحمال و حمل و هو العضو و قال في القاموس الشلوى بالكسر العضو
والجسد من كل شيء.

و (الخنو) بالفتح والكسر كل ما فيه اعوجاج من البدن كعظام الحجاج واللحمي
والضلع و من غيره كالقف والحقف و كل عود معوج في القتب والرحل والسرّج والخنو أيضاً
الجانب و عن النهاية ملائمة لاحتائها إى معاطفها و (الرفق) النقع يقال ارتفعت به
إى انتفعت و قال في القاموس: الرفق بالكسر ما استعين به، و يروى بارهاقها بدل
بارفاقها و هو جمع الرمق بقية الروح.

و (مجللات النعم) ما نعم الخلق من جليل الشيء تجليلاً أي عم؛ و منه السحاب
المجلل و هو الذي يجلل الأرض بماء المطر أي يعمه و في حديث الكافي و العيون
الامام كالشمس انطالعة المجللة بنورها للعالم و (المستمتع) اسم مكان من استمتعت
بكنا انتفعت به و (الخلق) بالفتح النصيب و (المستفسح) محلّ الفسحة و هي
السعة و (الخناق) ككتاب الحبل الذي يخنق به يقال خنقه يخنقه خنيقاً ككتف إذا عصر
حلقة حتى يموت فهو خناق و خناق، و ربما يطلق الخناق على الحلق يقال اخذته
بخناق و مخنقه أي بحلقه.

و (أرهقت) الشئ أي أدركته و أرهقت الرجل أمر أيتعدى إلى مفعولين أعجلته
و كلفته حمله و (الأنف) بضمتين أول الأمر و (بضض) الرجل بالفتح والكسر بضاضة

و بضوطة فهو بضٌ أى رخص الجسد رقيق الجلد ممتلى و (الحوانى) جمع الحانية وهي العلة التي تحنى شطاط (١) الجسد و تمنعه عن الاستقامة و (المهرم) محرّكة أقصى الكبر و (الغضارة) طيب العيش والسعة و النعمة و (الالذنة) جمع أوان كآزمنة و زمان و (العلز) بالتحريك خفة و هلع يصيب المريض والأسير والمحتضر و رجل علزأى هلع لاينام و (المضض) محرّكة و جمع المصيبة (جرض) بريقه ابتلعه بالجهد على هم و حزن و أجرضه الله بريقه أغصه و (التلفت) و الالتفات بمعنى وهو الانصراف يقال التفت إلى التفاتا انصرف بوجهه نحوى و التلفت أكثر منه و (الحفدة) الأعوان و الخدم ، و قيل أولاد الأولاد .

و النساء (النواحب) اللاتي يرفعن أصواتهن بالبكاء من النوح و هو شدة البكاء و يروى النوادب بدلها و (غادره) مغادرة تركه و بقاء و (هتك) الستر وغيره جذب فقطعه من موضعه و (الهامة) من الحيوان ماله سم يقتل كالحيات و الجمع الهوام كداب قود و ابور بما يطلق على ما لا يقتل كالحشرات و (نهكته) الحمى نهكا من باب ضرب هزلته و جهده و أضعفته (٢) و نهكه السلطان بالغ في عقوبته و الناهك و النهيك المبالغ في الأشياء و (الجدة) بكسر الجيم مصدر يقال جديجد من باب ضرب يضرب جدة إذا صار جديدا و هو ضد البلى و (عفت) بالتخفيف و يروى بالتشديد و (شحب) لونه من باب جمع و نصر و كرم شحوبا و شحوبة تغير من هزال أو جوع أو سفر و (تستعب) بالبناء على المفعول و (القدّة) بكسر القاف و الدال المهملة الطريقة و (المعنى) بالتشديد و المعنى والمعناة و المعنية بمعنى واحد .

الاعراب

لفظة عن في قوله لتجلو عن عشاها إما زائدة أو بمعنى بعد كما جوزه الشارح المعتزلي مستشهدا بقول الشاعر لعجب حرب و ائل عن حيال اى بعد حيال فيكون قد حذف المفعول و التقدير لتجلو الاذى بعد عشاها ، و الأظهر ما قاله الشارح

١- الشطاط كسحاب و كتاب القامة و حسن القوام .

٢- ضن ضنا من باب رضى مرض مرضا محامرا كلما ظن بيره نكس .

البحراني من أن عن ليست بزيادة لأن الجلاء يستدعي مجلواً و المجلو عنه فذكر
المجلو و أقامه مقام المجلو عنه فكانه ^{عَلَيْهِ السَّلَامُ} قال لتجلو عن قواها عشاها ، و فسي
تركيب صورها متعلق بملائمة ، و قوله : بأبدان متعلق بجعل و الباء للمصاحبة ، و الباء
في بأرفاقها للصلة و على رواية بأرفاقها إمالة للسببية أو للاستعانة .

و قوله في مجللات نعمه متعلق بمقدر حال من فاعل جعل أو من ضمير الخطاب
في لكم أى جعل لكم الأسماع حال كونكم في مجللات نعمه ، و من مستمتع خلاقهم
يبان للعبر ، و دون في قوله دون الآمال بمعنى عند ، و جملة لم يمهّدوا في محلّ
النصب على الحال من مفعول أرهقتهم .

فهل ينتظره استفهام انكاري تويخي من قبيل قوله سبحانه : أنعبدون ما
تنتحون ، و كلمة إلا في المواقع الثلاثة أعنى قوله : إلا حوانى الهرم ، و إلا نوازل
السقم ، و إلا آونة الغناء إن كانت للاستثناء فيتوجه عليه أن الاستثناء المفرغ غير
جائز في الكلام الموجب ، و إن كانت بمعنى غير كما يظهر من شرح البحراني ففيه
أن إلا بمعنى غير لا يجوز حذف موصوفها كما يجوز حذف موصوف غير يقال جائني
غير زيد ولا يصح أن يقال جائني إلا زيد كما صرح به ابن هشام وغيره ، و بذلك فرّ قوا
بين إلا و كلمة غير .

و يمكن توجيهه بأن يقال إن إلا للاستثناء و إن جواز التفريغ هنا لاستقامة
المعنى و حصول الفائدة كما جوزوه في قولهم قرأت إلا يوم كذا معللين بأنه لا يبعد
أن يقرء في جميع الأيام إلا اليوم المعين ، فعلى هذا التوجيه يكون المراد بالكلام
أنه ينتظر هؤلاء جميع اللذائذ الدنيوية و الشهوات النفسانية إلا حوانى الهرم
و نوازل السقم فافهم .

و الباء في قوله بنصرة الحفدة ، متعلق بالاستغانة ، و قوله فهل دفعت الأقارب
استفهام انكاري إبطالي على حدّ قوله أفأصفيكم ربكم بالبنين ، و قوله وقد غودر في محلّ
النصب على الحال و العامل نفعت ، و كذلك رهيناً و جيداً منتصبان على الحال و العامل
غودر ، و هكذا جملة قد هتكت و أبلت و عفت و معى اه ، و قوله : و صارت عطف

على غودر ، و جملة لانستزاد ولانستعتب في محلّ النصب أيضاً على الحالية ، وقوله أولستم استفهام تقريري .

المعنى

اعلم أن صدر هذا الفصل تذكير لعباد الله بضروب نعم الله سبحانه و منته عليهم و تنبيه على الغاية من تلك النعم ، و ذيله مسوغ لبيان حال السلف ليعتبر به الخلف بقوله ط (جعل لكم أسماعاً لتعنى ما عاها و أبصاراً لتجلو عن عشاها) إشارة إلى النعمتين العظيمتين اللتين أعطاهما الله سبحانه لخلقه مع الإشارة إلى ما هو الغرض منهما .

فالمقصود أنه سبحانه خلق لانتفاعكم قوة سامعة لتحفظ ما أهمتها و قوة باصرة لتجلو العشا عن الابصار ، فعلى هذا يكون قوله و أبصاراً اه من باب الاستخدام حيث اريد بالابصار القوة و بضمير عشاها الراجع إليه العضو المحسوس المخلوق من الشحم المركب من السواد والبياض ، فبتلك القوة حصل له الادراك والابصار بعد ما لم يكن في نفسه مبصراً مدر كما فكانت جلاء عن عشاها .

و يوضح ذلك ما رواه في البحار من المناقب لابن شهر آشوب مما أجاب الرضا عليه السلام بحضرة المأمون لضباع بن نصر الهندي و عمران الصّابي عن مسألتها قال عمران : العين نور مر كبة أم الروح تبصر الأشياء من منظرها ؟ قال عليه السلام : العين شحمة و هو البياض والسواد والنظر للروح دليله إنك تنظر فيه و ترى صورتك في وسطه والانسان لا يرى صورته إلا في ماء أو مرآة و ما اشبه ذلك .

قال ضباع إذا عميت العين كيف صارت الروح قائمة والنظر ذاهب ؟ قال عليه السلام : كالشمس طالعة يغشاها الظلام ، قال : أين تذهب الروح ؟ قال عليه السلام ، أين يذهب الضوء الطالع من الكوة في البيت إذا سدّت الكوة ، قال : أوضح لنا ذلك ، قال عليه السلام : الروح مسكنها في الدماغ وشعاعها منبث في الجسد بمنزلة الشمس دارتها (١) في السموات .

١- قال في القاموس الدار المحلّ يجمع البناء والعروة كالدارة و في المصباح الدارة دارة

القمر و غيره سميت بذلك لاستدارتها منه .

و شعاعها منبسط على الأرض فاذا غابت الدائرة فلا شمس وإذا قطعت الرأس (١) فلا روح.

فإن غرض السائل أن المدرك هو العضو أم الروح تبصر الأشياء وهذا منظره ، فاختار عَلَيْهِ السَّلَام الثاني وعلله بأن العضو مثل ساير الأجسام الصقيلة يري فيها الوجه كالماء والمرآة فكما أنها ليست مدركة لما ينطبع فيها فكذا العين وغيرها من المشاعر هذا

وقد اشير إلى منافع السمع والبصر وبعض حكمهما في حديث المفضل المعروف عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَام حيث قال:

انظر يا مفضل إلى هذه الحواس الخمس التي خص بها الانسان في خلقه وشرف بها على غيره كيف جعلت العينان في الرأس كالمصاييح فوق المنارة ليتمكن من مطالعة الأشياء ولم تجعل في الأعضاء التي تحتهن كاليدين والرجلين فتعرضها الآفات ويصيبها من مباشرة العمل والحركة ما يعللها ويؤثر فيها وينقص منها ، ولا في الأعضاء التي وسط البدن كالبتن والظهر فيعسر تقلبها واطلاعها نحو الأشياء فلما لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أسنى المواضع للحواس وهو بمنزلة الصومعة لها ، فجعل الحواس خمساً تلقي خمساً لكيلا يفوتها شيء من المحسوسات فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها لم يكن فيها منفعة .

و خلق السمع ليدرك الأصوات فلو كانت الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها ارب وكذلك ساير الحواس . ثم يرجع هذا متكافئاً فلو كان بصر ولم يكن الألوان لما كان للبصر معنى ، ولو كان سمع ولم يكن أصوات لم يكن للسمع موضع فانظر كيف قدر بعضها يلقي بعضها فجعل لكل حاسة محسوساً يعمل فيه ولكل محسوس حاسة تدركه .

١ - الرأس مذكر وتأنيت الفعل كانه لاشتماله على الاعضاء الكثيرة ان لم يكن من تعريف

ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات لا يتم الحواس إلا بها كمثال الضياء والهواء فإنه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون ، ولو لم يكن هواء يؤدي الصوت إلى السمع لم يكن يدرك الصوت فهل يخفى على من صح نظره واعمل فكره ان مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس و المحسوسات بعضها يلقي بعضاً وتهيئة أشياء اخر بها يتم الحواس لا يكون إلا بعمد وتقدير من لطيف خبير ؟

فكر يا مفضل فيمن عدم البصر من الناس وما يناله من الخلل في اموره فإنه لا يعرف موضع قدمه ولا يبصر ما بين يديه فلا يفرق بين الألوان وبين المنظر الحسن والقيح فلا يرى حفرة إن هجم عليها ولا عدو إن هوى إليه بسيف ، ولا يكون له سبيل إلى أن يعمل شيئاً من هذه الصناعات مثل الكتابة و التجارة والصياغة حتى أنه لو انفاد ذهنه لكان كالحجر الملقى .

و كذلك من عدم السمع يختل في امور كثيرة فإنه يفقد روح المخاطبة والمحاورة ويعدم لذة الأصوات واللحون الشجية المطربة ، وتعظم المؤنة على الناس في محاورته حتى تبرموا به ولا يسمع شيئاً من اخبار الناس وأحاديثهم حتى يكون كالغائب وهو شاهد و كالميت وهو حي .

وقوله (وأشياء جامعة لأعضائها) الظاهر أن المراد بالشلو هنا العضو و ليس كتابة عن الجسد كما زعمه البحراني إذا لأبدان مذكورة بعد ذلك فيلزم التكرار مع أن ارادة الجسد على تقدير صحتها لا حاجة فيها إلى الكناية لما قد عرفت من اشتراكه لغة بين الجسد والعضو .

فان قلت : إرادة العضو ينافيها قوله بعضها جامعة لأعضائها ، إذ الشيء لا يجمع نفسه .

قلت : يمكن توجيهه بما وجهه الشارح المعتزلي من جعل المراد بالأشياء الأعضاء الظاهرة وبالأعضاء الأعضاء الباطنة ولاريب أن الأعضاء الظاهرة تجمع الأعضاء الباطنة (ملائمة لأعضائها في تركيب صورها ومدد عمرها) أي جعل الأعضاء مناسبة

موافقة للجهاز والجوانب التي جعلت فيها ملائمة لها في صورها التركيبية.
مثلا جعل اليدين في اليمين واليسار أنسب من كونهما في الرأس ، و كون العينين في الرأس أولى من كونهما في الظهر أو البطن وكذلك كون ثقب الأنف في أسفله أنسب وأحسن من كونه في أعلاه ، و كون المئانة والمعدة في أسافل البدن أليق و هكذا و قد مرَّ حكمة بعض ذلك في رواية المفضل و ستعرف البعض في التبصرة الآتية مضافا إلى الحسن والبهجة والالتيام والمناسبة المقررة في هذه الصور المجعولة ألا ترى أن من لم يكن له حاجب فوق عينه أو سقطت الأشفار من طرف عينه كيف يكون قبيح الصورة كربه المنظر ، و هكذا ساير الأعضاء ، هذا كله لو كان الحنوفي كلامه بمعنى الجانب والجهة ، ولو جعلناه بمعنى العضو المعوج فيكون المراد أنه تعالى جعل الأعضاء المستقيمة من البدن ملائمة للأعضاء المعوجة في صورها المركبة فالإنسان المستقيمة موضع المعوجة ولا المعوجة موضع المستقيمة ولا يصادم حسن الاستقامة للاعوجاج ولا الاعوجاج للاستقامة ، إذ كل منهما في موقعهما حسن وأحسن فتبارك الله أحسن الخالقين .

و أما قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ : و مدد عمرها ، فالظاهر أنه أراد به أن الله جعل مدد عمر كل من الأعضاء ملائمة للآخر مقارنة له بحيث لا يفنى بعض الأعضاء قبل فناء الآخر فيكون الكلام محمولا على الغالب فافهم .

وقوله يَتْلِيهِ (بأبدان قائمة بأرفاقها وقلوب رائدة لأرزاقتها) أي قائمة بمصالحها ومنافعها أو أن قوامها باستعانة أرواحها على الرواية الأخرى السالفة في بيان اللغة وقلوب طالبة لأرزاقتها جالبة لها إليها .

والضمير في أرزاقتها يحتمل رجوعه إلى الأبدان ورجوعه إلى نفس القلوب ، وعلى الأول فالمراد بالرزق الرزق الجسماني ، وعلى الثاني فالمراد به الرزق الروحاني أعني العلوم الحقة والمعارف الشرعية والعقائد الإلهية الموجبة للسعادة في الدارين ، والمحصلة للذة في النشأتين ، فإن القلب هو الطالب الجالب لتلك الأرزاق إلى نفسها كما أنه هو الطالب الجالب للأرزاق إلى البدن ولو بتوسط الآلات البدنية

إذ هو العالم بالله ، و هو المتقرب إلى الله ، وهو المحصل لرضوان الله ، و هو الساعي إلى الله ، وهو المكاشف بما عند الله ، وهو في الحقيقة سلطان مملكة البدن يستخدم الآلات والجوارح بأمرها وينهيها ويستعملها استعمال المالك لعبده والسلطان لرعيته ، وتحقيق ذلك موقوف على شرح حال القلب ومعرفة عجائب صفاته .

فأقول : إن القلب كما حققه الغزالي يطلق على معنيين :

أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر ، وهو لحم مخصوص و في باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه ، وهو بهذا المعنى موجود للإنسان والحيوان والحي والميت ، ومرئي بحس العيان ويدركه الحيوان بحاسة البصر كما يدركه الإنسان و لا يتعلق به غرضنا في المقام .

الثاني هو جوهرة لطيفة ربانية نورانية روحانية لها تعلق بالقلب الجسماني الذي ذكرناه وهي حقيقة الإنسان و بها تمامه و كماله وهو المدرك العالم العارف و هو المخاطب و المطالب ، وله جنود و أعوان و أنصار فمن تلك الجنود ما يرى بالأبصار كالأعضاء الظاهرة من اليد و الرجل و العين و الأذن و اللسان ونحوها ، وما لا يرى بالأبصار كالحواس الباطنة والشهوة والغضب ونحوها ، فجميعها خادمة للقلب منقادة لحكمه مسخرة له وقد خلقت مجبولة على طاعته لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمرداً .

فأذا أمر العين بالانفتاح انفتحت وبالأبصار انطبقت والرجل بالحركة تحركت و بالسكون امتثلت و اللسان بالكلام تكلم و بالسكوت أمسك ، و كذا سائر الأعضاء .

وإنما افتقر إلى هذه الجنود من حيث افتقاره إلى المركب و الزاد لسفره الذي يجب له سلوكه و لأجل مسيره خلق ، وهو السفر إلى الله وقطع المنازل إلى لقائه و مركبه البدن وزاده المعرفة والأسباب التي توصله إلى الزاد وتمكنه من التزود هو العمل الصالح .

فليس يمكن العبد أن يصل إلى الله ما لم يسكن البدن و لم يجاوز الدنيا ، فان المنزل الأدنى لا بد من قطعه للوصول إلى المنزل الأقصى ، فالدنيا مزرعة الآخرة وهي منزل من منازل الهدى وإنما سميت الدنيا لكونها أدنى المنزلتين فاضطر إلى أن يتزود من هذا العالم .

فالبدن مركبه الذي يصل به إلى هذا العالم فافتقر إلى تعهد البدن و حفظه وإنما يحفظ البدن بأن يجلب إليه ما يوافقه من الغذاء ويطلب له ما يناسبه من الرزق وأن يدفع عنه ما ينافيه ويضاره من أسباب الهلاك ، فافتقر لأجل جلب الغذاء إلى جندين باطن وهو الشهوة ، وظاهر وهو الأعضاء الجالبة للغذاء من اليد ونحوها فخلق في القلب من الشهوات ما كان محتاجا إليه و خلقت الأعضاء لكونها آلة للشهوة وافتقر لأجل دفع المضار والمهلكات أيضاً إلى جندين : باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات وينتقم من الأعداء وظاهر وهو الجوارح التي بها يعمل بمقتضى الغضب من اليد والرجل ونحوهما .

ثم المحتاج إلى الغذاء ما لم يعرف الغذاء لم يحصل له شهوة الغذاء فافتقر للمعرفة إلى جندين ، باطن وهو إدراك السمع والبصر والشم واللمس والذوق ، وظاهر وهو العين والأذن والأنف وغيرها .

فجملة جنود القلب منحصرة في ثلاثة أصناف : صنف باعث ومستحث إما إلى جلب النافع الموافق كالشهوة ، وإما إلى دفع الضار المنافي كالغضب ، وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة ، والصنف الثاني هو المحرك للأعضاء إلى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عنه بالقدرة وهي مبثوثة في سائر الأعضاء لا سيما العضلات منها والأوتار ، والصنف الثالث هو المدرك المتعرف للأشياء كالجواسيس وهي قوة البصر والسمع والشم والذوق واللمس المبثوثة في الأعضاء المعينة وقوة التخيل والتحفظ والتفكير ونحوها المودعة في تجاويف الدماغ .

وهذه كلها مما قد أنعم الله بها على سائر أصناف الحيوان سوى الآدمي إذ

للمحيوان أيضاً الشهوة و الغضب و الحواس الظاهرة و الباطنة فكلاهما شريكان فيها و إنما اختص الإنسان بما لأجله عظم شرفه و علاقده و استأهل القرب و هو راجع إلى علم و إرادة أمّا العلم فهو العلم بالأمور الدنيوية و الأخروية و الحقائق العقلية و هذه أمور وراء المحسوسات و لا يشاركه فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل إذ يحكم الإنسان بأن الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة واحدة ، و هذا حكم منه على كل شخص و معلوم أنه لم يدرك بالحس إلا بعض الأشخاص فحكمه على الجميع زائد على ما أدركه الحس ، و إذا فهمت هذا في العلم الظاهر الضروري فهو في سائر النظريات أظهر .

و أمّا الإرادة فإنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وجهة المصلحة فيه انبعث من ذاته شوق إلى جهة المصلحة و إلى تعاطي أسبابها و الإرادة لها ، و ذلك غير إرادة الشهوة و إرادة الحيوانات ، بل ربما يكون على ضد الشهوة .

الآن ترى أن الشهوة تنفر عن الفسد و الجحامة ، و العقل يريد بها و يطلبها و يبذل لها المال ، و الشهوة تميل حين المرض إلى لذائذ الأطعمة و العقل يردعها عنها ، و لو خلق الله العقل العارف بعواقب الأمور و لم يخلق هذا الباعث المحرك للأعضاء على العمل بمقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضائعاً على التحقيق .

فاذاً اختص قلب الإنسان بعلم و إرادة يمتاز بهما من سائر الحيوان ، و من هذه الجملة ظهر أن خاصية الإنسان العلم و الحكمة ، و للعلم مراتب و درجات لا تحصى من حيث كثرة المعلومات و قلتها و شرف المعلوم و خسته ، و من حيث إن حصوله قد يكون بالهام رباني على سبيل المكاشفة كما للأنبيا و الأولياء و قد يكون بطريق الكسب و الاستدلال ، و في الكسب أيضاً قد يكون سريع الحصول و قد يكون بطيء الحصول .

و في هذا المقام تتباين منازل العلماء و الحكماء و الأولياء و الأنبياء ، و درجات الترقى غير محصورة إذ معلومات الله سبحانه غير متناهية و مراقبي هذه الدرجات

هي منازل السائرين إلى الله ولا حصر لتلك المنازل وإنما يعرف كل سالك منزله الذي بلغه في سلوكه فيعرفه ويعرف ما خلفه من المنازل.

وأما ما بين يديه فلا يحيط به علما كما لا يعرف الجنين حال الطفل، ولا الطفل حال المميز ولا المميز حال المراهق، ولا المراهق حال العاقل وما اكتسبه من العلوم النظرية، فكذا لا يعرف العاقل ما افتتح الله على أوليائه وأنبياؤه من مزايا لطفه ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه غير مضمون بها على أحد ولكن إنما تظهر في القلوب المتعرضة لنفحات الرحمة كما قال صلى الله عليه وسلم:

«إِنَّ لِرَبِّكُمْ فِي أَيَّامٍ دَهْرَكُمْ لِنَفْحَاتِ الْأَفْتَرَضُوهَا، وَالتَّعَرُّضِ لَهَا إِنَّمَا هُوَ بِتَطْهِيرِ الْقَلْبِ وَتَرْكِيئِهِ مِنَ الْكُذْرِ وَالخُبْثِ الْحَاصِلِينَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ.»

فظهر بذلك معنى تمام الانسان وكمالته وخصائصه التي بها امتاز عن ساير أفراد الحيوان وتحقيق أن البدن مركب للقلب، والقلب محل للعلم، والعلم هو مقصود الانسان وأن العلم والمعرفة هو الذي خلق الانسان لأجله كما قال:

« وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » .

أى ليعرفون كما ظهر لك معنى رزق البدن وزاد القلب، واتضح أن القلب هو الطالب الجالب للرزق والزاد لاصلاح المعاش والمعاد.

وقوله صلى الله عليه وسلم (في مجللات نعمه وموجبات منته) العطف بمنزلة التفسير يعنى أنكم متنعمون بنعمه العامة الشاملة وآلائه التامة الكاملة الموجبة لمنته سبحانه عليكم فالمراد بمجللات النعم ما أنعم بها على جميع الموجودات والمخلوقات بمقتضى رحمته الرحمانية كما قال سبحانه: «أعطى كل شيء خلقه ثم هدى».

و بموجبات المنن أن تلك النعم موجبة لمنة الله سبحانه عليهم فلا بد أن يقوم العبد بلوازم الشكر والامتنان، ولا يقابل بالطغيان والكفران، وأعظم ما من الله به على عباده أن هداهم للإسلام والإيمان وأرشدهم إلى سلوك سبيل الجنان وبعث فيهم

رسولا يدلهم على الهدى و ينجيهم من الردى كما قال تعالى:
 « لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ
 يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ
 قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » .

وقوله (و حواجز عافيته) قال الشارح المعتزلي : أى في عافية تحجز و تمنع
 عنكم المضار .

أقول : و هو مبنى على كون الاضافة من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف ،
 والأظهر الأقوى أن الاضافة لامية ، والمراد الموانع التي تمنع العافية عن الزوال والعدم ،
 وتكون عاقبة عن طريان المضار والآلام و عروض الأوجاع والأسقام على الأبدان
 والأجسام ، وعلى أى تقدير فالمراد بها نعمة الصحة والسلامة التي هي من أعظم
 نعم الله سبحانه ، بل هي رأس كل نعمة و بها يدرك كل لذة و بهجة .

ثم قال (و قدر لكم أعماراً سترها عنكم) و هذا أيضاً من أعظم ما أنعم الله
 تعالى به على خلقه إذ في إظهار مدة العمر عليهم مفسد لا تحصي كما أن في إخفائها
 منافع جاوزت حد الاستقصاء كما أشار إليها سادس الأئمة و صادق الأمة أبو
 عبدالله جعفر بن محمد سلام الله عليهما و على آبائهما و أولادهما الطيبين الطاهرين
 حيث قال في حديث المفضل : تأمل الآن يا مفضل ما ستر عن الانسان علمه
 من مدة حياته ، فإنه لو عرف مقدار عمره و كان قصيراً لم يتهنأ بالعيش مع ترقب الموت
 و توقعه لوقت قد أعرفه ، بل كان يكون بمنزلة من قد فني ماله أو قارب الفناء ، فقد
 استشعر الفقر والوجل من فناء ماله و خوف الفقر على أن الذي يدخل على الانسان
 من فناء العمر مما يدخل عليه من فناء المال لأن من يقل ماله يأمل أن
 يستغلف منه فيسكن إلى ذلك و من أيقن بفناء العمر استحكم عليه اليأس .

و إن كان طويل العمر ثم عرف ذلك وثق بالبقاء و انهمك في اللذات والمعاصي
 و عمل على أنه يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب في آخر عمره و هذا مذهب لا يرضاه

الله من عباده ولا يقبله الا ترى لو انَّ عبداً لك عمل على أنه يسخطك سنة و يرضيك يوماً أو شهراً لم تقبل ذلك منه ولم يحل عندك محلُّ العبد الصالح دون أن يضمراطاعتك و نصحك في كلِّ الأمور في كلِّ الأوقات على تصرف الحالات.

فان قلت : أو ليس قد يقيم الانسان على المعصية حيناً ثم يتوب قبل توبته ؟ قلنا : إن ذلك شيء يكون من الاسان لغلبة الشهوات له و تركه و تركه مخالفتها من غير أن يقدره في نفسه و يبني عليه أمره فيصفح الله عنه و يتفضل عليه بالمغفرة.

فأمّا من قدر أمره على أن يعصى ما بداله ثم يتوب آخر ذلك فأنما يحاول خديعاً من لا يخادع (١) أن يتسلف التلذذ في العاجل و يعد و يمئى نفسه التوبة في الآجل و لأنه لا يفى بما يعد من ذلك ، فان النزوع من الترفه و التلذذ ومعاناة (٢) التوبة ولا سيما عند الكبير و ضعف البدن أمر صعب ولا يؤمن على الانسان مع مدافعة التوبة أن يرهقه الموت فيخرج من الدنيا غير تائب كما قد يكون على الواحد دين وقد يقدر على قضائه فلا يزال يدافع بذلك حتى يحل الآجل وقد نفذ المال فيبقى الدين قائماً عليه.

فكان خير الأشياء للانسان أن يستتر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره بترقب الموت فيترك المعاصي و يؤثر العمل الصالح.

فان قلت : و ما هو الآن قدستر عنه مقدار حياته و صار بترقب الموت في كلِّ ساعة يقارف الفواحش و ينتهك المحارم.

قلنا : إن وجه التدبير في هذا الباب هو الذي جرى عليه الأمر فيه ، فان كان الانسان مع ذلك لا يرعوي ولا ينصرف عن المماوى فانما ذلك من مرحه و من قساوة لامن خطاء في التدبير كما أن الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به فان كان المريض مخالفاً لقول الطبيب لا يعمل بما أمره ولا ينتهي عما ينهاه عنه ولم ينتفع بصفته لم يكن

١ - اى الله سبحانه .

٢ - اى مشقتها .

الاسامة في ذلك للطبيب بل للمريض حيث لم يقبل منه.
و لئن كان الانسان مع ترقبه الموت كل ساعة لا يمتنع عن المعاصي فانه لو ورنق
بطول البقاء كان اخرى أن يخرج إلى الكبار الفضيحة فترقب الموت على كل حال
خير له من الثقة بالبقاء .

و إن كان صنف من الناس ينهون عنه ولا يتعظون به فقد يتعظ به صنف آخر
منهم و ينزعون عن المعاصي و يؤثرون العمل الصالح و يجودون بالأموال والعقائل
النفيسة والصدقة على الفقراء والمساكين فلم يكن من العدل أن يعرم هؤلاء الانتفاع
بهذه الخصلة ليضيع أولئك حظهم .

و بالجملة فقد وضح ، و اتضح كل الوضوح أن سترمدد الأعمار عن الخلق
من جلائل النعم و أعظم ما من الله سبحانه به عليهم .

و مثله نعمة أخرى هي أيضاً من أسبح الآلاء و أسنى التعماء من حيث كونها
موجبة للتجافي عن دار الغرور جاذبة إلى دار السرور باعثة على السعادة الأبدية
موقعة في العناية السرمدية (و) هي أنه سبحانه (خلف لكم عبرا) تعتبرون بها
و أبقى آثاراً تتذكرون منها (من آثار الماضين قبلكم) من الأهلين والأقربين
والأولين والآخرين و ممن كان أطول منكم أعماراً و أشد بطشاً و أعمر دياراً (من)
مستمع خلاقهم و مستفسح خناقهم (أى الدنيا التي كانت محل استمتاعهم بخلاقهم
و انتفاعهم بحظوظهم و انصباهم و محل الفسحة لأعناقهم من ضيق حبال الموت و دار
امهالهم من انشاب مخالب الفناء والقوت .

فأنتم فيها كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة و أكثر أموالاً و أولاداً فاستمتعوا
بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم و خضتم كالذي خاضوا (١)
أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون (٢) (أرهقتهم المنايا
دون الآمال و شذبهم عنها تخرم الآجال) (أى اخترمتهم أيدي المنون (٣) من قرون بعد

١- أى كالخوض الذى خاضوه .

٢- اقتباس من الآية فى سورة التوبة

٣- المنون النية لانها تقطع المدد قال الفرا، المنون مؤنثة و تكون واحداً و جمعا .

قرون فحالت بينهم و بين الآمال و فرقتهم من الأولاد والأموال:

تخرمهم ريب المنون (١) فلم تكن
ولا حملتهم حين ولّوا بجمعهم
و زاحوا (٣) عن الأموال صفرا و خلفوا
(لم يمهّدوا في سلامة الأبدان ولم يعتبروا في انف الأوان) أي لم يهيئوا في حال الصحة
و السلامة ليوم المعاد ولم يعتبروا في أول الأزمنة بالعبر النافعة بل الكل مال عنها
و حاد ، فالشباب للهرم و الصحة للسقم و الوجود للعدم بذلك جرى في
اللوح القلم .

(فهل ينتظر أهل بضاعة الشباب إلا حواني الهرم ، و أهل غضارة الصحة
إلا نوازل السقم ، و أهل مدّة البقاء إلا آونة الفناء) و العدم استفهام على سبيل الإنكار
و التوبيخ عما ينتظر الشباب الناعمة الجسد الرقيقة الجلد غير حواني الهرم التي
تعنى ظهورهم و عما ينتظر أهل النعمة و الصحة غير نوازل السقم التي تنزل عليهم
و عما ينتظر المعمرين بطول أعمارهم غير الفناء و العدم الذي يفنيهم .

و إنما و بّخهم على ذلك لأن من كان مصير أمره إلى الهرم و السقم و الفناء
و الزوال ينبغي أن يأخذ العدة و الذخيرة لنفسه و ينتظر ما يصير أمره إليه و يراقبه
ولا يشتغل بغيره .

فهؤلاء لما قصروا هممهم في غير ذلك و أوقعوا أنفسهم في مطارح المهالك

١- ريب المنون حدثاته .

٢- اعلم أن هذا البيت وسائر الأبيات التي أنشدناها في شرح هذا الفصل و هكذا بعض
الفقرات التي أوردناها مأخوذة من مناجاة الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين (ع) و ندمته
التي رواها أبو عيينة الزهرى ؛ و انما اقتبسنا كل ذلك من كلامه لأن كلام المعصوم يصدق بعضه

بعضا ، والله الهادي إلى سواء السبيل، منه .

٣- أي زالوا .

و بهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بذلك و أكد بقوله (مع قرب الزيال) و ازوفه (و ازوف الانتقال)
 و قربه (و علز القلق) و هلعه (و ألم الموض) و وجعه (و غصص الجرض) و شجاه
 (و تلفت الاستغاثة بنصرة الحفدة و الأقباء و الأعزة و القرناء) أراد أنهم في حال
 سكرات الموت يلتفتون إلى أهلهم و أولادهم و يقلبون وجوههم ذات اليمين و ذات
 الشمال إلى أحببتهم و عو آدهم يستغيثونهم و يستنصرونهم فلا يقدرون على النصر و الاغاثة
 و يستعينونهم و يستنجدونهم فلا يستطيعون الانجاء و الاعانة:

أحاطت به آفاته و همومه و أبلس (١) لما أعجزته المعاذر
 فليس له من كربة الموت فارح و ليس له مما يحاذر ناصر
 وقد جشأت خوف المنية نفسه ترددها دون اللهاة الحناجر
 (فهل دفعت الأقارب أو دفعت النواحب) أو انتفع بسلطانه أو ذب الموت عنه جنوده
 و أعوانه .

فما صرفت كف المنية إذ أنت مبادرة تهوى إليه الذخاير (٢)
 و لا دفعت عنه الحصون التي بنا وحف بها أنهارها و الدساكر (٣)
 و لا قارعت عنه المنية خيله و لا طمعت في الذب عنه العساكر
 (وقد غودر في محلة الأموات رهينا وفي ضيق المضجع وحيدا) و التحق بمن مضى
 من أسلافه و من وارته الأرض من الآفة .
 و أضحوار ميمافي التراب و أقفرت (٤) مجالس منهم عطلت و مقاصر (٥)

١- و الابلاس اليأس من رحمة الله و منه سى ابليس و الابلاس أيضا الانكسار و الحزن
 و المعاذر جمع المعدة و جشأت نفسه انهضت و جاشت النفس ارتفعت من حزن أو فزع و اللهاة
 الهنة المطبقة في أعلى سقف الفم و الحنجرة الحلقوم منهم .

٢- فاعل صرفت

٣- الدسكرة القرية و الصومعة و الارض المستوية و بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب
 و الملاهي و الجمع دساكر ق

٤- اى خلت

٥- لعلّه جمع القصورة هي الدار الواسعة

وحلوا بدار لا تزاور بينهم و أنى لسكان القبور التزاور
 فما أن ترى إلا جنى (١) قد ثوابها (٢) مسنمة (٣) تسقى عليه الأعراس (٤)
 (قد هتكت الهوام جلده و ابلت النواهيك جدته) أى قطع هوام الأرض جلده
 وصار طعمة للعقارب و الحيات و الحشرات الموزيات و اخلقت مبالعات الدهر التي
 أجهده و أضنته و هزلته جدته و نضرة شبابه ، فصار خلقا باليا بعد ما كان جديدا غضيا
 طريا بمصائب الدهر و نوائبه و أوصابه و أتعابه (وعفت) الرياح (العواصف آثاره
 و محي) النوائب و (الحدثان معالمه) فلم يبق في وجه الأرض منه خبر ولا عن قبره
 عين ولا أثر ، حيث فقدته العيون و توالى عليه السنون (و صارت الأجساد شعبة)
 متغيرة هزلة (بعد بضئها) و نعومتها و امتلائها (والعظام نخرة) بالية متفتتة (بعد
 قوتها) و شدتها (و الأرواح مرتنهة) مقبوضة (بثقل أعمالها) و أحمالها كما
 قال تعالى :

« كُلُّ أَمْرٍ إِذْ يَؤْتِيهِمُ بِهِ نَحْنُ مُعْتَدُونَ »

أى محبوس بعمله حتى يعامل بما يستحقه و يجازي بما عمله إن عمل طاعة ائيب
 وإن عمل معصية عوقب ، وفي سورة المدثر

« كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلَّا الْأَصْحَابَ الْيَمِينِ »

قال الطبرسي : أى مرهونة بعملها محبوسة به مطالبة بما كسبته من طاعة أو
 معصية ، فالرهن أخذ الشيء بأمر على أن لا يرد إلا بالخروج منه فكذلك هؤلاء
 الضلال قد اخذوا برهن لإفكاك له ، والكسب هو كل ما يجتلب به نفع أو يدفع به

١- جمع جنوة أى تربة مجموعة ، لفة

٢- أى أقاموا

٣- أى مرتفعة ومنه قبر مسنم

٤- هى ريح تشير الفبار يرتفع الى السماء كأنه عمود .

ضرر ويدخل فيه الفعل والاي فعل .

ثم استثنى سبحانه أصحاب اليمين فقال : إلا أصحاب اليمين ، وهم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم قال الباقر عليه السلام : نحن وشيعتنا أصحاب اليمين ، وقوله (موقنة بغيب أنبائها) أى متيقنة بالأخبار الغيبية التي أخبر بها الرسل و أنبأها الكتب من أخبار القيامة من البرزخ والبعث والحساب والكتاب والجنة والنار وساير ما كانت غايبة عنه مخفية له حتى رآها بحس العين فحصل له اليقين بعد ما كانت منها في ريب وظن ، كما قال تعالى :

« وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيِّقِينَ . »

وقال سبحانه حكاية عن الكفار والمجرمين :

« قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى آتَيْنَا الْيَقِينَ . »

أى كنا نكذب يوم الجزاء حتى جائنا العلم اليقين بأن عايناه ، وقال سبحانه في حق المتقين :

« الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ . »

قال الطبرسي وإنما خصهم بالأيقان بالآخرة وإن كان الإيمان بالغيب قد شملها لما كان من كفر المشركين بها وجهدهم إياها في نحو ما حكى عنهم في قوله « وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيُّوتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَى . »

فكان في تخصيصهم بذلك مدح عظيم (لا تستزاد من صالح عملها و لا تستعقب من سيئ زللها) أى لا يطلب منها زيادة في العمل الصالح و لا يطلب منها التوبة من العمل القبيح كما كان يطلب ذلك منها في الدنيا ، وذلك لأن التكليف والعمل إنما هو في الدنيا والآخرة دار الجزاء لا تكليف فيها كما قال تعالى في سورة البجائية:

« قَالِيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ » .

أى لا يخرجون من النار و لا يطلب منهم الاعتاب و الاعتذار لما قلناه من أن التكليف قد زال ، وفي سورة الروم :

« قِيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ » .

و كما أنهم لا يطلب منهم التوبة و المعذرة فكذلك لا ينفعهم الاعتذار و الانابة كما قال سبحانه :

« فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَهُمْ مِنَ الْمُتَعْتَبِينَ » .

أى إن يظلموا إزالة اللوم و العقوبة و يسألوا رضا الله عنهم فليس لهم طريق إلى الاعتاب و لا لهم نجاة من العقاب .

بلى أورده (١) بعد عز و منعة

فلما رأى أن لانجاة و أنه

تندم لو يغنيه طول ندامة

« وَقَالَ رَبِّ ارْجِعُونِي لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ

هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ » .

(أولستم أبناء القوم) الذين وصفنا حالهم و شرحنا مالهم (والآباء و إخوانهم و الأقرباء) و أمثالهم .

١- أى أورده الدنيا

٢- الموازر: الناصر

فهم فف بطون الأرض بعد ظهورها محاسنهم ففها بوال (١) دوائر (٢)
 خلت دورهم منهم وأقوت عراضهم و ساقتم نحو المنايا المقادر
 وخلقوا عن الدنيا وما جمعوا لها وضمنهم تحت التراب الحفاير (٣)
 فلکم اليوم بالقوم اعتبار ، و سوف تحلون مثلهم دار البوار ، فالبدار البدار والحدار
 الحدار من الدنيا ومكايدها و ما نصبت لكم من مصايدها و تجلى لكم من زينتها
 واستشرف لكم من فتنها

و فف دون ما عاينت من فجعاتها إلى رفضاداع و بالزهد أمر
 فجدد و لا تغفل فعيشك زائل و أنت إلى دار المنية صائر
 فهل يحرص عليها لبيب ، أو يسر بلذتها أريب ، وهو على ثقة من فئاتها و غير طامع
 فف بقائها ، أم كيف تنام عين من يخشى البيات أو تسكن نفس من يتوقع الممات أم
 كيف (نحتذون أمثلتهم و تركبون قديمهم و تطأون جادتهم) تفعلون مثل أفعالهم و تقتفون
 آثارهم و تسلكون مسالكهم و تقولون : « إننا وجدنا آباءنا على أمة و إننا على آثارهم
 مقتدون » (فالقلوب قاسية عن حظها) جافية عن إدراك نصيبها الذي ينبغي لها
 إدراكه (لاهية عن رشدها) غافلة عن طلب هدايتها (سالكة فف غير مضارها) الذي
 يلزم عليها سلوكه .

يعني أن اللازم على القلوب تحصيل المعارف اليقينية و العقائد الحققة
 و التفكير فف آثار الجبروت و القدرة و الاتعاض بالحكم و الموعدة الحسنة فف لقسوتها
 و جفافتها بكثرة الذنوب التي اقترفتها لم يبق لها قابلية و استعداد لادراك حظها
 و نصيبها الذي ذكرناه و غفلت عن الاهتداء بالأنوار الالهية و سلكت فف غير جادة الشريعة
 (كأن المعنى) و المقصود بالأحكام الشرعية و التكاليف الالهية (سواها و كأن الرشد)
 الذي امرت به (فف إحراز دنياها) .

١- جمع بالية

٢- من الدور و هو الدورس

٣- لعله جمع الحفر و هو القبر

فباعاقلاً راحلاً وليبأ جاهلاً ومتيقظاً غافلامهذه الحيرة والسبيل واضح والمشير
 ناصح، والصواب لائح، عقلت قاغفلت وأعرفت فأنكرت، وعلمت فامهلت فاهملت ظه
 هذا هو الداء الذي عزّ دواؤه، و المرض الذي لا يرجى شفاؤه، إلى كم ذا التشاغل
 بالتجابر و الأرباح، إلى كم ذا التهور بالسرور والأفراح، و حتام التغيرير بالسّلامة
 في مراكب النّياح، كيف تهنأ بحياتك وهي مطيبتك إلى مماتك أم كيف تسيغ طعامك
 وأنت منتظر حمامك (١)

وأنت على حال وشيكاً مسافر (٢)

ولا ذاك موفور ولا ذاك عامر

ولم تكتسب خير لذي الله عاذر

و دينك منقوص و مالك و افر

وعمرى فان الردى (٣) لى ناظر

يجازي عليه عادل الحكم قاهر

عليم حكيم نافذ الأمر قادر

فكل عزيز للمهيمن (٤) صاغر

لعزة ذى العرش الملوك الجبابر

و لم تنزود للرحيل و قد دنا

تخرّب ما يبقى و تعمر فانياً

وهل لك إن و افاك حتفك بعتة

أترضى بأن تبنى أنحية و تنقضى

فيا و ببح نفسى كم أسوف توتى

و كل الذى أسلفت فى الصّحف مثبت

ملك عزيز لا يردّ قضاؤه

عنى كلّ ذى عزّ بعزة وجهه

لقد خشعت و استسلمت و تضالمت

فبك إلها نستجير يا عليم يا خبير، من نؤمل لفكك رقابنا غيرك، و من نرجو بغفران

ذنوبنا سواك، و أنت المتفضل المنان القائم الديان العائد علينا بالاحسان بعد الاسامة

مننا والعصيان، يا ذا العزة والسلطان والقوة والبرهان أجرنا من عذابك الأليم

واجعلنا من سكان دار النعيم يا أرحم الراحمين.

١- الحمام: الموت

٢- الوشيك: السريع

٣- الردى: الهلاك

٤- المهيمن: القائم على خلقه بأعمالهم و آجالهم و أرواقهم أو الشاهد والرقيب والحافظ

والصاغر الذليل وتضالمت أى صارت ضئيلاً أى حقيراً ذليلاً منه

تبصرة

لما كان صدر هذا الفصل متضمناً للإشارة إلى بعض الحكم والمصالح فيما جعله الله سبحانه للانسان من الأعضاء والجوارح و كان توضيح ذلك موقوفاً على التشریح أحببت أن اورد هنا شطراً يسيراً من ذلك مما صدر عن مصدر الولاية إذ تشریح جميع الأعضاء على ما حققه الحكماء والأطباء مما يوجب الطول ويخرج عن الغرض و فيما نوره هداية للمسترشدين كفاية للطالب.

فأقول : روى في البحار من العلل والخصال عن محمد بن إبراهيم الطالقاني عن الحسن ابن علي العدوي عن عباد بن صهيب بن عباد بن صهيب عن أبيه عن جدّه عن الربيع صاحب المنصور قال :

حضر أبو عبد الله عليه السلام مجلس المنصور يوماً وعنده رجل من الهند يقره كتب الطب فجعل أبو عبد الله عليه السلام ينصت لقراءته ، فلما فرغ الهندي قال له يا أبا عبد الله أتريد ممّا معي شيئاً؟ قال عليه السلام : لا ، فإن معي ما هو خير ممّا معك قال : وما هو؟ قال عليه السلام :

أدوى الحارّ بالبارد والبارد بالحارّ والرطب باليابس واليابس بالرطب ؛ وأورد الأمر كلّهُ إلى الله عز وجلّ وأستعمل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله : واعلم أنّ المعدة (١) بيت الداء والحمية هي الدواء و اعود البدن ما اعتاد ، فقال الهندي : وهل الطبّ إلاّ هذا.

فقال الصادق عليه السلام : أفتراني من كتب الطب أخذت؟ قال : نعم قال عليه السلام : لا والله ما أخذت إلاّ عن الله سبحانه فأخبرني أنا أعلم بالطبّ أم أنت؟ قال الهندي : لا بل أنا ، قال الصادق عليه السلام : فأسألك شيئاً؟ قال : سل ، قال الصادق عليه السلام : أخبرني يا هندي لم كان في الرأس شتون (٢) قال : لأعلم ، قال عليه السلام : فلم جعل الشعر عليه من فوق؟ قال : لأعلم.

١- المعدة بالكسر والفتح موضع الطعام .

٢- الشان واحد الشتون وهي مواصل قبائل الرأس وملتهاها ومنها يخرج الدموع، صحاح

قال **بجيم** : فلم خلت الجبهة من الشعر ؟ قال : لأعلم قال **بجيم** : فلم كان لها
التخطيط و أسارير ؟ (١) قال : لأعلم ، قال **بجيم** : فلم كان الحاجبان من فوق العينين ؟
قال : لأعلم ، قال **بجيم** : فلم جعل العينان كاللوزتين ؟ قال : لأعلم ، قال **بجيم** : فلم جعل
الأنف بينهما ؟ قال : لأعلم .

قال **بجيم** : فلم كان ثقب الأنف في أسفله ؟ قال : لأعلم ، قال **بجيم** : فلم جعلت
الشفة والشارب من فوق الفم ، قال : لأعلم ، قال **بجيم** : فلم أحد السن (٢) و عرض
الضرس والنب ؟ قال : لا أعلم قال **بجيم** : فلم جعلت اللحية للرجال ؟ قال : لأعلم ، قال
بجيم : فلم خلت الكفان من الشعر ؟ قال : لأعلم ، قال **بجيم** : فلم خلا الظفر والشعر
من الحياة ؟ قال : لأعلم ، قال **بجيم** : فلم كان القلب كحبة الصنوبر ؟ قال : لأعلم .

قال **بجيم** : فلم كانت الرية قطعتين و جعل حركتها في موضعها ؟ قال : لأعلم
قال **بجيم** : فلم كانت الكبد حديبا (٣) قال : لأعلم ، قال **بجيم** : فلم كانت الكلية كحبة
اللوييا ؟ قال : لأعلم ، قال **بجيم** : فلم جعل طي الركية إلى خلف ؟ قال : لأعلم ، قال :

فلم انحضرت (٤) القدم ؟ قال : لأعلم ، فقال الصادق **بجيم** : لكني أعلم ، قال : فأجب .
فقال الصادق **بجيم** : كان في الرأس شئون لأن المجوف إذا كان بلا فصل أسرع
إليه الصداع فإذا جعل ذاتفصول كان الصداع منه أبعد ، و جعل الشعر من فوقه ليوصل
بوصوله (٥) الادهان إلى الدماغ و يخرج بأطرافه البخار منه و يرد الحر و البسرد

١- الاسارير خطوط الجبهة جمع الاسرار وهي جمع السر يرصاح .

٢- المفهوم من الاخبار اختصاص السن بالمقاديم الحداد والضرس بالماخير العراض
والمفهوم من كلام أهل اللغة ترادفهما .

٣- حذب الانسان من باب تعب إذاخرج ظهره وارتفع عن الاستواء فالرجل أحذب
والمرة حديبا فيومي .

٤- رجل محضر القدمين اذا كانت قدمه تمس الأرض من مقدمها و عقبها و تحوى
أخمصها مع دقة فيه صحاح .

٥- أي بسبب وصول الشعر الى الدماغ تصل اليه الادهان او هو جمع الوصل الى

الواردين عليه وخلت الجبهة من الشعر لأنها مصبّ النور إلى العينين وجعل فيها التخطيط والأساربر ليحبس العرق الوارد من الرأس عن العين قدر ما يميّطه (١) الانسان من نفسه كالأنهار في الأرض التي تحبس المياه.

و جعل الحاجبان من فوق العينين ليوردا من النور عليهما قدر الكفاية الأتري يا هندي إن من غلبه النور جعل يده بين عينيه ليرد عليهما قدر كفايتهما منه ، وجعل الأنف فيما بينهما ليقسم النور قسمين إلى كل عين سواء و كانت العين كاللوزة ليجرى فيها الميل بالندواء و يخرج منها الداء ، ولو كانت مرّبعة أو مدوّرة ماجرى فيها الميل و ما وصل إليها دواء ولا خرج منها داء.

و جعل ثقب الأنف في أسفله لينزل منه الأوداء المنحدرة من الدماغ و يصعد فيها الأرياح (٢) إلى المشام ولو كان في أعلاه لما ينزل داء ولا وجد رائحة ، و جعل الشارب والشفة فوق الفم لحبس ما ينزل من الدماغ عن الفم لئلا يتنغص على الانسان طعامه و شرابه فيميّطه (٣) عن نفسه و جعلت اللحية للرجل ليستغنى بها عن الكشف (٤) في المنظر (٥) ويعلم بها الذكر والأنثى .

و جعل السنّ حاداً لأنّ به يقع العضّ و جعل الضرس عريضاً لأنّ به يقع الطحن والمضغ و كان الناب (٦) طويلاً ليمدّ الأضراس والأسنان كالاسطوانة ، في البناء ، و خلا الكفّان من الشعر لأنّ بهما يقع اللمس فلو كان بهما شعر ما درى منابته و اصوله ولا يبعد ان يكون في الاصل باصوله فضحف بقرينة مقابلة أطرافه ، نحاره

١- اى يزيله وينجّيه

٢- جمع أرياح وهو جمع الريح .

٣ - اى يحتاج الى ازالة ما ينزل من الدماغ عند الاكل والشرب عن نفسهم

٤ - عن كشف العورة

٥ - متعلّق بقوله يستغنى .

٦ - لعلّ وجه كونه سندا من بين ساير الاسنان أنه لطوله يمنع وقوع الاسنان بعضها

على بعض في بعض الاحوال كما أنّ الاسطوانة يمنع السقف من السقوط ، بجار

الانسان ما يقابله (١) ويلمسه، وخلال الشعر والظفر من الحياة لأن طولهما سمح يقبح
و قصهما حسن فلو كان فيهما حياة لآلم الانسان لقصهما.

و كان القلب كحبّ الصنوبر لأنه منكس فجعل رأسه رقيقا ليدخل في الرية
فيتروح عنه ببردها لثلاث شيط (٢) الدماغ بحرّه ، و جعلت الرية قطعتين ليدخل
مصاعظها (٣) فتروح عنه بحر كتها ، و كانت الكبد حدباء ليثقل المعدة وتقع جميعه
عليها فتعصرها فيخرج ما فيها من البخار .

و جعلت الكلية كحبّ اللوبيا لأنّ عليها مصبّ المنى نقطة (٤) بعد نقطة فلو
كانت مرّبة أو مدوّرة لاحتبست النقطة الأولى الثانية فلا يلتذّ بخروجها الحى إذ
المنى ينزل من فقار الظهر الى الكلية فهى كالدودة تنقبض وتنسبط رمية أو لافأولاً الى المثانة
كالبندقة من القوس.

و جعل طى الركبة إلى خلف لأن الانسان يمشى إلى ما بين يديه (٥) فتعدل
الحركات و لولا ذلك لسقط في المشى، و جعلت القدم متحضرة لأن الشىء، إذ وقع
على الأرض جميعه نقل (٦) نقل حجر الرّحى و إذا كان على حرفه دفعه الصبى

١ - كأنه كان يعامله فصحف مع أن أكثر ما يلمس يكون مقابلاً بحار

٢ - أى يحترق منه

٣ - أى بين قطعتى الرية

٤ - استعيرت النقطة هنا للشىء القليل والقطرة بحار

٥ - أى يميل فى المشى الى قدامه ولو كان طى الركبة من القدام لانتهى ايضا من هذا

الجانب فيسقط بحار

٦ - و ذلك لامتناع الغلاء لانه اذا لم يكن بين السطحين هواء أصلال لم يمكن رفع

احدهما عن الآخر فيرتفعان معاً. ولو كان بينهما هواء قليل يرتفع لكن بعسر لتوقفه على

تخلل هذا الهواء و دخول الهواء من خارج أيضا فحضر القدم يوجب وجود هواء كثير

تحت القدم فاذا رفع القدم يدخل تحت مالمصق بالارض من قدام القدم و عقبه الهواء من

و إذا وقع على وجهه صعب نقله على الرجل.

فقال الهندي: من أين لك هذا العلم؟ فقال النبي: أخذته عن آبائي عن رسول الله ﷺ عن جبرئيل عن رب العالمين جل جلاله الذي خلق الأجساد والأرواح، فقال الهندي: صدقت وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأنك أعلم من أهل زمانك.

الترجمة

گردانید حق سبحانه و تعالی از برای شما گوشها را تا اینکه حفظ نمایند و نگه بدارند آنچه که مهم باشد ایشانرا و ضروری، و آفرید چشمها را تا اینکه روشنی بخشند از شب کوری، و خلق فرمود اعضاء ظاهره که جمع کنند اعضاء باطنه بودند در حالتی که مناسب و موافق بودند با اطراف و جوانب متناهی خود در ترکیب صورتهای آنها و مدتهای عمرهای آنها با بدنهاییکه قائمند بمنافع خود و با قلبهاییکه طالبند مرزقهای خود را در حالتیکه شما در توی نعمت های کامله می باشید و اسباب منتهای شامله و موانع صحت بدن از امراض و محن.

و مقدر فرمود از برای شما عمرها که پوشانید آنها را از شما باقی گذاشت از برای شما عبرتها از آثار گذشتگان پیش از شما از محل لذت یافتن ایشان بانصیب خودشان و از مکان گشاده بودن ریسمان مرگ از گردن ایشان.

شتاب نمود ایشانرا مرگها بی رسیدن بآرزوها، و متفرق ساخت ایشانرا از آرزوها بریده شدن أجلها در حالتیکه مهیا نساختند از عمل های شایسته در سلامتی بدنها، و عبرت نگرفتند از عبرت های نافع در اول زمانها.

پس آیا انتظار میکشند اهل قوت و امتلاء جوانی مگر قدخم کنندهای پیری و ناتوانی را، و اهل خوشی صحت و تن درستی مگر نازل شوندهای بیماری را، و اهل مدت بقا مگر زمانهای فنا و نابودی را با وجود نزدیکی مفارقت و قرب

انتقال بسوی آخرت و با وجود جزع اضطراب و درد مصیبت و بسیار بگلو ماندن آب دهان از اندوه و محنت و با وجود این طرف و آن طرف نگریستن برای فریادرس خواستن بیاری دادن اعوان و خویشان و اولاد و عزیزان.

پس آیا دفع نمود مرگ را از او خویشان، یا نفع بخشید گریه گریه کنندگان و حال آنکه ترك کرده شد در محله مردگان محبوس گناه و در تنگی خوابگاه بی یار و همراه بتحقیق که پاره نمود حشرات الأرض پوست تن او را و کهنه نمود لاغر کنندگان تازگی بدن او را، و مندرس نمود بادهای سخت جهنده اثرهای او را و محو نمود حوادث روزگار علامتهای او را، و بگردید بدنهای متغیر و لاغر بعد از تازگی و قوت، و استخوانها پوسیده و متفرق بعد از توانائی و شدت.

و روحها گرد کرده شد بیازگران گناهان در حالتیکه یقین کننده باشند باخبر غایبه از ایشان، طلب نمیشود از آنها زیاده کردن از اعمال صالحه، و طلب نمیشود از ایشان راضی کردن حق از اعمال باطله، آیا نیستید شما پسران قوم خود و پدران ایشان، و برادران قوم خود و خویشان ایشان، اندازه میگیرید در کارها بر منتهای آنها، و سوار می شوید بر طریقه ایشان در اقوال و افعال، و سلوک میکنید در راههای ایشان بهمه حال.

پس قلبها سختند از قبول بهره سودمند خود، غافلند از طلب هدایت خود سالکنند در غیر میدان با منفعت خود، گویا که مخاطب و مقصود بأوامر و نواهی غیر از آن دلهاست، و گویا که رشادت و مصلحت آنها در حفظ متاع دنیاست.

هذا آخر الجزء الخامس من هذه الطبعة الجديدة الثمينة القيمة، تم تصحيحه و تهذيبه و ترتيبه بيد العبد «السيد ابراهيم الميانجي» عفي عنه وعن والديه و وقع الفراغ في العشر الاول من شهر رجب الاصب ١٣٧٩

ويليه ان شاء الله الجزء السادس واوله: «الفصل السادس» من المختار

الثاني والثمانين، والحمد لله رب العالمين

فهرس ما في هذا الجزء من المطالب

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
٨١	الترجمة المختار السادس و الستون	٢	المختار الرابع و الستون في ذكر جملة من الصفات الالهية
٨٢	في معنى الانصار	٢١	الترجمة المختار الخامس و الستون
٨٥	تنبيهان الاول في اخبار السقيفة كلام للشارح المعتزلي في حديث		في تعليم الحرب و الاشارة إلى كيفية القتال كان يقوله <small>عليه السلام</small> لأصحابه
٩١	السقيفة ورد الشارح قد إياه	٢٢	في بعض أيام صفين
	التنبيه الثاني في ذكر الروايات الواردة في المقام		تكملة في نقل الخطبة على رواية غير السيد (ره)
٩٤	الترجمة المختار السابع و الستون	٢٨	تذييل في كيفية وقعة صفين مضافا إلى ما تقدم في شرح بعض الخطب السابقة
١٠٢	الترجمة المختار الاول في ترجمة محمد بن أبي بكر و هاشم بن عتبة	٣٠	مقاتلة عمار و هاشم بن عتبة
١٠٣	التنبيه الثاني في الاشارة إلى بعض الفتن الحادثة بمصر	٦٨	المرقال (ره) حديث عمار (ره) رواية رسول الله <small>صلى الله عليه و آله و سلم</small> أنه قال: عمار تقتله الفئة الباغية، و ذلك بمحضر جماعة من أصحاب معاوية
١٠٥	إرساله <small>عليه السلام</small> قيس بن سعد الأ نصاري و اليا إلى مصر عزله <small>عليه السلام</small> قيس بن سعد و ارساله محمد بن أبي بكر مكانه	٧٠	شهادة هاشم المرقال و عمار (ره)
١٠٦	عهد <small>عليه السلام</small> إلى محمد بن أبي بكر حين ولاء مصر	٧٤	عبدالله بن هاشم المرقال و مجلس معاوية
١٠٩	كتاب معاوية و عمرو بن العاص	٨٠	

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
١٤٠	عبدالله العنبري و معاوية	١١٣	إلى محمد بن أبي بكر و جوابه
١٤١	دخول ابن ملجم الكوفة	١١٦	شهادة محمد بن أبي بكر
	لما كانت ليلة تسعة عشر من شهر		خطبته <small>عليه السلام</small> بعد شهادة محمد بن
١٤٤	رمضان	١١٩	أبي بكر
١٤٦	خروج علي <small>عليه السلام</small> إلى المسجد	١٢٠	الترجمة
	ذكر احواله <small>عليه السلام</small> و افعال ابن ملجم		المختار الثامن والستون
١٥٠	ليلة تسعة عشر		في ذمه <small>عليه السلام</small> أصحابه بتناقلهم عن
١٥١	نداء جبرئيل بين السماء والأرض	١٢٠	الجهاد
	كيفية أخذ حذيفة ابن ملجم	١٢٤	الترجمة
١٥٣	اللعين		المختار التاسع والستون
١٥٥	وصيته <small>عليه السلام</small> بالرفق في ابن ملجم		قاله <small>عليه السلام</small> في سحرة اليوم الذي ضرب فيه ١٢٥
١٥٨	اشعار حجر بن عدى (ره)		تذييلات الاول في كيفية شهادته <small>عليه السلام</small> ١٢٧
١٥٩	وصاياه <small>عليه السلام</small> ليلة احدى وعشرين		كلامه <small>عليه السلام</small> مع ابن ملجم حين ما
١٦١	كيفية وفاته <small>عليه السلام</small>	١٢٩	قدم من اليمن
١٦٢	أشعار الهاتف الغيبي		خروج ابن ملجم مع أمير المؤمنين
١٦٣	في كيفية دفنه <small>عليه السلام</small>	١٣١	<small>عليه السلام</small> إلى غزاة النهروان
	في أحوال ابن ملجم لعنه الله		ملاقاته مع قطام عليهما اللعنة حين
١٦٦	وكيفية قتله	١٣٢	ما رجع عن غزاة النهروان
١٦٨	قصة عجيبة	١٣٦	رجوع ابن ملجم إلى اليمن
	التذييل الثاني في موضع قبره		تماقد ابن ملجم والبرك والعنبري
١٦٩	الشريف والاشارة إلى من بناه		على قتل علي <small>عليه السلام</small> ومعاوية وعمر و
١٧١	وجه تسمية الغرى	١٣٨	ابن العاص
	التذييل الثالث في ذكر نبذ من	١٣٨	البرك و عمرو بن العاص

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
٢١٣	الرابع في فضيلة الصلاة ونوابها	المعجزات الظاهرة منه <small>عليه السلام</small> ومن قبره	
٢١٧	الترجمة	١٧٢	بعد وفاته
٢١٨	المختار الثاني والسبعون قاله <small>عليه السلام</small> لمروان بن الحكم	١٨٢	الترجمة المختار السبعون
٢١٩	نسب مروان بن الحكم والسبب الموجب لنفي أبيه عن المدينة	١٨٢	في ذم أهل العراق بشاقلهم عن جهاد معاوية وأتباعه
٢٢٠	نقل المختار بنحو آخر	١٨٧	الترجمة
٢٢١	الترجمة	المختار الحادي والسبعون	
٢٢٢	المختار الثالث والسبعون قاله <small>عليه السلام</small> لما عزمو على بيعة عثمان	١٨٩	في تعليمه الناس الصلاة على النبي <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small>
٢٢٣	اعتراض على الشارح المعتزلي	١٩٣	في صفات الله تعالى و تمجيد
٢٢٥	الترجمة	١٩٤	في صفات النبي <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small>
٢٢٦	المختار الرابع والسبعون في توييح بني امية	في الأخبار الدالة على عرض اعمال العباد على النبي <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> والأئمة	
٢٣٠	الترجمة	٢٠٠	عليهم السلام
	المختار الخامس والسبعون	٢٠٢	في أنواع المدعوبه
	في تعداده <small>عليه السلام</small> جملة من الصفات	تنبيهات الاول أن الصلاة على النبي	
٢٣٠	المحمودة	٢٠٤	<small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> مما أمر الله تعالى به
٢٤١	الترجمة	احتجاج بديع للعلامة	
٢٤٢	المختار السادس والسبعون	الحلّي (قد)	
٢٤٤	بيان نسب بني امية	٢٠٨	الثاني في معنى الصلاة لغة
	في ذكر بعض الآيات والأخبار	٢٠٩	الثالث في أن غاية السؤال بالصلاة
٢٤٥	الواردة في ذم بني امية	عابدة إلى النبي <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> أو إلى المصلّي	
		٢١٠	

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
٢٧٧	و عدمه	٢٤٩	الترجمة
	إثبات أن علم النجوم له أصل من		المختار السابع والسبعون
٢٨٣	طريق الأخبار	٢٤٩	كلمات له <small>عليه السلام</small> يدعو بها
	إثبات أن علم النجوم له أصل بطريق	٢٥٤	الترجمة
٢٨٥	الاستقراء والاعتبار		المختار الثامن والسبعون
	في الإشارة إلى بعض العارفين		تويخه <small>عليه السلام</small> للمنجم عند مسيره
٢٨٧	بعلم النجوم	٢٥٥	إلى النهران
	استنباطات عجيبة من المنجمين	٢٦٢	في معنى الكهانة
٢٩٢	و إصابتهم في ذلك	٢٦٣	في معنى السحر
	تحقيق الكلام في جواز العمل		نقل المختار على رواية غير
٢٩٧	بالنجوم و عدمه	٢٦٤	السيد (ره)
	في الجمع بين الأخبار الناهية		نقل كلام للسيد ابن طاووس
٣٠٠	والمجوزة	٢٦٧	(ره) في النجوم
	الترجمة		كلام للعلامة المجلسي (قد) في
٣٠١	المختار التاسع والسبعون	٢٦٨	رد السيد (ره)
	في ذم النساء		نقل قصة المنجم بنحو آخر أبسط
٣٠٢	في نقصان حظوظهن	٢٧٠	مما تقدم
٣٠٥	في بعض أوصاف النساء و بعض		في تحقيق الكلام في علم النجوم
	مكايدهن		و جواز العمل بأحكامه و إبطال
٣٠٨	حديث المتكلمة بالقرآن		ما زعمه قدماء المنجمين من أن
	أربعين سنة		الكواكب تفعل في الأرض و من
٣١٣	كلام للشارح المعتزلي في عايشة	٢٧٤	عليها أفعالا يسندونها إلى طباعها
٣١٥	احتجاج أم سلمة (رض) على عايشة		أقوال العلماء في جواز تعلم النجوم

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
٣٤٢	أنيقة يذكر في ضمن فصول الفصل الاول في الشناء على الله تعالى باعتبار نعوت جلاله وصفات كماله	٣١٩	مطاعن عايشة
٣٤٢	كماله	٣٢٤	الترجمة
٣٤٤	في النعم الظاهرة والباطنة		المختار الثمانون في بيان معنى الزهد
٣٤٧	الترجمة	٣٢٤	الزهد
	الفصل الثاني في الوصية بالتقوى والخشية من الله تعالى		تبصرة في الاشارة إلى بعض ماورد في فضيلة صفة الزهادة و زم نقيضها من الآيات والأخبار
٣٤٧	والخشية من الله تعالى	٣٢٧	٣٢٧
	الأمثال التي ضربها الله سبحانه في القرآن للتذكير والموعظة	٣٢٩	في أقسام الزهد و مراتبه
٣٥٢	القرآن للتذكير والموعظة	٣٣٢	الترجمة
٣٥٨	الترجمة		المختار الحادى والثمانون في ذم الدنيا و ذكر عشرة امور من أوصافها
	الفصل الثالث في ذكر شدايد القيامة و أهوالها	٣٣٣	٣٣٣
٣٥٩	و أهوالها		في تحقيق الحساب والسؤال في القيامة
	الرواية الواردة عن النبي ﷺ يحشر عشرة أصناف من امتي	٣٣٥	٣٣٥
٣٦٢	أشتانا (الخ)		في الجمع بين الأخبار المختلفة في السؤال
٣٦٥	في إثبات المعاد الجسماني في بيان شبه المنكرين للمعاد والجواب عنها	٣٣٧	٣٣٧
٣٦٨	والجواب عنها		في شرح قوله ﷺ: من أبصر بها بصرته و من أبصر إليها أعمته
٣٧٠	في شبهة الآكل والمأكول و دفعها	٣٤٠	٣٤٠
٣٧٢	في الاشارة إلى معنى الحشر في كيفية الحشر والاشارة إلى نفخ	٣٤١	الترجمة
	في كيفية الحشر والاشارة إلى نفخ		المختار الثاني والثمانون مشمتم على نكات بدیعة و مطالب

الصفحة	العنوان	الصفحة	العنوان
٣٩٩	شرح حال القلب و معرفة عجائبه	٣٧٣	الصور على ما في الآيات والأخبار
٤٠٣	في خفاء الموت و أنه نعمة عظيمة	٣٧٨	في كيفية أخذ حقّ الناس في القيامة
٤٠٥	و مثله نعمة أخرى هي أيضاً من أسبغ الآلاء و أسنى النعماء	٣٧٩	الترجمة
٤٠٦	مواعظ شافية		الفصل الرابع في شرح حال الناس والكشف عن أوصافهم والتنبيه على ما خلقوا لأجله
٤٠٩	في الايقان بالأخبار الغيبية التي أخبر بها الرسل و أنبأ بها الكتب الصادق <small>عليه السلام</small> و مجلس المنصور	٣٨٠	الترجمة
٤١٣	وعنده رجل من الهندي قرء كتب الطب	٣٨٩	الفصل الخامس في التذكير لبيان حال السلف ليعتبر به الخلف
٤١٤	في تشريح أعضاء الانسان	٣٩٠	منافع السمع والبصر
٤١٧	الترجمة	٣٩٥	حديث المفضل في منافع السمع والبصر
		٣٩٦	

گنترل شد



